الذّكاء الاصطناعيّ

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائِرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

المجلس الأعلى للغة العربية

رئَـاسَةُ الجُمهُـورِيَّـة

التّسامح اللّغويّ في الجزائر

ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معًا بسلام

منشورات المجلس

2020

التّسامح اللّغويّ في الجزائر، ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معًا بسلام



الذّكاء الاصطناعيّ

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رِئَـــاسَةُ الجُمـهُـورِيَّـةِ

المجلس الأعلى للغة العربية



التّسامح اللغويّ في الجزائر ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معًا بسلام



منشورات المجلس

2020

كـتاب: التّسامح اللغويّ في الجزائر ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معًا بسلام

- إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات: 544

منشورات المجلس

الإيداع القانوني: السداسي الثّانيّ 2020
ردمك: 978-9931-681-53-3

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ: 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz




فهرس

التسامح اللغويّ،
ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معاً بسلام♥

كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

ـــ **الدّيباجة:** يحتفي المجلس الأعلى للغة العربيّة باليوم العالمي الموسوم (العيش معاً بسلام) بغرض العمل على التّجسيد الفعلي عن طريق الملتقيات والأيام الدّراسيّة فكـــرة العيش اللغوي التّامّ بين اللغتين الوطنيّتين وسبل التّكامـــل، وعـــدم الانغـــلاق عليهمـــا باستقطاب لغات العلم الأجنبيّة للاستفادة من الفتوحات اللغويّة والعلميّة التي تعمل علـــى تطوير اللغات الوطنيّة، وعلى قضاء المصالح بيننا وبين الشّعوب التـــي تـــتكلّم لغـــات ليست من لغاتنا. وليس لأوّل مرة نحتفي بهذه المناسبة التي انطلقت فكرتها من الجزائر بل سبق أن جسّدنا لقاءات بخصوص الموضوع، واقترحنا أفكاراً في هذا المجال.

ـــ **التّسامح اللغويّ:** ينقسم مفهوم التّسامح اللغويّ إلى ثلاثة أقسام، وهي:

1ـــ قسم يتعلّق بالخصوصيات اللغويّة لكلّ لغة، وفيه نقول: إنّ التّسامح اللغـــويّ لا نعني به الدّعوة إلى الذّوبان اللغويّ/ الاقتراض المخلّ للغة الأصل، لتفرض لغة الهدف شروطها، ولا نعني به إلغاء القواعد النّحويّة، ولا استعمال اللهجات، ولا التّماهي فـــي تعميم الألفاظ الأجنبيّة. وكلّ ما فيء الأمر هو السّير ضمن مسار الجواز اللغويّ الـــذي تبيحه قواعد اللغة. ويدور هذا القسم في مفهوم الاستدلال بالشّواهد الممكنـــة، واعتمـــاد المشيخة اللغويّة، وترجيح الرّأي المجمع عليه.

2ـــ قسم يتعلّق بتيسير تدرّج القواعد، وتحسين طرائق التّدريس، والتّمثيل باللغـــات الأجنبيّة ومنطق اللغات سعياً إلى تحقيق النّمذجة الشّبكيّة التي تجمع اللغـــات الطّبيعيّـــة

♥ ـــ كلمة أعدّت للملتقى الوطني حول (التّسامح اللغويّ في الجزائر، ودوره في ترســـيخ ثقافـــة العيش معاً بسلام) بتاريخ 1– 2 جوان 2020. وقد تأجّل انعقاده جسدياً بسبب الجائحة، وعقد عن بعد عن طريق التّحاضر المرئي عن بُعد.

ويدخل في هذا القسم الخصوصيات في ذات اللغة من مثل: اللغة الوظيفيّة/ لغات الاختصاص/ اللغة للفطريّين/ اللغة لغير الفطريّين.

3ــ قسم يتعلّق بالتّعدّد اللغويّ في بلد من البلاد، وبخاصّة تلك البلاد التي عرفت الاستعمار الذي ترك لغته، وترك إرثاً ثقافياً يصعب تجاوزه إلاّ عبر أجيال وأجيال. وهذا المجال له أبعاده ويقع التّركيز عليه. إذن التّسامح اللغويّ في هذا القسم يعني في ما يعني عدم رفض التّحدّث مع الآخرين باللغة التي يفهمونها حتى لو لم تكن لغتك وقبول التّعايش اللغويّ في إطار قانون الأثر اللغويّ الذي تحدثه اللغة الأقوى في اللغة الأضعف/ لغة الهيمنة في لغة المغلوب/ لغة العلم في لغة الأدب/ لغة الحداثة في مقابل لغة الأصالة/ لغة مسايرة للواقع في مقابل لغة تاريخيّة... ومن هنا، فإنّنا لا نجد حرجاً في التّحدّث مع الآخر بلغته، وبخاصّة لغات فرضت نفسها في الاستعمال اليوم ولكن في حدود ما يجعل التّواصل يتمّ بصورة طبيعيّة في حالة قضاء المصلحة التي تتطلّب ذلك، والمسألة تقدّر بحالها ومكانها. وهذا يعني البعد عن التّعصّب اللغويّ بمفهوم جعل كلّ النّاس يستعملون لغتك مجبرين. وهنا يؤدّي بي الكلام إلى أنّ هذا لا يدخل في الشّعور بالتّراخي اللغو أو النّزول عند لغة الآخر، بل مفاده تسامح لغويّ باهر، لا يتعارض مع ثقافة اللاتسامح التي يمارسها بعضنا مع الآخر، وهي مسألة جديرة بالتّمعّن والدّرس.

ومن خلال هذا الملتقى ندعو إلى ثقافة التّسامح اللغويّ المسلّح بالذّاتيّة والخصوصيّة النّفعيّة البعيدة عمّا يسمّى Linguistic Prejudice وهي ثقافة مرفوضة في قيمنا ومرفوضة في ثقافتنا. وندعو إلى تسامح لغويّ في المستويات اللغويّة وتوظيف لغة الآخر حيث يجب ذلك، وهي ليست إباحيّة لغويّة، بقدر ما هي ثقافة الاختلاف وليست ثقافة الخلاف، وقد عمل بها أجدادنا في ما مضى من الزّمان في الأندلس وفرضوا نمط لغة التّواصل بالعربيّة الفصيحة، وكان ذلك من العولمة التي تجت في العربيّة لغة العلم والعلوم.

ولقد كان للمجلس الأعلى للغة العربيّة هذا الاختيار للموضـــوع العـــالمي بمناســـبة العيش معاً بسلام الذي تحدّد تاريخه في 16 مايو من كلّ سنة، ويتبعه مباشـــرة اليـــوم العالمي للتّنوّع الثّقافي وهي أيام تحتج إلى الاهتمام باللغات الأمّ، وفي ذات الوقت إلـــى الاهتمام بالتّرجمة وهي بريد اللغات التي يقع فيها الانفتاح على الاخر. ثقافـــة تجســـيد أفكار الآخر لمعرفة خصوصيّاته ومداركه واستشراف عالمه الخاصّ "من تعلّم لغة قوم آمن شرّهم" ونقول: "من استعمل لغة قوم قضى مصالحه". ونروم من هذا اللقاء العلمي للمجلس العلى تحقيق أفكار تنافسيّة في المحاور الخمسة التي يتبارى فيها المختصّـــون في تقديم مشاريع تكامليّة للعيش معاً ضمن تعدّديّة لغويّة، وهي تعدّديّة ضمن المشـــترك الجامع الذي يعمل على الانسجام الجمعيّ.

2ـ **التّسامح اللغويّ والانسجام الجمعـــيّ**: إنّ الملتقى يستهدف نمط العيش بالتّعـــدّد اللغويّ ضمن تراتب لغويّ وطنيّ، في حدود المادتين: الثّالثة (3) والرّابعـــة (4) مـــن الدّستور الذي يخصّ بعد اللغات الوطنيّة، ويعطي القيمة المضافة للغـــة الدّولـــة وهـــي العربيّة في بعدها التّاريخيّ والهويّاتي وفعل الأجداد النّفعيّ في الخيـــار الاســـتراتيجيّ وكان خياراً موفّقاً ولم نشهد الصّراع اللغويّ المخلّ بالتّواصل والاتّصال، فأنزلت كـــلّ لغة المقام المستحقّ، وهذا ما يسعى الدّستور تجسيده من المادّتين المذكورتين. وفي هذا لا يعني الانغلاق الهلاك، أو الانغلاق العزل، بل هي دعوة إلى الانتقاع اللغـــويّ مـــن اللغات التي تعرف المنتوج العلميّ الحديث. ولابدّ في هذا المقام من اقتراح أفكار تعمل على العصبة اللغويّة ضمن هذا المخاض المعاصر الذي لا يعرف الحدود اللغويّة:

ــ التّسامح اللغويّ دعوة إلى الانفتاح لا الانبطاح؛

ــ التّسامح اللغويّ هو الأخذ من كلّ اللغات بمصطلح رابح رابح؛

ــ التّسامح اللغويّ تسامح في الاستعمال لا في فقه اللغة؛

ــ التّسامح اللغويّ هو الانسجام الجمعيّ في ظلّ تعدّد لغويّ جامع.

ـــ **الخاتمة:** ما أحوجنا إلى أفكار من الباحثين الوطنيين الذين يقترحون علينا أفكــار في حفظ الهويّة والذّاكرة، هويّة لغويّة مضيفة تسير سيراً حثيثاً للحاق بالرّكب، ونحــن لا نريد القهقرى أو الوقوف في مرحلة البدايّة، أو في مرحلة المراجعات في كلّ مــرّة وكأنّنا لا نملك الوصفات العلميّة التي تعمل على التّغيير الفعليّ. ونهيب بالبــاحثين فــي اقتراح أفكار التّغيير السّلس في منهج السّلف المرتكز على ما هو من الثّابت، وما هــو من المتغيّر، ألا يوجد رجال أشدّاء يحقّقون هذه الوصفة؟ يوجد رجــال فــي مســتوى عظمة هذه البلاد، وهم بحاجة إلى تفعيل، وإلى رجّة وطنيّة يجعلون همّهم خدمة الشّأن العامّ ألا هبّوا أيّها الباحثون لرفع هــذه الأمّــة بلغتهــا الجامعــة وهويّتهــا الصّــامدة ومرجعيّاتها الثّابتة، وانفتاحها المحافظ علــى الخصوصــيّات التــي لا تــزول بفعــل الاستعمار، لا تذوب في لغة الاستدمار.

كلمة رئيسة اللجنة العلميّة

بسم الله الرّحمان الرّحيم والصّلاة والسّلام على خاتم المرسلين سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين:

يسعدني نيابة عن زملائي في اللجنة العلميّة أن أحيّيكم وأرحّب بكم سيّدي رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة، السّادة الأساتذة الأفاضل المشاركين معنا في هذه التّظاهرة العلميّة بتقنيّة التّحاضر عن بعد، ضمن فعاليّات الاحتفاليّة التي يقوم بها المجلس الأعلى للغة العربيّة بمناسبة اليوم العالمي للعيش معاً بسلام؛ هذه الفعاليّة التي أقرّتها المنظّمة العالميّة للثقافة والتّربيّة والعلوم (اليونسكو) يوم 16ماي من كلّ سنة وتدخل في إطار الفعاليّات والأيّام العالميّة القارة ضمن نشاطات المجلس السّنويّة.

وقد اختير لملتقى هذه السّنة موضوع: "التّسامح اللغوي في الجزائر ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معاً بسلام" محاولين من خلاله تحسيس جميع الكفاءات الوطنيّة بأهمّيّة التّسامح اللغوي في توسيع سبل التّواصل وتحقيق الأمن الثّقافي للبلاد، إضافة إلى محاولة رسم طريق وسياسة تحقّق هذا المسعى وذلك من خلال دعوة المشتغلين في هذا المجال، وكذا المشاركين إلى تقديم بحوث تتّسم بالعلميّة وببعد إجرائيّ استشرافيّ ينطلق من الواقع اللغوي الحاضر. ويعمل على توحيد وغرس روح التّسامح والمصالحة بيننا نحن الجزائريّين، فنحن شعب تجمعه أرض واحدة ودين واحد وهويّة واحدة.

يسعى هذا الملتقى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نذكر منها:

- ✓ تفعيل سياسة العيش معاً بسلام؛
- ✓ توسيع سبل التّواصل اللغوي بين فئات المجتمع الجزائري؛
- ✓ وضع سياسة لغويّة تضمن التّعايش السّلمي بين العربيّة والمازيغيّة واللغات الأجنبيّة الأخرى في الجزائر؛

- ✓ الاقرار بمقام اللغات الوطنيّة التي يحتويها المجتمع الجزائري؛
- ✓ السّعي لوضع قواعد لغويّة تنظم علاقات اللغات بعضها ببعض.

بناء على الأهداف المذكورة أعلاه يسعى الملتقى إلى فتح المجال أمام الباحثين المهتمّين بالموضوع للإسهام في إثراءه من خلال تبادل الآراء والخبرات حوله على أمل أن تكلّل أشغال هذا الملتقى بحول الله بمادّة علميّة ثمينة.

وقد كانت المشاركة في هذا الملتقى ثريّة متنوّعة، وقد استقبلت اللجنة العلميّة أزيد من 64 ملخّصا لباحثين من مختلف ربوع الوطن، وبعد القراءة والدّراسة من قبل اللجنة العلميّة تمّ قبول 40 مداخلة استوفت كلّ محاور الملتقى ووزّعت حسب ذلك.

وفي الأخير أشكركم سيّداتي سادتي على حضوركم معنا في هذه الاحتفاليّة المتميّزة وعلى مشاركتكم القيمة والفعّالة، وأخص بالشّكر الجزيل الأستاذ الدّكتور صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة لرعايته لهذا العمل، ولا يفوتني أيضا أن أشكر الأستاذة أمال حمزاوي إحدى إطارات المجلس الأعلى الجادّات المجدّات على متابعتها لكلّ حيثيات هذا الملتقى بوركتم وبوركت خطواتكم والسّلام عليكم رحمة الله تعالى وبركاته.

اللُّغَةُ الأمَازِيغِيّة بينَ التقْدِيسِ والتهْمِيشِ

أ.د مليكة النّوي
جامعة. باتنة

أ. إسلام حب الدّين
جامعة. برج بوعريريج

الملخّــص: تَطْرَحُ هَذِه المُدَاخَلَةُ قضيّة في غايّة الأَهَميّة؛ وهـــي الوحـــدةُ الوطنيّـــة وعواملُ الوحدةِ كثيرةٌ أهمُّهَا اللُّغَةُ، إذْ بهَا يتفاهَمُ الأفرادُ داخلَ المجتمعِ الوَاحِـدِ، وبِهَـا يتعارفُون ويَتَآلَفُونَ ويَتَحَابُونَ، وبها تُبْنَى الأُمَّةُ وتَتَجَسَّدُ الهُويّة الوَطنيّة، فهـيَّ الرّبَــاطُ المَقَدَّسُ، ورُوحُ المُجتمَعِ، وزَوَالُهَا زَوَالُ الأُمَّةِ، فإن تعدّدت اللُغَاتُ في أُمّةٍ مَا لِظُــرُوفٍ مَا، فمَا هُوَّ إلا نِتَاجٌ لتاريخِ الشّعُوبِ وتَفَاعُلِ الحَضَارَاتِ وتَنَــوُّعِ الثّقَافَــاتِ، واســتجَابَةٌ لمُقتضيَاتِ الحَياةِ اليوميّة عبر العُصُورِ، لكنَّ الاعترَافَ باللُّغَةِ الأَمَازِيغِيّة عــامَ 2016م بالجَزائرِ كمنظومَةٍ فكريّة وهُويَّاتِيّة وثَقافِيّة ولُغَوِيّة، ومُرورِ سنواتٍ على البَــدْءِ مــن تَدْرِيسِهَا وتَعْلِيمِهَا والاعتِرَافِ بهُا دُستوريًّا كلُغَةٍ رسميّة، غَدَا مُقرَّرًا أنْ يكُــونَ الفِكــرُ اللِّسَانِيُّ التعدّديُّ بالجزائرِ في حالَةِ مدٍّ وجَزْرٍ؛ أساسُهَا الفَجوَةُ القَائِمَةُ بين أنصَارِ العَرَبيّة وأَنْصَارِ الأَمَازِيغِيّة والحِوارُ العقيمُ بَيْنَهُمَا، وقدْ كانَ مَثَارَ نِقاشَاتٍ حَادَّةٍ تَجــاوزتْ فــي كَثِيرٍ من الأَحَايِّينِ حُدُودَ الاختِلافِ العِلْمِيِّ، وتحولَّتْ مِن تَعَايُشٍ سِلْمِيٍّ إلى انْزِوَاءٍ فــي غَيَاهِبِ المَذْهَبِيّة والطّائفِيّة وتَشَكَّلَ قُطْبَانِ مُتَنَافِرَانِ الأَوّلُ يَرى بتقدِيسِ اللُّغَةِ الأَمَازِيغِيّـــة باعتبارِهَا اللُغَةَ الأصليّة للسُّكَانِ، والثّاني يَرى بتَهْمِيشِهَا باعتبَارِهَا دَخِيلاً علـــى اللُّغَّــةِ الرّسْمِيّة وَعَدُوًّا لَهَا.

غَايَتُنَا في هذِهِ المُداخَلَةِ الوُقُوفُ على سُبُلِ تَوْسِيع التّوَاصُلِ بَــيْنَ فِئَــاتِ المُجْتَمَــعِ الجَزَائِرِيِّ كَافَّةً لِلْعَيْشِ بِصِفَةٍ رَسْمِيّة تَحْتَ رَايّة السّلْمِ، وتَحْقِيقِ الأَمْنِ الثّقَــافِيِّ والوِحْــدَةِ

الوَطَنِيّة للبِلادِ، والعَيْشِ مَعًا بِسَلامٍ لبِنَاءِ وَطَنٍ يَنْعَمُ أبْنَاؤُهُ مُتَّحِدِينَ فِي ظِلِّ التعدّد اللُّغَوِيّ.

اللغة كائن حيّ، تتأثّر بالظّروف المحيطة بها على اختلافها، وهي في الوقت نفسه مؤسّسة اجتماعيّة تعرف مراحل من المد والجزر، من الانتشار والتّوسع ومن الانكماش والتّراجع بفعل ما تصطدم به من تعدّد الثّقافات واختلاف الأيديولوجيات وتنوّع اللهجات في المجتمع الواحد، والأمازيغيّة لم تَنْأَ بنفسهاَ عن كل هذه التّغيرات والدّليل ما عرفته اللغة الأمازيغيّة من تعدّد الرّؤى حول تاريخها وتطورها وطبيعة أصواتها، بل ما تزال بعض من هذه الآراء لم تحسم أمرها حول قضيّة اللغة الأمازيغيّة؛ لتدخل في دروب من الانشقاق حول مكانة الأمازيغيّة أهي في المركز أم في الهامش؟ أهي قطب محوري أم ما تزال تبحث لها عن مكان في التّخوم؟.

أوّلا: الوحدة الوطنيّة كيان الأمّة: نظرا للأهميّة التي تحظى بها الوحدة الوطنيّة لدى الأمم قاطبة باعتبارها الخليّة الأولى في المجتمع، وروحها، وضمانها، ورباطها المقدّس، حيث يتجسّد مفهوم الوحدة الوطنيّة في: "توحد وتجمع كلّ أبناء الوطن الواحد مهما اختلفت إيديولوجياتهم وتوجّهاتهم الفكريّة نحو وجدان ومشاعر إيجابيّة تدفعهم وتحفّزهم إلى ممارسات وسلوكيات موحدّة تجاه قضاياهم الوطنيّة والخارجيّة"[(1)]، وبهذا تكون الوحدة الوطنيّة أقرب إلى "وحدة الشّعب في الدّولة، سواء تعدّدت أطيافه أم لم تتعدّد، وتصدر عن معطيات مرتبطة بالشّعب وبالدّولة"[(2)].

بناء على ربط المفاهيم بالواقع فإن ما شهدته الجزائر منذ عقود طويلة، تعاقبت فيها الأحداث وتلاحقت بعدها الويلات وتشابكت فيها الظّروف وتحايلت عليها السّياسات مشكّلة هجمة شرسة ضد الجزائر وأهلها، إلاّ أن نظرتنا إلى هذه القضيّة نظرة تفاؤل لا نظرة تشاؤم؛ فلا حاجة لنا هنا لسرد الكثير من المخطّطات والمحاولات والمؤامرات التي حيكت ولا تزال تحاك لإسقاط الوحدة وزعزعة أمن البلاد، لكن لسان حالنّا يقول مستأذنين صاحب هذه الأبيات بأن نَمُدَّ أيدينا على بعض الكلمات بالتّغيير بما يناسب حالنّا، فنقول:

مـــــن ظـــــنّ أنّ الجزائـــــر يُمكـــــن كســـــرها

فقـــــد أســـــاءَ فهمـــــا وأخطـــــأ التّحليـــــل

ونســــــيج وحـــــــدتنا خـــــــط أحمـــــــر

والوحـــــدة الوطنيّـــــة لا تقبـــــل التّبـــــديل

فالحـــــبّ بَـــــين القلـــــوب يؤلّـــــف صـــــفونا

فـــــالجزائر أمّ الكُـــــل والتّـــــاريخ تســـــجيل

فـــــــاحترام الـــــــــرّأي ذوق رفيـــــــعِ

يعلـــــي الكـــــرام ولـــــيس مِـــــن شـــــأنه التّقليـــــل

ملعـــــون مِـــــن قـــــال أنّ هُنـــــاك فتنـــــة

تبّـــــت يـــــدا مِـــــن حـــــاول إشـــــعال الفتيـــــل

فتنـــــة فِـــــي الـــــوطن شـــــيء كـــــاذب

فوحـــــدتنا تنمـــــو بالحـــــبّ جـــــيلا بَعـــــد جيـــــل

صـــــمدت ولـــــم تهتـــــز بريـــــاح غـــــدر

فـــــإن تهـــــزّ الجبـــــال ريـــــح مســـــتحيل

حـــــبّ فـــــي القلـــــوب أوجـــــده الإلـــــه

فهـــــل يســـــتطيع حاقـــــد لهَـــــذا الحـــــبّ يزيـــــل؟

فـــــالجزائر منـــــذُ البـــــدء بســـــتان حـــــبّ

حـــــين أمســـــى الحـــــبّ فِـــــى الـــــدّنيا قلِيـــــل

يقول الإمام عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– في حديثه عــن الوحــدة الوطنيّــة باعتبارها فريضة دينيّة يطالب المسلمين بإقامتها في حيــاتهم وفــي علاقــاتهم، فــــ: "الواجب على كلّ فرد من أفراد المؤمنين أن يكون لكلّ فرد من أفراد المؤمنين كالبنيان في التّضام والالتّحام، حتى يكون منهم جسد واحد، كما قال صلّى الله عليه وآله وســلّم في الحديث: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجســد، إذا اشــتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى)..."[3].

مستطردا في حديثه عن اتحاد المؤمنين وتعاونهم مبينا أهمّيتها ومكانتها ووجوب تكاتف أفرادها واهتمام كلّ فرد بمسؤولياته، فيقول: "ألا ترى أنّ البنيان كيف يتركّب من الحجارة الكبيرة، والحجارة الصّغيرة، والمواد الأخرى التي تلحم بها الحجارة وتكسى، وكلّ ذلك محتاج إليه في تشييد البنيان، فكذلك مجتمع المؤمنين فإنّه متكوّن من جميع أفرادهم على اختلاف طبقاتهم، فالكبير والجليل له مكانه، والصّغير والحقير له مكانه، وعلى كلّ واحد أن يسدّ الثّغرة التي من ناحيته، مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لا غناء عنها لها عنه، كما لا غناء له عن كلّ واحد منها فكلّ واحد من المؤمنين عليه تبعته، بمقدار المركز الذي هو فيه، والقدرة التي عنده ولا يجوز لأحد وإن كان أحقر حقير أن يخلّ بواجبه من ناحيته، فإنّه إذا أزيل حجر صغير من بنيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل، وإذا ابتدأ الخلل من الصّغير تطرّق للكبير"[(4)]؛ فالوحدة الوطنيّة عند ابن باديس هي العامل الأساس لبناء صرح الأمّة وكيانها وتنميتها والوقوف أمام كلّ أسباب انهيارها وتحطّمها وزوالها.

فالوحدة الوطنيّة بكلّ هذه المعاني يمكن القول أنّها تفاعل بين مكوّنين أو عنصرين أحدهما (الوحدة)، والثّاني (الوطنيّة)، وأنّ اندماجهما يشكّل المفهوم الذي تدور عليه الوحدة الوطنيّة، لتحقيق التّعاضد بين جميع أفراد الشّعب الواحد بغض النّظر عن انتماءاتهم المختلفة.

والوحدة الوطنيّة لا تقوم إلاّ على جملة من الرّكائز والدّعائم؛ وهي في حقيقتها تجسيد للشخصيّة الوطنيّة ومكوّنات أساسيّة، متمثّلة في: (الدّين، اللّغة، الوطن، التّاريخ المصير المشترك)، حيث نجد ابن باديس يجمعها في قوله: "تختلف الشّعوب بمقوّماتها ومميّزاتها كما تختلف الأفراد، ولا بقاء لشعب إلاّ ببقاء مقوّماته ومميّزاته كالشّأن في الأفراد، فالجنسيّة القوميّة هي مجموع تلك المميزات والمقوّمات، وهذه المقوّمات والمميّزات هي اللغة التي يعرب بها ويتأدّب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذّكريات التّاريخيّة التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها، والشّعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقوّمات والمميّزات"[(5)].

فالوحدة الوطنيّة بعد هذا كلّه لا تتجسّد إلاّ إذا تعاضدت هذه المكونات والرّكائز على درجة واحدة من الأهميّة مكمّلة بعضها بعضها البعض؛ لكن أمام الوضع اللغوي الرّاهن الذي يشهده المجتمع الجزائري يثير جملة من التّساؤلات الحادة عمّا إذا كان التعدّد اللغوي داخل الأمّة الجزائريّة نعمة أم نقمة؟!، هل التعدّد اللغوي في الجزائر اجتماع ورحمة أم أنّه فرقة وعذاب؟!.

يمكن أن نجيب عن هذه التّساؤلات فنقول إنّ تعدّد اللغَات في أيّ مجتمع أو في أيّ أمّةٍ عموما وفي الجزائر خصوصا مَا هو إلاّ نتاج لِظروفٍ مَا؛ مَا هو إلاّ نِتَاجٌ لتاريخِ الشّعوبِ والتّفاعل فيما بينها، وتعاقب الحضارات وتنوع الثّقافات في بلادنا واستجابة لمقتضيات الحياة اليوميّة عبر العصور، أضف إلى هذا أن التعدّد اللغوي هو آيّة من آيات الله عز وجل في خلقه، ومنه قوله تعالى: {ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف السّنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين}، وقال أيضا: {ولو شاء ربّك لجعل النّاس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك}، وهذا ما سنوضّحه في المحاور التّاليّة.

ثانيا: التعدّد اللغوي ومظاهره: طبيعة البحث تستدعي منّا الحديث عن قضيّة مرتبطة باللغة، ألا وهي قضيّة التعدّد اللغوي؛ ممّا يقتضي منّا تحديد تعريف شامل للتعدّد اللغوي حيث يعرّفه محمّد الأوزاعي بقوله: "التعدّد اللغوي المقابل للفظ الأجنبي (Multilinguisme)، وهو يصدق على الوضعيّة اللسانيّة المتميّزة بتعايش لغات وطنيّة متباينة في بلد واحد، إمّا على سبيل التّساوي إذا كانت جميعها لغات عالميّة كالألمانيّة والفرنسيّة والإيطاليّة في الجمهوريّة الفدراليّة السّويسريّة، وإمّا على سبيل التّفاضل إذا تواجدت لغات عالميّة كالعربيّة بجانب لغات عالميّة مثل الهوسان والغورمانشة والسّوناي زارما، والتّماشيق والفولفولدة، والتّوبو، في جمهوريّة النّيجر"[(6)].

بعد تحديد مفهوم التعدّد اللغوي يقتضي منّا الوقوف عند مظهرين من مظاهره وهما:

1. الازدواج اللغوي (Diaglossie): هي على حدّ تعبير صالح بلعيد: "استعمال نظامين لغويين في آن واحد للتعبير والشّرح، وهو نوع من الانتقال من لغة إلى أخرى"[7]؛ معنى ذلك أن المتحدّث قد يستعمل اللغة العربيّة في حديثه للمرّة الأولى ثمّ ينتقل بعدها إلى استعمال اللهجة العاميّة، وهذا ما عبّر عنه أندري مارتيني في تعريفه للازدواجيّة اللغويّة بأنّها: الوضع الذي توجد فيه لغتان في نفس البلد، إحداهما لغة الأغلبيّة والأخرى لغة الأقليّة ولهما نفس الوضع القانوني والإعلامي وكذلك في الدّوائر الحكوميّة[8].

2. الثّنائيّة اللغويّة (Bilinguisme): عرّفها جون ديبوا (JEAN DUBOIS) في معجمه المتخصّص بقوله: "هي الحالة اللغويّة التي يوظف فيها المتكلّمون لغتين مختلفتين بالتّناوب، حسب البيئة اللغويّة والظّروف الاجتماعيّة"[9]، وفي السّياق نفسه يمكن القول بأنّ تعريف جون ديبوا يقترب من تعريف بلومفيلد (BLOUM FIELD) حين عرّف الثّنائيّة بقوله: "بأنّها قدرة الفرد في التّحكّم في اللغة الثّنائيّة بسهولة مشابهة للتحكّم في استعمال اللغة الأمّ"[10].

ثالثًا: في مفهوم التّسامح اللغوي: بالعودة إلى معجمات اللغة العربيّة نجد أن "سَمَحَ – سَمَاحًا وسماحةً العودُ: لاَنَ، وسمحتِ النّاقةُ انقادت فأسرعت. وسَمَّحَ: ساهَل ولان وسمَّحَ الرّمحَ: ثقّفه حتى لان، و–الرّجلُ: سار سيرا سهلا. سامَحهُ في الأمر وبالأمر: ساهله ولاينه ووافقه على مطلوبه. وسامحه بذنبه: صفح عنه، والعامّة تقول: "سامحك الله" أيّ غفر لك... وتسامح في كذا: تساهل فيه"[11].

وتسامحَ: صيغة صرفيّة مزيدة، حروفها الأصليّة (س–م–ح)، والفعل الثّلاثي المزيد له صيغ كثيرة منها: تَفَاعَلَ، فهو مزيد بالتّاء والألف، والثّلاثي المزيد قد يكون بحرف أو بحرفين أو بثلاثة أحرف، وإذا كانت الصّيغ الفعليّة المزيدة في اللغة العربيّة تأخذ معانيَ جديدة بعد الزّيادة، فإن ما يهمّنا في هذه المداخلة هو صيغة: تفاعَل، وما المعنى الذي أخذته بعد زيادة التّاء والألف على الجذر الأصلي: فعَل.

فمن معاني تفاعَل: المشاركة، كما تفيد معنى المطاوعة والاستجابة، وتأخذ معنى التّظاهر على خلاف الواقع كقولنا: تضاحك، أيّ تظاهر بالضّحك أو افتعل الضّحك ومن معانيها حصول الفعل بالتّدرج: توافد الطّلبة على المحاضرة.

والمتأمّل للمعنى اللغوي يجد أنّ معنى المطاوعة مرتبط بالتّساهل في الأمر أيّ: المطاوعة له، وأنت إذا طاوعت شخصا تكون قد شاركته في رأي أو غيره، كما تأخذ صيغة (فاعَل) معنى المشاركة مثل تفاعَل.

وإذا تأمّلنا المعاني التي اكتسبها الفعل (سَمَحَ) بعد زيادة التّاء والألف (تسامَح) نجد أنّ هذه المعاني تجتمع في هذا الفعل.

تَسَامَحَ: التّسامح يكون بين اثنين أو أكثر لتتحقّق المشاركة في الفعل، والتّسامح اللغوي يكون بين لغتين فأكثر، والنّسيج اللغوي في الجزائر يحتاج إلى تسامح ليحقّق المجتمع التّطوّر والاستقرار.

تَسَامَحَ: تفيد حدوث المطاوعة والاستجابة، ولتحقيق ثقافة التّعايش بسلام لابدّ من وجود هذين المعنيين ليتحقّق الانسجام والتّسامح.

تَسَامَحَ: تفيد حدوث الفعل وحصوله بالتّدرج، والتّسامح يقع شيئا فشيئا إمّا بتدخّل بعض الأطراف للمصالحة لإقناع المتخاصمين بالتّسامح، وإمّا أنّه يحدث بين مِنْ بينهم شنآن، ولكنّ بعد تأكّد الطّرفين أو أحد الأطراف بالنّيّة الصّادقة للآخر، وعلى أيّ حال فإنّ هذا يأخذ بعضا من الوقت للتثبّت والتّأكّد.

تَسَامَحَ: قد يأخذ معنى التّظاهر إذا لم تكن النّيّة صادقة من أحد الطّرفين، بأن كان أحدهما يظهر ما يخالف الواقع، إمّا إرضاءً لخصمه أو للمصلح بينهما، وقد يكون معنى التّظاهر من الطّرفين معاً.

وبالعودة إلى مسيرة اللغة الأمازيغيّة في الجزائر يكاد يجد أنّها عرفت هذه المعاني إذ لم تتمكّن من اللسان الجزائري إلاّ بعد تجاذبات، فتاريخ اللغة الأمازيغيّة استشهاد طويل؛ إذ عانت من التّهميش والتّغييب، جريمتها أنّها تخضع ولم تستسلم، بل قاومت وتحدّت، رفضت المساومات والمزايدات وأعلنت مصالحة لسانيّة مع اللغة العربيّة

فمثّل اللسان العربي والأمازيغي شخصيّة الجزائري وكيانه وهويته إذ "لم يطرح الصّدام بين العربيّة والأمازيغيّة، إلاّ مع دخول فرنسا التي أقصت الأمازيغيّة والعربيّة من الاستعمال، والتّوظيف بشكل نهائي وبقرار من الحاكم الفرنسي، وهذا منذ سنة 1899م، مع إغلاق الكتاتيب القرآنيّة، وتدمير المساجد، وتحويل الكثير منها إلى كنائس، بل وصل الأمر إلى منع الحجّ على اعتبار أنّ الحجّاج يحتكّون بالعرب الذين يحملون اللغة العربيّة، أضف إلى ذلك ما تعرّضت له الصّحف المعربة، من غلق وملاحقة أصحابها، وهذا كلّه يدخل في إطار الضّم النّهائي، وتذويب الكيان الثّقافي في الجزائر في كيان فرنسا، وإضعاف الشّخصيّة العربيّة الإسلاميّة الجزائريّة ومقوّماتها الدّينيّة"[12].

إنّ ما قامت به فرنسا لم يكن عملا عشوائيا ولا وليد الصّدفة، ولكنّه مخطّط محكّم عملت فرنسا على نسجه وإحكامه قبل دخول الجزائر، دوافعها من وراء كلّ هذا تطبيق سياسة "فرّق تسد" ومحاولة ضرب الجزائر في هويتها (تاريخا– ولغة –ودينا) من خلال غلق المساجد والزّوايا وتحويل بعضها إلى كنائس، بل وحتى إلى اسطبلات إنّ فرنسا كانت على علم ويقين أنّ الأمازيغ والعرب خاصّة في الجزائر شكّلوا لحمة واحدة في نسيج هذا المجتمع، وأنّهم سيشكّلون خطرا كبيرا على وجودها؛ لأنّ لهم كثيرا من أوجه التّشابه التي تجمعهم (الأمازيغ والبربر) وهو ما أكّده ابن خلدون في مقدّمته إذ يقول: "يتّخذون البيوت من الحجارة والطّين، ومن الخوص والشّجر، ومن الأشعار والوبر، ويظعن أهل العزّ والغلبة لانتجاع المرعى فيما بين الرّحلة، ولا يتجاوزون فيها الرّيف إلى الصّحراء والقفر الأملس، ومكاسبهم الشّاة والبقر، والخيل في الغالب للركوب والنّتاج "..." ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصّوف"[13].

وحتى يحقّق التّسامح اللغوي الهدف المرجو منه والمتمثّل في تعايش اللغات على اختلافها لابدّ أن يتنازل مستعملو اللغات عن بعض المكتسبات ليحققوا الانسجام والتّوافق والتّسامح اللغوي، وهو ما يسعى هذا الملتقى إلى ترسيخه، شعاره: تقديس العربيّة وتمجيد الأمازيغيّة وعدم التّفريط في اللغات الأجنبيّة؛ لأنّ الحضارة الإنسانيّة

ممدودة لا محدودة، وأنّ حاجة الإنسانيّة إلى بعضها ازدادت عبر الأزمنة هدفها تحقيق التّشارك والتّشابك والتّسَامح.

رابعا: التعدّديّة اللغويّة في الجزائر: إنّ المتتبّع للنسيج اللغوي داخل الجزائر يـــدرك وجود تعدّد لغوي، فنجد في مستويات التّعليم المختلفة تدريس اللغة العربيّـــة باعتبارهـــا اللغة الرّسميّة الأولى في الجزائر، إضافة إلى لغات دخلت مراحل التّعليم كالأمازيغيّـــة التي أفردت لها أقسام ضمن كليّة اللغة والأدب العربي والفنون، إضافة إلـــى اللغتـــين الفرنسيّة والانجليزيّة، بل إنّ هناك شعبا وتخصّصات لغتهـــا الأولـــى هـــي الفرنســـيّة (الطّب، الصّيدلة، الاعلام الآلي...) إضـــافة إلـــى الألمانيّـــة والإيطاليّـــة والاســـبانيّة والرّوسيّة وتطلّعات إلى اللغة الصّينيّة إنّ على مستوى شعبة اللغات في التّعليم الثّـــانوي أو كتخصّص في الجامعة.

وهنا نشير إلى أنّ الأمازيغيّة التي تعدّ اللغة الرّسميّة للسكان الأصليين في الجزائـــر تأخّر الاعتراف بها كلغة وطنيّة إلى سنة 2002م، أمّا كلغة رسميّة فكـــان ذلـــك ســـنة 2016م.

وإذا كان بعضهم يرى في هذا التعدّد اللغوي خطرا على اللسان الجزائري "إذ غالبـــا ما تركب اللغة لتحقيق أغراض سياسيّة، وتتّخذ ذريعة لإذكاء نزعات قبليّـــة، وتثبيـــت هويات إقليميّة، كالباسكيّة في إسبانيا، والكرديّة في العراق وتركيا، والأمازيغيّـــة فـــي الجزائر والمغرب، حتى إذا أخذ المجتمع في التّصدّع أعيد جبره بواسطة لغة السّـــلطة التي لها الذيوع والانتشار بعوامل ثقافيّة وسياسيّة ودينيّة واقتصاديّة"[14].

إنّ وجود الأمازيغيّة في مراحل التّعليم في الجزائر هي مطلب شـــعبي جمـــاهيري أملاه الانتساب لهذه اللغة التي تشكّل مقوّماً من مقوّمات الهويّة الجزائريّة، ورغـــم مـــا يبدو من سيطرة اللغة العربيّة في مجـــال التّربيّـــة والتّعلـــيم – مـــثلا– إذ أنّ معظـــم التخصّصات تقدّم مادّتها باللغة العربيّة إلاّ أنّ معظم التخصّصات العلميّة تقـــدّم باللغـــة الفرنسيّة، إضافة إلى سيطرة الفرنسيّة في المجال الإداري وفي الشّـــركات والمصـــانع بل إنّ الواقع التّعليمي يعكس وجود هـــذه الثّنائيّـــة اللغويّـــة "إذ إن كثيـــرا مـــن هـــذه

التخصّصات تدرس بلغات أجنبيّة، لاسيما التخصّصات العلميّة، إذ تدرس باللغة الفرنسيّة ممّا يجبر الطّالب على الثّنائيّة وذلك في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي، بالإضافة إلى أنّ هناك مصطلحات لا مقابل لها، ممّا يفرض عليه استخدام المصطلح باللغة الأجنبيّة دون محاولة تعريبه"[15].

إنّ ما هو مطبّق في منظومتنا التّربويّة هو اقتصار تدريس المواد العلميّة باللغات الحيّة كما يسمّونها /الفرنسيّة والانجليزيّة/ وهنا نتساءل هل اللغة الأمازيغيّة عاجزة عن دخول معترك التخصّصات العلميّة تدريسا وإبداعا؟ إنّه مجرّد سؤال قد نترك الإجابة عنه في ملتقيات أخرى، ولكن ما يهمّنا هو التّركيز على العربيّة والأمازيغيّة خاصّة في منظومتنا التّربويّة، ونتساءل هل تجاوز المجتمع النّظر إلى واحدة منهما على أنّها خصمٌ للأخرى؟ وهل تجرّد المهتمّون باللغتين العربيّة والأمازيغيّة من مرجعياتهم الأيديولوجيّة التي غالبا ما كانت تفرّق ولا تجمع، تشتّت ولا توحّد؟ وهل تأكّد مقدّسو العربيّة أنّ الأمازيغيّة أصل أصيل في المجتمع الجزائري، وأنّ العرب الفاتحين الذين جاؤوا بالعربيّة استقبلوا من الأمازيغ استقبال الضّيوف الكرام لا الغزاة؟ وهو ما أشار إليه عثمان سعدي في مقال بعنوان (عروبة اللغة الأمازيغيّة) وكيف أنّ اللغة العربيّة تفاعلت مع الأمازيغيّة ولم تحاول إقصاءها خاصّة بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن بلسان عربي مبين.

خامسا: الأمازيغيّة مناعة حضاريّة: إذا أدركنا أنّ الفكر الجزائري ولود غير عقيم، متحرّر غير متحجّر؛ سلّمنا أنّ التعدّد اللغوي والتّنوّع اللساني ظاهرة صحيّة في هذا المجتمع. إنّ الحضارة الأمازيغيّة توأم الحضارة العربيّة، فبالعودة إلى كتاب "قصّة الحضارة" لـ: ويل ديو رانت WELL Diorant نجد أنّ صاحب الكتاب قد أنصف العرب حينما أقرّ بوجود حضارة في بلاد العرب "إنّ الحضارة وهي هنا زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة قد ظهرت في العهود القديمة غير المدوّنة في بلاد العرب، ثمّ انتشرت منها في صورة مثلّث ثقافي إلى ما بين النّهرين- سومر وبابل وآشور- وإلى مصر"[16]. وهذا القول يحيلنا إلى قول ابن خلدون عن علاقة التّشابه

بين الأمازيغ والعرب، ليكون صاحب هذا القول قد اعترف ضمنيا بوجـــود حضــــارة للأمازيغ، كيف لا وهم الذين أسّسوا ممالك ووقفوا في وجه من ســـوّلت لهـــم أنفســـهم الاستئثار بالحكم في شمال إفريقيا مثل الفينيقيّين والرّومــــان، بـــل إنّ التّـــاريخ ســـجّل بحروف من ذهب أسماء ملوك الأمازيغ منهم: نارفاس يوكوس، ومن الملوك العظمـــاء نجد: صيفاقس، فرمينة، مصينيسا، يوغورطا، يوبا الأوّل ويوبا الثّاني وغيرهم.

ورغم أنّ هذه المداخلة لا تعنى بالبحث في أصول الأمـــازيغ وملـــوكهم وفتـــرات حكمهم، ولكنّها تركّز على اللغة الأمازيغيّة وعلى أقاليم الأمـــازيغ، وتؤكّـــد أنّ شـــمال إفريقيا هو الموطن الأصلي لهم، وأنّهم –حسب رأي ابن خلدون– لـــم يهـــاجروا مـــن مناطق أخرى ليستقرّوا في منطقة الشّمال الافريقي، بل هم أصـــل أصـــيل مـــن هـــذه المنطقة وفي هذه المنطقة، وأنهم صنعوا فيها حضارة أمدّتهم بمناعة ضدّ محاولة الغزو والتّهجير، ورغم دخول أقوام إلى هذه المنطقة إلاّ أنّ الأمازيغ حافظوا على وجـــودهم ولغتهم، مناعتُهم هي تمسّكهم بهويتهم "بأمازغيتهم"، وأنّهم "يسمّون لغـــتهم "تماشـــغت" ولهم لهجات مختلفة واللغة البربريّة حاميّة الأصل، تتركّب من عشرة حروف تســـمّى (تيفيناغ)[17]. وأشكال هذه الحروف خمسة تدعى (تيدباكين)[18]. وبطول الزّمن ترقّـــت هذه اللغة حتى أصبحت لغة التّأليف قبل الإسلام وبعده"[19]. وفي هذا العصر وصـــلت حد التّمكن حين دخلت مجال التّعليم بمرسوم رسمي، وهي اليوم تســـير بخطـــى ثابتـــة وواثقة لتحقّق امتيازات أخرى وهي أهل لذلك.

- **فروعها:** وقد توزّعت الأمازيغيات فـــي الجزائـــر إلـــى مجموعـــات كبيـــرة أهمّها[20]:

- **القبائليّة:** وهي اللغة الأمازيغيّة الأكثر انتشارا، وتعدّ منطقة القبائل أهمّ منطقـــة ناطقة بالأمازيغيّة، وتشمل منطقة القبائل: بجايّة، تيزي–وزو، مع وجود أقليّـــات فـــي المحور الممتد من سطيف إلى العاصمة ويضمّ ســـطيف، بـــرج بـــوعريريج البـــويرة والعاصمة.

- **الشّاويّة:** وهي اللغة التي يتحدّث بها مجموعة من السّكان الأمازيغ القطنين بجبال الأوراس ضمن ولايات: باتنة، أمّ البواقي، خنشلة، تبسّة، والجهة الجنوبيّة من سطيف.
- **التّرقيّة:** يتحدّث بها الطّوارق، وهم قبيلة كبيرة موزّعة بين الجزائر، ليبيا والنّيجر.
- **الشّلحيّة:** لغة السّكان الممركزين في مناطق متفرّقة كتيبازة، ومدن الشّريط المحادي للمغرب الأقصى كمغنيّة، ولهم امتدادات عاليّة في المغرب.
- **الميزابيّة:** وهي اللغات التي يتحدّث بها سكان بني ميزاب، المستوطنون في غردايّة والمدن الإباضيّة الأخرى من الجنوب الجزائري.

سادسا: سبل توسيع التّواصل بين فئات المجتمع الجزائري: في الختام؛ يمكن القول بأنّ مسألة الاعتراف باللغة الأمازيغيّة بالجزائر كمنظومَةٍ فكريّة وهُويَّاتِيّة وثَقافِيّة ولُغَوِيّة، ومرور سنوات على البدء من تدريسها وتعليمها والاعتراف بها دستوريا كلغة رسميّة، غدا مقرّرا أن يكون الفكر اللسانيّ التعدّدي بالجزائر في حالة مَدٍّ وجَزْرٍ أساسها الفجوة القائمة بين أنصار العربيّة وأنصار الأمازيغيّة والحوار العقيم بينهما وقد كان مثار نقاشات حادّة تجاوزت في كثير من الأحايين حدود الاختلاف العلميّ وتحولّت من تعايش سلميّ إلى انزواء في غياهب المذهبيّة والطّائفيّة وتشكّلَ بذلك قطبان متنافران الأوّل يرى بتقديس اللغة الأمازيغيّة باعتبارها اللغة الأصليّة للسّكان والثّاني يرى بتهميشها باعتبارها دخيلا على اللّغة الرّسميّة وعدوّا لها.

لكنّ غايتنا في هذه المداخلة هو الوقوف على سُبُلِ تَوسِيع التّواصلِ بين فئات المجتمع الجزائريِّ كافَّةً للعيشِ بصفة رسميّة تحت رايّة السّلم، وتحقيق الأمن الثّقافي والوحدة الوطنيّة للبلاد، والعيش معا بسلام لبناء وطن ينعم أبناؤه مُتَّحِدِينَ فِي ظِلِ التعدّد اللغوي من خلال إدراك كُنْهِ ما يلي:

– يجب أن ندرك أنّ كلّ لغة تشكّل وعاء ثقافيا هويّاتيّا؛ والأمازيغيّة وعاءٌ هويّاتي وثقافي للجزائر؛

- النّظر إلى الواقع اللغوي بالجزائر بمختلف مستوياته نظرة علميّة؛
- الاعتراف بقضيّة التعدّد اللغوي داخل المجتمع الجزائريّ هو الحلّ الوحيد لحلّ النّزاعات وتفادي الصّراعات؛
- احترام التعدّديّة اللغويّة والحفاظ على اللهجات المحليّة والانفتاح على اللغات الأخرى؛
- استعمال اللغتين العربيّة والأمازيغيّة في مجالات التّعليم والإعلام والإدارة؛
- إنّ وجود الأمازيغيّة مطلب شعبي جماهيري أملاه الانتساب لهذه اللغة التي تشكّل مقوّماً من مقوّمات الهويّة الجزائريّة؛
- إنّ الحضارة الأمازيغيّة توأم الحضارة العربيّة؛
- تدريس الثّقافات واللهجات المحليّة بما فيها الأمازيغيّة بكلّ فروعها لتجسيد مبدأ الهويّة في نفوس الجزائريّين؛
- إنشاء أبحاث علميّة هادفة لدراسة اللغات واللهجات المحلّيّة بما فيها اللغة الأمازيغيّة للحفاظ على مقوّمات الهويّة الجزائريّة؛
- تشجيع الباحثين والدّارسين على التّأليف في مجال الثّقافة الأمازيغيّة؛
- مسألة الاعتراف اللغة الأمازيغيّة عدالة اجتماعيّة للحدّ من ظاهرة التّعصّب والانشقاق؛
- فتح المجال أمام تعليم اللغة الأمازيغيّة بكلّ فروعها (قبائليّة، شاويّة تارقيّة،...) وكسر الحواجز وتوسيع مدارك الفهم لمعنى الحوار وتلاقح الثّقافات والانفتاح الحضاري والثّقافي؛
- آخر نقطة يمكن إدراكها هو أن تعدّد اللغات في مجتمعنا قوّة للشخصيّة الجزائريّة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. عادل بن عايض المغذوي، دور المناهج التّعليميّة في تعزيزمفهوم الوحدة الوطنيّة لدى طلاب التّعليم الثّانوي في المملكة العربيّة السّعوديّة، الملتقى الدّولي الرّابع،2014م، جامعة المجمعة.

2. نبيل شبيب، الوحدة الوطنيّة منطلقات للوحدة الوطنيّة ومحاذير الانحراف عنها رابط المقال: midadulqalam.com.

3. عبد الحميد بن باديس، مجالسّ التّذكير من حديث البشير النّذير، مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينيّة، دار البعث، قسنطينة –الجزائر، ط1، 1403هـ/1983م.

4. آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينيّة، الجزائر ط1 1406هـ/1985م، ج3.

5. محمّد الأوراغي، التعدّد اللساني وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، منشورات كليّة الآداب، الرّباط، ط1، 2002.

6. صالح بلعيد، التّهجين اللغوي: المخاطر والحلول، مجلّة المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر، 2010م.

7. دليلة فرحي، الازدواجيّة اللغويّة مفاهيم وإرهاصات، مجلّة المخبر–أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي جامعة بسكرة، ع5، 2009م.

8. عمر بوقمرة، التعدّد اللغوي قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر الصّوتيات حوليّة أكاديميّة دوليّة محكّمة متخصّصة تصدر عن مخبر اللغة العربيّة وآدابها، جامعة البليدة 2 لونيسي علي، الجزائر، ع: 19.

9. الأب فرديناند توتل اليسوعي، المنجد في الأدب والعلوم، بيروت–لبنان 1976م.

10. صالح بلعيد، الأمازيغيّة والعربيّة تكامل لا تصادم، مقال في مجلّة المجلس الأعلى للغة العربيّة، ع: 19، الجزائر، 2007م.

11. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون "كتاب العبر"، بيروت –لبنان، 1968م، ج6.

12. محمّد الأوراغي، التعدّد اللساني وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي.

13. عناني وليد، وبرهومة عيسى، اللغة العربيّة وأسئلة العصر، دار الشّــرق، عمــان ط1 2007م.
14. ويل ديورانت، قصّة الحضارة، التّرجمة العربيّة، ج2، القاهرة، 1961م.
15. سليمان الصّيد، تاريخ الجزائر القديم، مطبعة البعث قسنطينة، ط2، 1966م.
16. التعدّد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربيّة.

الهوامش:

[1] – عادل بن عايض المغذوي، دور المناهج التّعليميّة في تعزيزمفهوم الوحدة الوطنيّة لدى طلاب التّعليم الثّانوي في المملكة العربيّة السّعوديّة، الملتقى الدّولي الرّابع،2014م، جامعة المجمعة، ص 3.

[2] – نبيل شبيب، الوحدة الوطنيّة منطلقات للوحدة الوطنيّة ومحاذير الانحراف عنها، رابط المقال: midadulqalam.com، تاريخ النّشر: 2014/11/22، تاريخ الاطلاع: 2020/03/05م.

[3] – عبد الحميد بن باديس، مجالسّ التّتذكير من حديث البشير النّذير، مطبوعات وزارة الشّــؤون الدّينيّة، دار البعث، قسنطينة –الجزائر، ط1، 1403هــ/1983م، ص 100.

[4] – المرجع نفسه، ص 100 و101.

[5] – آثار الإمام عبد الحميد بن بــاديس، مطبوعــات وزارة الشّــؤون الدّينيّــة، الجزائــر، ط1 1406هــ/1985م، ج3، ص 352.

[6] – محمّد الأوراغي، التعدّد اللساني وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، مطبعة النّجاح الجديــدة الدّار البيضاء، منشورات كليّة الآداب، الرّباط، ط1، 2002م، ص 11.

[7] – صالح بلعيد، التّهجين اللغوي: المخاطر والحلول، مجلّة المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر 2010م، ص 12.

[8] – ينظر: دليلة فرحي، الازدواجيّة اللغويّة مفاهيم وإرهاصات، مجلّة المخبر–أبحاث في اللغــة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي جامعة بسكرة، ع5، 2009م، ص 270.

[9] – عمر بوقمرة، التعدّد اللغوي قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر، الصّــوتيات، حوليّــة أكاديميّة دوليّة محكّمة متخصّصة تصدر عن مخبر اللغة العربيّة وآدابها، جامعة البليدة 2 لونيسي علي، الجزائر، ع: 19، ص 105.

[10] – المرجع نفسه، ص 106.

[11] – الأب فرديناند توتل اليسوعي، المنجد في الأدب والعلوم، بيروت–لبنان، 1976م، ص 349.

[12] – صالح بلعيد، الأمازيغيّة والعربيّة تكامل لا تصادم، مقال في مجلّة المجلس الأعلى للغة العربيّة، ع: 19، الجزائر، 2007م، ص 7.

[13] – ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون "كتاب العبر"، بيروت –لبنان، 1968م، ج6، ص 175 و176.

[14] – محمّد الأوراغي، التعدّد اللساني وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، ص 11.

[15] – عناني وليد، وبرهومة عيسى، اللغة العربيّة وأسئلة العصر، دار الشّرق، عمان، ط1 2007م، ص 206 و207.

[16] – ويل ديورانت، قصة الحضارة، التّرجمة العربيّة، ج2، القاهرة، 1961، ص 43.

[17] – هذه الحروف هي التي تفيد المعاني.

[18] – تفيد هذه ضبط تلك الحروف أو تأكيدها.

[19] – سليمان الصّيد، تاريخ الجزائر القديم، مطبعة البعث قسنطينة، ط2، 1966م، ص 17 و18.

[20] – ينظر: التعدّد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربيّة، ص 57 و58.

دور التعدّد اللغوي في التنميّة الثقافيّة بالجزائر

د. أسماء بن مالك

أستاذة محاضرة. جامعة تلمسان

ملخّص: يتميّز الواقع اللغوي الجزائري بالتعدّديّة وهذا ما نلمسه في مختلف الميادين، إذ اكتسبت هذه الظّاهرة، أي التعدّد اللغوي طابعا تواصيا بين مختلف المجتمعات والذي أصبح من الأساسيّات لأجل التّعايش داخل مؤسّسة اجتماعيّة واحدة وقد تمخّض عن هذا الوضع انفتاح حضاري على مختلف الثّقافات، وهذا ما ساعد على توسيع دائرة التّفكير اللغوي والثّقافي. من هذا المنطلق أصبح موضوع التعدّد اللغوي مسألة تثير اهتمام مختلف الباحثين في شتى التخصّصات لما يحمله من إيجابيات على التّنميّة الثّقافيّة.

للإحاطة بالمفاهيم الأساسيّة لهذه المداخلة، سنقوم بالضّبط المصطلحي للكلمات المفتاحيّة والمتمثّلة في التّنميّة الثّقافيّة، الواقع اللغوي بالجزائر، التّعدّد اللغوي.

التّنميّة الثّقافيّة: قبل أن نلج مفهوم التّنميّة الثّقافيّة فضّلنا تسليط الضّوء على لفظة الثّقافة التي تنحدر من أصول عربيّة وتحيل على معنى الفهم والفطنة والحذق والتّهذيب والتّشذيب فيقال: ثقّف الرّمح: قوّمه وسواه، وثقف الولد: علّمه وهذّبه، إلى جانب معان أخرى ولكنّها مع مرور الزّمن اكتسبت، وبالتّحديد منذ مطلع القرن العشرين، معنى اصطلاحيا جديداً، فأصبحت مقابلا لكلمة culture المستمدّة من كلمة cultura اللاتينيّة والتي شاعت شيوعا كبيرا في عصر النّهضة في أوروبا. وقد حاول المفكّرون والدّارسون من العرب أن يضعوا تعريفا لمصطلح الثّقافة فلم يتّفقوا على تعريف واحد ومن بين التّعاريف الأكثر تداولا نجد ذلك الذي وضعه الباحث **ادوارد تايلور**، فيعرفها على النّحو الآتي: "الثّقافة بمعناها الإثنوغرافي الواسع، هي كلّ مركب يشتمل على

المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيـــات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في مجتمع ما"[1]. بناء علـــى هـــذا التّعريـــف نستنتج أنّ الثّقافة تحيل على المركب الذي يحتوي على الممارسات الاجتماعيّـــة، وكافـــة العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع.

تعدّ الثّقافة تراث المجتمع وحضارته وما تتميّز به من قيم فكريّـــة يكتســـبها مختلـــف أفراده، فأصالة المجتمع وهويّته قيمتان اجتماعيتان تنبثقان مـــن تراثـــه وعقائـــده وقيمـــه فالثّقافة[2] هي مجموعة من الخصائص التي تميّز حياة فئة اجتماعيّة معيّنة فـــي الجوانـــب الماديّة والمعنويّة بما تحتويه من القيم والعادات.

وإذا انتقلنا إلى مفهوم التّنميّة الثّقافيّة فإنّها تحيل على:" التّغيير التّقـــدّمي الـــذي تزيـــد الثّقافة بمقتضاه كمًا وكيفا وتتوسّع آفاقا وأبعادا وتتطوّر وتزدهر "[3]، وتعرف كذلك علـــى أنّها "تلك المنهجيّة التي تستوعب كلّ منتجات المجتمع لتحوّله في النّهايّـــة إلـــى أنشـــطة فكريّة واجتماعيّة يتمّ ممارستها في المجتمع، ويتفاعل معها الأفراد بأساليب متفاوتة.

لا يمكن أن تتحقّق تنميّة ثقافيّة شاملة إلاّ بإقامة عدالة إقليميّة؛ ونعنـــي بهـــا مواجهـــة الاختلالات الموجودة، والحرص على ضمان نفس فرص تلبيّة الحاجيات الأساسيّة لكـــلّ فرد في المجتمع، وحيث ما يقيم. وعلى هذا الأساس ولمواجهة التّفاوت الاجتماعي ينبغي التّشديد على ضرورة تأمين الحاجيات الأساسيّة للفئات الاجتماعيّة الأكثر حرمانا. ونعنـــي بها أيضا التّشكّل الجغرافي الذي يضمن لجميع فئات المجتمـــع الواحـــد الاســـتفادة مـــن الخدمات الاجتماعيّة، وفرص العمل، والامتيازات المتنوّعة للحياة فـــي المجتمـــع. ولـــن تتحقّق التّنميّة الثّقافيّة_إلا بإدراج مبدأ أساسي في غايّة الأهمّيّة يقترن بالاستقلاليّة الإقليميّـــة التي من شأنها العمل على تجلّيّة الخاصيّات الثّقافيّة للهويّة الإقليميّة، ومواجهـــة تمركـــز سلطات القرار، وتأمين التّنميّة التّحتيّة للموارد المحلّيّة وتعزيز التّنوّع الثّقافي والحق فـــي الاختلاف. وفي الجهة المقابلة لهذه القيم، ينبغي أن نشدّد على الحيـــاة النّوعيّـــة بتـــوفير الظّروف البيئيّة، والعمل على إزاحة معيقات المحيط (التّلوث الضّجيج الازدحام تـــدهور

الفضاء). إذ ترتهن التّنميّة الإقليميّة في وجودها إلى الهويّة المحلّيّة والذّاكرة الجماعيّة والشّعور بالانتماء إلى إقليم، والاعتزاز بالتّحكم في التّنميّة[4].

تضمّ التّنميّة الثّقافيّة جميع عناصر الثّقافة وأبعادها، فهي تحقّق استقلاليّة الفرد وقابليته على التّموضع في العالم والاتصال بالآخرين، ولا يمكن للتنميّة الثّقافيّة أن تكتمل دون إسهام الأنساق الاقتصاديّة والتّربويّة والاجتماعيّة، فغيابها يخلق هوّة بين الأفراد وتلك الأنساق. فالتّنميّة الثّقافيّة ضرورة حتميّة للبناء والتّطوير ومعيار من معايير التّقدّم للأفضل وضبط العمليات الفكريّة للمجتمع.

تنهض التّنميّة الثّقافيّة على جانبين أساسين ومتكاملين في آن واحد ويتمثّلان في المادّي والرّوحي[5]. فالجانب المادّي يتجسد في تلك المواقع الأثريّة والسّياحيّة، التي تعكس ثقافة وتفكير الشّعوب أمّا الجانب الرّوحي فيتمثّل في مجموعة من العادات والقيم والمبادئ التي يتحلّى بها أفراد هذا المجتمع.

بعد أن تناولنا مفهوم الثّقافة والتّنميّة الثقافيّة، ننتقل إلى دراسة الواقع اللغوي الجزائري وهذا لغايّة إبراز أهمّيّة اللغة عموما والتعدّد اللغوي على وجه الخصوص في التّنميّة الثّقافيّة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الثّقافة مكون أساسي من مكوّنات اللغة إذ تتجسّد في مفاهيم ومصطلحات ومدلولات وألفاظ وعبارات توسم بأنّها ثقافيّة وتكون مشتركة بين مختلف الأفراد[6].

الواقع اللغوي الجزائري: يمرّ الواقع اللغوي بالجزائر بعدّة تحوّلات وتغيرات على المستوى اللساني نظرا للتعاقب الذي يمرّ به فنجد اللغات الآتيّة:

- **اللغة العربيّة:** فقد أقرّت جميع الدّساتير الجزائريّة اللغة العربيّة لغة رسميّة في الجزائر، وكرس المؤسّس الدّستوري الحمايّة القانونيّة للغة العربيّة باعتبارها من المكوّنات الأساسيّة للجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة ضمن "المبادئ العامّة التي تحكم المجتمع الجزائري. وفي هذا السّياق يكلف المجلس الأعلى للغة العربيّة على الخصوص بالعمل على ازدهار اللغة العربيّة وتعميم استعمالها في الميادين العلميّة والتّكنولوجيّة والتّشجيع على التّرجمة إليها لهذه الغايّة[7].

- **اللغة الأمازيغيّة:** هي لغة ذات ثقافة وتراث وجـزء لا يتجـزّأ مـن المركّبـات الشّخصيّة الوطنيّة التّاريخيّة، لقد أقرّ المؤسّس الدّستوري اللغة الأمازيغيّة لغة وطنيّة فـي التعديّل الدّستوري لسنة 2002، فعلى الدّولة أن تعمل علـى ترقيتهـا وتطويرهـا بكـلّ تنويعاتها اللسانيّة المستعملة عبر التّراب الوطني[8]. ثمّ قام المؤسّس الدّستوري بترقيّة اللغـة الأمازيغيّة إلى لغة وطنيّة ولغة رسميّة في التعدّيل الدّستوري لسنة 2016، حيث نصّـت المادّة الرّابعة منه على أنّ: "تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة رسميّة تعمـل الدّولـة علـى ترقيتها وتطويرها بكلّ تنوّعاتها اللسانيّة المستعملة عبر التّراب الوطني"[9].
- **اللغة الفرنسيّة:** لغة أجنبيّة موروثة عن عهد الاستعمار، وكانت لفترة طويلة اللغة الرّسميّة للبلاد ثمّ أصبحت أجنبيّة بعد سياسة التّعريب، وتدرس من المسـتوى الابتـدائي إلى غايّة الجامعي.
- **اللغة الإنجليزيّة:** لغة أجنبيّة فرضتها علينا العولمة.

التعدّد اللغوي بـالجزائر: إذا أمعنّا النّظر في اللغات المستعملة فـي الجزائـر فإنّنـا نلاحظ وجود تعدّد في واقعها اللغوي، فيحيل التعدّد اللغوي تارة على وضعيّة يتكلّم فيهـا الفرد عدّة لغات في فضاء جغرافي محدّد، وتارة أخرى على قدرة الفـرد علـى تحكّـم واستعمال أكثر من لغتين[10] وللتعدّد اللغوي أنواع نذكر منها:

-تعدّديّة لغويّة ذات لغة وحيدة غالبة Plurilinguisme à langue dominante unique

-تعدّديّة لغويّة ذات لغـة واحـدة أقليّـة Plurilinguisme à langue dominante minoritaire;

- تعدّديّـة لغويّـة ذات لغـات غالبـة أقلّيّـة Plurilinguisme à langues dominantesminoritaires

-تعدّديّة لغويّـة ذات لغـة غالبـة بديلـة Plurilinguisme à langue dominante alternative ;[11]

التعدّد اللغوي ظاهرة تسهم في توسيع دائرة التّفكير اللغوي والانفتاح علـى الثّقافـات المحلّيّة والأجنبيّة وهذا ما يثري الثّقافة الوطنيّة دون أن تؤثّر سلبا على اللغـات الوطنيّـة

لغايّة مواكبة التّطوّر العلمي والتّكنولوجي. وفي هذا السّياق ينبغي أن نشير إلى أنّ هويّـة الجزائر اللغويّة تتميّز بتقبّل وتعايش لغوي سلمي وشعبي، وهذا ما نلمسه عبـر تـاريخ الجزائريين اللغوي المتجسّد في التّسامح والتّعايش وهو سلوك نابع مـن سـماحة الـدّين الإسلامي ونظرته إلى التعدّد اللغوي، والبلد الذي تتعدّد فيه أصـول مواطنيـه العرقيّـة والدّينيّة وانتماءاتهم الثّقافيّة والسّياسيّة لا يمكن ضمان وحدته واستقراره إلاّ علـى أسـاس مبدأ المواطنة التي تعني أن يتحلّى الفرد بروح التّعاون والعمل الجماعي ويسهم في الحياة الثّقافيّة، وينتهج في ذلك أساليب الاستماع والحوار وينبذ كلّ أشكال العنف والعنصريّة.

إنّ الدّعوة للحفاظ على اللغات الوطنيّة والانفتاح على لغات الغير وثقـافتهم لا يعنـي الانغلاق على لغات العالم وعدم الاستفادة والإفادة منها، بل لابدّ من العمل بمبـدأ "جلـب المصالح ودرء المفاسد "، إذ يعدّ التعدّد اللغوي مسلكاً حضارياً من مسالك الانفتاح الثّقـافي على مختلف الثّقافات شرط أن يكون في خدمـة اللغـات الوطنيّـة ولا يسـلك مسـلكا إيديولوجيا سياسيا الهدف منه تقسيم المجتمع وتفكيكه، وأن يكـون الهـدف بهـذا التعـدّد الوصول إلى أقصى أشكال التّوحيد والتّماسك بـين أفـراد الأمّـة دون التّفـريط فـي الخصوصيّات الثّقافيّة لكلّ طائفة ، ولابدّ من استثمار اللغات الأجنبيّة بما يعود على اللغـة الوطنيّة بالرّبح العلمي والمعرفي والاقتصادي على ضوء التّنميّـة اللغويّـة بعيـدا عـن الإيديولوجيات والصّراعات التي تستثمر في قضيّة التعدّد اللغوي لتحقيق مصالحها علـى حساب وحدة المجتمع اللغوي[12].

بناء على ما سبق، يتميّز الواقع اللغوي الجزائري بالتعدّديّة اللغويّـة الجزائريّـة كمـا سبق ورأينا وهذا ما يثبته الدّستور الذي ينصّ على لغتين رسميتين، العربيّـة الفصـحى والأمازيغيّة، إلى جانب استعمال اللهجات واللغات الأجنبيّة للتواصل في الحيـاة اليوميّـة والمهنيّة، وهذا ما يؤثّر إيجابا في الثّقافات المحلّيّة، وينبغي الانفتاح علـى ثقافـة الغيـر وعلى اللغات الأجنبيّة. للارتقاء باللغتين العربيّة الفصحى والأمازيغيّة في مجالات التّعلـيم والإعلام والإدارة مع تعزيز تعليم اللغات الأجنبيّة الحديثة والتّفكير في تطـوير مدارسـنا وجامعاتنا.

الإحالات والهوامش:

---

[1] تركي المغيض، التّرجمة بين التعدّديّة اللغويّة والتّنميط الثّقافي، التّرجمة بين تجليات اللغة وفاعليّة الثّقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013، ص 79.

[2] المعتصم بالله أحمد الخلايلة، أبعاد العولمة الثّقافيّة على الهويّة العربيّة في عصر الأحاديّة القطبيّة، مجلّة التراث، الحجم 8، العدد1، ص 254.

[3] خيرة عيشون، هدنة خالدّ، المعجم السّياحي ودوره في التّنميّة السّياحيّة الثّقافيّة المستدامة بين المشهود والمنشود، مجلة علوم اللغة العربيّة وآدابها، المجلد 11، العدد 2، 2019، ص 370.

[4] GUINDANI, Silvio. *Espaces ruraux et architecture vernaculaire : un patrimoine européen http://books.openedition.org/editionsmsh/792*

[5]خيرة عيشون، هدنة خالدّ، المعجم السّياحي ودوره في التّنميّة السّياحيّة الثّقافيّة المستدامة بين المشهود والمنشود، مجلة علوم اللغة العربيّة وآدابها، المجلّد 11، العدد 2، 2019، ص 370.

[6]حسن غزالة، تصارع الثّقافات في التّرجمة في الألفيّة الثّالثّة، التّرجمة بين تجليات اللغة وفاعليّة الثّقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطّبعة الأولى، 2013، ص 99.

[7]عمر بن عيشوش، مبادئ المواطنة اللغويّة في الدّستور الجزائري، أعمال الملتقى الوطني "المواطنة اللغويّة ودورها في تعزيز سبل التّعايش السّلمي بين اللغات الوطنيّة في الجزائر منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2019، ص 190.

[8] المرجع نفسه، ص192.

[9] المرجع نفسه، ص 192.

[10] *Jacques Delmoly* ,Le multilinguisme et l'identité culturelle européenne, Presses universitaires de Rennes, 2011, https://books.openedition.org/

[11] لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت 2008، ص397-398.

[12] يمينة زيغام، أثر التعدّد اللغوي على التّنميّة اللغويّة في ظلّ تكريس الازدواجيّة السّياسيّة في الوطن العربي، مجلّة المقاربات، الحجم 5، العدد 2، جامعة الجلفة، ص 44.

آليات تنميّة الوعي بالتعدّد اللغوي
ضمن إطار الدّولة الواحدة العربيّة والمازيغيّة أنموذجا

د/ العربي بوعمران بوعلام-
د/عيوش نعيمة
– جامعة خميس مليانة-الجزائر

مقدّمة:غالبا ما ينجم عن التعدّد اللغوي ضمن إطار الدّولــة الواحــدة، نــوع مــن التّضارب والتّنافس، وقد تتعقد بذلك الأمور إلى أقصى درجاتها، حيث كلمــا احتكــت اللغات تظهر قضايا شائكة مثل صراع اللغات، اللغة الجامعة، اللغة المهمّشــة، يتبعهــا كذلك ظهور العديد من النّزاعات بين الجماعات، ولكن إذا ما انتهجت سياســة لغويّــة ممنهجة، تعمل على تحقيق العدالة اللغويّة، وبالتّالي يمكن لهذا التعدّد اللغوي أن يصبــح ثراء لسانيا وثقافيا، هدفه الأوّل هو التّواصل المعرفي بين الأفراد.

فالنّزاعات النّاجمة عن التعدّد اللغوي، ليس مصدرها اللغات بحدّ ذاتها بل الأفــراد هم الذين يجعلون منها وسيلة لنشوب الصّراعات، لذا يتحتم أوّلا توعيّة هؤلاء بأهمّيّــة التعدّد اللغوي وضرورة التّعامل العقلاني مع هذه الظّاهرة، من أجــل الوصــول إلــى حلول مناسبة ترضي جميع الأطراف وتصب في وعاء واحد وهــو المحافظــة علــى استقرار الدّولة.

لذلك فإنّ سبل التّعايش السّلمي بين المازيغيّة والعربيّة يقتضي انتهاج سياسة لغويّــة تعمل على تأسيس مصالحة لسانيّة تخدم عناصر الهويّة في المجتمع الجزائــري بعيــدة عن كلّ التّأويلات والإيديولوجيات، وقد قطعت بالفعل الدّولة الجزائريّة أشــواطا فــي سبيل إرساء دعائم السّلم والأمن بين الأفراد.

1. **المثاقفة اللغويّة بين العربيّة والأمازيغيّة:** يجب أن ندرك حقيقة أنّ المازيغيّة ليست عالما مغلق الحدود، وإنّما هي بوتقة انصهرت فيها العديد من اللغات، ومن بينها اللغة العربيّة التي أضفت عليها لمستها وتأثيرها على مـدى قـرون، فهـذا الـتّلاحم والانصهار بين اللغتين يؤكّد لنا فكرة الانسجام والتّعايش اللغوي، حقيقة هـي أدركهـا أسلافنا وعندما وجدوا أنّ أمازغيتنا تفتقر إلى حروف لتـدوينها وحفظهـا، فاسـتعانوا بالحرف العربي فخلفوا بذلك إرثا زاخرا من المخطوطات لذا ما علينا اليوم سـوى أن ننهّج ونسير في هذا الطّريق الذي حدّده أسلافنا، والذين كانوا حكاما، وملوكا، وعلمـاء وفقهاء، ومشايخ خلدهم التّاريخ بمآثرهم.

وهذا ربّما ما يحيل إليه مصطلح المثاقفة اللغويّة، والتي نقصد بها مجموعـة مـن الظّواهر النّاتجة عن احتكاك مستمرّ ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلـى ثقافـات مختلفة، تؤدّي إلى تغييرات في الأنماط الثّقافيّة الأوليّة لهذه المجموعة[1]، أو هي تبـادل ثقافي بين شعوب مختلفة، أو هي تعديّلات تطرأ على ثقافة بدائيّـة نتيجـة لاحتكاكهـا بمجتمع أكثر تقدّما، أو تأقلم ثقافي يفضي إلى رفع مستوى فرد أو جماعـة أو شـعب[2] فهي تحمل معنى الاندماج والانصهار، فبالنّظر إلى هذا المفهوم يمكننا تصوّر العلاقـة القائمة بين اللغة العربيّة والمازيغيّة، التي تبنى على العديد من أوجه التّشابه.

لقد أثبتت دراسات المؤرّخين أنّ التعدّد اللغوي الذي تشهده الجزائـر اليـوم مـن لهجات " كالتّارقيّة، الميزابيّة، القبائليّة، الشّاويّة، الشّنويّة، السّنوسيّة...."، تنتمي إلى مـا يسمّى باللغات الشّاميّة السّاميّة (chamitosmitie)، والتي أصلها من الشّرق كانت نتيجة للهجرات المتتاليّة، من تلك المنطقة إلى شمال إفريقيا، كما أكّد أيضا الباحثون أنّ أصـل هذه اللهجات من اللغات التّاليّة: (الفينيقيّـة، الآراميّـة، الأكديّـة، الكلدانيّـة النّبطيّـة الدّمشقيّة)، وأنّ الاختلافات اللغويّة بين التّارقيّـة، والشّـاويّة، والميزابيّـة، والشّـلحيّة وغيرها، ما هي إلا مؤشّرات لغويّة تعكس ذلك التّنوّع العرقي والحضـاري والثّقـافي بين تلك الأجناس، والقبائل التي هاجرت من أرض كنعـان وسـوريا والعـراق إلـى أراضي شمال افريقيا. [3]

فالعربيّة والمازيغيّة هما لغتان من أرومة واحدة، ومن أصول مشتركة وبالتّالي يجمعهما مصير واحد ووطن واحد، وكلاهما يعبران عن هويّة وطنيّة موحّدة، فلا يمكن أن تحصل للمازيغيّة مواطنة حقيقيّة في ظلّ تغييب أو فصل العربيّة عنها.

2. **مظاهر الاشتراك بين العربيّة والأمازيغيّة:** لقد كان من الطّبيعي أن يحدث نوع من التّمازج والتّداخل بين اللغة العربيّة والمازيغيّة طوال قرون من التّعايش والتّفاعل، ما نتج عن ذلك إرث لغوي ومعرفي زاخر وهناك العديد من الأدلّة التي تثبت التّداخل اللغوي الموحّد بين المازيغيّة والعربيّة.

كما ويؤكّد الباحث صالح بلعيد أنّ العربيّة والأمازيغيّة أختان، ويتجلّى ذلك من خلال قاموس الأمازيغيّة، حيث نجد فيه 60% من الألفاظ العربيّة، والدّراسات تثبت أنّ هناك تشابهاً كبيراً في البنيّة الصّرفيّة والدّلاليّة، كما يوجد قواسم كثيرة في العدد والتّقديم والتّأخير، والتّعريف والتّنكير، والتّذكير والتّأنيث، والفعل والفاعل...، ولذا لا يجب خلق الفروق الوهميّة بين اللغتين، بقدر ما يجب البحث في العلاقات اللغويّة الكائنة بينهما وهي علاقات كثيرة وطبيعيّة، بحكم الأصول الواحدة، وأنّ المعجم العربي الذي وجد له امتدادات في الأمازيغيّة ليس ناتجا عن الآثار العربيّة المرافقة للفتوحات الإسلاميّة، بل إلى تلك التّأثيرات والتّواشجات العائليّة القديمة، وهذه البنيات اللغويّة أقدم، وظهرت قبل الفتوحات، لذا فإنّ عددا كبيرا من جذور الكلمات مشتركة بين اللغتين.[4]

والملاحظ أنّ المازيغيّة سقت معجمها من خلال اقتراضها الكثير من اللغة العربيّة فهناك كلمات أخذتها دون إحداث أي تغيير عليها، وبعضها الآخر دخل عليها تغيير على مستوى الصّوت مثلا: لقرآن، يبليس، ليسلام، لكتاب، لفرايض، لاغراض لبورهان لمخلوقات، لمورصلين، لوضو، لجنابت، لبهايم، لبحور، اموسلم، اكافري اشريك حوجو، تزكو، تلوحت، تركاع، تسجاد.

كما نجد أن هناك العديد من نقاط التّشابه بين اللغتين نذكر منها:

- إضافة تاء التّأنيث إلى الكلمات المؤنّثة بعد صياغتها من مذكرها مثل: ئزم- تزمت/ الغم- تالغوم/ تمغار- تمغارت؛

- إضافة (ال) التّعريفيّة في بدايّة الكلمات المازيغيّة مثل(لْوقت/ الوقت) (لبير/ البئر)؛
- الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول يصاغ الفعل المبني للمجهول بإضافة (إ، يو، تو) مثلا: يوكر – إكتب؛
- أزمنة الفعل: نجد في المازيغيّة نفس أزمنة الأفعال الموجودة في العربيّة مثلا نجد في الماضي (إطاس/نام) و(إيرول /هرب) وفي المضارع (يطاس/ينام) و(يرول/يهرب) أما فعل الأمر(أطس/نم) و(أرول/اهرب)؛
- الجمع مع إضافة نفس العلامات عليه في المازيغيّة مثلا جمع المذكر: إقاوا- إقاوان، وجمع التّكسير مثل: أعجمي– أعجمين؛
- وقوع الضّمير دائما بعد الاسم ولا يقع أبدا قبله كما هو الحال في اللغة العربيّة
- التّركيب النّحوي للمازيغيّة يتطابق مع التّركيب النّحوي للعربيّة إذ نجده ينقسم إلى جمل اسميّة وفعليّة مثلا: إرول ؤوجون = هرب الكلب/ أرقاز أحوري= الرّجل الحر.

3. **المازيغيّة بالخط العربيّ .... بقاء واستمرار:** إنّ الخط العربي هو الرّهان الذي نطمح إلى كتابة لغتنا الأمازيغيّة به، وذلك بالنّظر إلى الواقع السّوسيولغوي الجزائري القائم على اللغة العربيّة، أضف إلى ذلك أنّ المازيغيّة والعربيّة من أرومة واحدة، ونطق معظم الحروف بمخارج واحدة، إذ أنّ الأصوات العربيّة في صورها النّطقيّة لا تختلف عن أصوات المازيغيّة، فالذي يقرأ الكلمات العربيّة مثل: (ثبات/ ثبوت) يقرأ الكلمات المازيغيّة من مثل (ثادارات/ثورا) دون مشكلة تذكر، أمّا اللاتينيّة فإنّ الحرف TH و DH وT وD هذا أسفله نقطة وذاك أسفله خط يصعب أن يقرأ قراءة صحيحة، وقس على ذلك قراءة أو كتابة اسم ربيعة، ججيقة، عيشة، كما أنّ اللاتينيّة لا يوجد فيها حرف الضّاد والطّاء المفخّمة والصّاد المفخم، والعين وكثير من الحروف.[5]

أضف إلى ذلك أنّ اللغة العربيّة تتوفّر على مؤهّلات تقنيّة ورمزيّة وعالميّة مؤهّلة لكتابة المازيغيّة، وقد كتبت بهذا الخط منذ الفتح الإسلامي إلى الآن، عدا أربعة أصوات تضاف إلى منظومة الخطاطة العربيّة، ويضاف إلى ذلك أنّ الخط العربي يستعمل في

المدرسة الجزائريّة، وهو الذي يضمن عدم التّشويش على لغات التّلميذ وفي ذات الوقت مرتبطة بفرص الشّغل، ومقوّمات الهويّة الوطنيّة، ولذا يكون الخط العربي هو الاختيار الأمثل الذي يضمن الدّيمومة والتّواصل مع التّراث المازيغي الذي تجسّد بالفعل من الفتح الإسلامي إلى غايّة ستينيات القرن الماضي، حيث نجد تراكمات كبيرة تراث ضخم يوصل أجيال الحاضر بتاريخ أجدادهم وهذا ما يتيح إشعاع المازيغيّة في الفضاء الاجتماعي والثّقافي والإعلامي الوطني والجهوي والعربي، وكل عزل للمازيغيّة عن الحمولة المعرفيّة لماضيها المرتبط بالعربيّة، مآله الفشل.[6]

إنّ كتابة المازيغيّة بالحرف العربي ليس بالجديد علينا، إذ نجد الشّاعر "أب سهل نافوسي" في القرنين 09 م و10م في وادي ميزاب منذ الدّولة الرّستميّة، وفي عصرنا الحالي نجد العديد من الكتاب والشّعراء كالأستاذ عبد الوهاب فخار، فراد محند ارزقي ملود الونيسي، تبرماسين فاكهاني، لذا فإن كنّا سنكتب لغتنا الأمازيغيّة بحروف غير حروفها، نعتقد أنّ الحرف العربي أولى بذلك، لأنّ هناك العديد من الأسباب التي تدفعنا لذلك:

- لأنّ أجدادنا تبنوا اللغة العربيّة وتدارسوا بها وتركوا إرثا زاخرا من خلالها كما أنّها حملت الثّقافة الأمازيغيّة عبر سنين لتصل إلينا اليوم، إذ أنّ هناك رصيداً معرفيّاً أمازيغيّاً كبيراً دون خلال عهود الدّول الإسلاميّة البربريّة في القرون الوسطى بالحرف العربي؛
- لأنّ اللغة العربيّة هي اللغة الرّسميّة للجزائر إلى جانب الأمازيغيّة، فلا حاجة لنا بلغة دخيلة لا يعترف بها الدّستور؛
- اللغة العربيّة لغة مقدّسة كونها ارتبطت بالدّين الإسلامي ونزل بها القرآن الكريم لذا تعلمها وتعليمها شرف ومفخرة، كما أنّ الله عزّ وجلّ تعهّد بحفظ القرآن هذا ما يضمن بقاء اللغة العربيّة على مرّ الأجيال؛

- بحكم التّشابه بين اللغة العربيّة واللهجات الأمازيغيّة في العديد من السّمات الصّوتيّة والنّحويّة والدّلاليّة، كما ّأنّ الأمازيغيّة اقترضت من العربيّة العديد من الكلمات حيث أنّ المعجم الأمازيغي يحوي أكثر من 60% من الألفاظ العربيّة؛

- كذلك من غير المعقول أن يتعلّم تلامذتنا في المرحلة الابتدائيّة الحروف العربيّة ثمّ نعلّمه حروفاً دخيلة عليه نقصد هنا اللاتينيّة حتى يتعلّم بها المازيغيّة، لذا الأجدر أن تكتب الأمازيغيّة بالحروف العربيّة فتصبح له بذلك سهلة التّعلّم؛

- الحرف العربي باستطاعته تغطيّة معظم الأصوات المازيغيّة، على عكس حرف التيفيناغ الذي مازال يحتاج إلى تهيئة ودراسة كما أنّ مجمل حروفه لازالتّ مفقودة أمّا الحرف اللاتيني فإنّه قاصر وبعيد كلّ البعد عن أداء أصوات المازيغيّة.

وقد أكّد العديد من الدّارسين على مقدرة الخط العربي في استيعاب الكتابة المازيغيّة ومن هؤلاء الباحث الجزائري صالح بلعيد خلال مناقشته قضيّة كتابة المازيغيّة بالحرف اللاتيني أو العربي يقول" إذا جاء البديل فإنّ معركة الحرف تميل إلى تزكيّة الحرف العربي الذي وقع تنميطه ومعيرته في مختبر الممارسات اللغويّة".[7]

من هنا يمكننا القول أنّ كتابة المازيغيّة بالحرف العربي ليس بالأمر الجديد علينا إذ أنّ معظم المخطوطات المازيغيّة القديمة وصلت إلينا مكتوبة بالحرف العربي وهذا ما يدلّ على أنّ أجدادنا أدركوا أهميّة الحرف العربي، الذي جعلوه وسيلة لحفظ لغتهم المازيغيّة من خلال تدوينها بهذا الحرف، كما أنّهم أدركوا جيدا أن اللغة العربيّة هي لغة حضارة وعلم.

4. **التّعايش اللغوي بين العربيّة والأمازيغيّة:** نقصد بالتّعايش اللغوي هو العيش المشترك للغات، والقبول بالتّنوع اللغوي ضمن إطار المجتمع الواحد، وإن كان التّعايش بمفهومه الواسع يشمل كل لغات العالم كونه أصبح ضرورة ملحّة في ظلّ النّمو المتسارع لبعض اللغات على حساب أخرى أمّا بالنّسبة للقيمة المثلى التي يقوم عليها مفهوم التّعايش "هو أن يعترف كل طرف للآخر بحقّه في التّمسك بقناعاته ومعتقداته

وممارسة شعائره الدّينيّة، والعمل وفق اجتهاداته المذهبيّة ويتعامل الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات".[8]

لم يحدث أي تصادم بين العربيّة والمازيغيّة، حيث تحدّدت مجالات كلّ واحدة منها بشكل طبيعي، كما لم يمنع القرآن الكريم استعمال اللغات والالسّنة الأخرى، وبذا عاشت العربيّة بلهجاتها وتأديتها جنبا إلى جنب طوال القرون الماضيّة، ولم يحصل بينهما أي صراع بقدر ما كان التّكامل، لذا نجد أجدادنا المازيغ تبنوا اللغة العربيّة والدّين الإسلامي عن رضا وطيب خاطر، فعاملوا اللغة العربيّة بميزة خاصة لارتباطها بالوحي فقد عمل الرّستميون في تيهرت، والحماديون في بجايّة، والزّيانيون في تلمسان على تجسيد اللغة العربيّة لغة رسميّة، والاحتفاظ بالمازيغيات لغات وظيفيّة في شؤونها الخاصّة، فيوسف بن تاشفين الأمازيغي كان أمير المؤمنين بالمغرب وليس أمير العرب أو أمير الأمازيغ فقد حكم شمال إفريقيا تقريبا بالإسلام، ونعرف أنّه كان لا يتقن العربيّة، ومع ذلك عمل على تعلمها، وتعليمها، ونشرها وأقرّها لغة رسميّة، كما أنّ يوسف يعقوب المنصور صاحب دولة الموحّدين كان أمير المؤمنين ولم يلقّب نفسه بأمير البربر أو أمير العرب وانطلق العلاّمة الأمازيغي المهدي بن تومرت من الإسلام ليؤسّس إمبراطوريّة كبيرة.[9]

كما ويذكر المؤرّخون أنّ بلاد المغاربة انتشر فيها الدّين الإسلامي واللغة العربيّة في فترة وجيزة جدا، وقد تمّ ذلك على أيدي المغاربة أنفسهم، وابن خلدون يشير إلى هذا الأمر من خلال كتابه "المقدّمة" يرى أنّ عمليّة تّعريب المازيغيّين لم تكن نتيجة لعمليّة الفتح، بقدر ما كانت ثمرة مجهودات المازيغيين، أنفسهم والتي امتدّت على قرون طويلة وذلك عن طريق التّعليم المزدوج للغة بصفة خاصّة.[10]

كما أنّ اللغة العربيّة قدّمت الكثير للغة المازيغيّة، فهي لم تعمل أبدا على إقصائها لأنّ الدّين الإسلامي أقرّ تعدّد الألسنة، بالإضافة إلى أنّ اللغة العربيّة كانت موردا للمازيغيّة إذ لعبت دورا كبيرا في حفظها من خلال الكثير من المخطوطات المازيغيّة التي كتبت بالخط العربي.

لئن كنّا اليوم نلحظ نوعاً من التّضارب بين المازيغيّة والعربيّة، فإنّ ذلك يعود إلى بعض الفرانكفونيين الذين حاولوا معاداة كلّ ما هو عربي، وتحويل كلّ ماهو أمازيغي إلى الفرنسيّة، من دون أن ننسى الضّغوطات التي تمارسها الأكاديميّة البربريّة في باريس على نخبة الجزائر المازيغيّة، إذ تعمل هذه الفئة على تغريب المازيغيّة بالعمل على تنقيتها من كلّ مقترض عربي، وكذا تبني رسم الحرف اللاتيني وسيلة لتدوينها واتخاذ الفرنسيّة وسيلة لتعليمها داخل الصّفوف.[11]

فتحقيق التّعايش اللغوي بين العربيّة والمازيغيّة، مرهون بمدى تعاطي الأفراد مع قيم التّسامح والتّلاحم، وتغليب الأمن والاستقرار على النّزاعات والفرقة، فالتّعايش ليس بالضّرورة البحث عن تاريخ اللغة التي لا يسندها مرجع، ولكن الأهم البحث عن سياسة لغويّة وطنيّة تسعى نحو التّطوّر والتّقدّم والتّكيف مع مستجدّات العصر.

5. **جهود الجزائر في ترسيم اللهجات الأمازيغيّة:** تبدي حاليا الدّول المغاربيّة جهودا مثمرة نحو إعادة الاعتبار لمختلف اللهجات الأمازيغيّة، ويمكن لنا أن نتبيّن ذلك من خلال مجموعة من القوانين التي انتهجتها الجزائر لصالح هذه اللهجات، بدءاً بدستور(1996م) إذ اعترف ضمن بنوده بكون الأمازيغيّة مكوّن أساسي من مكونات الهويّة الوطنيّة، حيث أكد ذلك من خلال ديباجته" أوّل نوفمبر(1954م) كان نقطة تحوّل فاصلة في تقرير مصيرها، وتتويجا عظيما لمقاومة ضروس واجهت بها مختلف الاعتداءات على ثقافتها، وقيمها، والمكوّنات الأساسيّة لهويتها، وهي الإسلام والعروبة والأمازيغيّة، وتمتدّ جذور نضالها اليوم في شتّى الميادين في ماضي أمّتها المجيد".

كما نصّ دستور(2002م) و(2008م) في مادّته الثّالثة على أنّ" اللغة العربيّة هي اللغة الوطنيّة والرّسميّة" وأيضا نصّ على " تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة، تعمل الدّولة لترقيتها وتطويرها بكلّ تنوّعاتها المستعملة عبر التّراب الوطني".

كما جاء التعدّيل الدّستوري لسنة 2016م مدعما للمواطنة الجزائريّة، ومحقّقا للديمقراطيّة من أجل تطبيق التعدّديّة اللغويّة، ما يجعل من هذا التّنوّع تجانسا وثراء، إذ أنّ الوحدة الوطنيّة قائمة على التّنوع والتعدّد، إذ نص في مادّته الثّالثة على أنّ" اللغة

العربيّة هي اللغة الوطنيّة والرّسميّة، تظلّ العربيّة اللغة الرّسميّة للدولة، يحدث لدى رئيس الجمهوريّة مجلس الأعلى للغة العربيّة، يكلّف المجلس الأعلى للغة على الخصوص بالعمل على ازدهار اللغة العربيّة وتعميم استعمالها في الميادين العلميّة والتّكنولوجيّة والتّشجيع على التّرجمة إليها لهذه الغايّة.

وورد في نفس المادّة مكرّر ما يلي" تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة تعمل الدّولة لترقيتها وتطويرها بكلّ تنوّعاتها اللسانيّة المستعملة عبر التّراب الوطني يحدث مجمع جزائري للغة الأمازيغيّة يوضع لدى رئيس الجمهوريّة، يستند المجمع إلى أشغال الخبراء ويكلف بتوفير الشّروط اللازمة لترقيّة تمازيغت قصد تجسيد وضعها كلغة رسميّة فيما بعد، تحدّد كيفيات تطبيق هذه المادّة بموجب قانون عضوي".

كما شهدت الجزائر مجهودات عديدة لترقيّة اللغة المازيغيّة وإعادة الاعتبار لها نذكر منها:

- إنشاء المجمع الجزائري للغة المازيغيّة والأكاديميّة العليا للغة المازيغيّة؛
- تعميم تدريس مختلف اللهجات المازيغيّة في المؤسّسات التّربويّة؛
- إنشاء فروع للغة والثّقافة المازيغيّة بالجامعات وخلق مناصب شغل للمتخرّجين منها.

6. **تصحيح بعض المغالطّات فيما يتعلق باللغة المازيغيّة والعربيّة:-** إنّه لمن الخطأ التّنكّر للغة العربيّة وجعلها في مرتبة المنافس، بحجّة أنّ العرب غزاة شأنهم شأن المستعمر الفرنسي، فهيهات وشتان بين هذا وذاك، لأنّ العرب جاؤوا فاتحين لينوروا العقول والقلوب بالدّين الإسلامي ولم يفرضوا لغتهم، على عكس الفرنسيين الذين جاؤوا مخربين ومفسدين، عملوا على إزالة مختلف مقوّمات الشّعب الجزائري وعلى ما أعتقد أن أجدادنا الأمازيغ يدركون جيدا هذا الأمر لذا احتضنوا الدّين الإسلامي وبنوا ممالك إسلاميّة، وأقبلوا على اللغة العربيّة تعلّما وتعليما، مع أنّ أغلب المؤرّخين أثبتوا أنّ سكّان شمال إفريقيا أصلهم قبائل عربيّة نزحوا بفعل الهجرات المتتاليّة؛

– وإنّه لمن الخطأ اعتبار اللغة الفرنسيّة غنيمة حرب، كما هو شائع تداوله الآن على السّنة بعض المتنكرين لتاريخهم، لأنّ الغنيمة تؤخذ من الحروب المتكافئة، وإنّما المستعمر الفرنسي دخل أراضينا عنوة مستعمرا وناهبا، فقتل، وشرد، ويتمّ، وما بقي من أثاره اليوم هي بيوضه التي تركها وراءه ينتظر متى تفقص فراخها؛

– إنّ الخطأ الفادح أن نجد من يدعو إلى كتابة لغتنا الأمازيغيّة بالأحرف اللاتينيّة تشبها ببعض اللغات الهجينة، بحجّة أنّ الفرنسيّة هي لغة العلوم، وهذه حجّة باطلة فكما نعلم أنّ هذه اللغات منتشرة بسبب الهيمنة الاقتصاديّة والسّياسيّة، فإن كانوا يناشدون العلوم كما يدعون فعلينا إذا بكتابة لغتنا المازيغيّة بالحروف الصّينيّة واليابانيّة لأنّ الصّين واليابان بلغتا من العلم عتيا، وإن كانوا يرون في العربيّة نقصان فإنّ هناك من الدّول من لغتها العربيّة وهي من الدّول المتطوّرة والمتقدّمة فعامل التّقدّم والتّطوّر يرتبط بالأفراد وليس باللغات؛

– إنّ ما يحزّ في أنفسنا هو أن نجد بعض القنوات التّلفزيونيّة المازيغيّة تعرض كلّ حصصها باللغة الفرنسيّة، فلا يجد المريد ما يمت بصلة إلى لغتنا المازيغيّة، وكأنّه يشاهد قناة تلفزيونيّة فرنسيّة، فلا يجب أن نبقى ساكتين أمام هذا الإجحاف والنّكران.

خاتمة: من خلال هذه الدّراسة توصلنا إلى العديد من النّتائج من بينها:

– يمكن للتعدّد اللغوي أن يكون إيجابيا من خلال انتهاج سياسة لغويّة فعالة توازن بين جميع اللغات؛

– قدّمت الجزائر جهودا جبارة في مجال التّعايش اللغوي من خلال إعادة الاعتبار لمختلف اللهجات المازيغيّة؛

– التّلاحم والانصهار بين اللغة العربيّة والمازيغيّة يؤكّد لنا فكرة الانسجام والتّعايش اللغوي حقيقة أدركها أسلافنا منذ أمد بعيد؛

– أنّ اللغة العربيّة تتوفّر على مؤهلات تقنيّة ورمزيّة وعالميّة مؤهّلة لكتابة المازيغيّة وقد كتبت بهذا الخط منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا.

الهوامش:

[1] منير بعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1994م، ص 24.

[2] عز الدّين المناصرة، المثاقفة والنّقد المقارن، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان 1996، ص 67.

[3] بن عائشة نبيلة، التّطور اللغوي في الجزائر بين العربيّة كأصل والمازيغيّة كتاريخ، أعمال ملتقى التّعايش اللغوي في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2018م، ص 304.

[4] صالح بلعيد، في النّهوض باللغة العربيّة، دار هومة للطباعة والنّشر، الجزائر، دط ، 2008م ص 82.

[5] صالح بلعيد ، المازيغيات، منشورات مخبر الممارسات اللغويّة ، تيزي وزو، الجزائر 2012م ص 111.

[6] صالح بلعيد، المازيغيات، ص 110- 111.

[7] صالح بلعيد وآخرون، أجروج انلقپايل، منشورات مخبر الممارسات اللغويّة، تيزي وزو الجزائر، 2012م، ص08.

[8] حسن موسى الصّفار، التّنوع والتّعايش، دار السّاقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 96.

[9] صالح بلعيد، المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، دار هومة، الجزائر ، 2008، ص 51/50.

[10] ينظر: ابن خلدون، المقدمة، تح:عبد الرّحمن بن محمّد، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، 1978م ص 379.

[11] أحمد عزوز/ محمّد خاين، العدالة اللغوي في المجتمع المغاربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص 95.

التعدّد اللغوي وأثره
على الهويّة الوطنيّة بعد الاستقلال

الدّكتور العيد بوده

مقدّمة: يتميّز الواقع اللغوي في الجزائر بتنوّع مستويات التّواصل، ويُعْــزَى ذلــك إلى التعدّد اللغوي الذي فرضته جملة من الاعتبارات التّاريخيّة والاجتماعيّة والثّقافيّــة ولعلّ ظاهرة الاستعمار الفرنسي أحد أخطر العوامل المسهمة في هذا التعدّد، ولاشــكّ أنّ التعدّد اللغوي يطرح مواقف متباينة من حيث القبول والرّفض، ممّا جعله يحظــى باهتمام واضح على الصّعيد الأكاديمي، لاسيما وأنّ التعدّد ظاهرة حسّاسة تمسّ اللغــة بوصفها مقوّما رئيسا في منظومة الهويّة الوطنيّة.

وفي ظلّ تعدّد مستويات التّواصل في الواقع اللغوي الجزائــري، نــأتي لصــياغة السّؤال التّالي الذي يطرح نفسه بإلحاح: **هل التعدّد اللغوي النّاتج عــن الهجنــة أمــر إيجابي أو سلبي؟ وهل يمكن لهذا التعدّد أن يسهم في إثراء المنظومة الثّقافيّــة فــي الجزائر؟ أمّ أنّه يشكّل عائقاً لدى الفرد الجزائريّ في اكتساب لغته الأمّ والتّحكّم فــي مهاراتها؟**

لاشكّ أنّنا نصبوا من وراء محاولة الإجابة على هذه الإشكّاليات، إلى بيان العلاقــة الوثيقة بين اللغة والهويّة، بوصف الأولى مكونّاً راسخاً في تحديد الثّانيّة، كما نســتهدف الحفر في أعماق الأثر الكولونيالي، ومخلفاته المعقّدة، لاسيما مسألة تصنيف أدب كُتَّاب الجيل الثّالث، وما نجم عنها من تجاذبات نقديّة، ويضاف إلى هذا محاولة فهم مظــاهر التعدّد اللغوي، وتأثيرها في منظومة الهويّة الوطنيّة الجزائريّة.

وتبعا لهذه الاهداف المسطّرة، ستسير الدّراسة وفق الخطّة الآتيّة: سنفتتح العــرض ببيان أهمّيّة اللغة في المنظومة الحياتيّة للإنسان، ثمّ ننتقل لتعريف أحد أهمّ المفاهيم التي تقوم عليها هذه الورقة، ويتعلّق الأمر بمفهوم التعدّد اللغــوي، ثــمّ سنســتعرض الآراء

الخاصّة بالموضوع؛ فيما يتّصل بالرّأي الأوّل الرّافض لظاهرة التعدّد اللغوي، فـالرّأي الثّاني القائل بإيجابيّة التعدّد اللغوي، وسنحاول الخروج في خاتمة الدّراسة بمعطيات موضوعيّة، منبثقة من الواقع اللغوي والثّقافي في الجزائر.

02-العرض: إنّ موضوع اللغة وسؤال الهويّة من أعقد وأبرز المحاور الفكريّة التي تناولها البحث والنّقاش الأكاديمي والثّقافي خلال القرن الفائت، ولا نستغرب اهتمام الباحثين والمفكّرين بهذه القضيّة التي فرضت نفسها على المجتمعات المعاصرة بفعل متغيّرات سياسيّة خطيرة، تمثّلت في الظّاهرة الاستعماريّة التي خلفت العديد من الأمراض الحضاريّة والظّواهر السّلبيّة، لاسيما الأمراض المترتّبة عن عقدة النّقص كتمزّق الهويّة وتبدّد الشّخصيّة من خلال التّلاشي والذوبان في الآخر. وإنّ من مظاهر هذه العللّ الحضاريّة هو اختلاط الالسّن وتداخل اللغة الأمّ مع لغات أو آداءات لهجيّة أخرى وينعكس ذلك حتى على الجانب الثّقافي والسّلوكي بما يسمّى الاستلاب الثّقافي من منطلق الحكم الخلدوني القائل بولوع المغلوب بتقليد الغال، وعلى ذلك فإنّنا من القائلين أنّ الهجنة ظاهرة كولونياليّة بامتياز، وهي من الرّواسب الاستعماريّة الخطيرة على الشّعوب المستعمرة، حيث ينتج عنها عدم الانسجام من حيث الهويّة، ومثال ذلك المجتمع الجزائري الذي أصبح مهجنا لغويا خصوصا بعد سنة1962، فصار الواقع اللغوي الجزائري متميّزا باستعمال أكثر من لسان في أدائه اللغوي، ويتجلّى ذلك في أربعة مظاهر لغويّة، تتحدّد فيما يلي:

يتمثّل المظهر الأوّل في توظيف اللغة العربيّة، باعتبارها اللغة الرّسميّة المقرّرة دستوريا، فضلا على أنّها لغة النّشاط العلمي والإبداع الثّقافي، ويتجلّى المظهر الثّاني في اللغة العربيّة العاميّة، وهي مرتبطة أساسا بالفصحى والمقصود باللغة العربيّة العاميّة ما اعتادت السّنة النّاس على التّواصل به في البيوت والأسواق والشّوارع والورشات والمصانع والحقول، ونحو ذلك من التّجمعات الشّعبيّة والاجتماعيّة، أي ذلك الحديث اليومي الذي يجري بين الأفراد ويكون موضوعه كلّ ما يتعلّق بأمور الحياة .ويتعلّق المظهر الثّالث باللهجات ذات الامتداد القطري ممثّلة في اللهجات

الامازيغيّة التي تمّ الاعتراف بها على المستوى الرّسمي سنة2002، وتم اعتمادها في المنظومة التّربويّة التّعليميّة تبعا لذلك، أمّا المظهر الرّابع فيخص اللغة الأجنبيّة ممثّلة في اللغة الفرنسيّة التي أوجدتها مجموعة من الاعتبارات التّاريخيّة والاقتصاديّة، حيث تستعمل الفرنسيّة في نطاق لا بأس به في المجتمع الجزائري، وفي قطاع واسع على مستوى الإدارات العموميّة والمؤسّسات الاقتصادية، وفي ظلّ تعدّد مستويات التّواصل في الواقع اللغوي الجزائري، نأتي لمحاولة الإجابة عن التّساؤلات المطروحة آنفا.

تعدّ اللغة أداة مثلى للتفاهم والتّواصل بين بني البشر؛ بالنّظر إلى وظائفها التّعبيريّة والإبلاغيّة والتّخزينيّة لتراث الأمم، وهي فضلا عن ذلك كلّه كائن حيّ ينمو ويتطوّر وينجم عن هذا النّموّ والتّطوّر الذاتي للّغة ارتقاء لغوي تدريجي يساير الارتقاء العقلي والحضاري.

لابدّ من ذكر أنّ اللغة " لم تحتفظ في تطوّرها وارتقائها بالأصل الذي وجدت به بل نجدها دائمة التّفرع والتّشعّب إلى لهجات ولغات مختلفة ، كما أنّ هذا الارتقاء ناتج أيضا عن تطوّر في أعضاء النّطق الإنسانيّة إلى جانب الاحتكاك الحتمي بين اللغات المختلفة وقد أدّى ذلك كلّه إلى ظهور أنماط كلاميّة متعدّدة ومختلفة في اللغة الواحدة ولدى الفرد الواحد وداخل المجتمع الواحد، وهو ما جعل الفرد الواحد في المجتمع يعرف نوعين مختلفين للغته الأمّ : النّوع الأوّل هو اللغة الأصل: العاليّة أو الرّاقيّة التي تستخدم في التّعليم وفي الكتابة وفي المعاملات الرّسميّة، وهي اللغة الفصيحة أو الرّسميّة، أمّا النّوع الثّاني فهو الجانب المتطوّر للغة الذي يمثّل البعد عن اللغة الأمّ ويستخدمه أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة في الاستعمال اليومي وهو ما يعرف باللغة العاميّة".[1]

نحاول في بدايّة العرض أن نقف على أهمّ المفاهيم التي تقوم عليها هذه الورقة ويتعلّق الأمر بمفهوم التعدّد اللغوي الذي عرفه الباحثون بكونه استعمال لغات عديدة داخل مؤسّسة اجتماعيّة معينة، أو بعبارة أخرى فإنّ التعدّد اللغوي هو استعمال المتكلّم لأكثر من نظام لغوي في المجتمع الواحد، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ التعدّديّة قد تصدق على الفرد كما تصدق أيضا على المجتمع، فهو يعبّر كذلك عن الوضعيّة اللسانيّة

المتميّزة بتعايش لغات وطنيّة متباينة في بلد واحد على سبيل التّساوي، إذا كانت جميعها لغات عالميّة كالألمانيّة والفرنسيّة في الجمهوريّة الفدراليّة السّويسريّة، وإمّا على سبيل التّفاضل إذا تواجدت لغات عالميّة كالعربيّة بجانب لغات عاميّة وعليه فإنّ التعدّد اللغوي يشمل التنوّع اللغوي ضمن البيئة اللغويّة أو المجتمع الواحد سواء بين نظام لغوي معيّن وأنظمة لغويّة أخرى مختلفة، أم بين النّظام اللغوي واللهجات أو العاميّات المنتميّة له، وعلى هذا يكون التعدّد اللغوي جامعا لكلّ من الثّنائيّة اللغويّة باعتبارها جمعا لنظامين لغويين، وبين الازدواجيّة اللغويّة باعتبارها حضور مستويات لغويّة أخرى إلى جانب اللغة الأولى الفصيحة.[2]

1.2-أوّلا: الرّأي القائل بسلبيّة التعدّد اللغوي: في الخطاب الرّسمي يظهر التنوّع شيئاً سلبياً ينتج عنه تمزق هوياتي لأنّ المفترض هو المحافظة على مكوّنات هذه الهويّة من خلال ترسيخها في المنظومة الجماعيّة، ومحاربة كلّ المؤثّرات السّلبيّة التي يمكن أن تمسّ بجلالها، من قبيل النّزعة التّغريبيّة ومحاولة عزل اللغة العربيّة عن الاستعمال، وحجبها عن مجالاتها الطّبيعيّة واللجوء إلى غيرها في الشّارع ودور التّعليم والفنادق والمؤسّسات العامّة والخاصّة ناهيك عن استبدالها بالسّن أجنبيّة في تدريس علوم الطّب والصّيدلة وغيرها.[3]

وإنّ ممّا يجعلني أطمئن لهذا الموقف هو ما يعيشه المتعلّم اليوم في المدرسةالجزائريّة؛ حيث نجده متارجحا بين ثلاثة مستويات؛ فهو يتعلّم في المدرسة اللغة العربيّة الفصحى، ويمارس في محيطه الاجتماعي اللغة العاميّة أو الأمازيغيّة وأحيانا الفرنسيّة هذا الواقع اللغوي قد يفرز لنا ظاهرة غير صحيّة وغير سليمة تتمثّل في تداخل الأنظمة والمستويات اللغويّة فيما بينها، ممّا يشكّل عائقا حقيقيا أمام تحصيل اللغة الفصحى. وبتعبير آخر فإنّ التّداخل اللغوي قد يحدث في مثل هذا الواقع، فيخلط المتعلّم بين نظام اللغة العربيّة الفصيح، وبين نظام العامّيّة أو اللهجات الأخرى المنتشرة في المحيط اللغوي للمتعلّم، أو قد يخلط بين نظام الفصحى ونظام اللغات الأجنبيّة أو بين اللهجات ونظام اللغات الأجنبيّة.[4]

ويرى بعض النّقاد والمهتمّين بالدّراسات اللغويّة أنّ إمكانيّة المحافظة على اللغة الأمّ رغم وجود لغة أجنبيّة موازيّة لها أمر واقعي جدا، إذ يحصل كثيرا أن توجد لغتان مختلفتان في فضاء جغرافي واحد دون تمازجهما، وهذا ما يزكّيه العالم اللساني السّويسري دي سوسير ويثبت ذلك بمجموعة من النّماذج، ومن بينها دولة جنوب أفريقيا التي تعاقب عليها الاستعمار الهولندي والانجليزي، ليجلبا معهما اللغة الهولنديّة واللغة الإنجليزيّة وهاتان اللغتان تعيشان الآن جنبا إلى جنب مع بعض اللغات الزّنجيّة وحصل الشّيء ذاته عندما دخلت اللغة الاسبانيّة إلى المكسيك وهذا التّغلغل اللغوي لا يقتصر على العصر الحديث، فقد امتزجت الأمم خلال عصور مختلفة من التّاريخ ومع ذلك حافظت على لغاتها بصورة متميّزة .[5]

ويضيف أيضا: إنّ اللغات الموجودة في منطقة ما لا تتشابك دائما بصورة مطلقة فقد نجد توزيعا جغرافيا نسبيا، كما في حالة لغتين تستخدم إحداهما في المدن والأخرى في الرّيف، لكن مثل هذا التّوزيع لا يكون واضحا دائما ... ويعدّ الغزو السّبب المألوف لفرض اللغة من الخارج، ولكن هذه الحالة قد تأتي أيضا من خلال التّغلغل الذي يأتي عن طريق الاستيطان[6] ،وهذا ما نجده منسحبا على الوضع في الجزائر خلال الاستيطان الفرنسي، الذي عمل جاهدا على تدجين وتهجين الشّعب الجزائري من خلال تعميم اللغة الفرنسيّة وفرضها كلغة للتعليم الالزّامي والمعاملات الرّسميّة ومحاربة قلاع العربيّة ويتعلّق الأمر بالكتاتيب والصّحافة الوطنيّة النّاطقة بالفصحى في مشهد تغريبي يهدف إلى فرنسة الجزائريين حيث اعتبر منظرو الاستعمار والمختصّين في الشّؤون الأهليّة بالجزائر بأنّ قيام مدرسة فرنسيّة في الجزائر ونجاحها لا يمكن أن يتمّ إلاّ على أنقاض المدرسة العربيّة التّقليديّة، التي كانت تشكّل في نظرهم حاجزا يحول دون قيام هذه المدرسة[7]، وذلك باعتبار أنّ التّعليم التّقليدي في نظرهم هو الذي يصنع الفكرة الرّافضة للاحتلال، ويعطي الشّخصيّة الوطنيّة والقوميّة عمقا واسعا[8].

لذا اعتمدت فرنسا سياسة تشويه العمق الهويّاتي للجزائريّين، من خلال تغريبهم عن ذواتهم، واستكمال مسار التّغلغل الاستعماري عن طريق غزو العقول[9]، وتجريد

المجتمع الجزائري من شخصيّته العربيّة الإسلاميّة، وتحطيم روحه المعنويّة وفرض الثّقافة الفرنسيّة عليه بغرض دمجه في الكيان الفرنسي[10]، وذلك بتكوين فئة من متوسّطي الثّقافة والتّعليم وتوظيفها كإطارات في مختلف المؤسّسات الإداريّة والاقتصاديّة لتلعب دور الوساطة بين الجزائريّين والإدارة الاستعماريّة بهدف خلق نواة لسياسة التّبعيّة اللغويّة والثّقافيّة.[11]

وكم هو سيئ أن تنجح الجهة الفرنسيّة في تحقيق تبعيّة لغويّة لثقافتها، والأسوء من ذلك أن يستمر هذا النّجاح إلى ما بعد الزّمن الكولونيالي، فنجد الجزائري لا يستغني عن توظيف كثير من المفردات والمصطلحات الفرنسيّة في نسيجه المفرداتي التّواصلي بشكّل يجعله مطمئنّاً لهذا التّوظيف دون الشّعور بخطورة الأمر، بما يثبت اهتزاز الشّخصيّة وتمزقها الخطير والأدهى من ذلك أنّ عموم الجزائريّين صاروا ينظرون للذي يدمج المفردات الفرنسيّة وسط كلامه على أنّه مثقّف حداثي وشخص متحضّر وعلى العكس من ذلك صار المتحدّث بالفصحى يبدو مخلوقا غريبا في الوسط الاجتماعي أو ينعت بالمتزمّت أو الرّجعي محدود الأفق، المشدود بطبيعته إلى العزلة والانحياز إلى التّقاليد الموروثة التي عفا عليها الزّمن، وهناك من المثقّفين من اتخذ فكرة الازدواجيّة الثّقافيّة ذريعة لتبرير تمسكهم باللغة الأجنبيّة، في حين أنّ الفصحى الفصيحة قد نأت بها الدّيار وتخلت عن الزّحف في المسيرة ... هكذا قدروا العربيّة وهكذا نعتوها بالجمود والانحسار، وأجهدوا أنفسهم في تقديم أدلّتهم على أوهامهم تلك ناسين أو متناسين أنّ العربيّة الفصحى الفصيحة لم تأنس إلى هذا الرّكن الضّيق بنفسها، ولم تألفه بطبيعتها، وإنّما دُفع بها إليه دفعا بصنع أهلها وتضييق الخناق عليها وسد منافذ الحركة أمامها، فكان ما كان.[12]

لهذا يصرّ أنصار هذا الرّأي على موقفهم في رفض التعدّد اللغوي، ويتعاملون مع اللغة الفرنسيّة على أنّها تهديد لعمقهم الهوياتي، ومن ثمّة فإنّ تعاطي هذه اللغة يعتبر من قبيل الخيانة الثّقافيّة وهذا ما يجعل بعض النّقاد يرفضون تصنيف المنجزات الأدبيّة المكتوبة باللغة الفرنسيّة من طرف أدباء جزائريين ضمن الأدب الجزائري ونقصد هنا

مؤلّفات محمّد ديب ورشيد ميموني وكاتب ياسين وآخرون، وتبقى هذه الإشكّاليّة من أعقد القضايا النّقديّة في الأدب الجزائري الحديث.

لكنّني أحاول هنا أن أقف على منصّة الإنصاف، ممسكا العصا من وسطها إزاء قضيّة تصنيف أدباء الجيل الثّالث الذين كتبوا باللغة الفرنسيّة خلال الحقبة الاستعماريّة إذ من المعلوم أنّ هؤلاء كتبوا بالفرنسيّة عن الجزائر وما يحصل لشعبها من تغريب وتجهيل، بل شكّلت كتاباتهم نقطة تنويريّة للساكنة بباريس وغيرها من المدن الفرنسيّة حول حقيقة الوضع في الجزائر، وهذا ما يمكن اعتباره جهدا تدويليا للقضيّة الجزائريّة في الخارج، فهم لم يكتبوا باللغة الفرنسيّة تنطعا ولا حبّاً في الثّقافة الفرنسيّة كما أنّهم لم يكتبوا عن فرنسا ولا عن شعبها ولا ثقافتها، وإنّما كتبوا للمستعمر بلغته ليعبروا عن مواقفهم، انطلاقا من ضرورة تاريخيّة وسياسيّة، أرى أنّها تدخل في منطق: الضّرورات تبيح المحظورات، ومن ثمّة فإنّني من المطمئنّين للرّأي القائل:

اللغة ظاهرة اجتماعيّة ترتبط بناها ارتباطا وثيقا ببنى الفكر السّائدة في مجتمع لغوي معيّن، وهو ما يؤكّد افتراض العلاقة الطّرديّة بين التّخلف في مجال اللغة والتّخلف الحضاري، ومن أهمّ الأمور التي ينبغي ألاّ تغيب عن بال المدرّس أنّ اللغة ليس غايّة في حدّ ذاتها بل هي وسيلة للتواصل مع السّابقين والمعاصرين واللاحقين، ونقل المعلومات والتّأثير في الآخرين، وحفظ التّراث، يقول بعض الباحثين: "اللغة العربيّة خصوصيّة يحافظ عليها أهل العربيّة من قديم الزّمان، وهي خصوصيّة ترمي إلى ربط الأجيال على اختلافها زمانا ومكانا بما كتب بالفصحى من تراث حضاري، وبخاصّة ما تبوّأ من هذا التّراث مكانة أدبيّة رفيعة. غير أنّ هذا القصد ينبغي أن يكون مدروسا إلى جانب أهداف أخرى، فاللغة ليست تراثا فحسب، ولا أدبا فحسب، ولذا كان ينبغي أن نحسب نسبة معيّنة لعيون الأدب القديم، وأخرى لعيون الأدب الحديث، وثالثّة للغة في وضعها العادي، ممثّلا في كتب التّاريخ والأخبار والصّحافة والرّوايّة، والرّياضة والمختبرات العلميّة وعلى هذا كان ينبغي أن ننظر إلى اللغة بوصفها وسيلة تواصل لكلّ

الأغراض، من غير أن يستبدّ بنا النّص الأدبي الرّفيع، لنضفي عليه هالة مـن القداسـة، التي قد يحسّ معها الإنسان أنّ اللغة إمّا أن تكون أدباً رفيع المستوى، وإلاّ فلا. "[13]

لا جرم من قول أن سعي المستعمر الفرنسي لتغييب اللغة العربيّة، يـدرج ضـمن سلسة من السّياسات الاستشراقيّة القائمة مهاجمة الهويّة العربيّة الإسلاميّة، حيث تحرّك كثير من المستشرقين في هذا الاتجاه على غرار المستشرق الألماني ولهم سبيتا الـذي دافع عن فكرة التّخلي عن الفصحى في كتابه الصّادر عام 1880م، بعنـوان : قواعـد اللغة العربيّة العاميّة في مصر، أمّا المستشرق الانجليزي وليام ولكـوكس فقـد دعـا العرب المسلمين من خلال محاضرته إلى إقصاء الفصحى من ميـدان الكتابـة والأدب كما نجد المستشرق دوفرين يضع تقريرا عام 1882م يدعو فيه إلى إحـلال العاميّـة مكان الفصحى في مجال التّربيّة والتّعليم والثّقافة، ناهيك عـن كثيـر مـن الـدّعاوى الاستشراقيّة المغرضـة القائلـة بقصـور العربيّـة عـن مواكبـة النّشـاط العلمـي والتّكنولوجي.[14]

2.2-ثانيا: الرّأي القائل بإيجابيّة ظاهرة التعدّد اللغوي: في الخطاب الواقعي يبدو التنوّع اللغوي أمرا ايجابيا، لأنّه يتيح مجالا أوسع للانفتاح على الثّقافات والعلوم، لذلك يعتبر تعدّد اللغات شيئاً إيجابياً في المجتمع الجزائري الذي استطاع أن يقـرأ الجرائـد باللغتين العربيّة والفرنسيّة، وهذا يعدّ مكسبا مهمّاً باعتبار أنّ الانتقال بين اللغات يعـدّ شيئا نادرا في بقيّة المجتمعات العربيّة.

لذلك يرى د .خالد بن محمّد الصّغير أنّ عمليّة تعلّم اللغات الأجنبيّة يجب ألاّ ينظر لها من منظور التّرف الاجتماعي، بل هي حاجة ملحّة، ومطلب أساسي فـي عصـر العولمة، والثّورة المعلوماتيّة، والتّقنيّة، وذلك يعود إلى أنّها وسيلة مهمّة لنقل المعـارف والعلوم من أمّة إلى أخرى، وأداة لخلق تلاقح ثقافي بين مختلف الثّقافات وبمثابة حلقـة وصل لزيادة أواصر التّواصل بين شعوب العالم، وذلك كلّه حين تحقّقـه علـى أرض الواقع يؤدّي إلى عمارة صالحة للكون.

ويضيف ذات الدّكتور أنّ التعدّد اللغوي أداة للانفتاح على الطّرف الآخر ووسيلة لتعزيز التّواصل بين الحضارات، وأداة لتبادل التّجارب والمعرفة بين الأمم وأداة لإزالة الحواجز والمعوّقات بين الشّعوب والثّقافات، كما أنّ له مردوداً إيجابياً اجتماعياً يتمثّل في تمكين وتعريف المجتمع بعادات وتقاليد شعوب العالم، وهو ما يؤدّي إلى خلق مجتمع منفتح، واسع الأفق، متقبل ومتفهم لأنماط وعادات وتقاليد اجتماعيّة مختلفة عمّا لدينا، ومحاولاً استقطاب وتبني المفيد من تلك العادات والتّقاليد، وأكثر قدرة على مقاومة غير الحسن منها، والتّسلح بأسلحة مناسبة طاردة لغير المفيد منها، كما أنّ المعرفة باللغات الأجنبيّة تيسر للمجتمع سبل التّفاهم مع العالم، وتمنحه القدرة على الاندماج فيه، والاستفادة من إنجازاته.[15]

كما أنّ هناك فريق من المثقّفين والنّخبويّين يعتبر التّهجين إستراتيجيّة للدفاع عن الثّقافة مثلما هو الحال لدى رشيد ميموني في رواياته المكتوبة باللغة الفرنسيّة والتي لم يستصغها الفرنسيون أنفسهم لأنّها مكتوبة بفرنسيّة مجزأرة، أو كما حدث مع كاتب ياسين الذي قال : أنا أكتب باللغة الفرنسيّة لأقول للفرنسيين أنّني جزائري ويتّضح ذلك في كتابه الموسوم ب"**نجمة** "الذي لم يستطع الفرنسيون تصنيفه ضمن أي نوع أدبي لأنّه كتب بطريقة متشظيّة يقول عنها كاتب ياسين : كتبتها مفكّكة لأثبت للاستعمار بأنّك فكّكت الشّخصيّة الجزائريّة ولم تفدها بشيء، فلو كتبتها منسجمة لأعطيت الانطباع بأنّ الاستعمار منسجم.

في الواقع يمتاز الأدب الجزائري عن أمثاله في الدّول العربيّة الأخرى- حتى في دول المغرب العربي- بالازدواجيّة اللغويّة :اللغة العربيّة، واللغة الفرنسيّة (وبالطّبع هناك من كتب بالأمازيغيّة) فهو أكثر بلد عربي كتب أبناؤه أعمالا بالفرنسيّة، وقد أبدع بعضهم أيما إبداع، وجلّ هذه الأعمال الأدبيّة تعالج بجديّة مواضيع تهمّنا جميعا، من حريّة المرأة، وطغيان التّقاليد، والقمع السّلطوي، والفساد، والإرهاب، وسواها فهذا الأدب يستحقّ وبجدارة أن يتمّ الاطلاع عليه ليس فقط من قبل المهتمّين بالأدب والثّقافة بل من قبل القارئ العادي الذي سيجد فيه متعة القراءة، وثراء الفكر،[16] وهذا ما يفسّر

رأي كاتب ياسين الذي اعتبر اللغة الفرنسيّة غنيمة حرب، كما دفع بأمين الزّاوي للقول :أنّ الإبداع المزدوج اللغة ضرورة ثقافيّة تتجاوز الأحاديّة اللغويّة التي تعيق التّحليق في فضاء الإبداع المتكامل، فكما لا يمكن للطائر أن يطير بجناح واحد فلا يمكن القول عن المبدع أنّه كاتب إذا لم يكن مزدوج اللغة .

لكن على الرّغم من غزارة الأعمال المكتوبة بالفرنسيّة وقيمتها الأدبيّة الكبيرة (بعض الكتاب نالوا جوائز قيّمة على أعمالهم)، فإنّ نسبة كبيرة من القرّاء العرب يجهلون كتابا بحجم كاتب ياسين، صاحب رائعة «نجمة»أو محمّد مولسهول (ياسمينة خضرا) صاحب الأعمال الكثيرة النّاجحة، التي لاقت رواجا لا بأس به في فرنسا والمغرب العربي بشكّل عام (فضل الليل على النّهار، سنونو كابل، صفارات بغداد).. وآسيا جبّار عضو الأكاديميّة الفرنسيّة التي تعتبر من أفضل من كتب بالفرنسيّة بين كتاب دول المغرب، وأخذت كتاباتها طابعا نسائيا فكانت من أفضل من دافع عن قضايا المرأة الجزائريّة (ظلّ السّلطانة، نساء الجزائر، الحبّ والفانتازيا..) ويبرز من هؤلاء الكتاب (وهناك أكثر من خمسة عشر كاتبا)(الكاتب محمّد ديب، حاصل على جائزة الفرنكوفونيّة) الحريق، سطوح أورسول، إغفاءة حواء، ثلوج المرمر، (ومولود فرعون الكاتب بالأمازيغيّة في روايته المتميّزة)«ابن الفقير» (وبوعلام صلصال) حي داروين 2084نهايّة العالم(، ورشيد بوجدرة) التّفكّك، الطّلاق، الحلزون العنيد (والكاتب المبدع مالك حداد) سأهديك غزالة، رصيف الأزهار لا يجيب، الشّقاء في خطر (والطّاهر جاعوط – اغتيل إبان العشريّة السّوداء) – الباحثون عن العظام، العسس الصّيف الأخير للعقل(، ليلى صبّار) اعترافات مجنون، فاطمة والجزائريّات في السّاحة شهرزاد ذات العينين الخضراوين(وبرز مؤخّرا الكاتب كمال داود في أوّل عمل روائي) مورسو: تحقيق مضاد (نال فيه جائزة غونكور لأوّل روايّة هؤلاء الكتاب وأعمالهم على سبيل المثال لا الحصر تستحق التّرجمة) وإن كان بعضها قد تمت ترجمته والانتشار على نطاق أوسع للتعريف بهذا الأدب الذي يعالج في جله مواضيع

تخصّ الجزائريين، وإن اختلفت اللغة، ويسهم في طرح معضلات مجتمع عربي لا تختلف عن مثيلاتها في المجتمعات العربيّة الأخرى.[17]

وأطرح هنا أسئلة عديدة من قبيل تجاهل العارف: إذا اعتبرنا فيما سبق أنّ أدباء الجيل الثّالث من قائمة رشيد ميموني وكاتب ياسين ومحمّد ديب، أنّهم كتبوا باللغة الفرنسيّة تحت ضغط الضّرورة التي فرضتها المرحلة، فما هو مبرّر الكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسيّة في ظلّ السّيادة الوطنيّة والاستقلال السّياسي؟ ثمّ هل سيفكر الفرنسيون يوما في احتضان هذه الكتابات وإدراجها في خانة الأدب الفرنسي باعتبارها مكتوبة بلغة هذا الأدب؟ لماذا يتشدّق كلّ الجزائريّين بأمجاد الثّورة الجزائريّة ثمّ يهتفون بمجد الجزائر قائلين: فيفا لا لجيري؟ وأي شيء يدفع الكثيرين إلى كتابة الرّسائل القصيرة والتّخاطب عبر منصات التّواصل الاجتماعي بالأبجديّة الفرنسيّة المعربة؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تجعلني أستند لرأي الدّكتور خالدّ بن محمّد الصّغير الذي يقول" نحن بحاجة إلى التّعاطي مع بوادر أو مؤشّرات أوليّة لظاهرة بغيضة أطلّت علينا برأسها مؤخّراً والمتمثّلة في جعل اللغات الأجنبيّة لغات نلجأ لها في تعاملاتنا في الشّارع، وفي مؤسّساتنا التّعليميّة، وفي داخل أروقة أماكن أعمالنّا، ونعلن بزهو وفخر أنّ أبناءنا وبناتنا لا يتحدّثون العربيّة، وإنّما يجيدون الحديث بلغات أجنبيّة، ونصدح بأعلى صوتنا أنّنا نبذل الغالي والنّفيس في تعليمهم تلك اللغات الأجنبيّة على حساب معرفتهم وإتقانهم للغتهم الأمّ، وقد بلغ الأمر مداه حين نلمس مدى الحرج الذي يعتري أبناءنا وبناتنا عند الإفصاح عن عدم معرفتهم لغات أجنبيّة."[18]

وعلى الرّغم من كلّ ما ذكر من أنّ أزمة اللغة العربيّة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشكلة أعمق وأكثر تعقيدا، وهي مشكلة التّخلف الحضاري، فالظّاهر أن ثمّة مجالا لتحسين وضع اللغة العربيّة تحسنا جزئيا، ولاسيما إذا روعي الدّافع العقدي الذي له أثر إيجابي قوي في تعويض النّقص في الإمكانات.[19]

إنّ ازدهار اللغة نتاج طبيعي لازدهار الثّقافة والحضارة والعلوم، كما أنّ تزعــزع مكانة اللغة مرتبط بالانحطاط الثّقافي والحضاري والعلمي، وسواء أنظرنا إلى اللغة من زاويّة الاستخدام، أم التّدريس، أم البحث، أم التّخطيط، فإنّه من المعقول القول: إنّنا فــي أزمة، وإنّ التّخلّف العام الذي نعاني منه مسؤول عن هذه الأزمة، ففي مجال الاستخدام لاشكّ أنّ الجهل، والأميّة مسؤولان عن انتشار العاميّة، كمــا أنّ الــرّوح الانهزاميّــة وهيمنة اللغات الاستعماريّة مسؤولان عن زحزحة مكانة العربيّة لصــالح الإنجليزيّــة والفرنسيّة وفي مجال التّدريس، والبحث، والتّخطيط نجد أنّ اللامبالاة وغياب المنهجيّة وعدم وجود آليات التّراكم المعرفي ما هي إلاّ بعض الأسباب التي أدّت إلى انحطــاط مكانة العربيّة[20].

03-خاتمة: نأتي في ختام هذه الورقة المتواضعة، إلى تلخيص ما جاء فيها؛ حيث افتتحنا العرض ببيان أهمّيّة اللغة في المنظومة الحياتيّة للإنسان، ثمّ توقفنا عنــد أهــم المفاهيم التي قامت عليها هذه الورقة، ويتعلّق الأمر بمفهوم التعدّد اللغوي، ثم ّتلا ذلــك استعراض الآراء الخاصّة بالموضوع؛ فيما يتّصل بــالرّأي الأوّل الــرّافض لظــاهرة التعدّد اللغوي ثم ّإبرزنا الرّأي الثّاني الذي قال أنصاره بإيجابيّة التعــدّد اللغــوي، وقــد حاولنا الخروج في خاتمة الدّراسة بمعطيات موضوعيّة، منبثقة مــن الواقــع اللغــوي والثّقافي للجزائر.

ونقرّر فيما يلي مجموعة من النّتائج المتوصّل إليها من خلال هذا النّقاش العلمــي المتواضع:

-تعلّم اللغات الأجنبيّة شيء مقبول وضروري، لما في ذلك من مكاسب جمّة، لكن توطين هذه اللغات على حساب اللغة الأمّ نُعِدُّه انسلاخا فاضحا عن الثّوابت الهوياتيّــة التي تجعل من اللغة وعاءً لها، وجريمة حضاريّة في حقّ ثقافة اللغة الامّ؛

-يرفض الباحث الرّأي الدّاعي إلى تكريس اللغة الأجنبيّــة بــدعوى الازدواجيّــة اللغويّة؛ لأنّني لم أجد أثرا – في حدود ما توصلت إليه – لمثل هذه الأفكار السّلبيّة لدى شعوب الدّول القويّة المتقدّمة التي تسعى جاهدة إلى فرض هيمنتهــا علــى الشّــعوب

الضّعيفة (المتخلّفة) والمستضعفة ممّا يقودنا للقول أنّ الدّعوة إلى الازدواجيّة مظهر جلي من مظاهر عقدة النّقص والولوع بثقافة الآخر لذلك فإنّ مشكّلة الازدواجيّة اللغويّة تتعدّد وتتنوّع بتنوّع انعكاساتها وآثارها السّيئة على الفردوالمجتمع والأمّة على حدّ سواء. وتمتدّ أخطارها المدمّرة إلى جميع مجالات الحياة ومستوياتها الثّقافيّة والفكريّة والاجتماعيّة والتّعليميّة " ... وذلك نظرا لكون اللغة تشكّل المهاد النّفسي والقومي والمشاعري والثّقافي والفكري للناطقين بها، والفصحى تحديدا هي لغة الدّين والعلم، هي الامتداد الثّقافي والفكري والحضاري، وقد شكّلت على الدّوام رمزا لوحدة أمتنا وأداة لتواصلنا وتآلفنا. وإحلال العاميّة محلّها سيعمل على تفتيت هذه الوحدة وتمزيق هذا الرّباط التّآلفي والتّعارفي، وسيجعل من الأمّة أمماً شتّى وأقواما متفرّقين.[21]

كما أنّ عامل الازدواجيّة له أثر سلبي كبير على العمليّة التّعليميّة؛ حيث يشكّل عائقا كبيرا أمام الطّفل لتعلّم اللغة العربيّة، وتقع عليه أسباب عزوف النّاشئة عن تعلّمها ومن هنا ندرك ما للازدواجيّة اللغويّة من خطر على حياتنا الفكريّة والثّقافيّة؛

-لاينبغي أن يُفْهَم من موقفنا السّابق أننا نرفض التّلاقح والتّواصل بين اللغات؛ لأنّ في التّواصل مدعاة للتطوّر الإيجابي في اللغة ذاتها؛ مادامت اللغة مظهراً من مظاهر حياة الشّعوب، والذي يتتبع تاريخ العربيّة الفصحى يستطيع أن يدرك أنّها كانت تتغيّر وتتطوّر دائما في ألفاظها وأساليب تعبيرها حتى بعد أن جاء الإسلام و نزل القرآن الكريم بلغة قريش، وخلع عليها نوعا من الثّبات جعل تطوّرها محدودا، ولعلّ هذا التّطوّر المحدود أفقدها المرونة الضّروريّة اللغات، ولا سيما فيما يتّصل بالحياة اليوميّة والمعاملات، فنشأ عن ذلك شيء من الانفصال بين لغة الثّقافة والأدب والفكر وبين لغة الأسواق والمعاملات اليوميّة وما إليها، ومازال هذا الانفصال يتزايد كلما جدّ في الحياة ظرف يحتاج إلى الأداء والتّعبير والإفصاح عنها بين النّاس، ومازال يتغيّر ويتبدّل تبعا لمعطيات الحياة الجديدة وظروفها لأنّ اللغة الفصحى قنعت بأن تكون أداة للتعبير الفكري والعلمي، وكانت القداسة التي خلعها عليها القرآن الكريم من أقوى أسباب شدّة

اتصالها بالدّراسة العقليّة وقلّة قبولها للتطوّر الذي يبعدها عن صـــورتها الأولـــى، أي الصّورة التي نزل بها القرآن الكريم؛[22]

-التعدّد اللغوي من الظّواهر الطّبيعيّة في المجتمعات، وإنّ اختلفت أسبابه وخلفياته إذ من الصّعب أن تجد مجتمعا أحادي اللغة وقد وردت الإشارة إلى هذه الظّاهرة فـــي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ سورة الرّوم (22)

-يمكن للغة الأمّ أن تتجاور مع أي لغة أجنبيّة، دون حصول تمـــازج بينهمـــا، أو ذوبان الأولى في الثّانيّة، وقد ثيت هذا الطّرح لدى العـــالم اللســـاني السّويســـري دي سوسير الذي أسس لرأيه بمجموعة من النّماذج، ومن بينها دولة جنوب أفريقيـــا التـــي تعاقب عليها الاستعمار الهولندي والانجليزي، ليجلبا معهما اللغـــة الهولنديّـــة واللغـــة الإنجليزيّة وهاتان اللغتان تعيشـــان الآن جنبـــا إلـــى جنـــب مـــع بعـــض اللغـــات الزّنجيّة.وحصل الشّيء ذاته عندما دخلت اللغة الاسبانيّة إلى المكسيك.

04-قائمة المراجع

أ-المقالات:

- أحمد برماد أزمة التّداخل اللغوي بين العاميّة والفصحى في المدرسة الجزائريّة، (مقال علمي)، الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والانسانيّة (مجلة علميّة دوليّة محكّمة) جامعة حسيبة بن بوعلي الشّلف/ الجزائر،ع1، مج10،2018 م.
- أحمد بن داود المقاومة الثّقافيّة للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التّعليم(1954-1920) ، مخطوط أطروحة دكتوراه عن جامعة أحمد بن بلة وهران 2016/2017،01 م.
- إبراهيم كايد محمود، العربيّة الفصحى بين الازدواجيّة اللغويّة و الثّنائيّة اللغويّة المجلة العلميّة لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانيّة و الإداريّة، مج3 ،ع1،مارس 2002 م.
- إسماعيل عمايرة، تعليم اللغة العربيّة في مرحلة التّعليم العام في المملكة الأردنيّة الهاشميّة دراسة وتقويم في كتاب الموسم الثّقافي الثّامن عشر لمجمع اللغة العربيّة الأردني مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمان،2000 م.
- عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة مجمع اللغة العربيّة، ع8،2014 م.
- مهملي أسامة، آليات المستشرقين لهدم اللغة العربيّة، (مقال علمي)، دفاتر مخبر الشّعريّة العربيّة، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة/الجزائر، ع4، مج2، 2017م.
- د.يوسف العايب، ازدواج اللغة العربيّة بين الفصحى والعاميّة وتدعياته على النّسيج الاجتماعي، (مقال علمي)، مجلة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة حمى لخضر الوادي/الجزائر، ع2، مج2017،5م.

ب-المؤلّفات:

- عبد العزيز شهبي، الزّوايا الصّوفيّة والغرابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، 2005 م.
- عليوان سعيد، المعيار، المشروع الثّقافي الاستعماري الفرنسي في الجزائر خلال ثورة التّحرير المباركة، (مقال علمي)، ع10، مج 5، 2005م.

- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1912-1830، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،1995م.

- غي بريفلي،النّخبة الجزائريّة الفرنكفونيّة، تر.حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر،الجزائر،2007م.

- فردينان دي سوسور،علم اللغة العام، تر د.يوئيل يوسف عزيز،دار أفاق عربيّة،بغداد،1985م.

- د.كمال بشر، اللغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع،القاهرة، 1999م.

ج-مواقع الأنترنت:

- د.خالدّ بن محمّد الصّغير،تعلّم اللغات الأجنبيّة ليس ترفاً بل ضرورة عصريّة، الجزيرة للصحافة والطّباعة والنّشر،1428هـ،العدد12613

(http://www.al-jazirah.com/2007/20070411/ar7.htm)/

- رياض معسعس، الأدب الجزائري وازدواجيّة اللغة، جريدة الشّرق الأوسط سبتمبر 2016م، /(https://aawsat.com/home/article)

05-هوامش:

[1]- إبراهيم كايد محمود، العربيّة الفصحى بين الازدواجيّة اللغويّة و الثّنائيّة اللغويّة، المجلة العلميّة لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانيّة و الإدارية مج3 ، ع1، مارس 2002 م، ص: 54

[2]- يُنْظَر: أحمد برماد أزمة التّداخل اللغوي بين العاميّة والفصحى في المدرسة الجزائريّة، (مقال علمي)، الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والانسانيّة (مجلة علميّة دوليّة محكمة)، جامعة حسيبة بن بوعلي الشّلف/الجزائر، ع1، مج10، 2018 م، ص:58

[3]- يُنْظَر: د.كمال بشر، اللغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع القاهرة، 1999م، ص :14

[4]- يُنْظَر: أحمد برماد، أزمة التّداخل اللغوي بين العاميّة والفصحى في المدرسة الجزائريّة، ص ص: 60، 59

[5]- فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر د.يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربيّة، بغداد 1985م، ص: 216

[6]- المرجع نفسه، ص:217

[7]- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر1912-1830، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995 م، ص:104

[8]- عبد العزيز شهبي، الزّوايا الصّوفيّة والغرابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، 2005 م، ص: 200

[9]- غي بريفلي، النّخبة الجزائريّة الفرنكفونيّة، تر.حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر الجزائر، 2007م، ص:27

[10]- أحمد بن داود، المقاومة الثّقافيّة للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التّعليم(1954-1920) ، مخطوط أطروحة دكتوراه عن جامعة أحمد بن بلة وهران01 2016/2017 م، ص: 43

[11]- عليوان سعيد، المعيار، المشروع الثّقافي الاستعماري الفرنسي في الجزائر خلال ثورة التّحرير المباركة، (مقال علمي)، ع10، مج 5، 2005م، ص:248

[12]- د.كمال بشر اللغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم ، ص: 07

[13]– إسماعيل عمايرة، تعليم اللغة العربيّة في مرحلة التّعليم العام في المملكة الأردنيّة الهاشمية دراسة وتقويم في كتاب الموسم الثّقافي الثّامن عشر لمجمع اللغة العربيّة الأردني، مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمان، 2000 م، ص:126

[14]– يُنْظَر: مهملي أسامة، آليات المستشرقين لهدم اللغة العربيّة، (مقال علمي)، دفاتر مخبر الشّعريّة العربيّة، جامعة محمّد بوضياف، المسيلة/الجزائر، ع4، مج2، 2017م، ص:28

[15]– د .خالدّ بن محمّد الصّغير ، تعلّم اللغات الأجنبيّة ليس ترفاً بل ضرورة عصريّة ، الجزيزة صحيفة الالكترونيّة العدد12613 ، تاريخ تصفح الموقع: 31/03/2018
http://www.al-jazirah.com/2007/20070411/ar7.htm

[16]– رياض معسعس ، الأدب الجزائري وازدواجيّة اللغة، جريدة الشّرق الأوسط سبتمبر 2016تاريخ التّصفح 22/04/2018 : ، https://aawsat.com/home/article

[17]– د.خالدّ بن محمّد الصّغير، تعلّم اللغات الأجنبيّة ليس ترفاً بل ضرورة عصريّة، الجزيرة للصحافة والطّباعة والنّشر، 1428هـ، العدد12613، تاريخ التّصفح: 05/04/2018
http://www.al-jazirah.com/2007/20070411/ar7.htm

[18]– يذكر غارمادي أنه يمكن التّعويض عن الشّروط الاقتصاديّة في التّخطيط اللساني؛ بإدخال مثيرات ودوافع فكريّة قويّة.راجع: د.محمّد محمّد يونس علي، أزمة اللغة ومشكّلة التّخلف في بنيّة العقل العربي المعاصر، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة واللغة العربيّة وآدابها، ج18 ، صفر 1425هـ، ص :686

[19]– المرجع نفسه، ص : 661

[20]– عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة مجمع اللغة العربيّة، ع8، 2014 م، ص: 55

[21]– د.يوسف العايب، ازدواج اللغة العربيّة بين الفصحى والعاميّة وتدعياته على النّسيج الاجتماعي، (مقال علمي)، مجلة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة حمى لخضر الوادي/الجزائر، ع2، مج5، 2017م، ص:03

[22]– المرجع نفسه، ص:03

نحو سياسة لغويّة لتثبيت دور التسامح اللغوي في رقيّ التعليم الجامعي الجزائريّ

إيمان بلحداد
- **طالبة دكتوراه/ جامعة باتنة1**

الملخّص: تهدف الدّراسة إلى إبراز دور التّسامح اللغوي والمصالحة اللغويّة في تطوّر مستوى التّعليم الجامعي في الجزائر، انطلاقا من أنّ نجاح التّعليم يقتضي الاستفادة من تجارب الدّول النّاجحة في مجال التّعليم، وخاصّة في الدّول الغربيّة التي استحدثت طرق التّعليم والبحث العلمي، وفقا لمقتضيات العصر، كما استحدثت اللغات بما يسمّى اللغات الاصطناعيّة كلغات البرمجة الخاصّة بالحاسوب وخوارزميات خاصّة بها، كقواعد خاصّة بهذه اللغة، وهذا للاستفادة منها في تطوير المعالجة الآليّة للغات الطّبيعيّة واللغة العربيّة خصوصا، وكلّ هذا التّواصل والتّفاعل بين اللغات إنّما يتحقّق بالتّسامح اللغوي للعيش معاً بسلام.

ومن ثمّة فإنّ الإشكال الذي تطرحه هذه الورقة البحثيّة هو: إلى أيّ مدى يسهم التّسامح اللغوي في تطوير مستوى التّعليم في الجامعات الجزائريّة؟ ويتفرّع عن هذا السّؤال الرّئيسي الأسئلة الفرعيّة الآتيّة:

-ما حقيقة الممارسات اللغويّة؟

-كيف هو واقع تعليميّة اللغات في الجامعات الجزائريّة؟

-بين التعدّد اللساني والعدالة اللغويّة أيّة علاقة؟

وتنتهي الورقة بتقديم حوصلة لما سبق، وعدد من التّوصيات الرّاميّة إلى محاولة احتواء الصّراع الإيديولوجي بين اللغات عن طريق جملة من الاستراتيجيات منها تقبّل التعدّديّة اللغويّة والاختلاف الثّقافي في العالم، واحترام ثقافة الآخر وهويته لأنّ

هذا من مبادئ التّعايش السّلمي، وضمان استمراريّة التّواصل وتبادل الأفكار والمعارف، والسّموّ في مجال التّعليم خاصّة.

الكلمات المفتاحيّة: التّسامح اللغوي – التّعليم الجامعي –الجزائر.

مقدّمة: إنّ اللغة في جوهرها هي الإحساس بالهويّة بالنّسبة للفرد والجماعة؛ ذلك أنّ الإحساس بهويّة ذاتيّة خاصّة له وظائف إيجابيّة مهمّة ومفيدة، ومنها الشّعور بالانتماء لجماعة ما، وهذا الشّعور يعتبره الاجتماعيون النّفسيون عاملا جوهريا في تطوّر وازدهار حياة الأفراد والجماعات.[1] يعني أنّ اللغة لها دور في رقي المجتمعات وهذا لا يتحقّق إلاّ بعمل أهلها على تطويرها، وهذا ما يؤكّد على علاقة اللغة بناطقيها في نموّها وتقدّمها، لأنّ تقدّم لغة ما إنّما بتقدّم ناطقيها.

كما أنّ تباين لغات العالم خلق تنوّعا لغويا، واختلافا في الثّقافات، وهذا ما ولّد بدوره تأثيراً وتأثّراً باللغات، وخاصّة في الدّول التي عرفت استيطانا واستعمارا فظهرت فيه تعدّديّة لغويّة بالإضافة إلى اللغات الوطنيّة، والملاحظ أنّ الجزائر رغم تعدّد لغاتها إلاّ أنّ شعبها على وعي تام بمنزلة لغته الأمّ وخاصّة أنّها لغة القرآن الكريم، فهي محفوظة بحفظه، لكنّ هذا لا يمنع الاحتكاك باللغات الأخرى، وتوسيع دائرة التّواصل مع الآخر بدعوة التّعايش بين اللغات، وخاصّة في ظلّ هذا التعدّد المفروض. وهذا ما يثير طرح الإشكال الآتي: إلى أيّ مدى يمكن أن تسهم المصالحة اللغويّة في رقيّ مستوى التّعليم في جامعاتنا؟

ويظهر هيكل البحث في النّقاط الآتيّة:

–حقيقة الممارسات اللغويّة.

–الوضع اللغوي في الجزائر.

–بين التعدّد اللساني والعدالة اللغويّة.

–دور التّسامح اللغوي في تطوير مستوى التّعليم الجامعي في الجزائر.

أوّلا-حقيقة الممارسات اللغويّة: الممارسات اللغويّة فيراد بها المسح الميداني الفعلي لجميع التّكلّمات اللغويّة واللهجيّة، النّاشئة بفعل الاحتكاك بين اللغات، أو بفعل عاملي الجغرافيا والاجتماع. ويكون ذلك بوساطة تخزين المعلومات والمعارف المجمعة في بنوك معطيات، ومن ثمّ استثمارها في وضع سياسات لغويّة عادلة، تراعي الواقع اللغوي في المجتمع[2]، مفاد ذلك أنّه ينبغي أن تؤخذ في الحسبان لأيّ مشروع مجتمعي حتى يسوده التّسامح اللغوي.

ذلك أنّه إذا كانت اللغة وسيلة تخاطب وأداة اكتساب المهارات والمعارف، فإنّها أيضا بؤرة للصراع الذي يسبّب حروبا داميّة تمزّق أوصال الشّعوب، وتمحو هويّتها فهي كيان يصنع به المجد كلّه، وبسببه تنشب الحروب، ومنها أكبر حرب على الإطلاق وهي ما اصطلح عليه بحرب اللغات[3]. وهذا يدلّ على أنّ اللغة قد تكون وسيلة للتواصل والتّبادل، ومن جهة أخرى فقد تصبح أداة صراع وتصادم بين اللغات في محاولة سيطرة لغة على أخرى.

لذلك فإنّ الممارسة اللغويّة هي تعايش لغوي على إقليم واحد. وعلى الرّغم من هذا لابدّ من الإقرار بأنّه يصعب حلّ الكثير من التّوتّرات اللغويّة بسبب التّغيرات المتسارعة وتشابك العلاقات الدّوليّة، وتنامي ظاهرة عدم التّجانس في كثير من المجتمعات، ومنها المجتمعات المغاربيّة. ولذا ينبغي الإسراع في تخطيط لغوي واع مدروس من جميع جوانبه[4]. إذ لا ينبغي أن نبقى مكتوفي الأيدي وإنّما لابدّ من الإسراع في إيجاد حلول يستعيه تخطيط لغوي محكم القراءة، ويصدر من متخصّصين في مجال التّخطيط اللغوي والسّياسة اللغويّة.

كما وعمل "صالح بلعيد" على ضبط العوامل المؤثّرة في الممارسات اللغويّة وتحديد هذه العوامل، فوجدها ترتبط بمعطيات العصر السّياسيّة والثّقافيّة والدّينيّة والاجتماعيّة وتنقسم إلى عوامل داخليّة وخارجيّة يمكن حصرها في:

-الأرضيّة المعرفيّة للمتحدثين؛

-ثقافة المجتمع؛

-الحراك الثّقافي والإيديولوجي والاقتصادي؛
-لغات المدرسة؛
-السّياسة اللغويّة للدولة؛
-وسائل الإعلام.
أمّا العوامل الخارجيّة فأرجعها إلى:
-تأثير اللغات الأجنبيّة؛
-مؤثرات العولمة؛
-تأثيرلغة المستعمر؛
-تأثير وسائل الأعلام الخارجيّة؛
-الآليات والأجهزة المعاصرة وما يلحقها من تسميات[5].

ثانيا-الوضع اللغوي في الجزائر: يتميّز الوضع اللغوي بالجزائر بتعدّد لغوي قائم لا ينكره أحد، تتعايش ضمنه مستويات لغويّة عديدة، حيث يعمل كلّ مستوى على ضمان موقعه ودوره ومكانته، ففي الجزائر تتعايش مستويات لغويّة عديدة، هي اللغة العربيّة الفصيحة ولهجاتها العاميّة الأمازيغيّة إلى جانب اللغة الفرنسيّة.

وبهذا فهناك ثلاثة مستويات متميّزة من التّواصل اللغوي:[6]

***المستوى الرّسمي:** أيّ مستوى استخدام اللغة لأغراض دينيّة، حكوميّة، وتعليميّة أيّ اللغة العربيّة الكلاسيكيّة (أيّ الفصحى)، وهي لغة القرآن الكريم والتّراث العربي والتي تستخدم في المعاملات الرّسميّة، وفي تدوين الشّعر والنّثر والإنتاج الفكري. والعربيّة العصريّة المستخدمة في وسائل الإعلام؛

***المستوى التّواصلي:** وهو مستوى استخدام اللغة للتواصل اليومي والتّطبيق، أيّ اللهجات الأمازيغيّة (القبائليّة، الميزابيّة، الشّاويّة، التّرقيّة)، واللهجات العربيّة العاميّة وهي التي تستخدم في الشّؤون العاديّة، والتي يجرى بها الحديث اليومي؛

***المستوى الوظيفي:** أي مستوى استخدام اللغة لأغراض اقتصاديّة والانفتاح على العالم الخارجي والتّبادل والبحث (الفرنسيّة والإنجليزيّة)، فبعد تنصيب لجنة الإصلاح

التّربوي توصّلت اللجنة إلى أنّ سبب تأخر وعدم مسايرته للركب في الجزائر هو جعل العربيّة لغة العلم.

ثالثّا–بين التعدّد اللساني والعدالة اللغويّة: "لا توجد لغة من اللغات الألـوف علـى كرتنا الأرضيّة نموذجا مثاليا للغة على أخرى، فاللغات كلّها متساويّة، بمـا فـي ذلـك اللغات البدائيّة في غابة الأمازون، وأدغال إفريقيا، ولغة الإسكيمو، إذ كلّ لغة بحاجـة إلى نظيرتها الأخرى التي تسبقها اختراعا وثقافة، فينشأ بينهما ما يدعى عادة الاقتراض أو الاستعارة، لأنّ اللغات كالقبائل والشّعوب يحتاج بعضها إلى بعض، ولا تتكامـل إلاّ بغيرها".[7] ذلك أنّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو يأخذ باسـتمرار مـن الثّقافـات الأخرى، وهو في ذات الوقت بحاجة إلى ما تنتجه الثّقافـة المغـايرة ليسـتفيد منهـا ويواصل الجهد في إبداعات تخصّ نفس المجال. وهذا ما يدلّ علـى تكامـل اللغـات والثّقافات وتعايشها في أرضيّة مشتركة دون تمييز للغة على أخرى.

فالمحلّل لمكوّنات المجتمعات وتشكيلاتها البنائيّة المختلفة، وأنّه مـن المسـتحيل أن نجد مجتمعاً يتّصف بأحاديّة مطلقة. كما يصعب أن نجد دولة تتحدّث بلغة واحدة ذلـك أنّ التعدّد اللغوي أمر واقع، وسمة من سمات جميع المجتمعات، وعلـى كـلّ سياسـة لغويّة أن تعمل على تأكيده وتهذيبه وتوجيهه بدلاً من محاربتـه.[8] ويظهـر مضـمون التّخطيط هنا في التّعامل مع التّنوع اللغوي بحكمة، عن طريـق تهذيبـه، واسـتغلاله بطريقة إيجابيّة تعود بالنّفع على كلّ مستعمل لهذه اللغات –خاصّة في الوطن الواحد–.

وفي هذا الصّدد يقول لويس جان كالفي: "إنّ كان ثمّة حرب بين اللغات فلأنّ العـالم متعدّد، ولأنّ التعدّد اللغوي هو الأصل، ولو كان يمكن للعالم أن يكون أحادي اللغة لمـا حدث فيه صراع؛ ومن هنا وهم الحلّ المسالم في ابتداع لغة اصطناعيّة عالميّـة كلغـة الإسبيرنتو، أو كاللغات المصطنعة الأخرى، إنّه وهم لأنّه يخالف حقيقة جوهريّـة فـي اللغة: حقيقة التعدّد"[9]. فتعدّد الألسنة أمر مفروض لا مفرّ منه، وينبغـي فـرض سـمة التّعايش لضمان التّواصل مع الآخر، مع الحفاظ على مقوّمات الهويّة الوطنيّة.

كما أنّ "اللغة ساحة من ساحات الحرب وأداة من أدواتها. إنّها حرب بالمعنى المجازي حينا، وبالمعنى الحقيقي في أغلب الأحيان"[10]؛ فموت لغة ما خسارة لا يمكن أن تعوّض. كما أنّ الذين يبذلون ما في وسعهم ويسعون إلى القضاء على اللغات الأخرى، أكان الدّافع دينيا أم قوميا، فإنّهم لا يعرفون قيمة تعدّد الالسّن، ولا الذّاكرة التّاريخيّة المختزنة في رموز اللغة.[11] وهذا ما يؤكدّ على قيمة التعدّد اللغوي في تاريخ الإنسانيّة كونها تسجلّ تاريخاً حافل الحوادث متنوّعاً وثريّ الألفاظ من لغات متعدّدة.

رابعا: دور التّسامح اللغوي في تطوير مستوى التّعليم الجامعي في الجزائر:

"إنّ التّسامح اللغوي هو الحالة النّفسيّة التي تقبل وتخدم اختلاف اللغات والآراء والأفكار بدون تعصّب للغة الأمّ، إنّ هذا التّسامح ردّ الفعل الإيجابي البنّاء لحالة الالتّباس والغموض في الفهم، بعكس حالة الإحباط والاستنجاد بمبرّرات لرفض الاختلاف، وما يولّده ذلك من شعور بالنّفور والكراهيّة. التّسامح اللغوي يساعد على التّوافق مع الجديد ولا يعوق استيعابه؛ إذ يشعر المتسامح بدرجة أعلى من الأمان والرّاحة النّفسيّة عند مجابهته لظروف جديدة وأحوال غامضة، ملتبسة، وغير مؤكّدة".[12] ويتّضح من التّعريف أنّ التّسامح اللغوي في أبسط معانيه يدلّ على الابتعاد عن التّعصّب اللغوي، والتّواصل مع الآخرين باللغة التي يفهمونها حتى وإن لم تكن لغته الأمّ.

وحتى يكون هناك تسامح واحترام للغات الآخرين لابدّ من توضيح بعض الحقائق منها:[13]

*ليست لغتك هي اللغة الوحيدة الموجودة في هذا العالم؛

*التّسامح يساعد على التّعليم، ومن تعلّم لغة قوم أمن شرّهم؛

*التّنبيه على وجود فوائد نوعيّة بجانب الصّعوبات النّوعيّة عند تعلّم اللغة الأخرى

*التّسامح اللغوي يسهّل رؤيّة التّكامل بين اللغات، فجميع الفوائد النّوعيّة لأكثر من لغة تزيد من الثّراء الثّقافي للفرد؛

*ينبغي احترام الصّعوبات التي تواجه الآخر عند الحديث بلغتنا، وتشجيعه لمحاولة التّكلم من جديد، لأنّنا من الخطأ نتعلّم.

وبهذا يتّضح دور التّسامح اللغوي في تطوير المجتمعات، فما بالك الطّالب الجامعي، الذي هو في أمسّ الحاجة للتواصل والأخذ من المعارف ليس شرطاً أن تكون بلغته الأمّ، وهذا ما يحتّم عليه تعلّم اللغات الأجنبيّة، وخاصّة الإنجليزيّة التي عرفت تطوّرا في مختلف الفروع العلميّة، فإتقانه للغة ثانيّة تسهّل عليه عمليّة البحث والاطلاع على كلّ ما هو جديد في التّخصّص، كما أنّ تمكّنه من اللغات الأخرى لا يعني انصهاره وتبعيته لكلّ ما هو غرْبي، إنّما يتطلّب على طالب العلم وعيا بأهمّيّة لغته سواء أكانت العربيّة أمّ الأمازيغيّة، كما ويستشعر بمكانتهما باستمرار، ويعمل على تطويرهما كلّ في مجاله وقدرته.

وهذا ما أكّده المفكّر عبد الرّحمن بن خلدون –أحد مفكري الثّقافة العربيّة الإسلاميّة العظام–منذ عدّة قرون: "إنّ غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإنّ منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم"[14]. وعليه فنهوض اللغة بنهوض أهلها وتراجع مكانة لغة ما بركود وتكاسل متكلّميها عن التّنميّة والتّطوير في مجال العلم والمعرفة.

ومن بين الآليات التي يمكن أن نتبنّاها لتحقيق التّسامح اللغوي في صفوف الطّلبة الجامعيين في الوطن العربي، والجزائر خاصّة، لابدّ من إصلاح الوضع اللغوي أوّلا من دعوة للتعايش بين اللغات في وطننا بين العربيّة والأمازيغيّة، وهذا ما دعا إليه الأستاذ "صالح بلعيد" بقوله: "إنّ المشروع التّمهيدي الأخير لدسترة الأمازيغيّة لغة وطنيّة ورسميّة قرار نبيل حكيم أنهى عقوداً من الجدل والأدلجة السّياسيّة ومصالحة وطنيّة مع الموروث الثّقافي والحضاري الجزائري"[15]. ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ بل لابدّ من ترسيم اللغة الأمازيغيّة بصفة إجباريّة في جلّ المدارس الجزائريّة.

وكما دعا الأمين العام للمحافظة السّاميّة للأمازيغيّة "سي الهاشمي عصّاد" إلى التّوجّه نحو "مصالحة لغويّة" بين كلّ الجزائريّين من خلال تبني خطاب "سلمي وهادئ" يقوم على التّعايش والتعدّديّة اللغويّة، بالابتعاد عن الإقصاء والتّطرّف والمساس برموز

الوحدة الوطنيّة. وأشار المسؤول بقوله: "إنّه من واجبنا عدم استخدام مسالتي اللغة الأمّ والهويّة تحت غطاء سياسي وإيديولوجي، وهذا لتجنّب إشعال نزاعات لغويّة".[16]

"أمّا معالي الشّيخ "نيهان بن مبارك آل نيهان" وزير التّسامح فقال: "العربيّة لغة التّسامح" تركّز على تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها من الأطفال وطلاب المدارس بأسلوب مبتكر يتبنى فكرة الممارسة، عن طريق دمج طلاب عرب مع طلاّب أجانب في أنشطة فنيّة وثقافيّة وترفيهيّة، تمكّن غير النّاطقين بالعربيّة من التّعرّف على اللغة العربيّة عبر هذه الأنشطة، بحيث يقوم المدربون المتخصّصون بمساعدتهم على النّطق الصّحيح لبعض الكلمات والتّعرف على معانيها من خلال الصّور والرّسم والألعاب مع زملائهم من النّاطقين بالعربيّة، وفق منهج متكامل أعدّه فريق متخصّص من جامعة الإمارات، وفق معايير أكاديميّة رفيعة".[17]

كما أنّ التطوّرات الحديثة استحدثت لغات خاصّة بالبرمجة وهي لغات اصطناعيّة خاصّة بالحاسوب، يقتضي على من يحاول البحث في هذا المجال، فهم هذه اللغة وطبيعة عملها، ورموزها، وهذا ما يشجع توسيع نطاق اللغات، فما بالك اللغات البشريّة التي أصبحت تلزمنا تعلّمها ومحاولة فهمها، بل أكثر من ذلك ترجمة البحوث العربيّة إلى لغات أخرى، كما هو حال المقالات التي تنشر في مجلاّت محكّمة تشترط ترجمة ملخّص المقال إلى لغات أخرى، وخاصّة الإنجليزيّة، بكونها اللغة الأكثر عالميّة.

وبهذا يتبيّن أنّ التّواصل تتسع مساحته لتشمل الإنسان والآلة على حد سواء، وفي محاولة لتطوير لغة الحوار بين الإنسان والآلة يسعى المبرمجيّون وعلماء الحاسوب إلى جعل اللغات الطّبيعة لغة الحوار بين الإنسان والحاسوب، وهذا ما يجعلنا نتشجّع على فهم الآخر، واحترام اللغات الأخرى.

ومن أجل التّسامح اللغوي ينبغي أن ننشر مبادرة توعويّة تدعو إلى نشر الوعي بتكامل اللغات الوطنيّة –خاصّة العربيّة الفصحى والأمازيغية–، وكذا نبذ الصّراع اللغوي بين العربيّة والأمازيغيّة، والعمل على إثرائهما بالبحوث واستخدامهما في

مختلف المواقف، وكذا دعوة كلّ الطّلاب للانفتاح على اللغات الأجنبيّة الأخرى، عن طريق تعلّمها وصولا لإتقانها، وذلك لتحسين مستوى الطّلاّب الجزائريّين، وتشجيعهم على الكتابة والتّأليف بعدّة لغات لنشر البحوث ذات الإنتاج العربي عبر العالم. والعمل على حلّ النّزاعات اللغويّة بتقبّل كلّ طرف للغة الآخر وثقافته وإيديولوجيّته والاعتراف بالتعدّديّة اللغويّة هو الحلّ الوحيد لهذه الصّراعات. إذ ينشر هذا الاعتراف الوعي اللغوي والتّفاهم مع المخالف لنا في اللغة، ويسهم في الاندماج وتوطيد علاقات التّبادل مع شعوب العالم، والتّفاعل بما يجري في العالم. وهذا كلّه يؤسّس لعلاقات التّسامح والإيخاء والتّصالح فضلا عن احترام الغير.

الخاتمة: يتّضح ممّا تقدّم أنّ الوضع اللغوي في الجزائر يتسّم بالطّابع التعدّدي وهذا ما يزيد أفرادها ثراء معرفيّاً ولغويّاً، وخاصّة فئة الطّلبة والمتعلّمين، فإذا ما استغلّت العلوم المعرفيّة واللغويّة والثّقافات لبناء جيل متعدّد الثّقافات، ويستطيع التّواصل مع كلّ الشّعوب، وهذا ما يعزّز بدوره الثّقة بالنّفس وتثبيت مبادئ الهويّة الوطنيّة لديهم، عن طريق احترام اللغات الأخرى، والسّعي باستمرار لإتقانها.

النّتائج والتّوصيات:

-مبدأ التّسامح اللغوي الوحيد الذي يضمن التّعايش السّلمي بين الشّعوب؛

-الإلحاح على تعلّم اللغات لكسر الحاجز بين شعوب العالم، وتوطيد التّواصل الفعّال بينهم؛

-على الجهات المسؤولة في الحكومة نشر الوعي بأهمّيّة اللغة الوطنيّة، وضرورة احترام اللغات الأخرى، حتى وإن كانت لغة المستعمر، وجعل كلّ اللغات تتكامل فيما بينها؛

-دعوة شعوب العالم إلى تجسيد مبادئ العدالة اللغويّة والمصالحة اللغويّة بينهم في أرض الواقع. وحلّ المشاكل التي تنشبّ بينهم بطرق حواريّة سلميّة؛

-من سبل تحقيق التّسامح اللغوي التّخطيط الدّائم لتنظيم العلاقات بين الدّول المختلفة اللغات؛

-تكوين الطّلبة الجامعيين في اللغات الأجنبيّة، وعقد دورات منتظمة لتحفيزهم على تعلّم اللغات وإتقانها، لتمكينهم من الاطلاع على ثقافة الآخر ومعارفه، دون طمس معالم ثقافتنا العربيّة، لأنّ الهدف معرفي اطلاعي لا غير؛

-إثراء الفكر البشري بالمعارف من مختلف اللغات، والاستفادة من التّنوع اللغوي في سبيل تعزيز التّعايش مع الآخر بسلام؛

-أفضل حلّ لمعرفة الآخر هو تعلّم اللغات، والوقوف على طريقة حديثه وثقافته وفي ذلك توسيع آفاق التّواصل؛

-يسهم التّسامح اللغوي في رقي المجتمعات، وترفعها عن المشاكل، ويساعد في تقبّلهم للاختلاف اللغوي والثّقافي وتنميّة إدراكهم وفهمهم للقضايا الشّائكة في تخصّص الطّلاّب الجامعيّين خاصّة، وبالتّالي حسن توظيفهم لتلك المعارف التي استفادوا منها

-العمل على تطوير اللغات الوطنيّة وتطويعها وفقا لتطوّرات العصر، ومعالجة القضايا العلميّة في كلّ تخصّص بأحدث التّقنيات العلميّة.

الهوامش:

[1].انظر: عبد العزيز النّفيلي، الإنسان بين العنف والتّسامح، مكتبة الشّروق الدّوليّــة، ط1، 2013 ص107.

[2] .Cerquiglini,Bernard, La Diversité des pratiques Linguistiques : richesse d'un patrimoine national, Langues et cité : no.1 octobre 2002, p4.

[3].انظر: خالد بوزياني، استراتيجيّة التّخطيط اللغوي ومشكل التّنميّة اللغويّة فــي العــالم العربــي مجلة المجمع الجزائري للغــة العربيّــة، العــدد8، كــانون الأول/ ديســمبر 2009، ص196. انظرأيضا: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ترجمة حسن حمــزة؛ مراجعــة سلام بزي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2008.

[4]. صالح بلعيد، بحث في المصطلح (الممارسات اللغويّة) في الجزائر، مجلة الممارسات اللغويّــة مخبر الممارسات اللغويّة، الجزائر، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، العدد التّجريبي0، 2010 ص10.

[5].المرجع السّابق: صالح بلعيد، بحث في المصطلح، ص20.

[6].جيلالي بن يشو، الوضع اللغوي في الجزائر بــين الازدواج والتعــدّد، منشــور فــي موقــع: http://www.asjp.cerist.dz، ص67-68

[7].عبد الجليل مرتاض، التّنميّة اللغويّة، من أين تبدأ؟، مجلة اللغة العربيّة، العدد9، 2009 ص73.

[8].انظر: أحمد عزوز ومحمّد خاين، العدالة اللغويّة في المجتمع المغاربي بين شــرعيّة المطلــب ومخاوف التّوظيف السّياسوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياســات،بيروت، ط1، ينــاير 2014، ص41.

[9].المرجع السّابق: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ص19.

[10].المرجع السّابق: أحمد عزوز ومحمّد خاين، العدالة اللغويّة في المجتمع المغاربي بين شــرعيّة المطلب ومخاوف التّوظيف السّياسوي، ص43.

[11].تاج الدّين المصطفى، في: التّسامح، العدد9، شتاء، مجليّة فصليّة إسلاميّة تصــدر عــن وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، مسقط، سلطنة عمان، 2005، ص154ص150.

[12].علي عبد العزيز النّفيلي، الإنسان بين العنف والتّسامح، ص109.

[13].انظر: المرجع نفسه، ص109.

[14].المرجع نفسه، ص110.

[15].عالم اللسانيات البروفيسور بلعيد للإذاعة: دسترة الأمازيغيّة قــرار نبيل..ومصـــالحة لغويّـــة وطنيّة، على الموقع: www.radioalgerie.dz

[16].انظر: المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة تدعو إلة "مصالحة لغويّة" بين كـــل الجزائـــريين، علـــى الموقع: http://elauresnews.com

[17]."العربيّة لغة التّسامح" أسلوب مبتكر للتعليم بالممارسة، على الموقع: http://www.alayan.ae

التداخل اللّغوي وإسقاطاته على الـواقع اللّغـوي في الجزائـر

أ. إيمان قليعي

جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

مقدّمة: يتميّز الوضع اللساني بالجزائر بتداخل وتعدّد لغوي قائم لا ينكره أحد تتمشّى ضمنه مستويات لغويّة عديدة، حيث يعمل كلّ مستوى على ضمان موقعه ودوره ومكانته، فإذا نظرنا إلى المجتمع الجزائري وجدناه يتكلّم خليطا بين الفرنسيّة والعربيّة واللهجات المحلّيّة باختلاف مناطق الوطن، فأصبحنا نجد في العائلة الواحدة المعرب والمفرنس والمزدوج اللّغة، ومن لا يحسن لا الفصحى ولا اللّغة الأجنبيّة أو يجمع القليل من الاثنين، وبذلك يعدّ التّداخل اللّغوي من أكبر المشكلات التي تواجه تعليم العربيّة أبنائها ولغير أبنائها.

لذا سنقف في هذه المداخلة على تبيان هل توجد لغة جامعة في بلد تعدّدت فيه الالسّن؟ وما موقف المنظرين في ظلّ حرب اللّغات من الهيمنة اللّغويّة؟ وهل يعدّ التّداخل اللّغوي معضلة لسانيّة؟ وهل التّواصل بلغة أخرى ينعكس على التّفكير وعلى طرق اكتساب الفصحى وهي لغة العلوم والحضارة والفكر والتّقانات؟ وهل الواقع اللّغوي ينبئ بضرورة الإسراع لمعالجة المشكلة أو الحدّ منها قبل أن يزداد الأمر استفحالا؟ وكيف يتمّ ذلك؟

هذه المجموعة من الإشكاليات والتّساؤلات الهدف منها: الكشف عن حقيقة هذه التعدّديّة وتبيان أبعادها وآثارها العلميّة، الثّقافيّة، الاجتماعيّة.

إبراز المعالم السّياسيّة اللّغويّة لتنميّة اللّغة العربيّة الفصحى والمحافظة عليها باقتراح العلاج الأنجع لتفادي وتجاوز هذه التعدّديّة التي تعدّ عائقا أمام معلّم العربيّة ومتعلّمها.

1-مفهوم اللغة العربيّة الفصحى:

أ/ **لغة:** الفصاحة في لسان العرب «"فصح"، الفصاحة: البيان، ونقول رجل فصيح وغلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أيّ طليق».[1]

أمّا في معجم مختار الصّحاح: «ف-ص-ح، رجل (فصيح) وغلام فصيح أيّ بليغ ولسان فصيح أيّ طليق، ويقال: كلّ ناطق فصيح وما لا ينطق فهم أصمّ». [2] أيّ أنّ الفصاحة هي طلاقة اللسان في التّعبير دون أيّ عقدة.

ب/ اصطلاحا: هناك العديد من التّعاريف للفصاحة نذكر منها: أنّ الفصاحة هي «طلاقة اللسان، أيّ الخلوص من عقدة اللسان، ويؤكد ذلك ما جاء في القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ [سورة طه، الآية: 25-26-27-28].[3]

كما قد عرّف "عمّار ساسي اللغة العربيّة الفصحى بأنّها: "هي اللغة التي تشتمل على نظام لربط الكلمات بعضها ببعض وفقا لمقتضيات دلالتّها العقليّة التي تتضمّنها قواعد النّحو، فيمكننا بالشّكل الأيسر والأفضل من التّعبير عن المعاني".[4]

من خلال هذه التّعاريف نرى أنّ الفصاحة هي أن يستطيع الفرد التّعبير عن شيء بكلّ بساطة وطلاقة ووضوح.

2-مفهوم العاميّة: (Dialect): هي أداة التّواصل التي يستخدمها النّاس في تعلّمهم اليومي: "فهي عبارة عن مجموعة من الصّفات اللغويّة التي تنتمي إلى بيئة خاصّة ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة".[5] كما أنّها عبارة "عن نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميّز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغويّة الخاصّة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامة".[6]

إذن مصطلح العاميّة لفظ شاع استعماله عند العامّة وهو ما يقابل الفصحى، ويعنون به ما شاع استعماله عند العامّة، فهي إذن اللغة العربيّة الفصحى، فقدت جزءاً من

خصائصها النّحويّة والصّرفيّة بفعل آثار التّطوّر الصّوتي والدّلالي، ولذلك قد تباين تعريف العاميّة أنّه هناك من يراها لغة قائمة لذاتها، وهناك من يراها مأخوذة من الفصحى أو مرتبطة بها وتتدرج منها ولكلّ رأي خاص.

3-مفهوم التعدّد اللغوي: يعدّ التعدّد اللغوي ظاهرة خاصّة بالمتكلّم الفردي الذي يستعمل لغتين أو أكثر أو بين الذين يتكلّمون لغات مختلفة متعدّدة، أيّ " هو الوضع اللغوي لشخص ما أو جماعة بشريّة معيّنة تتقن لغتين أو أكثر، أيّ هو عمليّة تلائم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلّمون لغة أخرى.[7]

إذن التعدّديّة اللغويّة هي تمسّ الأفراد والمجتمع على حدّ سواء، كونها عبارة عن لغات عديدة داخل مؤسّسة اجتماعيّة معيّنة، إلاّ أنّنا لا نذكر ما للتعدّد اللغوي من آثار سلبيّة في صعوبة التّواصل، وسوء التّحصيل العلمي والثّقافي والمدرسة، بحيث أصبحت الغالبيّة السّاحقة من الجزائريين بمن فيهم المتعلّمين لا يتحكّمون في أيّة لغة من اللغات، فالمعرب لا يتقن العربيّة بالشّكل المطلوب والموصوف بالمفرنس لا يجيد الفرنسيّة، والنّتيجة إن اختلطت هاتان اللغتان باللهجة وبقيّة اللهجات الأمازيغيّة، وعليه فالحصيلة النّهائيّة أنّ لا لغة للجزائريّين.[8]

4-مفهوم الثّنائيّة اللغويّة: هذا المصطلح هو ترجمة المصطلح الإنجليزي (Bilingualism)، فقد جاء في تعريف "محمّد علي الخولي" أنّها: "استخدام الفرد أو الجماعة للغتين بأيّة درجة من الإتقان، ولأيّة مهارة من مهارات اللغة، ولأيّ هدف من الأهداف".[9]

إذن الثّنائيّة اللغويّة هي ظاهرة فرديّة وظاهرة اجتماعيّة، وفي كلّ الحالات يمكن ان نستعمل الثّنائيّة اللغويّة لأيّ غرض من الأغراض المختلفة، كما يمكن استعمال لغتين أو أكثر كالإنجليزيّة والفرنسيّة في كندا مثلا.

5-الازدواجيّة اللغويّة: الازدواجيّة تعني "وجود نمطين من اللغة يسيران جنبا إلى جنب في المجتمع المعيّن، يتمثّل النّمط الأوّل فيما يطلق على المصطلح اللغة النّموذجيّة

والثّاني جرى العرف على تسميته –على ضرب التّعميم–اللغة المحكيّة، وقد يسمّى الأوّل أحيانا اللغة الرّسميّة "Formal" والثّاني اللغة غير الرّسميّة "Informal".[10]

لذلك فالازدواجيّة هي أن يتحدّث أحدهم بالعربيّة الفصحى ثمّ يتحوّل إلى اللهجة العاميّة، والعكس حسب أهدافه وحالاته، أيّ التّحدّث بلهجة محلّيّة عاميّة مزجت ببعض الفصحى، أيّ هي نتيجة التّفاعل اللغوي الذي يحدث للفصحى والعاميّة.[11]

6–مفهوم التّداخل اللغوي:

أ/ لغة: لقد تعدّدت التّعريفات حول مصطلح التّداخل اللغوي، فقد ورد في المعاجم اللغويّة القديمة عند "ابن منظور": "... وتداخل المفاصل ودخالها دخول بعضها في بعض.

الليث: الدّخال مداخلة في المفاصل بعضها في بعض، وأنشد طرفة: شدّت دخالا مدمجا، وتداخل الأمور: تشابهها والتّباسها، ودخول بعضها في بعض، والدّخلة في اللون: تخليط الألوان في لون".[12]

كما نجد تعريفا له في معجم الوسيط بأنّه: "يقال أدخل: دخل واجتهد في الدّخول (تداخلت الأشياء، داخلت، والأمور: التّبست وتشابهت، ويقال: تداخل فلان منه شيء: خامره: الدّخيل من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم والضّيف لدخوله على المضيف وكلّ كلمة أدخلت في كلامهم وليست منهم"[13] فالتّداخل إذن هو تداخل شيء في شيء آخر أيّ بمعنى تداخل لغة في لغة أخرى ما ينتج عنه لغة ثالثّة مركبة تكون مزيجا بين اللغتين.

ب/ اصطلاحا: فقد جاء مفهوم التّداخل في قاموس اللسانيات وعلوم اللغة أنّه: "كلّ متكلّم عليه أن يستخدم في لغته الأصل عدّة خصائص منها الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والمعجميّة للغة أجنبيّة من غير لغته".[14]

لذا يصطلح على مصطلح التّداخل أنّه: "نفوذ بعض العناصر اللغويّة من لغة إلى لغة أخرى مع تأثير الواحدة في الأخرى، والمقصود هنا بالعناصر اللغويّة مكونات اللغة من حروف وألفاظ وتراكيب ومعانٍ وعبارات".[15]

إذن التّداخل اللغوي هو الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف، أي هو تبادل التّأثير والتّأثر بين لغتين مختلفتين.

7-أسباب التّداخل اللغوي وبواعثه: إنّ التّداخل اللغوي في الجزائر له أبعاد ومستويات متباينة لأنّه يعتري تواصلا مختلفا من الكلمات المنبثقة من اللغة المركزيّة وكلمات أخرى من لغة أجنبيّة ما أثار احتكاكا وتشابكا بين تلك اللغة الأجنبيّة واللغة الأمّ الذي تفرضه عوامل عديدة من بينها:

- **العوامل الثّقافيّة:** فالعلاقات الثّقافيّة لها أثر فعّال في التّبادل الثّقافي والتّأثر والتّأثير في لغات العالم من بينها ما يلي:

أ/ الصّحافة: تعدّ من أهم الوسائط المهمّة التي تسهم في التّأثير على المجتمع وفي توجيهه الرّأي العام وتنوير عقول النّاس والارتقاء بسلوكهم ولغتهم[16]، إلاّ أنّنا اليوم نجد الصّحافة لها قاموس لغوي خاص بها يميل إلى الحداثة والعصرنة ومواكبة التّطوّر العلمي واللغوي، وبهذا فهو لا يمتّ بصلة إلى العربيّة، وهذا ما يثير اضطرابا متزايدا بسبب تدني المستوى اللغوي للصحفي وضعف التّحكّم في اللغة العربيّة واستخدام الكلمات والألفاظ العاميّة والدّخيلة التي ألّفها النّاس نتيجة قراءاتهم للجريدة اليوميّة.

ب/ الجرائد: تلعب الجرائد دوراً أساساً في رفع أو تدنّي المستوى اللغوي، لأنّ معظم الصّحافيين يستعملون كلمات دخيلة لمجاراة اللغة الإعلاميّة السّريعة وإسقاط البناء اللغوي ونجد حتى أنّ هناك إقبال واسع على قراءة الجرائد النّاطقة باللغة الفرنسيّة، وهذه العوامل كلّها تؤثّر سلباً على لغة مجتمعنا.

ج/ الإذاعة: بالرّغم ما للإذاعة من دور في تحسين وتوعيّة المستمع بمختلف القضايا إلاّ أنّنا لو تفحّصنا الوضع اللغوي في الخطاب الإذاعي لوجدناه خليطا من العربيّة والعاميّة والأمازيغيّة في بعض الإذاعات وحتى استخدامها بعض الكلمات الأجنبيّة وذلك بحجّة إيصال المعلومة لكلّ فئات المجتمع.

د/ القنوات التّلفزيونيّة: أصبح الفرد الجزائري اليوم همّه الوحيد تتبّع التّطوّر الحاصل في الوسائل الاتصاليّة الحديثة بما فيها التّلفزيون، الإنترنت، مواقع التّواصل الاجتماعي، ما جعلها تؤثّر على لغته وعلى سلوكه خاصّة عند الطّفل لأنّه يصبح يقلّد كلّ ما يراه ويسمعه، وبالتّالي تحدث تشوّهات على مستوى اللغة التي يتلقّاها الطّفل أو المستمع، وهذا هو ما يسمّى بالتّداخل الذي يمسّ كلّ المستويات اللغويّة بما فيها: الصّوتيّة، الصّرفيّة، النّحويّة، الدّلاليّة والمعجميّة لذلك يجب أن نراعي في هذه الوسائل السّمعيّة والبصريّة غرس الفصحى وتنميتها وتهذيب العامّيّة، ومن الضّروري أن يكون هناك تخطيط لغوي قائم على التّنسيق أمّا من العوامل الأخرى نذكر منها ما يلي:

-**العامل التّاريخي:** ويعتبر هذا العامل من أهمّ العوامل التي أثّرت وتأثّر بها الفرد الجزائري وذلك للأساليب التي استعملها الاحتلال الفرنسي لقمع وطمس اللغة العربيّة وتكريس الازدواجيّة اللّغويّة في الجزائر وتمثّل ذلك في:

– الاحتلال بأشكاله وأساليبه المختلفة والطّرائق التي كان يتعامل بها من ترسيخ اللّغة الفرنسيّة ومنع تدريس العربيّة وذلك بهدمه المساجد وبناء الكنائس، وفرض اللّغة الفرنسيّة وغيرها من الأعمال التي تهدف إلى طمس هويّة الشّعب وامتداد هذا الغزو الثّقافي إلى غايّة ما بعد الاستقلال حيث واصل ذلك عبر إرسال معلّمين أجانب لإعادة بناء الوضع الدّاخلي وكان الهدف من ذلك متابعة الاستعمار لكن ثقافيا، فبالرّغم من احتكاك وتداخل الثّقافتين اللّغة العربيّة والفرنسيّة وتصارعهما قد تنشأ وضعيّة عامة الشّعب وامتدت إلى غايّة اليوم.

لذلك فقد أدّت ظاهرة الاستعمار إلى ظهور صراع لغوي جعل الفرد الجزائري يواجه ثقافتين ولغتين والتي كانت سبب في نشوء الازدواجيّة اللّغويّة حيث يقول الدّكتور الزّبيري "إنّ اللّغة قد تأخرت باعتبارها وسيلة ثقافيّة علميّة عصريّة، وهو ما تسبّب في شلّ التّعليم وزيادة في خطورة الجهل الموروث عن الهيمنة الاستعماريّة".

لذلك فإنّ تنامي اللّغة الأجنبيّة وترويج فكرة أهمّيّة اللّغة الأجنبيّة على حساب اللّغة العربيّة وبخاصّة في السّنوات الأولى من التّعليم يقول رمضان عبد التّواب متعجباً من

هذا الوضع الذي صار عليه الفرد في الجزائر "لا تعجب حين ترى بعض المتعلّمين ينطق اللّغة الأجنبيّة على وجهها الصّحيح حتى إذا رام الحديث بالعربيّة الفصحى تلعثم وارتبك، وأخطأ ولحن وحرفها وخلطها بالرّديء من الأساليب العاميّة كما يخلط عملاً صالحاً بآخر الشّيء".

لذلك يتّضح أنّ الاستعمار قد شوّه اللّغة العربيّة وجعل اللّغة الفرنسيّة لغة قوميّة باعتبارها الوحيدة الممثّلة للأمّة الفرنسيّة كما أسهمت على الحفاظ على الهويّة الفرنسيّة وطمس الهويّة الجزائريّة.

– **العامل النّفسي:** أصبحنا لنجد الفرد الجزائري يشعر بالإحباط عندما يستخدم اللّغة العربيّة الفصحى، وكأنّها ليست لغة علم وتطوّر وحضارة، بحيث نجد الذين يدرّسون اللّغة الأجنبيّة يفتخرون ويعتزّون لكونهم يدرّسون هذه اللّغة باعتبارها لغة علم وتطوّر يقول الدّكتور عبد الله شريط "بينما كنّا في ظلّ الاحتلال نتكلّم العربيّة في بيوتنا وحياتنا اليوميّة والفرنسيّة في الإدارة والحياة العامّة لوجود الفرنسيّة كلغة احتلال يسيّرنا بها الفرنسيون لكن اليوم على أنّ هذه الوضعيّة لم تتغيّر بدلاً من أن يكون الفرنسيون هم الذين يفرضون علينا لغتهم أصبحنا نحن الذين نفرضها على أنفسنا وعلى أطفالنّا" ، لذلك نستنتج أنّ هذه من أكبر الأسباب التي أدّت إلى وجود هذه الظّاهرة الاستعماريّة الذي شهدته الجزائر إضافة إلى الرّحلات والهجرات بين الدّول التي ساعدت بكثير على انتشار هذه الظّاهرة.

– **العامل الاجتماعي:** أصبحنا نجد أنّ المجتمع الجزائري يحمل خليطاً من اللّغات بين العربيّة والفرنسيّة وغيرها من اللّهجات، وهذا دليل على ضعف اللّغة العربيّة وطريقة إتقانها، وهو ما أثّر على العمليّة التّواصليّة بين أطراف المجتمع حيث نجد الكثير من الأشخاص لا يستطيعون الإبداع أو التّعبير بشكل فصيح عن أغراضهم والعجز عن توصيل رسالاتهم.

إنّ المستوى الاجتماعي أكثر المستويات تمثيلا لهذا التّداخل والخلط من اللّغة والازدواج، فالحديث مع الأشخاص يكون مزدوجاً فمثلاً نسمع ركب طاكسي (سيارة

أجرة)، وذهبت إلى الكلينيك (عيادة) من أجل كنترول (فحص) إلى غير ذلك من الاستخدامات اللّغويّة التي تتداخل فيها مستويات من لغتين مختلفتين لذلك نستنتج أنّ للّغة أهمّيّة كبيرة وهي أساس للوجود المتواصل في هذه الحياة من أجل التّعبير والإبداع عن حاجات الفرد إلاّ أنّها لم تحقّق أهدافها بل بقيت بعيدة عن مكانتها الرّئيسة نتيجة اللّغات واللّهجات التي احتلّتها.

– **العامل الاقتصادي:** يعدّ العامل الاقتصادي من العوامل المؤثرة على نشوء هذا التعدّد وتنميته وذلك راجع إلى التّبادلات التّجاريّة والصّناعات المشتركة بين الأجانب لأنّ عمليّة التّصنيع تعدّ من بين العوامل التي ساعدت على تعدّد اللّغات، لأنّ أغلبيّة الأشخاص يتعاملون مع عمال ذوي جنسيات مختلفة، وكذلك عمليّة الهجرة والتّبادل التّجاري حيث نجدهم يرفضون لغتهم بطريقة غير مباشرة، وبهذا يصبح الفرد الجزائري يحمل ثقافات وأفكاراً مختلفة ولغات متعدّدة لذلك فإنّ هذه التعدّديّة تلعب دوراً كبيراً في تنامي هذا الوضع اللّغوي.

8–التّداخل اللغوي وإسقاطاته على الواقع اللغوي في الجزائر: إنّ للتداخل اللغوي مجالات ومواضع يقع عليها داخل اللغة، هذا قد يحصل في الأصوات والألفاظ والجمل، كما يقول "صالح بلعيد": "وعلى العموم فإنّ مصطلح التّداخل في عمومه يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف، وقد تكون للبيئة الاجتماعيّة التي يعيش فيها الطّفل فعاليّة أكثر في توجه سلبي أو إيجابي تجاه لغة ما أكثر من الأخرى وهنا يظهر أثر اللغة الأجنبيّة في اللغة القوميّة".[17]

لذا فإذا استقرأنا الواقع اللغوي في الجزائر اليوم لوجدنا أنّ الفرد الجزائري يتكلّم خليطا من الدّوارج باختلاف مناطق الوطن، إضافة إلى الفرنسيّة والعربيّة بحيث أصبح الأفراد اليوم لا يعرفون الفصحى إلاّ مكتوبة، أمّا العامّيّة واللغات الأجنبيّة فهي تحاصرهم في كلّ مكان وتقرع آذانهم داخل البيت والمدرسة وفي المجتمع.

لذلك فهذا الاستعمال الدّائم للغة على حساب لغة أخرى يثير الجدل، لأنّ اللغة أصبحت تعاني من ضعف الأداء اللغوي وهيمنة اللهجات العاميّة وعدم سلامة النّطق والازدواجيّة اللغويّة.

فكلّ هذا يكاد يحوّل العاميّة الجزائريّة إلى عاميّة فرنسيّة، وهذا ما يجعل الفرد الجزائري يعتقد أنّه يتكلّم باللغة العربيّة، بينما هي عاميّة جزائريّة أو ما يسمّى باللغة اللاواعيّة، لأنّ المتكلّم بهذه العاميّة الهجينة لا يعي أنّه يتكلّم باللغة الفرنسيّة، بل يعتقد أنّه يتكلّم بعاميّة جزائريّة عربيّة، وهذه هي المعضلة الكبرى لأنّنا اليوم بحاجة ماسّة إلى جهود لتنظيم هذا التّداخل والتعدّد اللغوي وترتيب الشّأن اللغوي، ووضع سياسة لغويّة وتخطيط لغوي الذي يقع تنفيذه على عاتق الدّولة ومؤسّساتها حتى تمكّن أفراد المجتمع من اختيار المنهج الملائم لتفادي هذا التّهجين والتّشويه اللغوي الحاصل والدّعوة إلى تهذيب العاميّات وتقريبها من الفصحى، وترسيخها عن طريق الاستعمال والتّحصيل المباشر في مختلف المجالات والمؤسّسات.

ومن بين الألفاظ المتداولة والشّائعة في الوسط الجزائري نذكر منها على سبيل التّمثيل لا الحصر ما يلي:

اللفظ الفرنسي المستعمل	المقابل العامّي المستعمل	المقابل العربي المهمل
Ordinateur	ميكرو	حاسوب
Vaccin	فكسان	تلقيح
Clinic	كلينيك	عيادة
Taxi	طاكسي	سيارة الأجرة
Chambre	شومبرا	غرفة
Pharmacie	فرمسيان	صيدليّة
Douche	الدّوش	غرفة الاستحمام–الحمّام
Téléphone	تلفون	هاتف
Fac	لفاك	كلّيّة
Salon	الصّالة	غرفة الضّيوف

Poste	لبوست	البريد
Cuisin	كوزينا	المطبخ
Portable	بورتابل	محمول-جوّال
Prof	بروف	أستاذ
Radio	راديو	مذياع
Lampe	لمبة	مصباح كهربائي
Restaurant – Rest universitaire	ريستو	مطعم جامعي

9-الحلول المقترحة للحدّ من إشكاليّة التّداخل وتحقيق الانسجام الجمعي والأمن الثّقافي: إنّ الاهتمام بمختلف مكوّنات المجتمع يؤدّي حتما إلى الانسجام الجمعي وتقويّة الأمن الثّقافي في المجتمع، لذلك فمن بين الاقتراحات التي نراها مهمّة للحدّ من إشكاليّة هذا التّداخل اللغوي والحفاظ على سلامة اللغة العربيّة وبلوغ التّعبير الأحسن والأبلغ بها نذكر ما يلي:

* السّعي للابتعاد قدر الإمكان من التّحدّث بالعاميات باللغة الأجنبيّة في المدارس والجامعات وفي وسائل الإعلام السّمعيّة والبصريّة والجرائد، والتّحفيز على الكتابة السّليمة ومراجعة النّصوص الإعلاميّة من النّاحيّة الإعلاميّة قبل نشرها؛

* تصميم استعمال اللغة العربيّة خاصّة من قِبل الأسرة وتحصين الأولاد من الاختراقات الثّقافيّة واللغويّة الهدّامة؛

* التّحدّي لأعاصير التّكنولوجيا والعولمة الثّقافيّة؛

* دعوة المدارس إلى التّفعيل اللغوي داخل الأنماط اللغويّة السّليمة، وان يكون المعلّم القدوة في الاستعمال اللغوي؛

* اعتماد اللغة العربيّة في شتّى مجالات البحث العلميّة والتّكنولوجيّة وبخاصّة في مجال الشّابكة أو الإنترنت، وهذا من شأنه أن يثري العربيّة ويساعد على بناء مجتمع المعرفة والإدارة الإلكترونيّة؛

* جعل اللغة العربيّة الفصحى لغة التّعليم، وجعل إتقان الفصحى شرطاً في كلّ تعيين بهذه المهنة؛

* وضع سياسة لغويّة واضحة المعالم، تحتلّ فيها اللغة العربيّة مكانة الصّدارة سواء على المستوى السّياسي أم الاجتماعي أم التّعليمي التّربوي، وذلك دون إهمال تعليم اللغات الأجنبيّة باعتبارها نافذة على العالم؛

* تفعيل دور المجامع اللغويّة في عمليّة الخلف اللغوي واعتماد العلميّة في كلّ التّخصّصات، ممّا سيعود بالفائدة على اللغة العربيّة؛

* إنشاء لجان وهيئات تهتمّ بالمصطلحات ومراقبة السّلوك اللغوي اليومي وبخاصّة الهجين اللغوي؛

* إصدار قانون ينص على أنّه لا يجوز نشر إعلان بلغة هجينة أو عاميّة، بل يفرض اللغة العربيّة الفصحى.

خاتمة: توصّلنا من خلال هذه المداخلة: أنّ اللّغة العربيّة تبقى ذلك النّموذج المثالي الذي يحاول كلّ فرد أن يحذو حذوه نطقا وكتابة، وذلك لما له صلة بقرآننا الكريم، فقد تكفّل الله تعالى بحفظها بقوله: ﴿إنّ نحن نزّلنا الذّكر وإنّ له لحافظون﴾، ولذلك واجبنا بالنّسبة لهذه اللّغة هو الحفاظ عليها بنشرها ، لأنّها إرث عظيم تركه أجيالنّا بالأمس إلى أجيالنّا اليوم والغد، إذ أنّها لغة صالحة لكلّ العصور لكونها تمتلك أسسا وطرائق تجعلها حيّة مستمرّة ونافعة عبر كلّ الأزمنة كالقياس والاشتقاق والنّحت وغيرها ولذلك فإنّ اللّغة العربيّة مهما أثرت وتأثّرت إلاّ أنّها ما زالتّ تحافظ على مكانتها وعلى قواعدها ومبادئها الأساسيّة، طالما هناك في اللهجات الرّسميّة من تظلّ تعمل جاهدة على تأصيلها وترسيخها عن طريق الاستعمال والتّحصيل المباشر في مختلف المجالات والمؤسّسات وعلى رأسها المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الجزائر الذي ظلّ يسهر على ترقيتها والنّهوض بها على جميع المستويات.

قائمة المصادر والمراجع:

-1Dictionaries de linguistique et des sciences des langue, Larousse italie, 1999,.

2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2003.

3- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت، ط 3، 1994م.

4-باديس لهويمل، ونور الهدى حسيني، التعدّد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللغة العربيّة.

5-الرّازي، مختار الصّحاح، مادة (ف ص ح.

6-رشيد فلكاوي، أثر التّداخلات اللغويّة في الأداء الكلامي عند الطّالب الجامعي، دراسة عيّنة من طلبة قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة بجايّة، 2005-2006.

7-صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، دار هومة، الجزائر، ط 3 2000.

8-عبد الرّحمان الحاج صالح، السّماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة موفم للنشر الجزائر، (د ط)، 2007.

9-عمّار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤيّة علميّة في الفهم، المنهج الخصائص، التّعليم، التّحليل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005، د ط.

10- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي -مدخل- دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة، ط 3، 1997.

11-محمّد الأورافي، التعدّد اللغوي وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي منشورات كليّة الآداب، ط 1.

12-محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثّنائيّة اللغويّة، دار الفلاح للنشر عمان 2002.

13-محمّد محمّد داود، العربيّة وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة، 2001.

14-المعجم الوسيط، ج 1، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، ط 2، 1985.

الهوامش:

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصح)، ص 3419.

[2]– الرّازي، مختار الصّحاح، مادة (ف ص ح)، ص 211.

[3]– عبد الرّحمان الحاج صالح، السّماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر الجزائر (د ط)، 2007، ص 53.

[4]– عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤيّة علميّة في الفهم، المنهج، الخصائص التّعليم، التّحليل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005، د ط، ص 104.

[5]– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2003، ص 15.

[6]– د. محمّد محمّد داود، العربيّة وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة، 2001، ص 64.

[7]– محمّد الأورافي، التعدّد اللغوي وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، منشورات كليّة الآداب ط 1، ص 11.

[8]– باديس لهويمل، ونور الهدى حسيني، التعدّد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللغة العربيّة، ص 116.

[9]– محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثّنائيّة اللغويّة، دار الفلاح للنشر، عمان، 2002 ص 18.

[10]– د. كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي –مدخل–دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة ط 3، 1997، ص 186.

[11]– محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، المرجع نفسه، ص 124.

[12]– ابن منظور، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، دار صادر، بيروت، ط 3، 1994م ص 243.

[13]– المعجم الوسيط، ج 1، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، ط 2، 1985، ص 288.

[14]–Dictionaries de linguistique et des sciences des langue, Larousse italie, 1999, p 252.

[15]– محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، دار فلاح للنشر والتّوزيـــع، الأردن، د ط، 2002 ص 91.

[16]– رشيد فلكاوي، أثر التّداخلات اللغويّة في الأداء الكلامي عند الطّالب الجامعي، دراسة عيّنـــة من طلبة قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة بجاية، 2005–2006، ص 82.

[17]– صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، دار هومة، الجزائر، ط 3، 2000، ص 124.

القّيمة المعرفيّة للتسامح اللّغويّ في الحفاظ على الأمن الهويّاتي والتنوّع الثقافيّ في الجزائر

الدّكتورة: براهمي فطيمة

جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس–

الملخّص: عماد أي أمّة من الأمم هو لغتها، تفتخر بها، وتتهل منها، ومنها تستلهم قيّمها وقيمتها، فكانت اللّغة العربيّة هي إحدى المقوّمات الثّابتة في المجتمعات العربيّة الإسلاميّة، نظرا لما تزخر به من ثراء لغوي ومعرفي. تشكّل اللّغة العربيّة إحدى الأسلحة الثّقافيّة من جهة، ومن جهة أخرى تمثّل فضاءً رحبًا للتّسامح اللّغوي مع اللّهجات أو بين اللّغات الأخرى.

الكلمات المفتاحيّة: القيمة المعرفيّة، التّسامح اللّغويّ، الحفاظ، الأمن الهويّاتي التّنوّع الثّقافيّ، الجزائر...

مقدّمة: تنهض العلاقات بين البشر على مجموعة قيم ومعايير متنوّعة، تكفل لهم التّواصل فيما بينهم، وتسمح لهم بالتّفاهم وفق جملة من الأفكار الجديدة الملائمة التي نصّتها هيئات مختلفة، وسطرت لها قوانين يسيرون وفقها، فكان التّسامح اللّغوي أبرزها لما له من قيمة وأهميّة في التّعامل والتّواصل، فهذا الأخير يسهّل عمليّة الحفاظ على الأمن الهوياتي لأيّ بلد من بلدان العالم ويهدف إلى إبراز تنوّعه الثّقافي فاتّجهت الشّعوب إلى الاقتراب من بعضها البعض.

من خلال هذا الطّرح تروم هذه الورقة البّحثيّة حول التّسامح اللّغوي وماهي القّيمة المعرفيّة للتّسامح اللّغويّ؟ وكيف أسهم في الحفاظ على الأمن الهويّاتي؟ وكيف تعامل التّسامح اللّغويّ مع التّنوّع الثّقافيّ في الجزائر؟ هذه الأسئلة وغيرها سيتمّ الإجابة عنها من خلال هذه المداخلة.

1-الإطار المفاهيمي للتّسامح اللّغوي: لا يمكن الحديث عن القيمة المعرفيّة للتّسامح اللّغوي في الحفاظ على الأمن الهوياتي والتّنوع الثّقافي في الجزائر دون الوقوف على بعض المصطلحات التي تؤثّث هذه المداخلة وتبنى عليها، سيتمّ التّطرّق أوّلا إلى مصطلح التّسامح، لتليه بقيّة المصطلحات.

أوّلا-مفهوم التّسامح: تعدّدت التّعاريف وتنوّعت حول مصطلح التّسامح، حيث يحدّد "**منير البعلبكي**" في **(قاموس المورد)** معنيّين لكلمة التّسامح: «1-تشتقّ كلمة التّسامح في الإنجليزيّة من الكلمتين اللاتينيتين ...أيّ يعاني ويقاسي. 2-Tolerantion وتعني لغويا التّساهل»[(1)].

تجمع بعض الآراء على أنّ الفكر الثّقافي العربيّ لم يستخدم مصطلح التّسامح بل استعمل بدلا منه مصطلح التّساهل، فلا يوجد فرق بينهما، حيث ارتبط بالحرّيّة والمواطنة في الدّولة الحديثة، وترجمة كلمة التّسامح كانت هي الشّائعة اليوم، والسّبب راجع إلى جذرها اللّغوي للترجمة العربيّة **(سمح)**، الذي يقترب من المعنى الأجنبي لها وهي مرتبطة بالصّفح ولين الجانب والتّساهل [2]. إنّ مفهوم التّسامح متداول في كلّ البيئات الإيديولوجيّة، ويتمّ التّعامل مع هذا المفهوم ولوازمه الثّقافيّة والسّياسيّة باعتباره ثابت من ثوابت المجتمعات المتقدّمة لذلك، وبعيدا عن المضاربات الفكريّة والتّوظيفات الإيديولوجيّة المتعسّفة. نحن بحاجة إلى ضبط المعنى الجوهري لهذا المفهوم وتحديد مضمونه وجذوره الفلسفيّة وبيان موقعه في سلم القيم والمبادئ الاجتماعيّة [3]. يشكّل التّسامح: «فضيلة حين يكون مرتبطا بما هو أسمى منه ضمن إطار سلّم القيم نفسه....»[(4)]. يعبّر التّسامح عن :« موقف فكري وعملي قوامه تقبّل المواقف الفكريّة العمليّة التي تصدر من الغير سواء كانت مواقف أم مخالفة لمواقفنا »[(5)] .كما أنّ التّسامح : « هو التّعامل مع غير المسلم وفق الحكمة اللّين والمعروف ،سواء ذلك في التّعامل في الخطاب أم في مطلق التّصرف»[(6)]. وبهذا يبقى التّسامح فضيلة من الفضائل المهمّة التي تقوّي قواعد التّآلف والقربى بين كلّ الأطراف، توضّح الصّورة

أدناه الأسباب الحقيقيّة التي كانت عاملاً مهمًّا في البحث عن سبيل للتّسامح، فغالبا ما كانت الكنيسة تحارب الأفكار والعلم من أجل الحفاظ على كيانها وهيبتها في المجتمع.



ثانيا-التّسامح اللّغوي: تمثّل اللّغة العربيّة آداةً للتّواصل والاتصال بين البّشريّة وتملك مكانةً مشرّفةً عند الله عزّ وجلّ، وهي لغة حاضرة بماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأي تطور وارتقاء لا يكون إلاّ باللّغة، ووجودها مرهون بوجود الأمّة أو الشّعب، فبواسطتها يحصل التّواصل وعن طريقها تتحقّق الخبرات، وتكتسب المهارات، وبها يتمّ المحافظة على حضاراتهم وتراثهم، ويسايرون التّطوّر، العولمة والتّكنولوجيا.



استطاعت اللّغة العربيّة أن تجد لنفسها مكانًا في السّاحة العالميّة، ونافست ولا تزال تنافس مختلف لغات العالم، وتسعى لأن تتبوأ مكانة راقيّة متميّزة، أمّا إذا تحدّثنا عن اللّغة العربيّة برفقة قريباتها، حيث أصبح التّسامح بين اللّغات والتّعايش فيما بينها متاحا ذلك: «أنّ ترقيّة اللغة الأمّ تسهّل تحسيس الشّباب بقيم العيش معاً والتّسامح والتّعايش اللّغوي والأخوة.....»(7)، وهذا كان من أهداف العديد من المنظّمات والهيئات في إرساء ثوابت الأمّة، وتضمن لها هويّتها وتراثها الغنيّ المتنوّع .



مجموعة طلاّب وهم يحملون أعلاما مختلفة يعبّرون عن التّحام عالمي وثقافي متنوّع



التّسامح بألسنة مختلفة: يمكن اعتبار التّسامح: «حق أصيل من حقــوق الإنســان ويجد منبعه الرّئيس من قيمة الحريّة والقدرة على الاختيــار»(8). ودخــل مصــطلح التّسامح مجال الفلسفة واهتم به العديد من الفلاسفة من بينهم "**جون جاك روسو**"،" **رينيه ديكارت**"، "**رينيه وليك**" "**جون لوك**"، و "**باروخ سبينوزا**" وغيرهم، حيث ذهــب هــذا الأخير إلى أنّ : « أسوء موقف توضع فيه الدّولة هو ذلك الذي تبعث فيه إلى المنفــى بالشّرفاء من رعاياها، لا لشيء إلاّ أنّهم اعتنقوا آراء مخالفة لا يستطيعون إخفاءها»(9). وبهذا التّسامح في الفلسفة كان مرتبطا بالكنيسة وأخذ منحى أخر من حيث مفهومه.

2-الأمن الهوياتي: تعدّ مسألة الأمن الهوياتي من القضايا الشّائكة والمعقّدة، فهــي تضمّ بين كلمتين لكلّ منهما أهمّيّة بالغة القصوى، الكلمة الأولى الأمن، والكلمة الثّانيّــة الهوياتي (**الهويّة**). ارتبط مصطلح الأمــن الهويــاتي بــالأمن الاجتمــاعي، الثّقــافي والسّيّاسي، والاقتصادي وبهذا شكّلت الهويّة إحدى الأسس المهمّة في العصر الحديث.

يذهب الأفراد إلى تعريف ذواتهم انطلاقا من المكانة التي يحتلّونها داخــل المجتمــع والدّور الذي يلعبونه فيه، وبالتّالي الهويّة من هذا المنظور تعكس صورة الــذّات مــن خلال تواجدها داخل المجتمع، وهي مرتبطة بهدف وتصنيف معيّن، ولها مكانة أيضــا وهي تبيّن مدى معرفة الفرد بكينونته[10]. وتبقــى الهويّــة مــن: «المفــاهيم الملتبســة

والخلافيّة وهي ذات حضور دائم في مختلف العلوم والحقول المعرفيّة، ويرتكز معناها العمومي الذي تتفرّع منه شجرة كبيرة من المعاني، فكونها تعبّر عمّا يحيل على كينونة الشّيء ومعناه أو يدلّ عليهما، أو كما في المنطق الأرسطي ما يجعل الشّيء مساويا وقريبا لنفسه، أيّ ما يجعله هو»[11] .و من جهة أخرى فالهويّة :« تشير إلى شعور شخص بمن هو وماهي الأشياء الأكثر بالنّسبة له....... »[12] . وبهذا ترتبط الهويّة بذاتيّة الفرد ومشاعره والأشياء الأكثر ارتباطا به.

يذكر "**عبد المنعم الحفني**": «الأمر المتعلّق من حيث أنّه مقول في جواب ما هو يسمّى ماهيّة، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمّى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمّى الهويّة»[13] . بالإضافة إلى هذا فهي: « مقولة تعبر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته، ويتطلّب تعيين هويّة الأشياء أن يكون قدر تمييزها مسبقا، ومن ناحيّة أخرى، فإنّ الموضوعات المختلفة غالباً ما تحتاج إلى تحديد هويّتها بهدف تصنيفها وهذا يعني أنّ الهويّة ترتبط ارتباطا لا يمكن فصمه بالتّميّز بين الأشياء»[14] ويضيف "**محمّد الجرجاني**" عن الهويّة: «هي الحقيقة المطلقة المشتملة على اشتمال النّوّاة على الشّجرة في الغيب المطلق»[15] وبهذا الهويّة هي من تحدّد كينونة الإنسان وإحدى ثوابت الأمّة الرّاسخة في المجتمع فبواسطتها يمتلك الإنسان وجوده الحّقيقي وحقّه الشّرعي. والحديث عن الهويّة لا يكون بمعزل عن الأمن، حيث وردت العديد من السّور القرآنيّة التي تولّي أهمّيّة للأمن والسّلام ونشره بين جميع البشر: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [16]

وفي آيّة أخرى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (البقرة 126). وردت كلمة الأمن في لفظة آمنة مطمئنة وبلدا آمنا.

ينطلق المعنى العام للأمن من المستوى النّظري والعملي للوصــل إلــى:«السّــلام والطّمأنينة وديمومة الحياة واستمرار مقوّماتها وشروطها بعيدا عــن عوامــل التّهديــد ومصادر الخطر»[18]. و يضيف أيضا: «الإنسان هو الخليّة الأولى في بناء الجماعــة الإنسانيّة والعنصر الأساس في تكوينها، فإنّ من الطّبيعي والحتمي أن يصبح (الأمــن) بوصفه المطلب الأوّل لكلّ جماعة إنسانيّة أيضا» [19] . تتوقّف حياة الشّعوب كلها على السّلام والأمن داخلها، وصار من الأوليات والمطالب الرّئيسيّة فــي أيّ مجتمــع مــن المجتمعات: «.... يؤكّد على أولويّة الأمن وتقدّمه على كلّ مطلــب واحتيــاج آخــر سارت النّشاطات الإنسانيّة كلّها، ليصبح هذا المطلب الجوهر الدّائم للحيــاة، والمحــور الذي تدور حوله أفكارها وأنشطتها، بحكم ضرورته وأولويته.... بمــا يــوفّر للفــرد والمجتمع من شروط الاستقرار اللازمة للإبداع وتداول المعرفة والخبــرة وتطويرهــا ومراكمتها...» [20]. ومنه لا يمكن الاستغناء عن الأمن الهوياتي، وتتحــدّد شخصــيّة الفرد من خلال شعوره بالأمن والرّاحة داخل مجتمعه ووطنــه ولا يتحقّــق هــذا إلاّ بتظافر الجهود من أجل حمايته كانسان وحمايّة ممتلكاته وأرضه وثقافته ولغته.

3-التّنوّع الثّقافي: اكتسب مفهوم التّنوّع الثّقافيّ حضورًا لافتا للانتباه في مختلــف الدّراسات والأبحاث وصار من المواضيع الرّائجة في السّاحة العالميّة، لما يملكــه مــن قيمة وحظوة كبيرتين إذا تأمّلنا مفهوم التّنوّع الثّقافي، فهو مؤلّف من التّنــوّع والثّقافــة وردت مفردة التّنوّع في الموسوعة البريطانيّة، حيث تعرف التعدّديّــة أو تنــوّع بأنّهــا الاستقلاليّة التي تحظى بها جماعة معيّنة في المجتمع مثل الأقلّيات العرقيّة[21].

إنّ الحديث عن: « كلّ عرض متعلّق بالمسائل الثّقافيّة يتقدّم علــى أرض الكلمــات مضطربة الأمر الذي يجعل من المستحيل فرض مفهومي، اصطلاحي لهــذه الألفــاظ ذاك أنّ دلالتّها تقوم على التّوظيفات في شتّى الإيديولوجيات والأنظمة ....يشهد علــى ذلك الحضور الكلّي لمصطلح " التّنوّع الثّقافي"، ومنصرفاته على عتبة الألفيّة الجديــدة إنّ الدّعوة إلى هذا التّنوّع الثّقافي هي استجواب واسع، كشكول ينطــوي علــى وقــائع

ومواقف متناقضة....»[22]. ومنه : « إنّ الاعتراف بالتّنوّع الثّقــافي بصــفته مكوّنــا أساسيا للحقوق الإنسانيّة هو ظاهرة جديدة......»[23] .

عرف التّسامح تعالقًا كثيرًا بعدة معارف وعلوم، فحظي باهتمام أهل اللّغة، واقتـــرن باللّغة العربيّة والكثير من اللّغات، حتى اقترن التّسامح باللّغــة وأصــبح يطلــق عليــه بـــــــ: "**التّنوّع الثّقافي**" وصار مصطلح شائع ورائج، حيث ارتــبط التّنــوّع الثّقــافيّ بالقيم الاجتماعيّة، وهو بعيد عن السّياسة إلى حدّ ما، وتحصّل على اعتــراف بكيانــه ووجوده الفعلي، وارتبط بالمبادئ والحقوق في المجتمعات المتنوّعــة ثقافيّــاً[24]. ومنــه يظهر التّنوّع الثّقافي في الاختلافات النّابعة عن خيارات فرديّة، وحاملــة للاختلافــات الثّقافيّة، والقريبة من السّلطة في نظام مــن الأنظمــة، وتتجلّــى الأهمّيّــة المشــتركة والمتوارثة تاريخيّاً في ثقافة من الثّقافات، وتبرز عبارة التّنوّع للاحتفالات النّاتجة عــن مزيج من الثّقافات[25].



ثقافة التّسامح تخلق ثقافة الحوار اللّغوي المتعدّد المشارب



يعتبر التّنوّع الثّقافي إحدى الرّوافد والرّكائز الأساسيّة التي تنهض عليها المجتمعات بما يحمله من تصورات، ورموز، وقيم، وأشكال تعبيريّة متعدّدة، وزخم ابداعي ثــري فهو يسهم في إثبات الهويّة والحضارة لأيّ دولة من دول العالم، يرتبط التّنوّع الثّقــافي بالهويّة وباللّغة، ذلك أنّها:«....وعاء للثقافة، وكلاهما من أهم مكونّــات هويّــة الأمّــة ومعلوم أنّ الهويّة هي الخصائص المميّزة التي تميّز فردا أو مجتمعا عن غيــره مــن المجتمعات والملامح التي يعكس طريقة حياته وعاداتــه ومعتقداتــه، والقــيم والمثــل والمفاهيم الحضاريّة التي عبرها تتميّز شخصيّته على ما سواها، ولعــلّ أهــمّ مظهــر لتجسيد هذه الهويّة هو اللّغة ... »[26]. ومن المكوّنات الرّئيسيّة فــي بنــاء العلاقــات الدّوليّة، ويسهم في سبل تطويرها، والسّعي الحثيث إلى خلق آفاق أكثر تفتحًا ونضــجًا، ممّا يسمح بالتّعايش والتّسامح بين جميع البشر، وتنفيذ برامج تثقيفيّة، تعليميّــة متنوّعــة بشأن التّراث والإبداع والتّنوّع يسمح بتيسير مشاركة فئة الشّباب وادماجها في التّــرويج لأشكال هذا التّراث الإنساني المتاخم، وتعزيز المشاركة الفعالة، وتحسيســه بالانتمــاء والهويّة.



التّنوّع الثّقافي وليد حضارات قديمة مرّت بها البشريّة، وأسست من أجلها معالم أثريّة تشهد عليها البشريّة إلى اليوم منها الحضارة الرّومانيّة، الإغريقيّة، الفرعونيّة وبلاد الرّافدين وغيرهم، وهذا التّنوّع وجد ما يؤثّثه ويؤطّره، وصارت الاحتفالات ومهرجانات تقام حوله.



توضّح الصّورة أعلاه التّنوّع الثّقافي من خلال الهندام الذي تلبسه غالبيّة النّساء في اجتماع من الاجتماعات منظّمة اليونسكو.

4-القيمة المعرفيّة: الذي لا ريب فيه أنّنا داخل عصر متطوّر تملك فيه المعلومات أهمّيّة كبيرة في خلق ما يسمّى بـــ:

" **القيمة**"، كما أنّ أي مجتمع بشري يتّكأ على لغته وهويّته وتنوّعه الثّقــافي، يمكــن تقديم تعريف موجز حول القيمة هي: «عبارة عن تنظيمات لأحكاك عقليّــة وانفعاليّــة معمّمة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النّشاط»[(27)] .تكمــن أهمّيّــة القيمــة المعرفيّة في التّسامح اللّغوي، والقدرة التي يمتلكها في عمليّة الخلق والإبداع التي مــن شأنها أن تصنع جسرًا للتّواصل الفكري والاجتماعي واللّغوي والثّقافي لا يرقــى إلــى مستوى معيّن، إذ لم يعتمد على التّكنولوجيات والرّقميات في إرساء عوالمــه وثوابتــه ولا يتحقّق التّسامح اللّغوي أيضا إلاّ عن طريق وسائل الاتصال لنشره، فالجزائر بكــلّ هيئاتها مطالبة بنشر التّسامح في اطار يكفل له الاســتمراريّة عــن طريــق الأمــن الهويّاتي، والجزائر كغيرها من بلدان العالم تولّي أهمّيّة للتّسامح اللّغوي للّغــة العربيّــة مع بقيّة اللهجات المحليّة ولغات العالم ذلك أنّ: «بالعربيّة نمــارس وجودنــا الثّقــافي والعلمي وبلغاتنا القوميّة نمارس وجودنا الفنّي والفكري التّخصّصي »[(28)]. كما أنّه تُبْنَى اللّغة العربيّة عزّة وشرف المجتمع، وتزرع المبادئ والقيّم والاحترام والأخلاق، فوجب التّمسك بالتّسامح اللّغوي فهو محور ثقافتنا وهويّتنا والانتماء الحقيقي لنا، ذلك أنّ اللّغــة الأمّ فهو الموحّدة، تنهض حضارة الأمم بلغتها والتّسامح مع اللّهجــات المحيطــة بهــا والمجاورة لها [29]. و منه التّسامح اللّغوي هو من الأمارات أو الأيقونات التــي تــدخل على شخصيّة الأمّة وذاتيتها، وهذه الأخيرة مرتبطة بثقافة أي أمة من الأمم تتجلى فــي التّراث الفكري و الرّؤى الحضاريّة للمجتمعات ولا تتم إلا عبر لغتها[30] .

يسهم التّسامح اللّغوي في الحفاظ على أمن المجتمع و سيادته، و يسعى لبنــاء فكــر واع يتقبّل الآخر بأيّ صورة من الصّور سواء كانــت اللّهجــات المحليّــة أم اللغــات الأجنبيّة العالميّة، وبهذا اكتسب التّسامح اللّغوي قيمة معرفيّة كبيرة تتمثّل في بــثّ روح المواطنة وخاصّة أنّ الهيئات والمنظّمات العالميّة صار أحد انشغالاتها من أجل إرســاء

السّلام بين لغات العالم وبثّ روح المواطنة فيما بينها، وبهذا يرى "**صالح بلعيد**" أنّه بات من: «اللزوم تخطيط سياسة لغويّة للغات الرّسميّة وفق تراتب عربيّة تحتاج إلى تجسيد قرارات استعمالها في مختلف مراحل التّعليم والإعلام والإدارة.... المواطنة اللغويّة تعني في أحد وجوهها ربط الفرد بدولته وبقوانينها، وجميع أبناء الوطن يتمتّعون بتلقي لغات الوطن دون أي تمييز مع المحافظة على التّربيّة اللغويّة، وهي من متطلّبات الثّلاثي العالمي: الحوار+ التّسامح + السّلام، لتحقيق خريطة طريق تعمل على تحقيق التّخطيط اللغوي المطلوب»[31] .وفي هذا الصّدد سعت الجامعات الجزائريّة بما فيها المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى إقامة العديد من النّدوات والملتقيات من أجل البحث في قضيّة التّسامح اللّغوي واقتراح حلول وتقديم طروحات بشأنه.

خاتمة: حاولنا من خلال هذا البحث أن نسلّط الضّوء على بعض المسائل التي تتعلّق بالتّسامح اللّغوي، وتمّ التّوصل إلى مجموعة نتائج نجملها فيما يأتي:

-التّسامح اللّغوي وسيلة للتّواصل؛

-شكّل التّسامح اللّغوي التّباس لدى الباحثين من ناحيّة المفهوم والدّلالة؛

-أصبح التّسامح اللّغوي من ثوابت الأمّة ومقوماتها؛

-لعب التّسامح اللّغوي دورا في الارتقاء باللّغة العربيّة؛

-صار التّسامح اللّغوي هدفا من أهداف التّعايش بين اللّهجات واللّغات؛

-أسهم التّسامح اللّغوي في الحفاظ على الأمن الهويّاتي؛

-أتاح التّنوّع الثّقافي فضاءً للتّعرف على الثّقافة المحليّة وثقافات الدّول الأخرى؛

-اكتسب التّسامح اللّغوي قيمة معرفيّة كبيرة كانت بمثابة إضافة نوعيّة لدى المنظّمات والمجامع والمجالسّ اللّغويّة؛

-ينهض العالم على مثلّث يتجلّى في التّسامح والحوار والأمن؛

-تسعى الجزائر بعلمائها إلى البحث عن سياسة لغويّة متوازنة تنمّ عن السّلام والأمن.

الهوامش:

1-منير البعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2005م، ص 975.

2-ينظر ، جابر عصفور ، عن التّسامح ، مجلة دبي الثّقافيّة ، العدد 25 ، دبي الإمارات العربيّة المتحدة ، 2007م .

3-حنان عباس، وسائل الاتصال ودورها في تطور ثقافة التّسامح والتّعايش السّلمي مؤتمر الثّقافة والاعلام ومركز الدّراسات الاستراتيجيّة في جامعة كربلاء ومركز فرات للتنميّة والدّراسات الاستراتيجيّة، العراق، يومي 22-23 آذار، 2017م تاريخ النّشر: 04 أفريل 2018م – تاريخ الاطلاع: 28 فبراير 2020م.

الرّابط:

https://annabaa.org/arabic/studies/16451

4-سمير خليل، التّسامح في اللغة العربيّة، كتاب التّسامح بين شرق وغرب، دراسات في التّعايش والقبول بالآخر، تر: إبراهيم عريس، دار السّاقي، لبنان، 1996م، ص 11-ص 12.

5-محمّد عابد الجابري، التّنوع والاختلاف في الآراء، قضايا الفكر المعاصر، لبنان ص 20.

6-عبد الله الطّريقي، الثّقافة والعالم الآخر، دار الوطن، الرّياض، المملكة اللعربيّة السّعوديّة، ط1 1995م ، ص 58.

7-مقال صحفي، جريدة الشّعب، الجمعة فيفري 2020م، الاطلاع: السّبت 21 مارس 2020م .

http://www.ech-chaab.com/ar/%D8%A7%D9

8-محمّد محفوظ، الإنسان وجدليّة الإيمان والحريّة والمسؤوليّة، مجلّة الكلمة، منتدى الحكمة للدراسات والأبحاث، السّنة العشرون، بيروت، لبنان، خريف 2013م ص 31.

9-باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسّياسة، تر: حسن حنفي، الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنّشر، مصر، 1971م، ص 451.

10 -Jane E , And other , Identity Theory ,And Social Identity Theory , Vol 63 , n 03 , Washington

American Sociological association , 2000 , p 224-225 .

11-عقيل سعيد محفوظ، الأكراد واللغة والسّياسة، دراسة في البنى اللغويّة وسياسات الهويّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، أيلول- سبتمبر 2013م، ص 26.

12-هارلمبس وهولبون، سوشيولوجيا الثّقافة والهويّة، تر: حاتم حميد محسن، دار يوان للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص 13.

13-عبد المنعم الحفني، المعجم الشّامل لمصطلحات الفلسفة، القاهرة، مصر، ط 3 2000م، ص 911.

14-محمّد عابد الجابري، الموسوعة الفلسفيّة العربيّة، ج 1، معهد الإنماء القومي بيروت، لبنان، ط1 1986م، ص 821.

15-محمّد الجرجاني، معجم التّعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، دس، ص 216.

16-سورة النّحل، الآيّة 112.

17-سورة البقرة، الآيّة 126.

18-علي عباس مراد، الأمن والأمن القومي، مقاربة نظريّة، ابن النّديم للنشر والتّوزيع، دار الرّوافد الثّقافيّة، ناشرون، لبنان، بيروت، ط1، 2017م، ص 15.

19-المرجع نفسه، ص 16.

20-م، ن، ص 18.

21-Voir, The New Encyclopedia Britainica,Vol 04 , Edited by Encyclopedia, 15 the ed(Chicago, i II: Encyclopedia) , 1978 , 1403 .

22-أرمان ماتلار، التّنوع الثّقافي والعولمة، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الفارابي لبنان، بيروت 1429ه-2008م ، ص 13.

23-المرجع نفسه، ص 14.

42 -Voir , Aljandaro Fuentes, Cultural Diversity and Indigenous Peoples Land Clain, Argumentative

Dynamic and Jurisprudential approach in the American, tesis dottorato, Universita degli studi

ditrento anno accademico 2010-2011, P 113-P116 .

25-ينظر، باريخ بيخو، إعادة النّظر في التعدّديّة الثّقافيّة والنّظريّة السّياسيّة، الهيئة العامة السّوريّة للكتابة، دمشق، سوريا 2007م، ص 20.

26-محمّد داود، اللغة كيف تحيا؟ .. ومتى تموت؟ مصر، 2004م، 171.

27-حامد زهران، علم النّفس النّمو، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص 09.

28-صالح بلعيد، الأمازيغيّة والعربيّة تكامل لا تصادم، مجلّة المجلس الأعلى للغة العربيّة، العدد التّاسع، الجزائر، 2007م، ص 23.

29-ينظر: محمود السّيد، اللغة العربيّة واقعا وارتقاءً، وزارة الثّقافة، دمشق، سوريا 2010م، ص 124.

30-ينظر: شحادة خوري، واقع اللغة عربيا ودوليا، مجلّة التّعريب، العدد 21 2001م، ص30-ص 31.

31-صالح بلعيد: المواطنة اللغويّة – ملتقى وطني حول سبل التّعايش بين اللغات الوطنيّة في الجزائر.

يوم الأربعاء 26 حيزران /يونيو 2019م – 14:50

تاريخ الاطلاع: الأربعاء 25مارس 2020م.

http://www.aps.dz/ar/culture/72997-2019-06-26-14-10-27

لغة الجزائري بين الازدواجيّة اللغويّة والتهجين اللغويّ

أ. بلقاسم إيمان
جامعة تلمسان

نص المداخلة: ممّا لا شكّ فيه أنّنا عندما نتحدّث اليوم عن الممارسة اللّغويّة، فإنّنا نجد أنفسنا أمام خليط من الكلمات المدمجة تعسفيا أو اضطراريا، تتشكّل منها جمل أو عبارات لا تكاد تفهم إلاّ في حيّز ضيق، ربّما لا يفهمه إلاّ المتكلّم والمخاطب والحقيقة أنّنا أصبحنا نتحدّث بدارجات متعدّدة لا دارجة واحدة فأبناء البلد الواحد أصبحوا يجدون صعوبة في فهم بعضهم البعض، إذن نحن بحاجة إلى الاتّفاق على قواعد وأسس تضبط لغتنا أو لهجتنا، ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط بل نحن بحاجة إلى الاتفاق على نوعيّة الوظائف التي تؤدّيها لغتنا؛ تختلف الوظيفة التي تؤدّيها اللغة من مكان إلى مكان فالأشكال اللغويّة المختلفة المستخدمة في البيوت، وأثناء الحديث إلى الأصدقاء، ليست نفسها التي توظّف في المواقف الرّسميّة، وقد أدّى هذا التّقسيم الوظيفي للغة وللهجة أو الدّارجة أو العامّيّة إلى وجود ما يعرف بالازدواجيّة اللغويّة أو التّهجين اللغوي .

لقد ذكر محمّد حماسة أنّ اللغة العربيّة تجابه حربا في أماكن كثيرة والأدهى أنّها تعاني من عدم التّوقير داخل البلاد التي تنتسب للغة العربيّة وهذا ما أكّده ابن منظور حين قال: "وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الالسّنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحنا مردودا وصار النّطق بالعربيّة من المعايب معدودا، وتنافس النّاس في تصانيف التّرجمات في اللغة الأعجميّة وتفاصحوا في غير العربيّة، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون"[1].

1. ضبط المصطلحات:

أ. **اللغة:** يعتبر مارتيني أنّ الوظيفة الأساسيّة للّغة هي التّبليغ، فالعربيّة مثلا هي قبل كلّ شيء الوسيلة التي تمكّن أهل اللّسان العربي من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم[2]، واللغة تعتبر أداة الإنسان التي تمكّنه من إنجاز العمليّة الإبلاغيّة مع أفراد مجتمعه ممّا يسمح بالتّعايش الاجتماعي ضمن هذه المدرسة الإنسانيّة التي تتمتّع بكلّ المقوّمات الثّقافة والحضاريّة، " فاللّغة عماد الاتّصال والتّواصل بين النّاس، أيّ أنّ لها وظيفة اجتماعيّة"[3]، أصبح الفرد غير مقيّد بلغته الأمّ فقط بل امتدّ ذلك إلى اللغات الأخرى، كلغة ثانيّة أو ثالثّة يتداولها، خصوصا وأنّ هذا العصر هو عصر الثّورة الاتصاليّة والتي قرّبت المسافات بين بلدان العالم إلى أقصى الحدود، فهذا العصر لا يسمح بالعزلة. إذ أنّ الفرد الذي يحسّن لغته الأمّ فقط، لا يسعه التّعبير عن رأيه في مواقف معيّنة تقتضي استعمال لغة ثانيّة، كما قد يتعسّر عليه النّهل من كتاب مهمّ أو معلومات قيّمة. اللغة إذن شديدة التّداخل، وتبادل التّأثير مع غيرها من النّظم الاجتماعيّة، كما تتميّز بالتّلقائيّة، حيث تبرز اللغة تلقائيا بفضل تفاعل الأفراد بعضهم مع بعض، فهي ليست من صنع فئة معيّنة في المجتمع وتختلف اللغات من مجتمع لآخر، من حيث النّوع والقوّة ونسبة الانتشار، فكلّ لغة طابعها الخاص[4].

ب. **<u>الازدواجيّة اللغويّة</u>:** وفق شارل فيرغسون، هي عبارة عن صراع بين تنوّعين للسان واحد أحدهما عالي التّصنيف لكنّه غير شائع، والآخر دون ذلك ولكنّه عام وشائع[5] مصطلح الازدواجيّة باللغة الفرنسيّة يسمّى (Diglossia) لقد استخدم هذا المصطلح لأوّل مرّة عن طريق العالم الفرنسي "ماركيز، وأدخل إلى اللغة الإنجليزيّة حرفيا[6]،" يقول "دل هايمز" اللغوي الاجتماعي الأمريكي تعليقا على مقالة فيرجسون: (إنّ الازدواجيّة مثال ممتاز لتعايش نظامين غير متبادلي الفهم، ويقصد هنا الفصحى والعامّيّة، وصعوبة فهم الفصحى على العوام) وترابط كلّ من هذه الأنظمة بمفاهيم وقيم مختلفة، وكمثال لضرورة الرّجوع إلى الجماعة المحليّة للتحكيم لتجنب أيّ

تحريف أو تشويه قد ينشأ بحالة الاتصال وكذلك تعرّض لهذه الظّاهرة بالدّرس كلّ من جمبيرز Gumpers، وفشمان Fishman[7].

ج. التّهجين اللغوي: هي لغة ذات طابع خاص وتاريخ غير طبيعي، حيث إنّها تنشأ من اتصال متحدثي لغتين مختلفتين ببعضهم، علما بأنّ كلّ طرف لا يتحدّث لغة الآخر، وفي هذه الحالة تنشأ لغة مبسّطة(Pidgin) تأخذ تراكيبها اللغويّة من إحدى اللغتين وكلماتها من اللغة الأخرى، وليس لهذه اللغة المبسّطة متحدّثون يتكلّمونها كلغة أصليّة، ولكن مع مرور الوقت ينشأ أطفال ذلك المجتمع يتكلّمونها كلغة أصليّة، وفي هذه الحالة تسمّى لغة هجين(Crecle)[8].

لغة: ورد في لسان العرب، التّهجين مشتقّ من فعل هجن. ومن ثمّ، فهو يعني "الهجنة من الكلام: ما يعيبك والهجين: العربي ابن الأمّة؛ لأنّه معيب، وقيل: هو ابن الأمّة الرّاعيّة ما لم تحصّن، فإذا حصّنت فليس الولد بهجين، والجمع هجن وهجناء وهجنان ومهاجين ومهاجنة.[9] والأنثى هجينة من نسوة هجن وهجائن وهجان، وقد هجن هجنة وهجانة وهجونة.

هجن فذكّر: "هجن، هجان، وهجين إذا لم تكن الأمّ عربيّة أصيلة10" والهجنة في معجم اللسانيات الموحد يقابله في الإنجليزيّة Cacolgy، وفي الفرنسيّة Cacologie يعرّفه باختين بأنّه:" مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد وهو أيضا التّقاء نظامين لغويين مفصولين بحقبة زمنيّة وبفارق اجتماعي أو بهما معاً داخل ساحة ذلك الملفوظ ولا بدّ أن يكون قصديا"[11].

اصطلاحا: هو استلاء لغة لا هي بالعربيّة ولا بالأعجميّة، بالمزج في الخطاب بين كلمات عديد من اللغات، ويحصل هذا التّهجين أحيانا بتعمَد، وأحيانا من غير تعمّد وتتمّ عمليّة التّهجين بشكل غير منهجي لتصبح نمطا مميّزا لأسلوب الخطاب والكتابة، فاللغة الهجينة هي تلك الألفاظ المستغربة والتي توحي بوضع لغوي لدى جيل بأكمله، وهو واقع مرّ يؤسّس لدلالات خطيرة على المجتمع؛ حيث ينذر بضياع الهُويّة والتّميّز والتّنكر للذات الحضاريّة، وفي اللغة العربيّة هو تشويه لغة الضّاد على يد الأحفاد

باعتباره نوعا من الأسلبة والمحاكاة السّاخرة؛ باستعمال الفصحى والعامّيّة واللغة الأجنبيّة واللغات المحلّيّة دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله، ويقلعه من موروثاته[12].

ب. **<u>مصادر الازدواجيّة اللغويّة والتّهجين اللغوي:</u>**

- **الإعلام:** بمختلف قنواته، وخاصّة الفضائيات وما تحمله من إبداعات لغويّة فعن طريق وصلات الإشهار مثلا، تأتينا حمولة ثقافيّة مرنة بسيطة سهلة على الحفظ لها ترانيم خفيفة تعمل جاهدة على الاقتناع بما تحمله وباللغة الحاملة لها كما ترغب المستقبل/ المستمع/ المشاهد أن يكون طرفاً مسانداً لها. وأثناء التّأديّة اللغويّة تعمل لغة الإشهار، أو هذه القنوات على تجاوز المألوف، والتّحرّر إلى حدّ ما من سلطان اللغة الثّابتة، فتعمل على إحداث الكسر اللغوي أو الانحراف عن سلطة النّحو في كثير من وَصْلاتها بل تلتجئ إلى الهجين اللغوي، وفي نظرها، ذلك هو الذي يؤدّي الرّسالة وتلك إلى حدّ ما وسيلة تعتمدها لخرق العادة، والسّير في غير المنوال وهنا يقع المشاهد/ المستمع أسير ذلك التّهجين الذي دخل الفكر لسهولته وقد يردّده تعجبا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الخرق أحيانا يؤدّي إلى توظيف بعض الكلمات التي قد لا تليق بالقانون والحياء العام، بدعوى كسر الطّابو بل كسر قيود المجتمع المحافظ.[13]

- **الأسرة:** إنّ الأسر العربيّة لا تقوم بدورها في الحفاظ على اللغة العربيّة السّليمة على السّنة أبنائها، فالكثير من الآباء أمّيون لا يعرفون سوى اللهجة المحلّيّة أو لا يعرفون إلاّ اللغة الأجنبيّة ويجهلون العربيّة الفصحى فلا نجدهم يخاطبون أطفالهم في المرحلة الأولى من حياتهم إلاّ بالعاميّة أو بإحدى اللغات الأجنبيّة.

- **المدرسة:** لقد أسهمت المنظومة التّربويّة في البلدان العربيّة في تفاقم ظاهرة التّهجين اللغوي ذلك أنّها لم تؤدّي الدّور المنوط بها في الحفاظ على اللغة العربيّة وصفائها بتنميّة القدرات اللغويّة لدى المتعلّمين كما ظهر الدّور السّلبي في عدم تنميّة

المقروئيّة لدى التّلاميذ في جميع المراحل التّعليميّة، كما أنّ المدرسة قادرة على جعل التّلميذ ينغمس في اللغة العربيّة باستعمال الفصحى في جميع الحصص المدرسيّة 14.

- **الأوضاع الاجتماعيّة:** المستوى والوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعيّة للأفراد لها في توليد واستقطاب كلمات دخيلة واختفاء أخرى من اللغة الأصليّة، فلقد وجدت أنّه كلّما ارتفعت الطّبقيّة الاجتماعيّة زاد اهتمامها بالمظاهر الأرستقراطيّة والسّعي إلى إبراز ثقافتها المميّزة وعادة ما تلبس هذه الثّقافة لباسا لغويا أجنبيا.
- **العامل التّاريخي:** تعدّ المخالفات السّلبيّة والرّواسب التي تركتها لغة المستعمر في اللغة المغزوّة بكلّ مستوياتها وخير مثال على ذلك الفترة التي قضاها الشّعب الجزائري تحت الهيمنة الاستعماريّة القائمة على فرنسة المجتمع واستئصال العربيّة وتشجيع العاميّة".

ج. اللهجة/الدّارجة/ العاميّة: يقول عبد الرّحمان منيف:"لا شك أن موضوع العاميّة مغامرة خطرة وهذا يعني أنني لا أحبذ ولا أزكي العاميّة بالمطلق، لكن لست أيضا من أنصار الفصحى التّقليديّة يجب أن نبحث عن لغة من نوع معيّن وهذه اللغة يجب تكون لها علاقة أساسيّة مع الفصحى لكن لديها أيضا هامشا تتحرّك فيه[15] "

أدرك اللسانيّون إذن بعد تعمّقهم في دراسة اللّهجات أنّه وفي بعض مراحل التّاريخ يمكن للّهجة ما أن ترتقي وتحرز تأثيرا مهمّا على باقي اللّهجات وتصبح لغة رسميّة كما قد أثبتت الدّراسات أنّه ليس من الضّروري أن تكون اللّهجات انحطاطا من لغة فصحى، فقد تكون أقدم منها في الزّمن، ويمكن أن تمثّل تطوّرا وتقدّما لا انحطاطا.

يؤكّد اللسانيون والواقع العلمي أنّ اللهجة سلوك لغوي لا يختلف عن اللغة الرّسميّة في أنّ له نظام صوتي وصرفي ونحوي ودلالي، فاللهجة تتمتّع بأساليبها الرّفيعة وبكلماتها وعباراتها التي تؤدّي وظيفتها بأوضح شكل ممكن.

أمّا العلاقة بين اللغة واللهجة فهي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشمل عادة على عدّة لهجات، لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللّهجات تشترك في عدد من الصّفات اللّغويّة، العادات الكلاميّة التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات

ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد تلك البيئة؛ وهذه البيئة هي جزء أو قسم من بيئة أعم وأشمل.

لا يمكن لأيّة لغة أن تظلّ بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى، فاللّغة تتطوّر باستمرار كما أنّها عرضة لتأثيرات خارجيّة كتأثّرها بلغة مجاورة أو لغة مستعمر أو بثقافة أو حضارة ما.

تعدّدت الآراء حول موضوع التّغيّرات المستمرّة التي تخضع لها اللّغة في مراحل حياتها، يقول بعض اللغويين إنّ احتكاك اللغات يعتبر ضرورة تاريخيّة، وهذا الاحتكاك يؤدّي إلى تداخل اللغات وذلك بدرجات متفاوتة، كما أصبح من المسلّم به عند اللّغويين أنّ اللّغات ليست في معزل عن كلّ احتكاك وتأثّر خارجي، وعكس هذا يكون أمرا مثاليا، لا يكاد يتحقّق[16].

من خلال النّماذج الموجودة في هذا البحث سنحاول تحليل العبارات وتحديد الكلمات الهجينة، كذلك سنحاول التّعرف على الاستعمال اللغوي لدى الجزائريّين، من مختلف الشّرائح والمستويات.

النّماذج المختارة، هي كلّ ما التّقطته عيناي ممّا يدور حولي، وممّا تسمعه أذناي لم أحدّد مصدرا واحدا، بل كلّ ما يتاح لي من مصادر مسموعة، أو منظورة أو مكتوبة، سواء في التّلفاز أم الأماكن العموميّة، أم أماكن العمل، ووسائل التّواصل الاجتماعي.

قسّمت العبارات حسب ما سمعتها أو رأيتها مكتوبة من حديث النّخبة وحديث المواطنين العاديّين.

وأقصد بالنّخبة في هذا البحث (الأشخاص الذين استطعت اعتمادهم كمصادر) فئة الأساتذة والأئمّة، والسّياسيّين، والإعلاميّين والأطبّاء، والصّيادلة ظنّا منّي أنّ هذه العيّنة تمثّل المستوى العام الجاري من الأداء باللغة.

بالنّسبة للأساتذة، العبارات التي اعتمدتها عند هذه الفئة كانت تلك التي تقال في قاعة الأساتذة، والحديث الذي يدور في أروقة الجامعة، والأحاديث مع الطّلبة، أمّا فئة

الأطبّاء والصّيادلة فمن خلال التّعامل الظّرفي معهم، وكذلك من خلال استجوابهم في النّشرات الإخباريّة، وفئة الأئمّة والسّياسيّين والإعلاميّين، كانت النّشرة الإخباريّة في مختلف القنوات الجزائريّة هي مصدر العيّنة، بالنّسبة للمواطنين العادين وأكثرهم من فئة الشّباب كانت الاستجوابات في النّشرات الإخباريّة ومواقع التّواصل الاجتماعي هي المصدر.

ملاحظة: هناك عبارات تتكرّر كثيرا، لذلك اعتمدت على النّماذج التي تتكرّر كثيرا.

ت. العيّنة:

الاستعمال اللغوي لدى النّخبة في الجزائر: نماذج من بعض العبارات المستعملة بكثرة: (*) تدلّ على انتقال الحديث لشخص آخر أو موضوع مختلف، والإشارة (-) تعني ردود مختلفة .

حيث بين الأساتذة وآخر بين أستاذ وطالب:

* السّلام عليكم وعليكم السّلام

كيف الأحوال-الحمد لله بخير أو بِخير أو مليحة الحالة أو

كي راك/ كي راكم غايّة الحمد لله أوbien؛

*هل سمعت بالإعلان المعلّق؟

- لا لم أسمع / لا والله ما سمعت / ماذا فيه/ ما الجديد/ واسم فيه

سمعتو بالإعلان لي راه معلّق؟ ما عْلابَالي بوالو/ واسم فيه/على واسم يهدر

كِيف حال الطّلبة ما كانْ حَالة؛

- الطّلبة نتاع بكري كانوا يقدموا لنا ما عندهم من إمكانيات، أمّا اليوم فالعكس فالطّالب متهاون في كلّ شي؛

-الطّالب كي يجي يكتب يلقى صعوبة؛

- يوجد طالب فاهّمني قبل ما نتكلّم والعكس، والحمد لله رانا نقوموا بالواجب نتاعنا.

* الطّالب: أستاذ تقد تساعدني؟

نعم تفضل

أستاذ البحث لي راني نقوم بيه يتضمّن نقاط عديدة، ممكن توضّح لي الأمر؟

نعم ممكن/إييه ممكن، تعال يوم ..../نعطيك موعد نهار...../ رواحلي نهار كذا ...

*** سؤال صحفي: نلفت عنايّة مشاهدينا أنّنا سنتكلّم عن الوضع العام في الجزائر.**

= ماذا تقول في الوضع العام اليوم؟ /وصفنا الحالة/كيفا شراك تشوف الحالة ليوم ؟

أجوبة المختصّين من الأطبّاء والصّيادلة، والسّياسيّين.

- أوّلا نشكركم على هذا البرنامج؛
- الأمر ليوم يتطلّب قدر كبير من الصّبر؛
- هذا الأمر بسيط مقارنة بالدّول الأخرى؛
- وقد عاش الشّعب تجربة مريرة؛
- لو بروبلام سي كو (Le problème c’est que) رانا نعيشو في وضع خاص؛
- نْلاحظ النّدرة نتاع لي ماسك les masques؛
- على الرّغم من الظّروف الصّعبة الذي يعيشها الجزائريّين؛
- وقد عهدنا إلى المدراء العمل مع جميع اللجان؛
- بطبيعة الحال فردّة الفعل تختلف من شخص لآخر؛
- والشّيء الخطير أنو رفضوا المواطنين كلّ التّوصيات والتّوجيهات؛
- كلّ ما تزيدو كلّ ما أحسن؛
- كاين مْساكن راهم قاعدين بلا ماكلة.

سؤال: ماهي التّوصيات لي تقدموها/ واش توصيو النّاس ليوم؟

-ما دبيكم تعاونونا؛

-نتمنّى الميساج يوصل؛

-خوذوا احتياطاتكم؛

- نتمناو إنشاء الله يمشي الوباء؛

- القرآن يْوصينا بالتّقوى والصّبر؛

- يا ناس التّزموا بالحجر الصّحي؛

-حنا اليوم لازم نحترموا التّوجيهات؛

- نوصيكم بتقوى الله والثّبات؛

سؤال: ماهي الإجراءات المتّخذة؟

اخذينا إجراءات صارْمة

-باش نسمحو فيهم محال (الحفاف، الماصو، بلومبي)؛

- وضعنا منشورات توجدوها طي التّعميم؛

- ماشي هذي المبادرة لولة؛

- ونقوللهم هذي المستلزمات موجودة في البهجة سنتر centre؛

- وأنا اليوم راضي عن العمل المبدول؛

- على إثرها نقوم كذلك بالتّعاون ...؛

- الأمر يتفاقم ولم نناقشه حتى؛

- كي تحسّ روحك عيّان روح فيرفي (verifier) روحك؛

- هناك بعض الأعراض مثل السّخانة، والرّاس يبدي يوجع.

النّماذج التّاليّة: هي بعض ردود المواطنين (المواطنين الذين أخـذت نمـاذج مـن حديثهم ينتمّون إلى أمكان مختلفة من الجزائر، من قاطني الجبال والبوادي إلى ساكني وسط المدن إلى سكّان الصّحراء) وذلك أثناء استجوابهم في النّشرات الإخباريّة (الأسئلة كانت حول انتشار جائحة الكورونا).

-يا الرّب العالي الحالة راها ما تعجبش؛

- كاين لي يخدم روسوفو (receveur) ولا خدام جورني(jounée)؛

-الإنسان لازم يأخذ حذرو باه يتفادى المرض؛

-الحالة راهي ماشيّة مكان والو رانا مع الشّياه؛

-رانا عايشين فهاذ القربي نطلبوا من السّلطات تهز علينا الضّر؛

-الشّعب راه قاعد فالدّار يخرج غير يورجو urgent؛

-هذا الأمر ليس صحيحْ لعدّة أسباب؛

-لا زم نِاْفيطيو (éviter)أي كونطاكط contacte

-احكم دارك وما تبوجيش ne bouger pas؛

- Rester chez vous باش ما ضروش بعضكم البعض؛

-ما تحركوش م دياركم؛

- رانا روطار (retard) على البلدان لخرين؛

-لي يموت لو مالور (le malheur) منقدوش نديروله جنازة؛

-رانا نشوفو التّجار راهم يبروفيطو فلوكازيون profitent de l'occasion وكلشي تجبره مبيوع.

ث. **<u>التّحليل:</u>** بعد عرض للنماذج السّابقة، سنحاول تحليل بعض العبارات والكلمات من خلال المستويات اللغويّة:

<u>أ. الازدواجيّة بين الفصحى واللهجة:</u>

المستوى الصّوتي:

- كسر حرف المضارعة ما عدا همزة المتكلّم لخوف اختلاط صيغة المضارعة بصيغة الأمر، وكان الكسر (كسر أوائل الأفعال المضارعة التي ماضيها فَعِل إذا كانت في المضارع)[17]: تِمشي، تكتب، تكتبوا؛

- كلمة راس هي موجودة في اللهجة الحجازيّة، كما أنّ رأس بالنّبر هي لخجة تميم؛

- نحو: الرّاس يبدي يوجع؛
- ابدال صوت القاف كافا أو همزة حسب المنطقة (يقول، يكول، يؤول)؛
- المستوى النّحوي: لصق نون الوقايّة باسم الفاعل المضاف إلى ياء المتكلّم.

نحو: فاهمني

- التّسكين:

البحث يتضمّن نقاطْ (نقاطا) عديدة

الأمر ليوم يتطلّب قدرْ(قدرا) كبيرْ(كبيرا) من الصّبر

وهذا ليس صحيح (صحيحا) لعدّة أسباب

- حذف الفاء اللازمة في جواب الشّرط.

نحو: إذا بقي على هاذ الحالة لن (فلن) نستمرّ في هذه الإجراءات.

إسقاط نون الإعراب من الأفعال الخمسة:

نحو: كانوا يقدّموا لنا ما عندهم

كذلك هذه الازدواجيّة جعلت أغلب النّاطقين يقفون على التّاء المربوطة بالهاء في الغالب (إغفال نقطتي التّاء المربوطة في نحو: سلامة، طريقة قريّة، مدينة ..).

- نظام اللغة العربيّة يقوم على تقديم الجار على المجرور، غير أنّنا نجد عبارات تأخذ نظام اللغات اللاتينيّة في تأخير الجار على المجرور.

نحو: الأمر يتفاقم ولم نناقشه حتى (الأمر يتفاقم وحتى لم نناقشه)

- جمع الفعل مع فاعله في الجمع.

نحو: والشّيء الخطير أنّه رفضوا المواطنين كلّ التّوصيّات والتّوجيهات

- وهي لهجة موجودة في قبائل طيء وأزد شنوءة وموجودة في القرآن الكريم (وأسروا النّجوى)، وتسمّى لغة أكلوني البراغيث[18]، سورة الأنبياء الآيّة (3)

- بناء اسم الفاعل من الأجوف على وزن مفعول

نحو: وكلّ شي تجبره مبيوع

- نداء ما فيه ال(يا) مباشرة **يا الرّب العالي**
- إدخال (ال) على بعض البعض **الآخر من النّاس/ بعضكم البعض**
- تعدّد المضافات على توحدّ المضاف إليه **في أحسن وأفضل الحالات**
- الفعل "طوى"، فيجب أن يسبق الفعل طوى حرف الجر(في)، قال الزّمخشري، ومن المجاز، وجدت في طي الكتاب وفي طواء.

نحو: وهذه المنشورات تجدها طيّ التّعميم.

- **وقد عهدنا إلى المدراء العمل مع جميع اللجان.**
- توظيف الكاف مكان أداة الشّرط (إذا): نحو كي تحس روحك عيان روح فيريفي روحك.

ب -الاستعمال **اللّغوي الهجين:**

نتيجة للتفاعل بين اللغة العربيّة واللغات الأخرى دخلت إلى العربيّة ألفاظ وتعبيرات عديدة، استعملها العرب، كان أهمّها قديما ألفاظ الحضارة وهي موجودة في دارجتنا، وما يلاحظ اليوم على الدّارجة الجزائريّة كثرة الاقتراض واستعمال الدّخيل والمعرّب من الكلمات، ولا يقتصر الأمر على هذا فقط بل أصبحت الكلمة الواحدة عبارة عن خليط من التّراكيب العجيبة، سنحاول من خلال بعض نماذج مختارة أن نوضّح ذلك:

إن التّغيرات اللغويّة لا تتمّ بصورة مفاجئة وذلك بسبب متطلّبات الإبقاء على ضرورة إمكانيّة التّفاهم في البيئة الواحدة، بين متكلّمي اللّغة الواحدة والتّغييرات التي تحصل لا تتحقّق جرّاء عمليّة خلق عناصر لغويّة جديدة تتحقّق جرّاء تغيرات عناصر موجودة من قبل اللغة" فمن يريد أن يستحدث كلمة للإشارة إلى شيء جديد أو محدّث يستعير عادة عناصر الكلمة من لغته أو من لغة أجنبيّة"[19].

تضطرّ إذن الجماعات اللغويّة إلى اقتراض مفردات من لغات أخرى وذلك لعدم وجود هذه الكلمات في لغتهم" فتدخل هذه الكلمات إلى اللغة المقترضة ويحدث عليها في الغالب تطبيع لغوي كأن يتمّ تعدّيلها صوتيّاً أو صرفيّاً لتنسجم مع قواعد اللّغة المقترضة نحو: تلفزيون، برلمان، راديو، باص رادار التي اقترضتها العربيّة من الإنجليزيّة"[20].

الآليات التي تعتمد عليها اللغة من أجل إثراء ألفاظها:

الاقتراض: هو نقل لفظ من لغته الأصليّة إلى لغة أخرى ليستخدم فيها دالاً على المعنى الموضوع بإزائه في لغته الأصليّة.

التّعريب: يقال عرب الاسم أي صيره عربيا، وعرب الكتاب إذا نقله إلى العربيّة من لغة أخرى.

نحو: أستاذ، تلميذ البطاطا، بكتيريا، فيروسات.

الدّخيل: حيث نجد عددا كبيرا من الكلمات في الدّارجة الجزائريّة نذكر منها: الصّابون، مستشفى، أزرب، ذات الأصل الاسباني، والتّركي.

النّحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة وتكون آخذة منهما جميعا [21] ولا تستحبّ العربيّة أسلوب الاختصار في نظامها المعجمي بعامّة؛ وكان أن استبدلت النّحت بالتّركيب الإلصاقي.

نحو: برمائي، أفروأسيوي، بتروكيميائي[22].

التّحليل: نلاحظ في هذه العبارات تواجد للغة العربيّة مع الدّارجة مع لغة أجنبيّة وهذا ما يجعل العبارة هجيّة وسنحاول شرح هذا التّهجين.

- لو بروبلام سي كو (Le problème c'est que) / رانا نعيشو/ في وضع خاص لغة أجنبيّة دارجة الفصحى؛
- بلاك في الأيام المقبلة نلاحظ ندرة /نتاع/ لي ماسك les masques؛
- دارجة فصحى دارجة لغة أجنبيّة؛

– بلاك: معناها ربّما، وهي كلمة فارسيّة مركبة من كلمتين، هما (بـــل) العربيّـــة و(كه) الفارسيّة، وفي التّركيّة (بلكي belki) ومعناها ربّما ولعلّ، كما نلاحظ اســـتعمال تقنيّة التّعريب في كلمة masques ؛

– أوّلا نشكركم على هذا/البرنامج؛

– فصحى دارجة؛

– نقل الألفاظ الأجنبيّة أو التّعريب تتمّ بتغيير حروف اللفظ الدّخيل، وذلك بـــنقص بعض الحروف أو زيادتها مثل: برنامه = برنامج

– لا زم / نْإفيطيو (éviter)/ أي / كونطاكط contacte

لغة أجنبيّة فصحى لغة أجنبيّة

إنّ المتحدّث بالدّارجة الجزائريّة يستعير اللفظ الأجنبـــي ثـــمّ يخضـــعه للتصـــريف العربي مع كلّ الضّمّائر والأزمنة، ويلحق عليه الزّوائد الالصّاقيّة، مع إحـــداث بعـــض التّغيرات.

– احكم دارك وما / تبوجيش ne bouger pas؛

– دارجة لغة أجنبيّة؛

– هي جملة هجينة استعمل فيها الفعل الفرنسي ne bouger، وأدخلت عليّـــة أداة النّفي ما باللغة العربيّة، ومع زيادة تاء المضارعة كما ذكرنا في المثال السّـــابق أيضـــا حدث إبدال صوتي بين صوت (o) والضّمّة الطّويلة العربيّة، فتكونت جملة هجينة؛

– Rester chez vous/ باش ما ضروش بعضكم البعض؛

– لغة أجنبيّة دارجة؛

– رانا روطار (retard)/على البلدان لخرين؛

– لغة أجنبيّة دارجة؛

– لي يموت/ لو مالور (le malheur) / منقدوش نديروله جنازة

– دارجة لغة أجنبيّة دارجة

– رانا نشوفو التّجار راهم/يبروفيطو فلوكازيون profitent de l'occasion؛
– دارجة لغة أجنبيّة؛
– بروفيتي: كلمة من اللغة الفرنسيّة، عرّبت وأضيف لها وزائد أو لواصق قيسا على اللغة الاالصّاقيّة، فأصبحت تستعمل بصيغة المفرد فنقول بروفيتي باستعمال ياء المخاطبة، أوالجمع بإضافة واو الجمع، كذلك استعملت كاسم فقيل (بروفيتاج)؛
– توليد الكلمة من أصلها وأخذها من مادّتها، يسمّى اشتقاقا وتقليبها في أوزان مختلفة يسمّى تصريفا وبين الاشتقاق والتّصريف، تشابك وترابط؛
– فالاشتقاق، هو (أخذ صيغة من أخرى مع اتّفاقهما معنى ومادّة أصليّة وهيئة تركيب، ليدلّ على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها، اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر[23]؛
– عربت كلمة occasion واستعملت في حالة واحدة، كما حافظت على معناها وهو المناسبة؛
– كاين لي يخدم /روسوفو (receveur) / ولا خدام /جورنيjounée)؛
– دارجة لغة أجنبيّة دارجة لغة أجنبيّة؛
– كلمات مثل روسوفو، أو ماصو، أو كوافور، هي مصطلحات لمهن عُرّبت من اللغة الفرنسيّة، وتستعمل كما هي دون إضافات؛ كذلك كلمة بولونجي مأخوذة من اللغة التّركيّة وبقيت محافظة على استعمالها الأصلي، أمّا كلمة خذام جورني، فهي كلمة هجينة مركبة من العربيّة والفرنسيّة؛
– لقد استفحل هذا التّركيب في الاستعمال الهجين، وهو تقديم المضاف إليه على المضاف، واللغة العربيّة وتركيب الفصحى يعتمد على تقديم المضاف على المضاف إليه.

نحو: ونقوللهم هذي المستلزمات موجودة في البهجة سنتر centre وهذا النّمط يشبه نمط اللغة الإنجليزيّة.

– التّأثّر بتركيب الجملة في اللغة الفرنسيّة؛

وقد كُلّفت من قبل الوزير ...

<u>الاستعمال اللغوي في شبكات التّواصل الاجتماعي (الفايس بوك: هو موقع خــاص بالتّواصل الاجتماعي أسّس عام 2004م، ويتيح نشر الصّفحات الخاصّة، وقد وضــع في البدايّة في خدمة الطّلاب وهيئة التّدريس والموظفين لكنّــه اتســع ليشــمل كــلّ الأشخاص [24]):</u>

صحيح أنّ التّراث العربي قد أثبت فائدة المختصرات، حيث نهج القدامى على أخــذ الحرف الأوّل أو عدّة حروف من الكلمات العربيّة الكاملة نحو: الأبجديّة مــن أ، ب، ج د، و"ليس" المركّبة من "لا" و"أيس"، فطرحت الهمزة واستدلوا بقول العرب: "ائتني مــن حيث: أيس وليس والأيسيّة، هي الوجود، والليسيّة هي العدم. وكلمة "فذلكة"، وهي مــن كلمة" فذلك الوجه...مثلا"، تمّ نحتها لكثرة تكرارها في كتابــاتهم، للإشــارة إلــى رأي خاصّ ولتسهيل الإفادة، حظيت باهتمام بعض المؤلّفين والمحقّقين قصد بيانها فجمعــت من المخطوطات للقرّاء والباحثين [25].

في استطلاع لرأي قامت به باحثة من السّعوديّة، قامت بعمــل اســتطلاع للــرأي شارك فيه (460) شخصا من مستخدمي وسائل التّواصل الحديثة تراوحــت أعمــارهم من 40 سنة حتى 66 سنة، حيث أوضحت النّتائج أنّ 45% مــنهم يــرون أنّ هــذه الوسائل أثّرت بشكل سلبي في اللغة العربيّة [26].

إذا، فعلى الرّغم من إفادة المختصرات؛ فإنّه ينبغي التّنبيه، إلى الغمــوض الــذي يجده القارئ في بعضها، كما أنّ التّعريب الحرفي لتلك الوافدة من لغات أخرى، يبقى دون فائدة، بل يؤدّي إلى الغموض واللّبس، ممّا يعوق عمليّة التّواصل والإفهام و(قــد يجد المتأمّل في صياغات بعض المختصرات الحديثة شيئا من مظاهر العُجمة وذلــك منذ أن جعل النّاس ينحتون هذه المختصرات من جمع الحروف الأُوّل مــن كلمــات العبارة أو العنوان المرجوّ اختصاره[27].

إنّ أبناء العربيّة يعرفون من العربيّة شيئا كثيرا يتحصّــل فــيهم بعوامــل الــتعلّم والاكتساب.

حين شرعت في تحليل العبارات وجدت أنّ كثيرا منها يمكن أن نجد له وجها في العربيّة، ذلك أنّ بناء اللغة العربيّة أقيم على عدّة لهجات، فالتّقعيد النّحوي بني على لهجات قبائل تتّسم بالفصاحة.

بعض الكلمات العاميّة قد تجدها عند التّدقيق ذات نسب متقادم في بعض اللهجات الفصحى، ولكن هذا لا ينفي أزمة اللغة العربيّة في شبكات التّواصل الاجتماعي، حيث أصبحت اللغة العربيّة والحرف العربي منعدم الوجود حيث يلجأ المستخدم للحرف اللاتيني للتعبير عن المعاني العربيّة.

بعض الكلمات أو العبارات الموجودة في رسائل الفايس بوك:

ملاحظة: هناك عبارات كثيرة متشابهة مع الاستجوابات السّابقة، لذا اكتفيت هنا بأخذ الكلمات أو العبارات الجديدة والمختصرة التي يستعملها رواد (الجزائريين) مواقع التّواصل الاجتماعي.

- سلم/ slt [السّلام عليكم]؛
- Cv [كيف حالك]؛
- Prd [عفوا]؛
- A 2m1 (demain) [غدا]؛
- For you 4u [من أجلك]؛
- R7 [الوصفة]؛
- Nice 2 meat u [سعيد بلقائك]؛
- م3لوم [يعني أعرف]. 3andah [يملك] ؛
- عربيش/ عربيستarabish. Arabiste ؛
- عربيزي/ فرانكو أراب؛
- Tyt تيت [خد وقتك] take your time.

يلجأ المستخدمون في الاستعمال اللغوي الإلكتروني إلى اعتماد الحرف اللاتيني أو الأرقام أو الرّموز التعبيريّة عن المعاني العربيّة. ومن أمثلة ذلك استخدام الرّقم 9

للتعبير عن حرف "ص" والرّقم 5 للتعبير عن حرف "خ" وأيضا استخدام الحرف اللاتيني مثل بـ brb للتعبر عن كلمة بربي، الحمد لله hmd صحّة saha سلم slm.

الاستنتاجات: من خلال الأسئلة التي طرحت على الأساتذة، وجدنا أنّ هناك نسبة من الأساتذة كان خطابهم متنوعا بين اللغة العربيّة الفصحى والدّارجة، فعندما يكون السّؤال باللغة الفصحى عادة ما يكون الجواب باللغة الفصحى والعكس، كما أنّ اللغة العربيّة الفصحى بين الأساتذة تستعمل حسب علاقة الأساتذة فيما بينهم فكلّما كانت العلاقة رسميّة كان للغة الفصحى حضور، أيضا طبيعة المكان فوظيفة اللغة تختلف حسب طبيعة العلاقة وطبيعة المكان.

هناك أساتذة يجتهدون في توظيف اللغة العربيّة الفصحى مع الطّلبة ولكن معظم الطّلبة يخاطبون أساتذتهم بالدّارجة، ويبررون ذلك بصعوبة اللغة وعدم التّحكّم في قواعدها والخوف والارتباك حين الوقوع في الخطأ.

استعمال الجمل الاسميّة بكثرة، رغم أنّ اللغة العربيّة تعتمد على الجمل الفعليّة في تراكيبها.

كلّما كان الحوار قصيرا بين النّخبة، وكلّما كان توظيف اللغة الفصحى أكبر.

استعمال النّخبة لأسلوب لغوي يجافي اللغة العربيّة الفصحى ويهبط بها إلى السّوقيّة.

ضعف الأداء اللغوي لدى المواطنين العاديّين واللجوء إلى العاميّة، ربّما يرجع ذلك إلى الاحساس بالانهزاميّة والدّونيّة أثناء استعمال اللغة العربيّة الفصحى.

التّعامل باللغة الأجنبيّة في الكثير من المؤسّسات والقطاعات الحكوميّة خاصّة قطاع الصّحة. كالتّواصل الاجتماعي، وإن استعملت فإنّها تستعمل مغيّرة عن قواعدها.

تبيّن من خلال هذا البحث الإهمال الكبير في الاستعمال اللغوي للفصحى.

خلاصة: يضطرّ الفرد إلى إدخال كلمات من معجمات اللغات الأخرى حتى وإن وجد البديل عنها في لغته الأمّ، لأنّ تلك الكلمات تساعده على تحقيق الوظيفة التّبليغيّة بشكل أفضل خاصّة إذا تعلّق الأمر بالمصطلحات العلميّة والتّقنيّة كأن يستعمل اللغة الفرنسيّة ظنّاً منه أنّها لا تعرف العجز اللغوي.

يجب تطعيم الدّارجة بالألفاظ الفصيحة، ومحاولة تهميش اللفظ الأجنبي.

لابدّ للجهات المعنيّة بتطوير اللغة العربيّة والمؤسّسات الأكاديميّة وضع خطط لتنميّة اللغة العربيّة وتطويرها من خلال وسائل العنيّة بتطوير اللغة العربيّة والمؤسّسات الأكاديميّة وضع خطط لتنميّة اللغة العربيّة وتطويرها من خلال وسائل الإعلام.

يجب استثمار شبكات التّواصل الاجتماعيّة في التّخاطب بين الطّلبة والأساتذة باللغة العربيّة، ومن خلالها تصحّح الأخطاء النّحويّة واللغويّة.

الهوامش

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المقدمة

[2]- أندري ما رتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة سعد زبير، دار الأفاق، ص14.

[3]- شحدة فارغ وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للطباعة والنّشر، ط1 2000م ص292.

[4]- أحمد بن نعمان، التّعريب بين المبدأ والتّطبيق، ص44-45.

[5]- محمّد راجي الزّغلول، ازدواجيّة اللغة، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، ع 9-10 1980م ص .122

[6]- إبراهيم صلاح الفلاي، ازدواجيّة اللغة، النّظريّة والتّطبيق، الرّياض، ط1996،1م ص16

[7]- محمّد راجي الزّغلول، ازدواجيّة اللغة، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، ع 9-10 1980م ص 122، 123.

[8]- إبراهيم صلاح الفلاي، ازدواجيّة اللغة، ص.17

[9]- بن منظور: لسان العرب، مادّة [ه ج ن]، دار صادر، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى 2003م.

[10]- الزّمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمّد باسل عيون السّـود، ط1، دار الكتـب العلميّـة بيروت، لبنان، 1998، 1419ه، ص 364.

[11]ميخائيل باختين: الخطاب الرّوائي، ترجمة: محمّد برادة، دار الأمان، الرّباط، المغرب الطّبعـة الثّانيّة سنة 1987م، ص:108

[12]-صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومه، ط2، 2012م، ص224-225.

[13]- صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، ص226.

[14]- بوقرّة أمال، واقع اللغة والتّهجين في الصّحافة الجزائريّة، صحيفة الشّروق اليـومي أنوذجـا مجلّة اللغة العربيّة، مجلد 21، ع: 46، 2019م، ص466-467.

[15]- بدالرّحمان منيف، الكاتب والمنفي المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، والمركـز الثّقـافي العربي بيروت، الطّبعة – 2001 III ص 107.

[16]- رمضان عبد التّواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص171.

[17] - سيبويه، 256/2

[18]- أوضح المسالك، 345/1

[19]- ميشال زكريا، الالسّنيّة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص107-110

[20]– شحدة فارغ وآخرون، مقدّمة في اللغويات المعاصر، ص138

[21]– ابن فارس. المقاييس. باب ما جاء من كلام العرب.ص328.

[22]– محمّد المبارك. فقه اللغة وخصائص العربيّة. ص 148.

[23]– جلال الدّين السّيوطي. المزهر في اللّغة، 85/1

[24]- بوقرةساميّة، أزمة اللغة العربيّة في شبكات النّواصل الاجتماعي، المؤتمر الدّولي للغة العربيّة 13/11 أفريل ،2019م، ص162

[25]– محمود فهمي حجازي. بحث الاختصارات الحديثة في وسائل الإعلام بين التّرجمة العربيّـــة والاقتراض المعجمي. ص6

[26]– جامعة الملك خالدّ بن سعود – المركز الإعلامي على الانترنت، ikaux.edu/sa

[27]– –مجمع اللغة العربيّة الأردني *www.majma.org.jo* .

الاقتراض اللغويّ في سياق ما بعد كولونيالي:
بين برادايم الهيمنة وبرادايم التواصل

د. بوسحابة رحمة
جامعة معسكر

ملخّص: بدأت دراسات التّرجمة الانسلاخ عن دائرة اللسانيات التي احتضنتها في المراحل الأولى لتأسيسها، التي تعتبرها جزءا منها خاصّة في سياقها–أيّ اللسانيات– البنيوي والوظيفي، ويعود ذلك إلى أنّ التّرجمة وجدت المعين في اللسانيات كعلم لغوي صارم لمعرفة بنيّة اللغات وخصائصها، وسبل التّواصل بينها، والتّقريب بينها.

ومع منتصف ثمانينيات القرن الماضي، حدث التّطوّر الحاسم في دراسات التّرجمة التي تحوّلت إلى الاهتمام بقضايا التّواصل بين الثّقافات، وذلك مع ازدياد ممارسة التّرجمة في جميع أنحاء العالم بفعل العولمة، والانفجار الحاصل في المجال الإلكتروني the information revolution، الذي أدّى إلى تسليط الضّوء بشكل متزايد على قضايا الاتصال بين الثّقافات issues of intercultural communication ، وذلك من خلال البحث في تاريخ التّرجمة، فالقرن الواحد والعشرون كما يصفه العالم الإيرلندي Michael Cronin، هو قرن السّفر العظيم عبر الزّمان time والمكان space[1].

وبناءً على هذا التّحوّل المفصلي في توظيف دراسات التّرجمة "أصبحت الدّراسات الأنثروبولوجيّة التي تتناول قضايا التّواصل بين الثّقافات، دراسات في التّرجمة بالمعنى الدّقيق، وذلك مع ظهور كتابات مثل مقالة طلال الأسد" في التّرجمة الثّقافيّة"، وكتاب يوهانز فابيان "اللّغة والسّلطة الكولونياليّة"، وكتاب "جيمس سايجل" "وحيدًا في نظام جديد"[2]، التي تعدّ اليوم في أدبيّات التّرجمة الارهاصات الأولى لتأسيس النّظريّة ما بعد الكولونياليّة في التّرجمة.

1- التّرجمة والنّظريّة ما بعد الكولونياليّة: مابعد الكولونياليّة هي نظريّة معاصرة لتحليل الخطاب الاستعماري، وإعادة قراءة التّاريخ من وجهة نظر التّابع، يُعزى تأسيسها إلى المفكّر الفلسطيني "إدوارد سعيد" و"هومي بهابها" و"غاياتري"، الذين أجمعوا على أنّ الخطاب الاستعماري الغربي كان أداة حاسمة في سيطرة الغرب على الشّرق، وهي المقولة الأساسيّة لهذه النّظريّة.

غير أنّ مفهوما نهائيا ثابتا لنظريّة ما بعد الاستعمار لم يتبلور بعد في شكل نهائي إذ تتعدّد تعريفاته، وقد حاول الباحث الأمريكي "دوجلاس روبنسون" حصرها ضمن ثلاثة اتجاهات رئيسة هي[3]:

أ- دراسة مستعمرات أوروبا السّابقة منذ استقلالها؛ أيّ كيف استجابت لإرث الكولونياليّة الثّقافي، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه خلال الاستقلال، وتشير الصّفة «ما بعد الكولونياليّة» إلى ثقافات ما بعد نهايّة الكولونياليّة، والفترة التّاريخيّة التي تغطّيها هي تقريباً النّصف الثّاني من القرن العشرين.

ب- دراسة مستعمرات أوروبا السّابقة منذ استعمارها؛ أيّ الكيفيّة التي استجابت بها لإرث الكولونياليّة الثّقافي، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه منذ بدايّة الكولونياليّة. وهنا تشير صفة «ما بعد الكولونياليّة» إلى ثقافات ما بعد بدايّة الكولونياليّة. والفترة التّاريخيّة التي تغطّيها هي تقريباً الفترة الحديثة، بدءاً من القرن السّادس عشر.

ت- دراسة جميع الثّقافات، المجتمعات، البلدان والأمم من حيث علاقات القوّة التي تربطها بسواها؛ أيّ الكيفيّة التي أخضعت بها الثّقافاتُ الفاتحة الثّقافاتِ المفتوحةَ لمشيئتها؛ والكيفيّة التي استجابت بها الثّقافات المفتوحة لذلك القَسْر أو تكيّفت معه أو قاومته، أو تغلّبت عليه. وهنا تشير صفة "ما بعد الكولونياليّة" إلى نظرتنا في أواخر القرن العشرين إلى علاقات القوّة السّياسيّة والثّقافيّة. أمّا الفترة التّاريخيّة التي تغطّيها فهي التّاريخ كلّه.

وباعتبار أنّ الدّراسات ما بعد الكولونياليّة تعتمد في جوهرها على دراسة العلاقة بين ذاتين مختلفتين سيطرت إحداهما على الأخرى ضمن ظروف مخصوصة في مراحل تاريخيّة معيّنة، فإنّ التّرجمة وثيقة الصّلة بهذا النّوع من الدّراسات من حيث التّوسّل بها لدراسة العلاقات غير المتساويّة بين لغات هذه الذّوات، وسرديّات التّفوّق والهيمنة والهامش من جهة، ومن جهة وظيفة التّرجمة ذاتها التي لم تكن في هذا السّياق الكولونيالي مجرّد أداة مثاليّة للنقل الأمين الحرفي بقدر ما كانت اداة لنقل أفكار القوي بغرض تعزيز سيطرته.

وبرغم اجتهادات باحثيها النّظريّة والتّطبيقيّة، ظلّت كلّ المقاربات التّرجميّة وحتى تلك التي تتعلّق مقولاتها بما بعد الكولونياليّة تدور في فلك الحرفيّة أو الحرّيّة باعتبارهما طرفين متجاورين متواشجين تارة ومتعارضين تارة أخرى في كلّ محاولة انتقال من لغة إلى أخرى، مهما تعدّدت التّسميات ودرجات الشّدّة وحدّة التّطبيق فانبرى فريق للدفاع عن مبدأ الدّقة والأمانة، في حين راح الفريق الثّاني يثني على التّكييف والتّصرف والتّحويل، وما أضافته الدّراسات ما بعد الكولونياليّة لهذه الجدل يتمثّل بشكل أساسي باعتبار أنّ التّرجمة فعل معرفي يطرح قضايا عدّة، تتجاوز البعد اللساني إلى أبعاد فكريّة وثقافيّة، وذلك من حيث كونها لقاءً بين الذّات والآخر، وما ينتج عن هذا اللقاء من جدل علاقة الذّات بذاتها وتراثها وتطوُّرها من خلال اشتغالها على لغتها وتوسيع مداركها من جهة، والتّوجُّه نحو الآخر وفهمه ضمن شروطه التّداوليّة ومعقوليّته اللغويّة ومرجعيّته التّراثيّة من جهة أخرى.

وعلى أعتاب هذا الجدل واتجاهاته، يبرز التّعارض الأصيل بين نوعين من التّرجمة، تُعنى الأولى، وهي التّرجمة التّحويليّة la traduction hypertextuelle بإدماج الآخر في الإطار الثّقافي للذَّات، بنقل المعنى دون اعتبار للقالب اللغوي الذي يحمله، وما يعنيه ذلك من اختفاء للّغة الأصل، فيما تعمل الثّانيّة وروح اللغة الأصليّة تلقّها، فتترجم النّص والكلمة بالنّظر إلى السّياق الأصلي، وبما تحمله من بناء لساني وهي ما تسمّى بترجمة الحرف la traduction de la lettre، التي تطمح إلى أن تنتج

نصّا منفتحا على الفضاء اللساني للمتلقّي مع الحفاظ على جسديّة الأصـــل، دون هـــدم حرفه وخصائص نظامه اللغوي، والمنطق الذي يتحكّم فيه، فتصبح اللغة المستقبِلة بذلك قادرة على اكتساب خصائص جديدة من النّص الأصلي.

ولكلّ من هذين النّهجين في التّرجمة اساليب واجراءات خاصّـــة، تتكفّـــل بتحقيـــق رؤيتهما:

1- **إجراءات التّرجمة التّحويليّة: تحيل** عمليّة التّحويل على كلّ نص هدف ينشـــأ عبر تغيير يحدث على مستوى النّص الأصلي، وقد نشأ هذا المفهوم بناء على مفهـــوم الاتّساعيّة النّصيّة الذي وضعه جيرارد جونات حول النّص المتّسع او المحـــوّل بـــنص سابق وهو النّص المنحسر[4]، ومن أبرز الدّراسات التّرجميّة التي اهتمَّت بالتّحويل هي تلك التي تمّت على يد "أوجين نايدا" في الولايـــات المتّحـــدة الأمريكيّـــة، والمقاربـــات الوظيفيّة في ألمانيا ومن أشهر رُوَّادها فولفرام فيلس، وآلبرخـــت نيـــوبرت Albreckt Neubert وغيرهما[5] ولاحقا رايس وهانز فيرمير في نظريَّتهما التي اصـــطُلح علـــى تسميتها بنظريّة "سكوبوس" Skops (نظريّة الهدف)، والتي تنصّ على أنّ القصد مـــن وراء النّص الهدف هو الذي يحدّد أساليب التّرجمة واستراتيجيتها، وليس وظيفة الـــنّص المصدر[6]. ويدأب الوظيفيّون إلى السّعي من أجل إيجاد أفضل الحلول في إطار العوامل الثّقافيّة للوصول إلى ترجمة جيدة، والتي هي بنظرهم، تلك التّرجمة التي تُنـــتِج نصّـــاً يكون عند تلقِّيه طبيعيّاً وسَلِساً.

وحتى يتمكّن المترجم من بلوغ هذا الهدف، سيكون مضطرا في أغلب الأحيان إلى إجراء تعدّيلات وتغييرات في النّص الهدف، وتذهب "سوزان باسنت" أنّ هـــذه الرّؤيّـــة التّحويليّة في التّرجمة، بشكل عام، تعتمد بالضّرورة على التّكييف لتعويض أيّ نقـــص في الثّقافة المستقبلة[7]، وهو ما تؤكّده "منى باكر" بدورها في قولها:

« Anything that is likely to violate the target reader's expectation, must be carefully examined , if necessary adjusted in order avoid conveying

the wrong implicatures or even failing to make sense altogether under the category of modification » [8] .

" أيّ شيء من شأنه أن ينتهك توقُّع القارئ الهدف يجب فحصه بتــأنّ ، وإذا لــزم الأمر تعدّيله من أجل تفادي نقل المضامين الخاطئة، أو حتى بلوغ حــدّ خلــق شــعور بذلك تحت بند التعدّيل" (التّرجمة لنا)

وتشمل هذه الأساليب كلاًّ من الايضاح بأنواعه والتّضمين والتّعويض.

2- **إجراءات التّرجمة الحرفيّة:** تختلف التّرجمة الحرفيّة عن التّرجمة كلمة بكلمة، التي هي عمليّة إعادة استنساخ للنص الاصلي، إذ تعمل "التّرجمة الحرفيّة على مستوى نظام اللُّغة والنّص أيّ عند النّقطة التي يلتقي فيها النّظامان معاً، فيما يُســمّى بــالمنطق الذي ينتج النّص ويصنعه، وليس إعادة اصطناع النّص الأصل facticité"[9] ، ويُســمَّى أهل النّظر في هذا التّوجّه التّرجمي بتيّار الغرائبيّة، الذي يعنى بنفي البعد التّحويلي عن التّرجمة لصالح الاهتمام بالحرف، أيّ تلقِّي النّص الأصل في جسديّته، التي لا تنفصــل عن حرفه، وهنا بالضّبط تكمن الغايّة الاخلاقيّة للترجمة بحسب هذا التّيار، باعتبارهــا تحافظ على فضيلة الأمانة، التي لا يمكن أن تكون سوى للحرف وباحترامه[10].

ويجعل هذا التّيار من التّرجمة تعرّفا على الغريب، والدّعوة إلى مــا يصــطلحون على تسميته بــ"التّربيّة على الغرابةéducation à l'étrangeté"، التي يربطها "برمان" بالفعل الأخلاقي الذي يتمثّل في الاعتراف بالآخر، وإقامة علاقة معه مُتبنّيا بذلك مفهوم لوفيناس Levinas للفعل الأخلاقي، الذي يرى أنّ طبيعته متضمّنة في حكمة الإغريــق والعبرانيين الذين يرون أنّ الإنسان يلتقي بالإله أو المقدّس من خلال صورة الغريــب. وبهذا تكون غايّة التّرجمة عند برمان، وتيار الغرائبيّة ككلّ، ليست مجرّد التّواصل، بل الانفتاح على الغريب وفضائه اللساني الخاصّ، لكن باعتباره غريبا[11].

ويمثّل هذا التيار في أمريكا الشّماليّة، المنظّر الأمريكي" لورنس فينوتي" الذي يرى أنّ اعتبار نجاح التّرجمة يعتمد على قراءتها بطلاقة يعني، في الواقــع، تهمــيش دور المترجم الممارس، الذي سيُصبح مجبرا على طمس ذاته لصالح المؤلّــف، أو لصــالح

القوابل في الثّقافة المستقبِلة، وإمّا لصالحهما معاً، كما يعني من جهة ثانيّة طمس الفروق اللسانيّة والثّقافيّة بين الأمم، وذلك عبر تكييف الصّور والاستعارات الموجودة في النّص الأصلي لتتلاءم مع الأنساق والمعتقدات في الثّقافة المستقبِلة، أيّ أنّ المترجم سيجد نفسه مجبراً على تحريف النّص الأجنبي، يسمّي فينوتي هذه العمليّة بـ: "التّدجين" Domestication، وينتقد فينوتي بشدّة نظريّة التّكافؤ الدّيناميكي عند نايدا التي يرى أنّها تعكس تعصُّب نايدا المسيحي، ذلك أنّ دعوة نايدا إلى إحداث أثر على قارئ النّص الهدف، يُعادل الأثر الذي أحدثه النّص المصدر على قارئه، هو دعوة إلى التّوطين بهدف التّبشير. كما أنّ سعي نايدا وراء الشّفافيّة والسّلاسة، بحسب فينوتي يعني عدم تقدير الفوارق الثّقافيّة واللغويّة، وإقصاء ثقافات اللّغات الأخرى[12].

ويطرح الغرائبيّون في مقابل صفة التّواصليّة التي يرفضونها، رُؤيّة أُخرى تجعل من التّرجمة تعرّفا على الغريب، والدّعوة إلى ما يصطلحون على تسميته بـ "التّربيّة على الغرابة "éducation à l'étrangeté، التي يربطها "برمان" بالفعل الأخلاقي الذي يتمثّل في الاعتراف بالآخر، وتقبّله كما هو، وإقامة علاقة معه، مُتبنّيا بذلك مفهوم لوفيناس Levinas للفعل الأخلاقي، الذي يرى أنّ طبيعته متضمّنة في حكمة الإغريق والعبرانيين الذين يرون أنّ الإنسان يلتقي بالإله أو المقدّس من خلال صورة الغريب. وبهذا تكون غايّة التّرجمة عند برمان، وتيار الغرائبيّة ككل،ليست مجرّد التّواصل، بل الانفتاح على الغريب وفضائه اللساني الخاص، لكن باعتباره غريبا[13].

ولهذا النّوع من التّرجمة اجراءاته وأساليبه واستراتيجياته التي اختلفت تسمياتها عند منظّريّ التّرجمة، فهذا باستين Georges L Bastin يجعلها إجراءين هما استنساخ الاصل transcription of the original والبسط expansion ، والذي غالبا ما يكون في الهوامش والمسارد، أمّا فيناي وداربلني فيجعلناها ثلاثة هي المحاكاة والتّرجمة الحرفيّة، والاقتراض الذي يعتبر من أهمّ هذه الأساليب التّرجميّة وأكثرها إثارة للجدل في اللغة المستقبلة، نظرا لجملة القضايا والاشكاليات التي يطرحها بدايّة من المستوى الصّوتي إلى الدّلالي والوظيفي.

مفهوم الاقتراض:الاقتراض لغة من اقترض يقترض اقتراضا. و "اقترضتُ منه أيّ أخذْتُ منه القروض وأقترضه أيّ أعطاه قرضاً. ويقال أقرضه المال أو غيره والقرض ما تعطيه غيرك من مال أو نحوه على أن يردّه إليك"[14]، أمّا اصطلاحا فالاقتراض اللغوي ظاهرة لا تكاد تخلو منها لغة من اللغات على مرّ العصور، وتسمّى هذه الاستراتيجيّة في التّرجمة بالاستنساخ الصّوّاتمي أو الاقتراض l'emprunt/ borrowing، وهي استراتيجيّة تغريبيّة في التّرجمة، يُلجأ إليها في حالة ما إذا كانت اللغة المستقبِلة تفتقر إلى مفردات تعبّر عن مفهوم جديد، فيأخذ المترجم المفردة كما هي في اللغة الأصل ويعيد كتابتها بأحرف اللغة المستهدفة دون ترجمتها.

وقد شرّع عدد من منظري التّرجمة لهذه التّقنيّة وعلى رأسهم فيناي داربلني والذين يعتبرونه إجراءً يهدف الى إصباغ النّكهة المحليّة على النّص المترجم تذكر القارئ بأجنبيّة ما يقرأه وغرابته، ويسمّيه بيتر نيومارك بـ transcription أيّ الكتابة الصّوتيّة، ويندرج عنده ضمن الكلمات المستعارة loan words والتّبنّي adoption والنّقل transfer، ويصف هارفي هذا الاجراء بأنّه يقع أمّا لادميرال Ladmiral فيعتبره "الحلّ اليائس" الذي يلجأ إليه المترجم عندما تواجهه كلمة لا مقابل لها في لغته.

ومع انفتاح دراسات التّرجمة اليوم على أبعاد تواصليّة وثقافيّة أكثر شمولا من البعد اللغوي، تحوّلت ظاهرة الاقتراض اللغوي من مجرّد إستراتيجيّة ترجميّة يتعامل فيها المترجم، لغويّا فحسب، مع مفاهيم جديدة على الثّقافة الأصل، إلى ظاهرة تُضمر أبعادا كليّة تتعلّق بمفاهيم ما بعد الكولونياليّة مثل هيمنة لغة المركز على لغات الهامش باعتبارها نتيجة منطقيّة للهيمنة الاقتصاديّة والعسكريّة والسّياسيّة وغيرها من جهة ومن جهة ثانيّة تضمر – في اتجاه آخر – إستراتيجيّة تحفظ للآخر المختلف خصوصيّته وحقوق ملكيّته للمفهوم وثوبه اللغوي.

وتتوقّف نسبة الاقتراض في لغة ما إلى مستوى الاحتكاك والتّواصل الثّقافي والحضاري مع لغة أخرى، فكلّما ازدادت النّسبة تبيّن أنّ التّواصل أكثر عمقا وقوّة سواء تعلّق الأمر بتراتبيّة القوّة بين الآخذ والمعطي مثلما هو الحال بين أغلب لغات

العالم واللغة الانجليزيّة التي فرضت مصطلحاتها ومعجمها اللغوي على العالم أجمع في شتّى المجالات نتيجة قوّة نفسها في هذه المجالات، أو تعلّق الأمر بالاقتراض نتيجة التّواشج بين لغتين تنشطان في مجال تداولي واحد أو متقارب كما هو الحال بالنّسبة للغة العربيّة والأمازيغيّة.

ظاهرة الاقتراض بين العربيّة والأمازيغيّة في الجزائر: وصل الاسلام إلى الجزائر في عهد الدّولة الأمويّة من 670 إلى 711م واعتنق الأمازيغ الدّين الجديد وآمنوا بدعوته: "التي رأوا فيها أداة للتحرير القومي والاستقلال الوطني، إلى جانب الانعتاق الفكري والرّوحي"[15]. وبغض النّظر عن السّجال الايديولوجي الذي تمحور حول طبيعة الفتح الاسلامي للمنطقة، وارتباطه بالتّعريب وتهميش اللغة الأمازيغيّة ومن ثمّة ثقافتها فإنّ التّعامل مع الواقع سيكون أكثر إفادة وعمليّة، من خلال طرح الإشكاليات الحقيقيّة التي تخفّف من حدّة هذا الجدل، وتتجاوزه وتحوّله إلى اختلاف ايجابي يسهم في إثراء الهويّة الوطنيّة بكافّة مكوّناتها.

ولمّا كانت الهويّة الوطنيّة تقوم على العربيّة والامازيغيّة لغتين رسميتين فإنّ أهمّ الإشكالات التي يمكن أن يطرحها هذا الوضع هو ظاهرة الاقتراض بين اللغتين وما تشير إليه من الانفتاح والتّلاقح بين اللغتين، وتحقّقٌ للتقارب بين متكلّميها، أو اعتبارها مؤشّر هيمنة وفق مقولات دراسات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة التي تعتمد في جوهرها على دراسة العلاقة بين ذاتين مختلفتين، سيطرت إحداهما على الأخرى ضمن ظروف مخصوصة في مراحل تاريخيّة معيّنة، ومحاولة دراسة العلاقات غير المتساويّة بين لغات هذه الذّوات، وسرديّات التّفوّق والهيمنة والهامش.

ويَعتبِر "إريك تشيفتيز"، مُنظِّر الثّقافة الأمريكي الذي حاول وضع الخطوط العامّة لنظريّة ما بعد الكولنياليّة في التّرجمة، أنّ المقولة المؤسّسة للترجمة الإمبراطوريّة هي تلك المُستوحاة من عمل شيشرون في الابتكار، وهي مقولة "وصول رجل قادر على تحضير البشر الآخرين"، التي يقوم من خلالها زعيم فصيح بإقناع بشر همج بأن يخضعوا لأوامر القانون والثّقافة"، وقد ضمّنها في نصّه التّالي:

" كان الرّجال مبعثرين في الحقول ومختبئين في مأوى الغابات حين جمعهم ولمّهم في مكان واحد، تبعا لخطة، حيث أدخلهم إلى مهنة بالغة الإفادة والشّرف، مع أنّهم صرخوا ضدّها في البدايّة بسبب جِدّتها، ثمّ حين راحوا يصغون بالعقل والفصاحة وبانتباه شديد حولهم من همج بريين إلى شعب لطيف ورقيق" (ترجمة ه. م هبل مع تعدّيل طفيف بحسب نقد تشيفيتز أورده تشيفيتز 1991: 113)[16].

غير أنّ هذه الافتراضات والمقولات قد تصحّ على الذّوات المختلفة كلّيّة والمتنافرة التي يكون أحد طرفيها قويّا والآخر ضعيفا، وهو ما لا يتوفّر في حال العربيّة والأمازيغيّة عبر خاصّيّة الاقتراض خصوصا، فهي عمليّة كانت ولازالتّ حتميّة باعتبار التّقارب والتّعايش بينهما لفترات طويلة، وكان الدّين الاسلامي عاملا حاسما في تحقيق التّواصل والتّقارب لا الهيمنة بين الطّرفين، إذ أنّ التّمازج قد حدث لمدّة قرون بين العربيّة والامازيغيّة، فقد اقترضت هذه الأخيرة من العربيّة بشكل مباشر وطيلة تعايشهما معاً رصيداً معجميا تتراوح نسبته مابين 5 الى 38 في المائة من معجمها[1817].

ويجدر بالذّكر هنا أنّه من الطّبيعي أن تقترض الأمازيغيّة من العربيّة العناصر المعجميّة ذات الدّلالات الرّوحيّة والدّينيّة والأخلاقيّة والمعنويّة عموما، باعتبار أنّ العربيّة هي لغة القران الكريم الذي دان به الأمازيغ ومنها استمدّوا تعاليمه وقيمه، في حين اقتبست العربيّة من الامازيغيّة المحسوسات العامّة كأسماء النّباتات والحيوانات والمدن وغيرها التي حافظ عليها العرب والامازيغ كما هي[19]، ومثال ذلك كلمة فلوس التي تعني صغير الدّجاج وهي كلمة امازيغيّة انتقلت الى العربيّة كما هي. أضافة إلى معجم كامل من الكلمات الأمازيغيّة التي تمّت محاولة تعريبها باضافة الألف واللام عليها مثل كلمة " سكسو" التي عرّبت إلى "الكسكس" في دارجة الاندلس، و"الدّربالة" أيّ المرقع من الثّياب والمزوار أيّ النّقيب الخ [20].

ويمكن القول في الأخير أنّ ظاهرة الاقتراض أمر مألوف في جميع الالسّن لأنّ اللغات كائنات حيّة منشؤها اجتماعي، تتعامل وتتواصل فيما بينها ولا سبيل للفصل

المطلق بينها، سواء كان هذا التّواصل مبنيا على براديم الهيمنة والسّيطرة ومنطق الأقوى الذي يفرض مصطلحاته باعتبار أنّ التّسميّة سلطة، أو براديام التّواصل الذي يتحقّق في البيئات التي نبذت الهيمنة وتراتبيّة القوى لصالح التّعايش والتّقارب والتّلاقح وهو ما تحقّق بين اللغة العربيّة والأمازيغيّة طيلة قرون من التّواشج والتّقارب.

مراجع البحث:

– إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التّراث العربي ج 2

– أنطوان برمان، التّرجمة والحرف، ترجمة عز الدّين الخطابي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت لبنان، 2010.

– دوغلاس روبنسون، التّرجمة والإمبراطوريّة، نظريّات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة ترجمة ثائر ديب، الطّبعة الأولى 2005م، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، مصر المشروع القومي للترجمة، العدد 886.

– علال الفاسي، ورد في عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط الخامسة،1996م المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب.

– كريستيانا نورد، تحليل النّص في التّرجمة، ترجمة محي الدّين علي حميدي، النّشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 2009م

– محمّد شفيق، الدّارجة المغربيّة مجال توارد بين العربيّة والأمازيغيّة، مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، سلسلة المعاجم، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط 1999م

–Mona Baker, Cited in, Bahaa–eddine Abulhassan Hassan, Literary Translation: Aspects of Pragmatic Meaning, first published 2011, Cambridge Scholars Publishing, UK

–Susan Bassnett, Translation studies, third edition 2002, Routledge Taylor and Francis Group, London and New York

هوامش البحث:

[1]-Michael Cronin, Across the Lines: travel, language, cited in Susan Bassnett, op cit p 01.

[2]-دوغلاس روبنسون، التّرجمة والإمبراطوريّة، نظريّات التّرجمة ما بعد الكولونياليّة ترجمة ثائر ديب، الطّبعة الأولى 2005م، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، مصر المشروع القومي للترجمة، العدد 886، ص 07 وما بعدها.

[3]- م ن ص 28

[4]- ينظر أنطوان برمان، التّرجمة والحرف، ترجمة عز الدّين الخطابي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت لبنان، 2010، ص 189/188

[5]- ينظر، م ن، ص 172 إلى 178.

[6]- ينظر: كريستيانا نورد، تحليل النّص في التّرجمة، ترجمة محي الدّين علي حميدي النّشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 2009م. ص 08.

[7] -See Susan Bassnett, Translation studies, third edition 2002 Routledge Taylor and Francis Group, London and New York. op cit , P 22.

[8] - Mona Baker, Cited in, Bahaa-eddine Abulhassan Hassan, Literary Translation: Aspects of Pragmatic Meaning, first published 2011, Cambridge Scholars Publishing, UK, p 20.

[9]- ينظر أنطوان برمان، التّرجمة والحرف، م ن ص 184

[10]- ينظر م ن، ص 104.

[11]- ينظر: م ن، ص102 /103.

[12]- ينظر م ن، ص 115من إلى 125.

[13]- ينظر: م ن، ص102 /103.

[14]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التّراث العربي ج 2 ص 733

[15]- علال الفاسي، ورد في عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط الخامسة 1996م المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب.ص 155

[16] -Cheyfitz Eric1991 the poetics of imperialism: translation and colonization from the Tempest to Tarzan New York: oxford University Press .103 ورد في : دوجلاس روبنسون، م س، ص 103.

17 ينظر محمّد شفيق، الدّارجة المغربيّة مجال توارد بين العربيّة والأمازيغيّة مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، سلسلة المعاجم، مطبعة المعارف الجديدة الرّباط 1999م ص 09.

[19]- ينظر م ن، ص 37.

[20] ينظر م ن ص 36.

الصّراع اللّغوي في الجزّائر
-مشاكل وحلول-

خديجة حمداوي
مخبر اللغة وتحليل الخطاب
جامعة محمّد الصّديق بن يحيى _ جيجل_

ملخّص: إنّ احتكاك اللغات وتأثّرها وتأثيرها ظاهرة قديمة قدّم التّاريخ، ولا تقتصر على زمننا الحاضر فقط، لكنّ حدّتها الآن أخذت في البروز أكثر ممّا كانت عليه من قبل نتيجة لما عرفته من تأثّر بالتّداخل الاجتماعي الحاصل لأسباب سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، ممّا تولّد عنه ما يسمّى بظاهرة الصّراع اللغوي، فأصبحت اللغة تعيش صراعا مع نفسها بالدّرجة الأولى، ثمّ صراعا مع لغات أخرى خارجيّة بالدّرجة الثّانية.

وتعدّ الجزائر إحدى البلدان العربيّة التي يتمظهر فيها إلاّ الصّراع بشكل واضح وجليّ، وهي تسعى جاهدة لوضع حلول من أجل التّعايش مع هذا الوضع لتحقيق هدف وهو الانسجام والتّوافق بين مختلف أطياف المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحيّة: اللغة العربيّة–الفرنسيّة–الأمازيغيّة–العاميّة–الصّراع اللغوي–التعدّد اللغوي–التّنوّع اللغوي–التعايش اللغوي.

Abstract: Languages get influenced by one another since ancient times not only nowadays. However, the intensity is way more present than that time, the reason why is that societies get in touch with one another for political, economic and social reasons, which created what we call the linguistic conflict, which makes the languages get into a

conflict with itself in the first place, and with other languages in the second place.

Algeria is considered as one of the countries where we can find this type of conflict, thus the country tries it's best to make an end to the conflict in order to achieve harmony and compatibility between the different components of the Algerian society.

مقدّمـــة: تنمو اللغة وتتطوّر وقد تموت أيضا، مثلها مثل الكائنات الحيّة، وهـــي أداة الفرد للتواصل مع غيره، فهي تؤثّر وتتأثّر به، ولمّا كان لها هذه الخصـــائص المميّـــزة والأهمّيّة البالغة وجب الاعتناء بها والاجتهاد اجتهادا منظمًا ومخططًا له وذلك من أجل حفظها وتنقيّتها وإصلاحها والدّفاع عنها وكذا تطويرها مـــن قبـــل الجهـــات الفاعلـــة والمختصّة بإبراز دور السّياسة والتّخطيط اللغويين بِعَدِّهِما الوســيلة الأمثــل لإيضـــاح الوضع اللغوي في بلدٍ ما.

وتعدّ الجزائر من بين البلدان التي تعيش تعدّداً لغوياً وهذه حالة عامّة؛ إذْ لا توجـــد بيئة أحاديّة اللغة، وبما أنّنا بيئة متعدّدة اللغات فقد ولدّ هذا التعدّد صـــراعا لغويـــا بـــين العربيّة ولهجاتها المختلفة من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبهـــا وبـــين العربيّة واللغة الأمازيغيّة بمكوّناتها أيضا (قبائليّة، شاويّة، ترقيّة، مزابيّة...)، وصـــراعا قائماً بينها وبين اللغة الفرنسيّة والتي وفدت عن طريق الاحتلال الفرنسي. لذلك وجـــب علينا البحث عن حلول لهذا الصّراع وذلك من أجل ترتيب المشهد اللّساني في الـــبلاد. وعليه يجدر بنا التّساؤل: فيم يتمثّل هذا الصّراع أو ماهي أهم مظـــاهره؟ ومـــا هـــي الحلول الممكنة لتجاوز هذا الوضع؟ وهل التعدّد اللغوي في الجزائر مظهر من مظاهر الصّراع أم أنّه مظهر من مظاهر التّنوّع اللغوي؟ أيمكن عدّ التّعايش اللغوي حلاً لهـــذا الصّراع؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة، ستتناول هذه المداخلة بعض النّقاط وهي كالآتي:

1-مفهوم الصّراع اللغوي.

2-أقسام الصّراع اللغوي في الجزائر:

2-1-صراع داخلي.

2-2-صراع خارجي.

3-مفهوم التّعايش اللغوي.

4-التّعايش اللغوي كحلّ لأزمة الصّراع في الجزائر.

5-السّياسة اللغويّة الضّامن لتحقيق التّعايش اللغوي.

1-مفهوم الصّراع اللغوي:

لا يمكن تحديد مفهوم الصّراع اللغوي إلاّ من خلال الحديث عن عوامله والتي يمكن أن نوردها كالآتي:[1]

الأوّل: قد يحدث على أثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة... أن ينزح إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله. فتشتبك اللغتان في صراع.

الثّاني: تجاور شعبين مختلفي اللغة ممّا يتيح فرصا كثيرة لاحتكاك لغتيهما، فأحيانا تنتصر إحدى اللغتين على الأخرى وتحتل مناطقها، فتصبح لغة مشتركة بين الشّعبين وأحيانا لا تقوى الواحدة على الأخرى فتعيشان معاً جنبا إلى جنب.

الثّالث: انقسام المتكلّمين باللّغة الواحدة نتيجة للاختلاف بينهم في الشّؤون الاجتماعيّة والسّياسيّة، وخواصهم النّفسيّة والجغرافيّة والشّعبيّة والفيزيولوجيّة، ينتج صراعا بين اللغة الأصل ولهجاتها المتفرّعة عنها.

ويمكن أن نمثّل للعامل الأوّل بحال اللغة العربيّة مع اللغة الفرنسيّة بعدِّ هذه الأخيرة لغة العنصر الأجنبي الذي وفد إلينا محتلاً. أمّا العامل الثّاني فيمكن أن نمثّل له بوضع اللغة العربيّة مع الأمازيغيّة في الجزائر. في حين العامل الثّالث يمثّل حال اللغة العربيّة واختلاف لهجاتها بعدد اختلاف بلدانها، وكذا الاختلاف والتعدّد اللهجي الحاصل داخل كلّ دولة عربيّة.

وممّا سبق قوله يمكن تحديد مفهوم الصّراع اللغوي على أنّه: ذلك الاحتكاك اللغوي _سواء بين لغتين مختلفتين كلّيا أم بين اللغة الأصل ولهجاتها أم بين لغتين متجاورتين_

الذي يولِّد تشابكا بين اللغات فيؤدّي إلى التّنازع على البقاء وسعي كلّ واحدة منها إلى الغلبة والسّيطرة على الأخرى.

2-أقسام الصّراع اللغوي في الجزائر: اتّبعنا هذا التّقسيم من خلال تمظهر اللغة في الجزائر في شكلين أو قسمين وهما أوّلا: الصّراع الدّاخلي وذلك بتفرّعها إلى لهجات مختلفة، وسنعد الصّراع بين العربيّة والأمازيغيّة صراعا داخليا كون هذه الأخيرة تتفرّع مع العربيّة من نفس الأرومة، وثانيا: الصّراع الخارجي مع لغة أجنبيّة متمثّلة في اللغة الفرنسيّة.

2-1-صراع داخلي: من المتعارف عليه أنّه بعد انتشار الإسلام في مختلف أصقاع الأرض، ورغبة الأعاجم ممّن احتضن الإسلام في تعلّم العربيّة من أجل حفظ القرآن الكريم، قد تسبّب في دخول اللحن على اللغة العربيّة فتفرّعت اللغة إلى لهجات مختلفة، رغم محاولة الكثير من علمائنا ونحاتنا توجيه أغلاط العوام وتصحيحها للحفاظ عليها، إلاّ أنّ اللغة العربيّة سرت في الألسن على شكل لهجات مختلفة فأصبحت كلّ بلاد لها لهجتها الخاصّة وفي كلّ بلاد تتفرّع تلك اللهجة بدورها إلى لهجات أخرى متفرّعةٍ عنها فـ«دخلت العربيّة في صراع داخلي مع نفسها، حين تعدّدت لهجاتها بفعل اختلاف البيئات العربيّة، وما صاحبه من اتّجاه الالسّنة إلى الاختلاف بين القبائل في النّطق(...)، فكان ذلك إيذانا بتعدّد اللغة المشتركة إلى لهجات تبتعدّ عن بعضها بظواهر عديدة منها الصّوتي، ومنها الدّلالي، ومنها التّركيبي»[2] وعلى سبيل الاختلاف اللهجي للغة العربيّة في الجزائر في مستواها الصّوتي نجد التّفاوت في نطق الحرف الواحد، كحرف "القاف"؛ إذ تتعدّد طريقة لَهْجِهِ من منطقة إلى أخرى، ففي تلمسان مثلا ينطق "أ"(قالك-آلك) في حين نجده في اللهجة الجيجليّة ينطق بنوع من الكاف المفخمة "گ" (قهوة_گهوة) أمّا في معظم مناطق الشّرق الجزائري فتنطق" ڨ "(قمر_ڨمر)، أمّا على المستوى الدّلالي فنجد مثلا: الاختلاف في دلالة الكثير من المفردات ونورد مثالا على ذلك: كلمة" بْحْذَاه " فهي في بعض المناطق بمعنى(وراءه)، وفي مناطق أخرى بمعنى (بجانبه)، وأصل الكلمة من الفعل (حذا) ويقال:«اجلسْ حِذَةَ فلان أيّ بحِذَائِه.

الجوهري: حَذَوْتُه قعدتُ بحِذائِه. وجاء الرّجُلَيْنِ حِذْيَتَيْنِ أيّ كلّ منهما إلى جنب صاحبه »[3] وعليه فالمعنى الأصلي لكلمة(حذاه) مازال متداولا اليوم بنفس المعنى في بعض اللّهجات ولكن تختلف دلالتّه في لهجة أخرى.

ويتجسّد الصّراع بين العربيّة والعامّيّة غالبا عند المتعلّم بعد دخوله المدرسة وقد تشبّع كلّيا بالعامّيّة التي هي بعيدة عن الفصحى، فيربط تعلّمه دائما بلغة الأمّ حدّ إدراج مفردات عامّيّة في خطاب يفترض أن يكون فصيحا (التّعبير الشّفهي أو الكتابي) ممّا يعيق لديه اكتساب اللغة العربيّة الفصيحة ومهاراتها. وبالتّالي يولّد لديه خلط في استعمال اللغة، بين المستوى الفصيح منها –الأمر الجديد عليه–وبين العامّي المألوف. ويمكن أن نشير في موضوع التّعليم بالفصحى أو العامّيّة أنّه قد نشأ مذهبان:[4]

الأوّل: يدعو إلى النّزول بالفصحى إلى مستوى العامّيّة، وحجّته في ذلك أنّ وجود لغتين الفصحى والعامّيّة في آن واحد يترتب عليه ازدواج في اللغة المستعملة، وأنّ الفصحى لم تعدّ سليقة عند العرب كما كانت عليه.

أمّا الثّاني فيدحض الأوّل ويرى أنّه رأي صادر عن جماعة من المستشرقين الغربيّين لا تستهدف في واقعها إلاّ محاربة الفصحى، محاوِلَةً القضاء على الرّابطة بين المسلمين ووحدتهم

ويعبّر غالبا عن هذا الوضع بمصطلح الازدواجيّة اللغويّة (Diglossia)، وهي ظاهرة تمسّ أغلب لغات العالم وليست خاصّة باللّغة العربيّة فقط، ففي اللغة الصّينيّة نجد مثلا «لهجة ويولي Weu –Li تقابل الفصحى بينما العامّيّة المانداري‍نيّة Mandarin عامّيّة معياريّة »[5]

وكحال الصّين وغيرها من البلدان ترد العربيّة والأمازيغيّة في الجزائر ضمن الازدواجيّة اللغويّة خصوصا وأنّ اللغة الأمازيغيّة تضمّ هي الأخرى لهجات متعدّدة منها « القبائل (القبائل الكبرى والقبائل الصّغرى)، الشّاويّة (المتكلّم بها في الأوراس [وبعض مناطق الوسط الشّرقي])، المزابيّة في (المزاب)، وبعض البقايا في كتلة شنوة وفي الصّحراء (هوغار)»[6] لا يمكن أن نصِفَ طبيعة العلاقة بين العربيّة والأمازيغيّة

على أنّها صراع لغوي بقدر ماهو صراع وهمي إيديولوجي محض تتجاذبــه بعــض الأطراف وتحاول إبرازه كمشكل لغوي تعاني منه الجزائر، في حين يمكن عدّه تنوعــا لغويا يعبّر عن ثراء ثقافي وتعدّد في العلاقات الاجتماعيّة؛ إذ من الممكن أن «لا تــتكلّم أسرتان متجاورتان لغة واحدة إطلاقا. ولكن هذا الخلاف اللغوي الــذي يفــرق بينهمــا حاليا طفيف لا يكاد يُحس»[7] أي أنّهما لغتان مختلفتان لكن يتبــادلان التّــأثير والتّــأثّر ويتعايشان مع بعض وهذه الرّوابط تضعف الاختلافات بينهما وتجعلهما فــي تــوازن لغوي.

2-2-صراع خارجي: خلال الفترة الاستعماريّة وبعدها وجدت الجزائر نفسها أمام شراكة لغويّة مع الفرنسيّة أحدثت صراعا لغويا حادّا؛ حيث تمّ فرض اللغــة الفرنســيّة على المجتمع الجزائري فأصبحت بذلك «لغة ثانيّة مستقرّة في مناهج الدّراسة وظلّــت على هذا الحال حتّى بعد رحيل المستعمر. وكأنّ تعليمها غدا تقليدا اتّباعيــاً كــالعرف الرّاسخ»[8]وصحيح أنّ فرنسا فشلت في سياستها بخصوص طمس اللغة والثّقافة العربيّــة وتنصيب الفرنسيّة لغة رسميّة كما هو الحال مع معظم مستعمراتها الإفريقيّة، لكنّه مــن المكابرة الوطنيّة الادعاء بأنّها لم تحقّق هدف الاغتصاب الثّقافي واللغوي فــي بلــدنا[9] حيث يتجلّى الصّراع واضحا بين العربيّة والفرنسيّة فــي كثيــر مــن الميادين(الحيــاة اليوميّة، التّعليم الإعلام،...)؛ فنرى لغة الشّارع الجزائري تَسْتَعْمِلُ كثيرا من مثل هــذه العبارات: دُوبْلِي الطّومُوبِيل (تجاوزْ السّيارة)، كْرَازَاتُــو الطّومُوبِيل(داســته السّــيارة) رَامَاسَاوهْ مُورْسُوَاتْ مُورْسُوَاتْ(جمعوه أشلاء أشلاء)[10] والذي أثّر سلبا على اســتعمال اللغة العربيّة، فأصبحت مهجّنة من قبل متكلّميها ينظرون إليها بسلبيّة في مقابل التّفاخر والاستعلاء حين يتحدّثون الفرنسيّة، وفي هــذا الصّــدد يجــب ذكــر قضــيّة تعلــيم التخصّصات العلميّة باللغة الفرنسيّة وهو من أكثر العوامل التــي « تحــدث صــراعا لغويا واضحا، وذلك من خلال الآثار النّفسيّة والعلميّة المترتّبة عنه؛ فعلى صعيد الأثــر النّفسي يتوغّل إلى نفوس المتعلّمين لأحد التخصّصات العلميّة عجز اللغة العربيّة عــن مجاراة التّطوّر العلمي الذي تشهده السّاحة المعاصرة، وبالتّالي يبدعون فــي انتقــاص

العربيّة، (...) وأمّا على الصّعيد العلمي فإنّ الاستمرار في هذا المسار يزيد من التّبعيّة لأصحاب التّقدّم، ونستمرّ نأكل كلّ ما يلفظ، حتى نصبح على هامش الطّريق»[11] فكـلّ ذلك قد أثّر على الهويّة اللغويّة والثّقافيّة للفرد الجزائري، ويبقى السّببَ الرّئيس الـذي يسهم في الإخلال بالانسجام الجمعي، وهذا الرّأي يؤكّده صالح بلعيد حين يقول: «وأمّـا الذي يمنع الانسجام الجمعي دخول اللغات الأجنبيّة في مزاحمة اللغة الوطنيّة، والذّهاب مذهب الاندماج في اللغات الأجنبيّة، وهو انتحار مضمون، واختزاليّة ساذجة تؤدّي إلى الاستنساخ والتّأخير»[12] فخلّف الصّراع بين العربيّة والفرنسـيّة أثـرا واضـحا علـى الانسجام الاجتماعي في الجزائر ويظهر جليّاً أنّ محاولة إعادة الاعتبار للغـة العربيّـة يبدأ بغرس الوعي الاجتماعي بأهمّيّة هذه اللغة في الأذهان الجزائريّة وأنّ اللغة العربيّة قادرة على مجاراة اللغات العالميّة، وأنّها شرط من شروط الهويّة فمن غيَّبَ لغتـه قـد غيّب هويّته.

كما يمكن أنّ يتحوّل هذا الصّراع إلى صراع ثقافي؛ إذ «يحدث أنّ المـرء الـذي يعرف لغة1 ولغة2 يتبنّى مزيجا غامضا من ثقافة1 وثقافة2. فتراه تـارة يميـل إلـى ثقافة1 وتارة يميل إلى ثقافة2. وتدعى هذه الحالة حالـة الصّـراع الثّقـافي cultural conflict.»[13] وهو أخطر ما يمكن أن يؤدّي إليه الصّراع اللغوي.

2-مفهوم التّعايش اللغوي: لا يمكن لأيّ مجتمع أن يستقرّ دون أن يـنعم أفـراده بقدرة التّعايش اللغوي والذي «يقصد به العيش المتبادل بين لغتين فأكثرِ فـي توافُـق ووئام داخل المجتمع على الرّغمِ من الاختلافات التي توجد بينهم(...) والسّمة الرّئيسـة في تعريف كلمة «التّعايش» هو علاقتها بكلمة «الآخرين» والاعتراف بأنّ «الآخرين »موجودون. وعلى ذات النّسق فإنّ التّعايش اللغوي يعني العـيش المشـترك للّغـات والقَبول بالتّنوّع اللّغوي في المجتمع الذي يوجد فيه أكثر من لغة، بما يضـمن وجـود علاقة إيجابيّة بين لغات المجتمع الواحد»[14] بحيث لا ينظر مـتكلّم لغـة معيّنـة للغـة الأخرى على أنّها موضع تهديد أو إقصاء.

3-التّعايش اللغوي كحلّ لأزمة الصّراع اللغوي في الجزائر: قبـل الولـوج إلـى قضيّة التّعايش اللغوي تجدر الإشارة إلى نقطة مهمّة حول التعدّد اللغوي بأنّـه ظـاهرة عامّة؛ إذْ لا يقتصر على مناطق معيّنة، كما يرى لويس جان كالفي« ولا هو سمة مـن سمات العالم الثّالث على وجه التّحديد، أو من سمات البلدان النّاميّـة التـي نتصـورها بداهةً موزّعة بين "لهجاتها"، و"لغاتها المحليّة" و"لغاتنا"، فالتعدّديّة اللغويّة قدر مشـترك وإن ظهرت بأشكال مختلفة في كلّ حال»[15]وعليه فنحن نعيش في عالم متعدّد اللغـات وبما أنّ السّمة الأساسيّة للفرد هي التّواصل مع الآخر، فعليه قبول التّعايش مـع هـذا التعدّد، لأنّه في الأصل لا توجد بيئة أحاديّة اللغة، وما تقوم به الـدّول إزاء الأوضـاع اللغويّة، إنّما هو للمحافظة على لغاتهما الوطنيّة من الافتراس اللغوي* الذي قد تمارسه إحدى اللغات الخارجيّة على اللغة الوطنيّة لتحلّ مكانها.

3-1-تعايش العربيّة والعامّيّة: تبقى اللهجات تطوّرا طبيعيا للّغة العربيّـة لأنّهـا « أوّلا وقبل كلّ شيء، كيان لغوي وحتى عندما نحسب حساب الظّروف الخارجيّة في تكوين اللهجات، يبقى أنّ هذه الظّروف تستند جوهريا إلى التّطوّر الطّبيعـي لعناصـر اللغة»[16] واختلاف اللهجات إنّما هو في الأخير تعبير عن نمط لغوي واحد هو اللغـة العربيّة الفصيحة وإن اختلفت عنها في طريقة النّطق وابتعاد دلالة بعض الألفاظ فيهـا عن المعنى الأوّل إلاّ أنّ فيها شيء من الفصيح الأصل إذا رجعنا إليه. كما أنّـه «فـي كلّ لغات العالم هناك لغة عليا؛ هي لغة الإبداع والإنتاج والآليّة، وأمّا اللغات المعبّرة لا تخلو من تنوع؛ ففرنسيّة المبدع والمخترع والشّـاعر، ليسـت هـي لغـة الفرنسـي الشّفاهيّة.»[17]

والتّعايش بين العربيّة والعامّيّة لا يتمّ إلاّ من خلال ترقيّة العامّيّة إلى لغـة فصـيحة وذلك عن «طريق القضاء على الأمّيّة، يعني على الأمد البعيد. وهذا يجـب أن يكـون مشروع المجتمع العربي بصفة عامّة»[18] بحيث لا يمكن أن نرتقي باللغة مع شعب أمّيّ

يجهل النّطق بلغة عربيّة سليمة، فإذا حصل وفعلنا فسنضيق مسافة الفجوة بين العاميّة والعربيّة، وبالتّالي خلق مجتمع جديد واعٍ ومدرك لمعنى الهويّة اللغويّة.

ب-العربيّة والأمازيغيّة تقارب لغوي ووحدة شعب: إنّ الرّابطة بين العربيّة والأمازيغيّة قديمة ولا يمكن أن نصفها بالصّراع لأنّ هذا الصّراع ولّده بالأساس الاستعمار الفرنسي لتفرقة الشّعب الجزائري والتّرويج لفكرة أنّ الأمازيغ أصحاب الأرض وأنّ العرب احتلوا أرضهم؛ والذي يجب أن نشير إليه أنّ العرب دخلوا الأرض فاتحين لا محتلّين والفرق شاسع بين الاثنين، حيث «عاشت العربيّة بلهجاتها والأمازيغيّة بلهجاتها وتأدياتها جنبا إلى جنب طوال القرون الماضيّة ولم يحصل بينهما أيّ صراع، بقدر ما كان التّكامل والتّداخل تلاقحا وتبادلا في الأدوار والوظائف»[19] كما أنّ هذا التّلاقح الحاصل ولّد بينهما تقاربا لغويا فوُظِفت المفردات العربيّة في اللغة الأمازيغيّة وتمّ تداولها والعكس صحيح.

وأفضل صورة للفكرة التّعايش مع الأمازيغيّة في الجزائر التي يمكن أن نمثّل بها هي تلك «الصّورة البريئة لما يمكن أن يحلّ به أشكال اختلاف اللهجات باختلاف الجهات في الوطن... هو وضع اللغة العربيّة وقداستها في وادي ميزاب، ماضيا وحاضرا، حيث لا يوجد من المزابيّين من يتحدّث بغير اللهجة الميزابيّة (البربريّة) في البيت، وفي الحياة اليوميّة مع أفراد العشيرة... وفي الوقت ذاته لا يوجد فرد من وادي ميزاب يتعامل بغير اللغة العربيّة (شفاهيا أو كتابيا) مع باقي المواطنين، من أفراد الأمّة في كافة أنحاء الوطن وخارجه»[20]، فالرّوابط المتبادلة بين اللغتين تعمل« على إضعاف الفروق بينهما وتكوين نواة مشتركة»[21].

وكحصيلة للتعايش بين العربيّة والأمازيغيّة يمكن أن نستشهد بقول رسولنا الكريم ﷺ « **أَيُّهَا النّاسُ، إنّ الرّبَّ وَاحِدٌ، والأَبَ وَاحِدٌ وَأَنَّ الدّينَ وَاحِدٌ، ولَيْسَتْ العَرَبِيّة بِأَحَدِكُمْ مِنْ أَبٍ ولاَ أمٍّ، وإِنَّمَا هِيَ اللِّسَانُ فمَنْ تَكَلَّمَ العَرَبِيّة فَهُوَ عَرَبِيٌّ..**»[22] أيّ أنّ العربيّة هي الوعاء الذي تذوب فيه وتتصهر كلّ الأعراق والأجناس والطّوائف

التي تعرّبت. زد على ذلك أنّ العرب والأمازيغ في الجزائر تصاهروا وتناسبوا وامتزجت الأصول فيما بينهم، وأصبح من الصّعب تمييز العربي من الأمازيغي وتَحَدُّثُ الواحد منا بالعربيّة أو الأمازيغيّة ليس دليلا أبدا على عربيّة العربي وأمازيغيّة الأمازيغي وبالتّالي جدير بنا أن نسأل أين يكمن الصّراع؟ وبين من؟!

ج–تعايش العربيّة والفرنسيّة: بغض النّظر عن كون الفرنسيّة لغة الاحتلال الفرنسي الذي حاول جاهدا طمس الهويّة العربيّة للشعب الجزائري فإنّه يمكننا القول في قضيّة التّعايش بينهما أنّ «الاختلاط كان دائما زادا أساسيا للمعجم، واللغات تحيا بالاقتراض المتبادل فيما بينهما وكلّ محاولات تصفيّة اللغة وتنقيتها برفض الكلمات الأجنبيّة، ورفض التّوليد العفوي* فيها إنّما تقيم تناقضا بين العلم والعصبيّة للوطن»[23] أيّ التّقليل من العصبيّة للغة الوطنيّة، والانفتاح على اللغات الأجنبيّة، لكن بوصفها لغة علم لا أكثر، وهنا يكمن الخلط بين أنّ نجعل لغة أجنبيّة وسيلة للتخاطب في مقابل تهجين اللغة الوطنيّة وبين أن نرى فيها وسيلة معينة للانفتاح على العلوم، لذلك يجب فهم أين تكمن الغايّة من دعوتنا للتعايش اللغوي مع اللغة الفرنسيّة، أيّ كأن ننظر إليها بشيء من البراغماتيّة–من تعلّم لغة قوم آمن شرّهم ونال خيرهم أيضا–، فـ «هذه اللغات أصبحت ضرورة حتميّة في عصرنا هذا المائج الثّائر بالثّقافات والمعارف المختلفة. ولكن ليس من رأينا أن تطغي هذه اللغات على لغتنا القوميّة وثقافتنا المميّزة والرّاسمة لشخصيّتنا العربيّة»[24] فينساق المتكلّمون طامسين هويّاتهم بدعوى الرّقي والتّحضر.

ويمكن تحديد قبول التّعايش اللغوي مع الفرنسيّة في ترشيد ما يسمّى بالثّنائيّة اللغويّة إلى ثنائيّة لغويّة واعيّة، وذلك « بأن يطرح على النّاشئة سؤال الوعي المباشر: لماذا نتعلّم اللغة الإنجليزيّة؟ أو: لماذا نتعلّم اللغة الفرنسيّة؟ أو لماذا نتعلّم لغة ثانيّة؟ ولعلّ الإجابة "الدّيمقراطيّة" عند ذلك ستفضي بنا إلى تعيين اللغات المفيدة والأعداد الرّاغبة والغايات المنشودة(...). ولعلّنا لو فعلنا ذلك لأصبح تعلّم المتعلّم لغة ثانيّة يرغب فيها موقنا بجدواها مشدودا على هدف معلوم موجّها بحافز يؤدّي إلى الإتقان تدبيرا رشيدا

ورأيا سديدا.»[25] . أيّ أن يكون المتعلّم على وعي بأهمّيّة لغته الوطنيّة والتي تمثّل هويّته بالدّرجة الأولى. وعلى وعي كذلك بالهدف من تعلّمه لغة ثانيّة وهو استيراد العلم ثمّ تطويره فيما بعد، «فالعلم ليس مِلكا للُغة من اللغات، فلا وطن له، رغم أنّه يستورد، لكن لا يستوطن، بل إنّه يزرع ويحصد في كلّ بلد»[27] أيّ أنّ العلم ليس حكرا على أصحاب لغة معيّنة ليفرض التّعلّم بها.

كما أننّا لسنا ضدّ اللغة الفرنسيّة أو ضدّ تعلمها بل ضدّ « الهيمنة التي تزاحم بها العربيّة والأمازيغيّة، وتأخذ مساحات على حسابهما، وضدّ الحملات التي تشنّها على إثارة نعرات القبائل بأنّ حقوقهم اللغويّة مهضومة»[27]

4- السّياسة اللغويّة الضّامن لتحقيق التّعايش اللغوي: إنّ احتضان فكرة التّعايش اللغوي كحلّ سياسي لغوي يضمن لنا العيش معاً بسلام؛ لأنّ السّياسة والتّخطيط اللغويين يمثّلان الوجه الآخر للظاهرة اللغويّة، بحيث يجب أن تتكاثف جهود اللسانيين والسّياسيين لتحقيق حلّ للمشكلات اللغويّة التي نعيشها «فلا تخطيط دون لسانيين وعلى هؤلاء أن يفاوضوا دائما السّلطة السّياسيّة التي نادرا ما تكون علميّة الأهداف»[28] ليكون لهم دورا في حلّ الصّراع اللغوي استنادا إلى مرجعيّة معرفيّة.

وعليه فإنّ الفاصل الأوّل والأخير في مثل هذه الأمور يعود بالدّرجة الأولى إلى القرار السّياسي ومدى جدّيّة تجسيده في الواقع اللغوي للجزائر ويقول الدّكتور صالح بلعيد في حديثه عن مصطلح القرار السّياسي بأنّه:« قرار السّلطة الحاكمة في أعلى مستوياتها، والتي لها فعل الخميرة في العجين، حيث لها أثر التّغيير الفعلي والسّريع»[29] لذا فإنّه إن أردنا تحقيق فكرة التّعايش اللغوي بين مختلف أطياف المجتمع الجزائري فإنّه يجب علينا كلسانيين مناشدة أصحاب السّلطة لتفعيل مثل هذه الحلول والمقترحات على أرض الواقع؛ إذْ لا فائدة من البحث عن حلول لا تأخذ السّياسة اللغويّة بها ولا تسعى للتخطيط لها من أجل تطبيقها.

خاتمة: وفي الختام يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النّتائج حول قضيّة الصّراع اللغوي في الجزائر وتقديم بعض الآراء والحلول التي في رأينا قد تخفّف من حدّة هذا الصّراع ويمكن أن نوردها كالآتي:

- تقنين وحصر مجال الصّراع اللغوي من خلال قبول التّعايش مع مختلف مظاهره؛ وذلك بترشيد سياسة لغويّة صارمة وجريئة تنظر إلى جذور الواقع اللغوي في الجزائر والحسم في مشكلاته، سياسة قادرة على احتواء هذا الوضع اللغوي الرّاهن مع الحرص على تطبيقها، لأنّها السّبيل الوحيد لتسيير التعدّد اللغوي وتنظيمه وإيضاح الوضع اللغوي في البلاد؛ أيّ الانتقال في معالجة المسألة اللغويّة في الجزائر من مرحلة التّنظير ووضع الحلول وفقط إلى مرحلة التّجسيد الفعلي لهذه الحلول؛

- اعتبار التعدّد اللغوي في الجزائر تنوّعا لغويا من قبيل التّنوّع الثّقافي الذي تزخر به وقبول التّعايش معه بعدّه ظاهرة اجتماعيّة لا مفرّ منها. ويمكن تحقيق فكرة التّعايش اللغوي بين أفراد المجتمع الجزائري من خلال مناهج التّعليم، وبأنّنا مجتمع متعدّد ومتنوع لغويا وأنّ هذا التّنوع يشكّل جزءا من الثّقافة الجزائريّة؛

- التّعايش مع اللغة الفرنسيّة وعدم التّعصب للعربيّة من خلال فهم الغايّة من تعلمها وأنّها وسيلة من وسائل الانفتاح على العلوم تحقّق لنا غايّة براغماتيّة؛

- التّعايش اللغوي بين العربيّة والأمازيغيّة والوعي التّام بأنّنا أبناء وطن واحد لدينا غايّة واحدة هي الرّقي بالبلاد وباللغة العربيّة-لغة العقيدة الإسلاميّة-والتي نسعى جميعا للنهوض بها عرباً كنّا أم أمازيغ، وبذلك نحقّق هدفا آخر من خلال التّعايش اللغوي وهو تحقيق الانسجام الجمعي بين مختلف أطياف المجتمع الجزائري.

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلا: الكتب بالعربيّة.

1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، دط، دت، بيروت_لبنان، مج4.

2) أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربريّة، شركة دار الأمّة للطباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزرع، ط2 1997، برج الكيفان_الجزائر.

3) صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دط، 2010 الجزائر.

4) صالح بلعيد: في المواطنة اللّغويّة وأشياء أخرى، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع دط، 2008، الجزائر.

5) صالح بلعيد: في النّهوض باللغة العربيّة، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دط 2008، الجزائر.

6) عبد الإله بلقزيز: الفرنكفونيّة أيديولوجيا. سياسات. تحدّ ثقافي–لغوي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، دط دت، بيروت–لبنان.

7) عبد الرّحمان بن محمّد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ط1، 1997 الرّياض–السّعوديّة.

8) علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع ط 92004 القاهرة–مصر.

9) كمال بشر: اللغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع دط، 1999 القاهرة–مصر.

10) محمّد الصّالح الصّديق: العربيّة لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعيّة دط، 2009، بن عكنون–الجزائر.

11) محمّد علي الخولي: الحياة مع لغتين: الثّنائيّة اللغويّة، دار الفلاح للنشر والتّوزيع دط 2002 عمان–الأردن.

12) محمّد عمارة: الإسلام والعروبة، دار الشّروق، ط1، 1988. القاهرة–مصر.

13) نهاد الموسى: اللغة العربيّة في العصر الحديث: قيم الثّبــوت وقــوى التّحــول، دار الشّروق للنشر والتّوزيع ط1، 2007، عمان_الأردن.

14) هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصريّة، ط1 1988.

ثانيا: الكتب المترجمة.

15) جلبير غرانغيوم: اللغة والسّلطة والمجتمع، ترجمة: محمّد أسليم، أفريقيا الشّــرق دط 2011، الدّار البيضاء–المغرب.

16) فندريس: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصـــاص، مكتبــة الأنجلــو المصريّة، دط، دت مصر.

17) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ترجمة: حسن حمــزة مركــز دراسات الوحدة العربيّة ط1، 2008، بيروت_لبنان.

ثالثّا: المقالات ومؤتمرات:

18) إبراهيم بن علي الدّبيان: الصّراع اللغوي: بحث مقدم لمؤتمر علــم اللغــة الثّالــثّ: (التّعليم بالغات الأجنبيّة في العالم العربي)، قسم علم اللغة والدّراسات السّاميّة والشّرقيّة –كليّــة دار العلوم– جامعة القاهرة، 16–17 1427ه.

19) عصام عبد الله علي: الصّراع والتّعايش اللغوي في نيجيريا، مجلة اللســان الدّوليّــة العدد الثّالثّ، جويليّة 2017.

الإحالات والهوامش:

[1]– ينظر: علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع ط9، 2004 القاهرة–مصر، ص176، ص230، ص240.

[2]– هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصريّة، ط1، 1988 ص134،135

[3]– ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، دط، دت، بيروت–لبنان، مج4، مادة: [حذا] 171.

[4]– ينظر: محمّد الصّالح الصّديق: العربيّة لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، دط 2009، بن عكنون _الجزائر، ص87،88.

[5]– عبد الرّحمان بن محمّد القعود: الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ط1 1997، الرّياض_السّعوديّة، ص223.

[6]– جلبير غرانغيوم: اللغة والسّلطة والمجتمع، ترجمة: محمّد أسليم، أفريقيا الشّرق، دط 2011، الدّار البيضاء–المغرب، ص197.

[7]– فندريس: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، دط، دت مصر، ص307.

[8]–نهاد الموسى: اللغة العربيّة في العصر الحديث: قيم الثّبوت وقوى التّحول، دار الشّروق للنشر والتّوزيع، ط1، 2007، عمان_الأردن، ص152.

[9]– ينظر: عبد الإله بلقزيز: الفرنكفونيّة أيديولوجيا. سياسات. تحدّ ثقافي–لغوي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، دط، دت، بيروت–لبنان، ص20،21.

[10]– ينظر: جلبير غرانغيوم، اللغة والسّلطة والمجتمع، ص199.

[11]– إبراهيم بن علي الدّبيان: الصّراع اللغوي: بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثّالثّ: (التّعليم بالغات الأجنبيّة في العالم العربي)، قسم علم اللغة والدّراسات السّاميّة والشّرقيّة –كليّة دار العلوم–جامعة القاهرة، 16–17، 1427ه، ص12،13.

[12]– صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دط، 2010 الجزائر ص44.

[13]– محمّد علي الخولي: الحياة مع لغتين: الثّنائيّة اللغويّة، دار الفلاح للنشر والتّوزيع دط، 2002 عمان–الأردن، ص39.

[14]- عصام عبد الله علي: الصّراع والتّعايش اللغوي في نيجيريا، مجلة اللسان الدّوليّة العدد الثّالث جويليّة 2017، ص351،352.

[15]-لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ترجمة: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، 2008، بيروت_لبنان، ص77.

*الافتراس اللغوي: أن تُفْرَضَ لغة غالبةٌ من اللغات فرضا دون أن يكبح جماحها كابح طالما ظلت الظّروف السّياسيّة والاقتصاديّة التي أدّت إلى ولادتها مؤاتيّة لها، فتتحوّل اللغة المغلوبة إلى فريسة تبتلعها اللغة الغالبة، أي إلى مجرد لهجة، أو إلى لغة من المستوى الأدنى. المرجع نفسه، ص339.

[16]- فندريس: اللغة، ص327.

[17]- صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، ص44.

[18]- صالح بلعيد، في النّهوض باللغة العربيّة، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دط 2008 ص157.

[19]- صالح بلعيد: في المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دط 2008، ص51،52.

[20]- أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربريّة، شركة دار الأمة للطباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزرع، ط2، 1997، برج الكيفان_الجزائر، ص170.

[21]- فندريس: اللغة، ص307.

[22]-محمّد عمارة: الإسلام والعروبة، دار الشّروق، ط1، 1988، القاهرة-مصر ص52.

* اللفظ المولد العفوي: هو اللفظ الذي يبتدعه أبناء اللغة استجابة لحاجات التّواصل اعتمادا على البنى اللغويّة بالاشتقاق أو التّركيب. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ص404.

[23]- المرجع نفسه، ص339.

[24]- كمال بشر: اللغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، دط 1999، القاهرة_مصر، ص222.

[25]- نهاد الموسى: اللغة العربيّة في العصر الحديث. ص159.

[26]- صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، ص 39.

[27]- صالح بلعيد: في المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، ص62.

[28]- لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ص339.

[29]- صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، ص41.

تمثلات التسامح اللغويّ من خلال الجرافيتيّ اللغويّ
-أدب الشّوارع-

د. راضيّة بن عريبة
أ. حيزيّة كروش. طالبة دكتوراه –السّنة الرّابعة.
جامعة حسيبة بن بوعلي-الشّلف.

ترتسم الملامح اللغويّة من خلال العديد من النّواقل الحضاريّة التي تعكس البيئـــات اللسانيّة التي تسود حيزا جغرافيا معينا. وهذا ما نلحظه في المجتمع بكـــلّ تمفصـــلاته المجرّدة والضّمنيّة فالإنسان بطبيعته الاجتماعيّة بحاجة دائمة إلى التّواصل مع الجيـــل السّابق والحاضر واللاحق، وهذا لا يتمّ إلاّ بوجود الفواعل اللغويّة اللازمة التي تضمن انتقاليّة الفكر والثّقافة.

الجرافيتي هو أحد الميكانيزمات الفاعلة في رسم الأطر اللغويّة للســـان المجتمعـــات المختلفة أو المجتمع الواحد، كما أنّه الصّورة الصّادقة للغة فـــي حالتّهـــا الاســـتعماليّة العاميّة حيث لا يحكمها قانون ولا قاعدة، فكلّ ما يختلج في الصّدر يدوّن على حائط أو جدار أو صخرة... وسواء باستعمال لغة واحدة أم عدّة لغات.

تتجلّى على نطاق الجرافيتي الأنواع اللغويّة، والظّواهر اللسانيّة التي تكون مســـاوقة للحياة الحضاريّة التي يعايشها أفراد المجتمع الواحد، فهي الشّاهد التّاريخي الذي يعمـــل على نقل الثّقافات إلى الأجيال اللاحقة، وعن طريقـــه وصـــلتنا حضـــارات الإغريـــق والرّومان والفراعنة، الذين كانوا يستعملون المحيط الخارجي لتجسّد المنجز الحضـــاري بأسلوب لغوي.

التّداخل اللغوي، والتعدّد اللغوي بأبعاده المختلفة، هو من بين الآليات التي يستخدمها مستعملو الجرافيتي، سواء على الجدران الافتراضيّة على الشّبكة العنكبوتيّـــة (الفـــيس بوك، الواتس آب، الأنستغرام...)، أم على الجدران الواقعيّة الموجـــودة ضـــمن حيّـــز

جغرافي معيّن، فهي راصد مهمّ للتعايشات اللسانيّة التي يحتكّم إليها الإنســان لتحقيــق التّثاقف والتّواصل مع البيئات الأخرى (جماعة وأفرادا).

الإشكاليّة: ماذا نقصد بالجرافيتي؟ وكيف يسهم الجرافيتي في ترسيخ ثقافة التّعــايش اللغوي؟ وما هي الظّواهر اللسانيّة التي يمكن تجسيدها من خلاله؟

الكلمات المفتاحيّة: الجرافيتي، التّعايش اللغويّ، الجدار الافتراضي، المجتمع.

Abstract : The title of the intervention: Representations of linguistic tolerance through graffiti and online

Linguistic features are characterized by many cultural vectors that reflect linguistic environments that dominate a specific geographic space. This is what we observe in society with all its abstract and implicit articulations, as human beings by their social nature are in constant need to communicate with the previous, present and subsequent generation, and this can only be done with the presence of the necessary linguistic actors that guarantee the transmission of thought and culture.

Graffiti is one of the effective mechanisms in drawing the linguistic frameworks of the tongue of different societies or one society, as it is the true picture of the language in its vernacular use condition as it is not governed by law or rule, so everything that mixes the chest is written on a wall, wall or rock ... and whether using one language Or several languages.

On the graphite scale, the linguistic types and linguistic phenomena that are compatible with the civilized life experienced by the members of one society are evident, as it is the historical witness that works to transfer cultures to subsequent generations, and through him we reached

the civilizations of the Greeks, Romans and Pharaohs, who were using the outer environment to embody the cultural achievement in a linguistic style.

Linguistic overlap, and multilingualism with its various dimensions, is among the mechanisms used by graffiti users whether on virtual walls on the World Wide Web (Facebook WhatsApp, Instagram ...), or on realistic walls that are within a specific geographical space, they are an important observer For the linguistic coexistence that a person needs to achieve acculturation and communicate with other environments (group and individuals).

The problematic: what do we mean by graffiti? How does graffiti contribute to the consolidation of a culture of linguistic coexistence? What are the linguistic phenomena that can be embodied through it?

Key words: graphite, linguistic coexistence, virtual wall, society.

1-واقع اللغة العربيّة في الوطن العربيّ: تتجسّد كينونة اللغة العربيّة من خلال الاستعمال السّليم، وفق نسق تداولي مضبوط يضمن الحفاظ على القالب اللغوي الأصيل، المعبّر عن الواقع الأنثربولوجي الذي يلقي مزيدا من الضّوء على اللغة العربيّة، بأبعادها الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة، لكي تفهم الميكانيزمات المنتجة للخطاب اللغوي المنطوق بالعربيّة، ومن الملاحظ تلك التّشتّتات اللهجيّة التي تعاني منها العربيّة النّاتجة عن أزمة التعدّد ممّا أدّى إلى خرق السّياج اللغوي العربي فتداخلت اللغات واللهجات مع اللغة الأمّ (العربيّة) بجملة من الألفاظ والعبارات المقتحمة لأحشاء الخطاب العربي، (فرنسيّة إنجليزيّة إضافة إلى اللهجات المتناثر في الأقطار العربيّة التي طوقت الكلم الفصيح).

وعليه فإنّ مشكلة العربيّة واقع لا مفرّ منه، يتطلّب إعادة الحسابات، وضع البيداغوجيات المناسبة، والبحث عن الحلول ذات المنعكسات الدّياكرونيكيّة والسّانكرونيكيّة، التي ترصّد التّطوّرات المتلاحقة والطّارئة على اللغة العربيّة "حيث تفشّت ظواهر لسانيّة متعدّدة ومتنوّعة في المجتمع الواحد، بين ازدواجيّة وثنائيّة وتعدّديّة لغويّة، مع ماتعنيه من خلط بين العربيّة الفصحى واللهجات العاميّة (أو الدّارجة) واستعمال الألفاظ والتّعبيرات الأجنبيّة الدّخيلة في السّياقات الكلاميّة وحتى في الكتابة"[1].

الأمن اللغوي أصبح من بين الأهداف الدّوليّة التي أصبح توفيرها أمرا بالغ الصّعوبة، نظرا للتراجع اللغوي الذي عرفته المجتمعات العربيّة، فقد طغى البذخ المصطلحي، وكثرت الصّراعات اللهجيّة، لتتقد حرب لسانيّة تمحو معالم الهويّة العربيّة من خلال النّزعات المستوياتيّة (صوتيّة، وصرفيّة، ونحويّة، ودلاليّة، ومعجميّة)، فلا يمكن غضّ النّظر عن عولمة الاتصال اللغوي الذي شابته تطوّرات العصر، وتداعيات اللغات الأخرى حول العالم، "وهو ما آل إلى ضرب من صراع النّفوذ اللغوي فإذا اعتبرنا فعلا أنّ العالم يشهد اليوم حربا بين اللغات فلأنّ العالم متعدّد"[2].

عن فوضى اللغات نتحدّث، فالمجتمع العربي كغيره من المجتمعات العالميّة لم يسلم من احتكاكات اللغات الأخرى المؤثّرة بشكل أو بآخر على معياريّة اللغة العربيّة على الرّغم من صرامتها النّحويّة والقواعديّة المورفولوجيّة التي تحميها إلى حدّ بعيد من التّشابكات اللغويّة النّاتجة عن عولمة الواقع اللغوي وتصونها من أزمة يمكن أن تقلّب موازين الكلام العربي، ولكن مهما حاولنا تبرير هذه الفوضى فإنّ الواقع ينطق بتدهور لغوي لا يمكن تغييبه " فالمجتمعات العربيّة على اختلاف تنوعاتها تشترك في تّهميش اللغة العربيّة وعدم الاهتمام بها، فاعتبارها عنوانا للهويّة، وعاء للفكر والثّقافة وأحيانا يصل الأمر إلى معاداتها والإساءة إليها والتّطاول عليها والسّعي الحثيث للإضرار بها ومحاربة من يحافظ عليها، ويتمسّك بها، ويصدّ عنها هجوم الكائدين لها الحاقدين على أهلها"[3] . لربّما هذا الكلام مبالغ فيه نوعا ما، ولكن لابدّ من توضيح

الصّورة اللغويّة التي يسري فيها كيان الأمّة العربيّة، ويتراكم في مفرداتها تاريخ وحضارة الإسلام.

الغزو اللغوي يؤدّي إلى غزو فكري يطمس الوجود العربي من زاويّة اللغة على اعتبار أنّها رمز من رموز الانتماء القومي العربي، فإذا تداخلت العاميّة بالفصحى واغتصب المعجم العربي، وانتهك التّقعيد اللغوي العربي وتواشجت العوامل الدّاخليّة والخارجيّة، واستنسخت المنهجيات الدّخيلة لتطبيقها على تركيب الكلام العربي فالنّتيجة حتما اضمحلال اللغة العربيّة الفصيحة، وتذبذبها بين البقاء والانقراض فيتبلبل اللسان العربي، وتتولّد مناوشات فكريّة وثقافيّة وتاريخيّة،" فيتغير المجرى الأصلي للمجتمعات العربيّة، لهذا فإنّ المطلوب اليوم هو فرض اللغة العربيّة وجودها بقوّة متكلّميها وإرادتهم الصّادقة في استعمالها وضخ دماء الحياة في شريانها"[4].

إنّ ديكتاتوريّة اللغات القويّة تقوم على إستراتيجيّة الاستنساخ اللفظي، والتّزاحم المعجمي والسّيطرة المجزأة، في شكل عصابات مفرداتيّة للوصول إلى الاستعمار اللغوي التّام، فإذا كان التّلاقح اللهجي يصل إلى حدّ ولادة لغة هجينة تكسر جوهر اللغة العربيّة المتبلورة في منظومات محكّمة لاتقبل التّطفل اللغوي، القائم على ديناميكيات مسيّسة تنخر الخطاب اللغوي العربي الفصيح.

من الواضح كذلك هيمنة التّطوّر العلمي على اللغة العربيّة، حيث غرزت ألفاظ أجنبيّة في ركائز الواقع اللغوي، وهي (المؤسّسات التّعليميّة، والمؤسّسات الإداريّة والشّاشات التّلفزيونيّة، والإذاعات وكلّ وسائل الأعلام...) تحت مسمّى الحاجة اللغويّة متهمّين اللغة العربيّة بالعجز والقصور، ومحتجين بمواكبة العولمة، مهمّلين المعجم العربي وآليات التّوليد السّليم المبني على مناهج عربيّة تحفظ الطّابع الخام لها، وحتى الأدب أصبح فرانكفونيا، أو ملهّجا(المزج بين العربيّة الفصيحة والعاميّة)، بداعي التّبسيط والتيسير ومواكبة لغة المجتمع، وترجمة الواقع المعيش وفق نظام المحاكاة لسدّ الشّرخ اللغوي المتسبّب في تخلف العرب عن بقيّة الشّعوب الأخرى في دول العالم ولكن في حقيقة الأمر –وهو الواقع الذي نتحاشى التّصريح به– هو مساعدة غير

مباشرة على تحطيم الثّوابت اللغويّة العربيّة، فلجئوا إلى عدّة وسائل لتبرير النّحر اللغوي والتّخفّي وراء ستار التّوسعة اللغويّة وتجديد المعجم، وترسيخ فكرة التّدخيل المعجمي الأجنبي في المعجم العربي مثل: الاقتراض، والتّعريب، والتّرجمة الحرفيّة...

لكنّ هذه الآليات خلقت مشاكل مذيّلة، شوّهت اللغة العربيّة من بينها:

- الازدواجيّة اللغويّة (le bilinguise) مثل: العربيّة والفرنسيّة (الفرونكفونيّة).
- اللهجة: المزج بين العربيّة والدّارجة.
- التعدّديّة اللغويّة مثل: العربيّة والفرنسيّة والعاميّة.

كلّ هذه الظّواهر أسهمت في هدم عمران اللغة العربيّة، وزعزعة هويّة المجتمع العربي فالتّسليم بمبدأ التّعايش اللغوي من شأنه أن يزيد من حدّة الأزمة مالم يكن مضبوطا ومنسقا ومرسوما على خطوط مرئيّة، تضمن بقاء العربيّة بالكفاءة السّليمة التي تقي اللفظ من التّصدع، والدّلالة من الانحراف، وتؤكّد على استقرار العربيّة، إلاّ أنّ هذا لا يتحقّق إلاّ بممارسة لغويّة تحدّ من هيمنة اللهجات المحليّة، واللغات الأجنبيّة التي فرضت نفسها جراء عدّة عوامل أبرزها الاستعمار- فأغلب البلدان العربيّة كانت مستعمرة من قبل دول أجنبيّة.

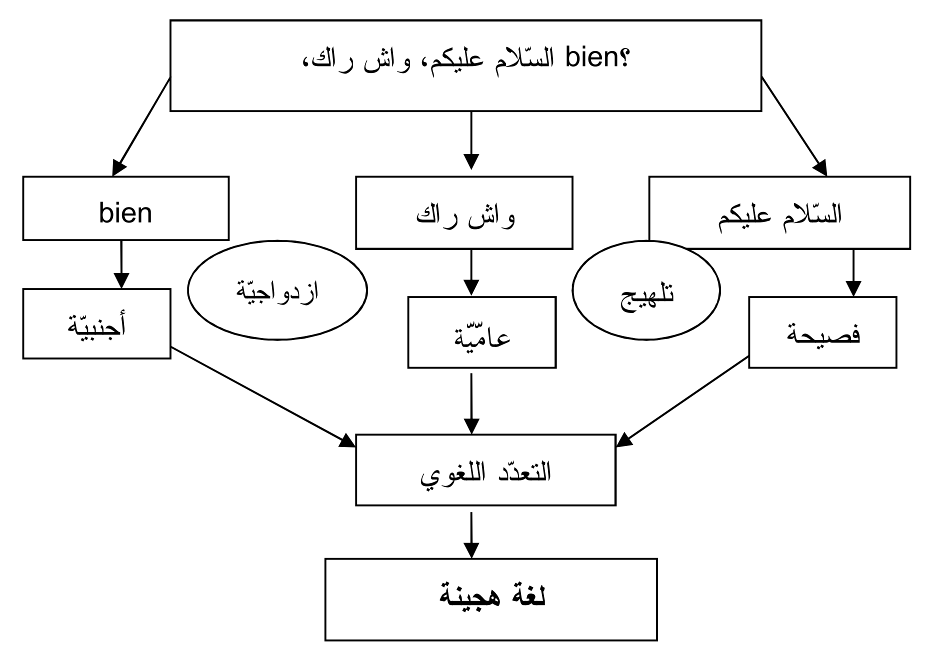
خلاصة القول أنّ الحفاظ على الهويّة العربيّة يتطلّب العودة إلى التّراث والاستلهام منه لتحقيق الاكتفاء اللغوي، بدل اللجوء إلى الوسائل التي تحشر اللغات الأخرى واللهجات العاميّة المذيبة لكيان اللغة العربيّة، وذلك بتقنين الاستعمال لأنّ "قضيّة هيمنة اللهجات الغربيّة على اللغة العربيّة ...قضيّة تمسّ الأمن القومي للدول العربيّة جميعها باعتبارها المجتمع اللغوي الرّئيسي"[5].

المعالجة المستمرّة لهذه الظّواهر اللسانيّة واجبة في حقّ اللغة العربيّة، أوّلا لأنّها لغة القرآن الكريم أيّ لغة الدّين الذي نعتز به، وثانيا لأنّها تجسّد جانبا من الهويّة العربيّة، فاللغة بأبعادها(الدّينيّة والسّياسيّة والتّاريخيّة...) تضمن استمراريّة الحضارة العربيّة، فالتّأطير اللغوي والحمايّة المستمرّة للسان العربي بتكنات بيداغوجيّة تمنع استباحة اللغة، وتلغي فكرة الشّيخوخة المبكّرة للعربيّة التي تجعلها لغة عاجزة في نظر

الأجيال القادمة، وتحتاج إلى لغات أخرى تتّكأ عليها، فتتسلخ من قواعدها، وتتجرّد من ضوابطها لكي تحتضن واقع متكلّميها.

مثلا في الجزائر تقال الجملة الآتيّة:

السّلام عليكم، واش راك،bien ؟



مخطّط يوضّح تشريح مثال من اللهجة الجزائريّة

2-الأدب مرآة الواقع اللغوي: كان الأدب منذ العصر الجاهلي ولايزال اللسان النّاطق بحال الأمّة، والتّرجمان البليغ للواقع المعيش، والجسر الممتد بين الفكرة والمرجع، فهو يمثّل ذاكرة الأمم ويحافظ على وتيرة نقل المعلومات المرحليّة، ويعكس صورة وواقع اللغة في كلّ عصر من العصور، فالعرب على سبيل المثال تميّزوا بلغة يمكن القول باستحالة وجودها ثانيّة بتلك المقاييس العاليّة الجودة في عصرنا، وهي مرحلة الجاهليّة حيث كان الأدب الجاهلي" شفهياً يحفظ في الذّاكرة لا في الأوراق

والشّعوب الفطريّة أحد ذاكرة من الشّعوب المتحضرة، التي شاعت الكتابة عندها، لأنّ الشّعب الذي لا يملك الكتابة يعتّم عليها في حفظ آثاره، يضطرّ إلى استخدام ذاكرته للحفظ فتقوى بالاستعمال، ويسّهل عليها اختزان مختلف الآثار، وتكثر الرّواة في العصور الشّفهيّة، فتقوم مقام الكتب والدّفاتر"[6]، فالأدب وسيلة من وسائل التّأريخ اللغوي فهو يحدّد كلّ الظّواهر التي اجتاحت السّاحة اللغويّة خلال مراحل متعدّدة، إذ ينقل كلّ الميزات اللغويّة التي من شانها أن تبرز هويّة الخطاب بكلّ أبعاده وزواياه فالعربي في الجاهليّة" عبر عن قضاياه التي ليس لها حدود، وكلّ ما يجيش في نفسه ونوازعها بالمنظوم، فإن لم يستأنس به فبالمنثور ومن كليهما بالحكم والأمثال، بالسّجع والتّكرار، بالقصص والوصايا، وأي شيء آخر استطاع من خلاله أن يبلغ هدفه"[7]، أيّ أنّ هذا الأخير له فاعليّة في محاكاة الطّبيعة المعيشة بأسلوب لفظي له ميزاته وخصائصه المشبعة بلمسات فنيّة، وفي نفس الوقت هو إطار تطبيقي لكل الظّواهر اللسانيّة التي تواكب عصر النّص الأدبي المُقال وبالتّالي هو صورة عن الواقع بأبعاده النّفسيّة والشّعوريّة والماديّة والسّياسيّة والاقتصاديّة....هلمّ جرا.

الأدب ينمّي العقول، ويجعل من المتلقّي مستقرئا مثاليا لواقعه، ويشعره بقيمة ما ينطق أو ما يقال بصفة عامّة، كما يشعره بالتّقصير اللغوي، أيّ يبثّ في ذاته الوعي اللغوي " فكأنّما أنّ الحبّة المدفونة في الأرض لا تقدر أن تخلع يبسها وتظهر قوّتها وتطلع فوق الأرض بزهرتها وريعها ونضرتها، ونمائها إلاّ بمعونة الماء الذي يغور عليها في مستودعها فيذهب عنها أذى اليبس والموت، ويحدث لها بإذن الله القوّة والحياة، فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها من القلب، لا قوّة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الأدب الذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها"[8]

لا يزال الأدب إلى اليوم الوسيط الفاعل في حياة اللغة العربيّة، إلاّ أن الزّحف اللغوي الغربي لم يستثن الأدب، إذ أصبح هذا الأخير يحاول مساوقة الواقع بلغته ولهجاته، فنجد الرّوايات مكتوبة بمزيج من اللغات لتكتسب طابعا فرونكفي أو اللهجات أيّ نقل حي للغة، "وقد وقف الفكر العربي تجاه الوافد الغربي في هذه الفترة بين

الرّفض والنّفور من ناحيّة والاستيعاب والتمثّل من ناحيّة أخرى، بين القيد والتّحرّر بين الانغلاق القائم على الحذر والخوف والتّرقب والخشيّة والتّمسك بالقديم والاحتماء بالتّقليد، وبين الانفتاح القائم على الثّقة بالنّفس والقدرة على التّجديد"[9]، إلاّ أنّ كلّ المحاولات لنفادي الاختلاط اللغوي في الأدب لم تكن من النّجاعة ذاك الشّأن، لتحقّق البغيّة المنشودة إذ نجد كثيرا من الرّوايات الفرونكفونيّة أو المزاوجة بين الفصيح والعامي، طبعا هذه الاستراتيجيّة لم تقتصر على الأدب في حد ذاته وإنّما مسّت كلّ المجالات اللغويّة ومختلف العلوم، وكل الحضارات فلم" تخلّ أمّة ذات حضارة من أدب يمثّل طابعها ولم تقف حركة التّبادل الحضاري على مرّ التّاريخ بالرّغم من اختلاف اللغات، ووسائل التّعبير...باختلاف اللغات والحضارات وتقبلها المثاليّة الجانحة إلى السّمو والبراجماتيّة المشغلة كلّ طاقاتها للنفع الاجتماعي والسّببيّة المترفعة عن التّعامل مع الكلمة"[10] فإذا أردنا الوصول إلى الغايّة من هذه الطّفرة التي جعلت من الأدب الوسيلة المثلى لترجمة الواقع، وأسهمت في توليد العلاقة بينهما.

الأدب كغيره من الفنون التي انتهجت كوسيلة لتدوين اللغة والتّأصيل لها مكون من عناصر تجمع الجوانب المادّيّة والمعنويّة وهي: "العاطفة، والفكرة، والخيال والأسلوب ونضيف الواقع أو التّجربة"[11].

وبما أنّ الأدب يمثّل عاملا من عوامل الحفاظ على ركازة اللغة العربيّة، فلابدّ من توخّي الحذر أثناء التّعامل معه، وذلك بالتّحرز من "العاميات أو التّفرّعات اللهجيّة... والتّواصل عبرها أو من خلالها...وهو أمر يلقي بظلاله التّفكيكيّة على نسيج المجتمع الواحد، والأمّة الواحدة، وقد يفضي إلى تباين ثقافي وتفاضل عرقي، قد يوديان بوحدة نسيج الأمّة وآلفها وتعارفها، وفي ذلك ضياع الهويّة والثّقافة والدّين... فالتّحول إلى العربيّة الفصحى هو الحلّ المثالي والنّموذج المعياري الذي يتعيّن توخّيه والالتّزام به"[12].

لكن مع ظهور ما يسمّى بأدب الشّوارع أصبح الأمر أكثر تعقيدا، حيث تمرّد اللسان العربي ومزّقت شرنقة القاعدة الأصليّة، ليصبح الشّارع ملاذ الكلمة العربيّة

وتشرّد في الأزقة والأحياء وحتى الغابات، وهي ظاهرة ليست وليدة العصر، وإنّما هي مؤصّلة في أعماق التّاريخ فالنّقوش القديمة تنقل لنا صورة موثّقة للحيــاة الاجتماعيّــة فهي بمثابة الأوعيّة التّاريخيّة يصعب الطّعن في أصالتّها فالمعلقات مــثلا علـــى نمــط الجداريات وكأنّهم يعلمون مدى صلابة هذه الوسيلة في نشر تلــك الأشــعار والسّــبيل الأمثل للتباهي والاعتزاز بلغتهم الفصيحة. إذن فالأدب رسالة تنقل الواقع إلى الأجيــال المتلاحقة وتعكس كلّ الحيثيات الاجتماعيّة.

3-<u>أدب الشّوارع هم لغوي أم فن اعتباطي؟:</u> "دائما ماتستوقفنا في الشّارع عبارات وخرابيش قد خطت على أحد الجدران، لا يعرف من خطها ولا يوجــد مكــان محــدّد لكتابتها، قد نشاهدها على جدران شركة أو محلّ أو حديقة...الخ، رغم بساطتها لكنّهــا تحمل معاني عميقة ومعبّرة، وقد تكون ساذجة فكاهيّة.

أدب الشّوارع كان أحد أبرز الأسلحة للثورات في العالم، اتّخذ الثّائرون من الجــدار مكانا للتعبير عمّا في داخلهم، فالثّورة السّوريّة انطلقت من خرابيش الأطفال على أحــد الجدران وفي الثّورات يسمّى من يكتب الشّعارات على الجدران "الرّجل البخّاخ "وفــي الأماكن الهادئة نلاحظ أنّ المراهقين هم من يستلم المبادرة إمّــا بعبــارات غزليّــة أو عبارات ساذجة "[13].

القارئ لهذه النّبذة المختصرة التي توجز كثيرا من المعاني، وتوصــل زخمــا مــن الدّلالات، يلاحظ القيمة اللغويّة الكبرى لهذا النّوع من الأدب، على الرّغم من أنّه غيــر معروف ولم تتطرّق إليه دراسات سابقة، ولكنّه بالفعــل موضــوع جــدير بالدّراســة ويستحقّ أن يفتح له باب في الدّرس اللغوي، فهو يعكس لغة المجتمع، ويحمــل علــى عاتقه هموم اللغة قبل الفرد فأدب الشّوارع شريط إعلامي يمرّ بك كلما ســرت بأزقــة الشّوارع، أو أحياء المدن، فهو إعلام للغة الجيل الصّاعد الذي لا يعلم أنّ هــذه اللغــة التي يدوّنها على الجدران هي ناقل حضاري يوصل معلومات مغلوطة للجيــل القــادم ففي كثير من الأحيان تكون تلك العبارات والجمل مزيجا من العاميّــة والفصــحى أو الأجنبيّة والفصحى حيث تتداخل فيما بينها لتخلق لغة هجينة ترسخ في جذور المجتمع.

أدب الشّوارع قضيّة لغويّة لها أبعاد متعدّدة على اللسان العربي، فهو يعكس الصّورة الحقيقيّة للغة العربيّة خارج نطاق التّعليم في حالة ازدواجيّة هذا الأدب وتداخل مفرداته ولربّما هو الأنموذج الأمثل لدراسة مطبات اللغة، وتشريح النّظام اللهجي لأفراد المجتمع العربي، حتى وإن رآها الكثيرون مجرّد خربشات خطتها أنامل المراهقين ولكن لابدّ من التّأكّد أنّ هذا المراهق هو الحامل للواء اللغة، فكلّما هيمن اللحن على لسانه وتمادى في تدوين تلك اللغة الهجينة ازدادت احتماليّة التّشتّت اللغوي واستُحدَثت بدع لغويّة تذيل أزمتها، حتى وإن كانت غير مقصودة أو مجرّد إفراغ للشحنات اللغويّة إلاّ أنّها تؤثّر على الواقع الحاضر والمستقبل المرتجى، فكلّ رسالة حرفت شفراتها تنقل كما هي، لأنّ القناة لم تضبط بمعايير تواصليّة خاضعة لتصحيح أو تعدّيل أو حتى دراسة تنقب عن حلول تردع هذه الكتابات العبثيّة.

إلاّ أنّه لا يمكن إنكار دور أدب الشّوارع في إلقاء الضّوء على العديد من المشاكل اللغويّة فكأنّما هي الدّليل القاطع على التّمازج اللغوي بين الفصيح والعامّي يقول أنس يوسف:" قد نتّفق جميعا على أنّ مجتمعاتنا العربيّة تعيش في هذا الزّمن تغيّرات لبعض العادات ومكتسبات داخليّة علينا يرجعها الأغلبيّة إلى الانفتاح على العالم الخارجي طريقة لا تمّت بأيّ صلة لما هو متأصّل فينا طريقة كلام أو تعبير لايمكن إلاّ أن نقول عنها مقتطفات لكلمات أو جمل مشفّرة تحتاج لقاموس جديد".

(تحتاج لقاموس جديد) عبارة تستحق الاهتمام، وهذا دليل على أنّ مستقبل اللغة العربيّة في خطر مالم تتحرّك الهيئات والمؤسّسات لإيجاد حلّ لهذا الشّاهد التّاريخي على الأزمة اللغويّة كما نستوحي من هذا القول أنّ توالدّ خلايا القضيّة يحثّ على إيجاد ترياق لغوي، يوقف سيرورة هذا السّم في شريان اللغة العربيّة، ويبعث أكسير الحياة في لغتنا المستباحة من قبل القريب والغريب، وتسيّيجها بقوانين وبيداغوجيات لا تستثني الشّارع والمؤسّسة، أو الكتب أو الصّحافة أو التّلفاز...بل يجب توظيف ميكانيزمات صارمة تقلّص من هذه الفوضى الأخطبوطيّة، وتمنع الذّوبان اللغوي

والتّبعيّة المصطلحاتيّة فاللغة" هي الكينونة الأكثر حضورا، في الإنسان لكثرة استعماله لها ومعاشرته إيّاها"[14].

أدب الشّوارع قادر على أن يقلّب توقّعات المستقبل اللغوي، فتهميش المعالجة السّريعة الذي يزحف إلى الأجيال القادمة بصمت وفي غفلة من أهل الاختصاص يمكن له أن يجعل تلهيج اللغة أمرا راسخا في صميم المجتمع اللغوي، وينقش على مدارج التّاريخ، وبالتّالي يصعب ترميم البناء المعماري للغة فكلّ تركيب لغوي يدوّن، أو نصّ ينتج من شأنه أن يتّخذ أسلوبا كلاميا يتبع، أو ينسب إلى كلام العرب الفصيح، وبالتّالي تصبح تلك العفويّة في التّعامل مع اللغة تحريفا تاريخيا، وتمزيقا لغويا ناتجا عن تمرّد الألسنة العربيّة على اللغة الأصليّة، لتخرج عن طابعها الخام، إلى ابتداع غير منطقي ولا ممنهج يمس تفاصيل اللغة ويستنزف هويّة الأمّة العربيّة.

4-مظاهر التّسامح اللغويّ في الجرافيتي اللغويّ:

أ-التّداخل اللغويّ: يعدّ التّداخل اللغوي من الموضوعات التي تلقّت بعدا لغوياً واسعاً لأبعد الحدود ولذا كان التّداخل ظاهرة معروفة منذ الأزل عند علمائنا، بحكم أنّ اللغات بمقدورها أن تحيا مع لغات أخرى، وتتطوّر في ظلّها. كما بإمكانها أن تتداخل مع فصائل من اللغات المتنوّعة، وهذا ما أثبتته جميع حقائق اللغات التي درست تاريخ هذه اللغات، فقد وضّحت أنّ كافة اللغات عاشت في صراعات حادّة، كلّها تهدف من أجل غايّة واحدة وهي البقاء، ممّا انجرّ عن ذلك إمّا بقاء أحدهما وزوال الأخرى، أو العيش معاً جانبا لجانب، في إطار وجود التّداخل اللغوي ولذا كان التّداخل اللغوي أمرا في غايّة الأهمّيّة.

من هذا المنطلق نرصد تعاريف المعاجم اللّغويّة لمصطلح التّداخل، إذ جاء في لسان العرب: "تداخل الأمور تشابهها والتّباسها ودخول بعضها البعض"[15].

التّداخل أمر عرفته الأمم العربيّة قديما، لذا اعتبره العديد من العلماء آنذاك بأنّه ظاهرة شاذّة ولجت إلى اللغة العربيّة، حتى أنّهم فسّروها على أنّها هي اللحن بذاته النّاتج عن الخطأ في النّطق بسبب عامل التّأثّر والتّأثير بين اللغات، إذ يقول ابن جنّي

الذي عقد فصلا كاملا بخصوص هذا الموضوع في كتابه الخصائص:" ألا تراهم كيف ذكروا في الشّذوذ ما جاء على فعل يفعل، واعلم أنّ ذلك وعامّته هو لغات تداخلت وتركّبت"[16].

يرى ابن جنّي أن التّداخل حالة موجودة في اللغة العربيّة وهو ما أدّى إلى تعدّد اللهجات، كما نجد أنّ الجرجاني قد عرّج على التّداخل بقوله: "هو عبارة عن دخول الشّيء في شيء آخر زيادة حجم ومقدار"[17].

يتّضح أنّ التّداخل يحدث شيئا فشيئا، كما أنّه هو كسر لمعيار اللغة والاستعانة بلغة أخرى حتى يتسنّى أداء نطقه. كما ألمّ صالح بلعيد بقضيّة التّداخل اللغوي وأبدى فيها رأيه إذ يقول: "التّداخل يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف، وقد تكون للبيئة الاجتماعيّة التي يعيش فيها الطّفل فعاليّة أكثر في تولد توجه إيجابي أو سلبي، اتجاه لغة ما أكثر من الأخرى، ومن هنا يظهر أثر اللغة الأجنبيّة في اللغة القوميّة"[18].

كما يتّضح أنّ التّداخل تولّد عن الاحتكاك بين اللغات كما أنّ المحيط الاجتماعي للفرد والجماعة هو أكبر عنصر فعال في حدوث التّداخل، لأنّه هو من يجعل لغة ما تؤثّر في الأخرى.

ب-الثّنائيّة اللغويّة: معناها تعلّم لغتين مختلفتين في وقت واحد، وهو في العادة إشارة إلى تعلّم اللغة الأمّ ولغة أجنبيّة ثانيّة في سنوات الطّفولة المبكّرة عموما حتى يصير الفرد ثنائي اللغة وذلك بالتّأكيد تزامنا مع مراحل نموّه اللّغوي.[19]

ج-الازدواجيّة اللغويّة: اللّغات كلّها تنتمي إلى فصائل متنوّعة: فمنها السّاميّة ومنها الحاميّة...الخ ولكنّنا نشهد أنّ أغلبيّة المجتمعات تتواجد بها لغتان من أصلين مختلفين ممّا أوجد الازدواجيّة اللّغويّة.

لم يظهر مصطلح "الازدواجيّة اللّغويّة" إلاّ في عام 1959 حيث استخدمه اللّساني الأمريكي "فارغيسون"[20].

الازدواجيّة اللغويّة هي العلامة الثّابتة بين ضربين لغويين بَدِيلين ينتميان إلى أصل جيني واحد، أحدهما راقٍ والآخر وضيع كالعربيّة الفصحى والعاميّات...الخ[21].

وهناك من يقول أنّ الازدواجيّة لا تكون إلاّ بين لغتين مختلفتين كما بين الفرنسيّة والعربيّة، الألمانيّة والتّركيّة.

د– التعدّد اللّغوي: عرفّ التعدّد اللّغوي بأنّه عدد اللغات المستعملة في مناطق معروفة[22]، أو" أنّه حالة لغويّة يوصف بها المجتمع الذي يعرف أكثر من لغتين في محيطه السّوسيوثقافي والسّياسي والدّيني[23]. ومن خلال هذا التّعريف يعدّ التعدّد اللّغوي حالة يعرفها المجتمع في ظلّ وجود أكثر من لغتين.

ه–التّهجين اللغوي: مصطلح التّهجين اللغوي هو استيلاء لغة لا هي بالعربيّة ولا بالأعجميّة بالمزج في الخطاب بين كلمات متعدّدة من اللغات، ويحصل هذا التّهجين أحيانا بتعمد، وأحيانا من غير تعمد، وتتمّ عمليّة التّهجين بشكل منهجي لتصبح نمطاً مميّزاً لأسلوب الخطاب والكتابة.

اللغة الهجينة هي تلك الألفاظ المستعربة، والتي توحي بوضع لغوي اكتسح لسان جيل بأكمله، وهو واقع مرّ يؤسّس لدلالات خطيرة على المجتمع، حيث ينذر بضياع الهويّة والتّميّز، والتّنكّر للذات الحضاريّة.

يعدّ التّهجين اللغوي من بين أهم الظّواهر التي سادت الالسّنة العربيّة عامّة واللسان الجزائريّ خاصّة، حيث حدث نوع من التّلاقح المعجمي الذي نتج عنه تناسل لفظي ولّد لغة هجينة من حيث التّعابير المتداولة.

يعرف الدّكتور عبد الجليل مرتاض التّهجين اللغوي بقوله:" التّهجين اللغوي مزج تبليغ من متكلّم إلى متلقّ بمفردات ومستويات لسانيّة، تعود لأكثر من لغة واحدة وكلّما كانت هذه المفردات لا صلة لها باللغة المركزيّة المتمثّلة في المنطوق الأدبي والموروث التّاريخي كانت أكثر هجنة وأقل أصالة ونصاعة"[24].


#AIGLE NOIR


البركان
Free

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن جني، الخصائص، تح: علي النّجار، دط، المكتبة العلميّة، دار الكتب المصريّة دت ج1..
2. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمّد احمد حسين الله، هاشم محمّد الشّاذلي، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر.
3. أحمد سيد محمّد، المصدر الأدنى مفهومه وأنواع دراسته، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، ط21986.
4. إنعام فوال، الأدب الصّغير والأدب الكبير عند ابن المقفع، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط3، 1999.
5. باديس لهويمل، اللغة العربيّة في عصر العولمة والعلمانيّة والواقع والتّحديات ندوة المخبر، اللسانيات مئة عام من الممارسة، قسم الآداب واللغة العربيّة، كليّة الآداب واللغات محمّد خيضر، بسكرة
6. بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام حياتهم وآثارهم ونقد آثارهم، دار مارون عنود 1979.
7. التّهجين اللغوي في الجزائر العهد العثماني، عبد الجليل مرتاض، المجلّة السّابقة (المجلس الأعلى للغة العربيّة).
8. الحبيب النّصراوي، في الازدواجيّة اللغويّة والهويّة العربيّة، مجلّة الإذاعات العربيّة ع4، 2013.
9. حرب اللّغات والسّياسة اللغويّة، تر: حسن حمزة، مراجعة سلام بزي حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة بيروت،2008.
10. حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهليّة، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط3 1997.
11. خالدّ يوسف، الأدب والوظيفي في الوطن العربي خلال النّصف الأول من القرن العشرين، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت، لبنات، ط1، 2008.
12. دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، 2000.

13. شوقي ضيف، الأدب والنّقد، دار المعارف، 1999، القاهرة، مصر.

14. عباس المصري وعماد أبو الحسن، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّـــة المجتمـــع ع8، 2014.

15. عبد الجواد توفيق محمود، الواقع اللغوي في العالم العربي فـــي ضـــوء اللهجـــات المحليّة واللغة الإنجليزيّة، رؤى استراتيجيّة، يناير 2014.

16. عبد العزيز بن عثمان النّويجري، حاضر اللغة العربيّة، مطبعة الإيسيسكو الرّبـــاط المغرب، 2013.

17. قضايا لغويّة ومسائل في التّعليميّة – روقاب جميلة –محمّد حاج هني –مكتبة الرّشاد –الجزائر–ط:01–2016.

18. معجم التّعريفات، الشّريف الجرجاني، تح: محمّـــد صـــادق المنشـــاوي، دط، دار الفضيلة القاهرة، مصر.

19. معجم المصطلحات الالسّنيّة، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني بيروت،1995.

20. المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، مكتب تنسيق التّعريب، مطبعة النّجاح، الـــدّر البيضاء، المغرب، د ط،2002.

الهوامش:

[1]– الحبيب النّصراوي، في الازدواجيّة اللغويّة والهويّة العربيّة، مجلّة الإذاعات العربيّة ع4 2013، ص7.

[2]– المرجع السّابق، ص9.

[3]– عبد العزيز بن عثمان النّويجري، حاضر اللغة العربيّة، مطبعة الإيسيسكو، الرّباط المغرب 2013 ص13.

[4]– الحبيب النّصراوي، في الازدواجيّة اللغويّة والهويّة العربيّة، ص10.

[5]– عبد الجواد توفيق محمود، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء اللهجات المحليّة واللغة الإنجليزيّة، رؤى استراتيجيّة، يناير 2014، ص11.

[6]– بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام حياتهم وآثارهم ونقد آثارهم دار مارون عنود 1979، ص36.

[7]– حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهليّة، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والتّوزيع بيروت، لبنان، ط3 1997، ص271.

[8]– إنعام فوال، الأدب الصّغير والأدب الكبير عند ابن المقفع، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ط3، 1999 ص16.

[9]– خالدّ يوسف، الأدب والوظيفي في الوطن العربي خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت، لبنات، ط1، 2008، ص7.

[10]– أحمد سيد محمّد، المصدر الأدنى مفهومه وأنواع دراسته، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر ط21986، ص16.

[11]– ينظر: شوقي ضيف، الأدب والنّقد، دار المعارف، 1999، القاهرة، مصر، ص13.

[12]– عباس المصري وعماد أبو الحسن، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، المجتمع ع8،2014، ص39.

[13]– نص مأخوذ من شبكة نسيم الإبداع

[14]– باديس لهويمل، اللغة العربيّة في عصر العولمة والعلمانيّة والواقع والتّحديات، ندوة المخبــر اللسانيات مئة عام من الممارسة، قسم الآداب واللغة العربيّة، كليّة الآداب واللغات، محمّد خيضر بسكرة، ص11.

[15]– ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمّد احمد حســين الله، هاشــم محمّــد الشّاذلي دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص1343.

[16]– ينظر، ابن جني، الخصائص، تح: علي النّجار، دط، المكتبة العلميّة، دار الكتــب المصــريّة دت ج1، ص374.

[17]– معجم التّعريفات، الشّريف الجرجاني، تح: محمّد صادق المنشاوي، دط، دار الفضيلة، القاهرة مصر، دت، ص49.

[18]– دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، 2000، ص124.

[19]–ينظر: قضايا لغويّة ومسائل في التّعليميّة – روقاب جميلة –محمّد حاج هني –مكتبة الرّشاد – الجزائر ––ط:01–2016–ص:153.

[20] ينظر: حرب اللّغات والسّياسة اللغويّة، تر: حسن حمزة، مراجعة سلام بزي حمــزة، مركــز دراسات الوحدة العربيّة بيروت،2008، ص78.

[21] ينظر: المرجع نفسه ، والصّفحة نفسها.

[22] –معجم المصطلحات الالسّنيّة، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت،1995، ص 229.

[23]– المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، مكتب تنسيق التّعريب، مطبعة النّجاح، الدّر البيضــاء المغرب، د ط،2002–ص 96.

[24]– ينظر: التّهجين اللغوي في الجزائر العهد العثماني، عبد الجليل مرتــاض، المجلّــة السّــابقة (المجلس الأعلى للغة العربيّة)، ص:53.

التعدّد اللّغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللّغة العربيّة

د. رحمة كزولي -وحدة البحث تلمسان

د. مهديّة بن عيسى – وحدة البحث تلمسان

- **الملخّــص:** يشهد الواقع اللّغوي في الجزائر تعدّداً لغوياً كبيراً؛ فهو مزيج ثــري بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الأمازيغيّة واللّغة الفرنسيّة واللّغــة الأمّ التــي تتقسـم بدورها إلى العديد من اللهجات العاميّة القريبة إلى الفصحى، وهذا التعدّد له انعكاســات جمّة في الوسط التّربوي التّعليمي.

فما مدى تأثير هذا التعدّد اللّغوي على تعليميّة اللّغة العربيّة؟ وما هي انعكاساته؟

1- **مفهوم التعدّد اللّغوي:** يرى بعض الدّارسين أنّ التعدّد اللّغوي هــو اســتعمال الشّخص الواحد لعدّة لغات فيما يرى آخرون أنّ مصطلح التعدّد اللّغوي يعنــي تعــايش عدّة لغات داخل مجتمع معيّن، وقد جعل الله عزّ وجلّ تعدّد الالسّن آيّة من آياته التــي تدلّ على عظمته وقدرته وهو ما يتجلّى في قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْــقُ السّــمَاوَاتِ والأرض وَاِخْتِلَاف السّنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَات لِلعَالَمِين) [1].

وجاء في المعاجم اللّسانيّة أنّ التعدّد اللّغوي يتمثّل في استعمال أكثر من لغــة فــي مجتمع واحد، يقول جون دوبوا في قاموس اللسانيات: « يحدث – التعدّد اللّغوي – لمــا تجتمع لغتان فأكثر في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد لاستعمالها في عمليّة التّواصــل بين النّاس » [2].

ويعدّ التعدّد اللّغوي ظاهرة لسانيّة طبيعيّة قديمة أفرزتها ضروريات الحيــاة التــي تستوجب التّواصل الثّقافي والتّبادل المعرفي بين الحضارات، وهو مــا أكّــده الــدّكتور صالح بلعيد بقوله: «التعدّد اللّغوي ظاهرة لسنيّة شبه عامّة تظهر في اللّغات أثناء الأداء

الكلامي وعبره يتم نقل الرّسالة التي قد يعجز المتكلّم عن توصيلها بلســـان واحـــد» [3]
وقد ظهر التعدّد اللّغوي نتيجة الاحتكـــاك والتّعـــايش وكـــذا الصّـــراع بـــين اللّغـــات والمجتمعات وذلك قصد تبادل الثّقافات والخبرات العلميّة. "فما من حضارةٍ إنســـانيّة إلاّ وصاحبتها نهضة لغويّة، وما من صراعٍ بشريٍّ إلاّ ويبطن في جوفه صـــراعا لغويـــا حتّى قيل يمكن صياغة تاريخ البشريّة على أساس صراعاتها اللّغويّة [4].

وعرفت العرب التعدّد اللّغوي منذ فجر الإسلام، فبعدما أتقن العرب اللّغة الفارســـيّة والهنديّة واليونانيّة، نقلوا مختلف العلوم والمعارف من هذه اللغات إلى العربيّة، فشـــهدوا نهضة حضاريّة كبيرة، فأبهروا العالم بعلمهم، فكان ذلـــك ثـــراء للحضـــارة العربيّـــة والعالميّة ولم يؤثّر ذلك سلبا على اللّغة العربيّة.

وتؤكّد الدّراسات السّوسيولسانيّة أنّ التعدّد اللّغوي ينتشر بـــين كـــلّ لغـــات العـــالم "فباعتبار أنّ هناك 5000 لغة موزعة على 200 دولة فهذا يعطينا معـــدلا بـــــــ 25 لغة بكلّ بلد ممّا يوضح أنّ الوضع الأكثر شيوعا هو التعدّد اللّغوي وهو أنّه لا وجـــود لدولة أحاديّة اللّغة [5].

2- **مظاهر التعدّد اللّغوي في الجزائر:** عرفت الجزائر التعدّد اللّغوي على غـــرار مختلف المجتمعات العربيّة والغربيّة والذي يتجلّى في مظهـــرين، يتمثّـــل الأوّل فيمـــا تتشكّله اللّغة العربيّة مع لهجاتها، والتي يطلق عليها علماء اللّغة مصـــطلح الازدواجيّـــة اللّغويّة، والمظهر الثّاني هو ما تمثّله اللّغة العربيّة مع اللّغات التي تعايشت معها لســـبب من الأسباب، كاللّغة الأمازيغيّة التي عاشت جنبا إلى جنب مع اللّغة العربيّة منذ الفـــتح الإسلامي، واللّغة الفرنسيّة التي فرضت على اللّغة العربيّة منـــذ الاحـــتلال الفرنســـي للجزائر، فشكّلت اللّغتان ثنائيّة في الواقع اللّغوي المعيش، وهذه الظّاهرة تعـــاني منهـــا أغلب بلدان العالم.

ومصطلحا الازدواجيّة والثّنائيّة غير واضح المعالم على رأي أندري مارتينيه لأنّهـــا ظواهر لا تهمّ اللّغويين وحدهم، بل يهتمّ بها كثير من العلماء على اختلاف تخصّصاتهم

وتوجّهاتهم[6]، وسنحاول بيان مفهوم المصطلحين حسب رؤيّة الـدّكتور عبـد الـرّحمن الحاج صالح.

2-1-**الازدواجيّة اللّغويّـة:** أشار اللّساني الأمريكي شارل فيرغسـون (Charles Ferguson) في بحث نشره بمجلة اللّغة الأمريكيّة إلى مصطلح الازدواجيّـة اللّغويّـة حيث يقول: « الازدواجيّة اللّغويّة وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللّهجـات الرّئيسة للغة (التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليميّة متعدّدة) لغـة تختلـف عنها وهي مقنّنة بشكل متقن (إذ غالبا ما تكون قواعـدها أكثـر تعقيـدا مـن قواعـد اللهجات)، وهذه اللّغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محتـرم، سـواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعـة حضـاريّة أخـرى ويتمّ تعلّم هذه اللّغة الرّاقيّة عن طريق التّربيّة الرّسميّة، ولكن لا يسـتخدمها أي قطـاع من الجماعة في أحاديثه الاعتياديّة»[7].

نتبيّن من القول السّابق أنّ الازدواج اللّغوي هو ذلك المزيج بين الفصحى والعاميّـة والتي تتمثّل في تلك الاستعمالات المختلفة للّغة في الحياة اليوميّة المنبثقـة عـن اللّغـة الفصحى، وهذه الظّاهرة موجودة في كلّ لغات العالم، بحيث إنّ أغلب اللّغات نجد فيهـا لغة يتحدّث بها العامّة في مخاطباتهم ومعاملاتهم، وأخرى خاصّة وهي لغة المعـاملات الرّسميّة ولغة التّأليف.

والمتأمّل في الواقع اللّغوي الجزائري يلحظ وضوح الازدواج اللّغـوي بـين لغتنـا العربيّة الفصحى ولهجاتنا المختلفة تبعا لاختلاف المناطق من الشّمال إلى الجنوب ومن الشّرق إلى الغرب.

2-2-**الثّنائيّة اللّغويّة:** يقصد بالثّنائيّة اللّغويّة وجود لغتين مختلفتين عنـد فـرد أو جماعة ما في الوقت ذاته، وهو ما ذكره محمّد الشّيباني بقوله: « الثّنائيّة اللّغويّـة هـي وضعيّة لغويّة يتناوب فيها متكلّمون من مجموعة لغويّة مـا علـى نظـامين لغـويين مختلفين » [8].

يتّضح لنا من تعريف الشّيباني أنّ الثّنائيّة تطلق على الدّولة أو المجتمع أو الفرد الذي يستعمل نظامين لغويين للتواصل ليست بينهما صلة قرابة، وهو ما يظهر جليا في الواقع اللّغوي الجزائري؛ إذ تتعايش اللّغتان العربيّة والفرنسيّة جنبا إلى جنب.

3- **الواقع اللّغوي في الجزائر في ظل التعدّديّة اللّغويّة:** إنّ المتأمّل في الواقع اللّغوي الجزائري يلحظ التّعايش الموجود بين اللّغة العربيّة والعاميّات المحلّيّة وكذا اللّغة الأمازيغيّة واللّغات الأجنبيّة، وتتجلّى صوره في مكوّنات محيطنا الاجتماعي كالأسرة والشّارع والتّعليم والإدارة والتّجارة وغيرها من قطاعات الاقتصاد والثّقافة والسّياسة، "فالواقع الجزائري يوضّح أنّ درجة استعمال اللّغات في الجزائر ليس متماثلا، حيث تهيمن العاميّات الجزائريّة على السّوق الشّفويّة، أمّا اللّغة العربيّة الفصيحة واللّغة الفرنسيّة فلا تستعملها إلاّ طبقة من المثقّفين وفي أماكن واضحة كما أنّ الأمازيغيّة لها تأدياتها المختلفة من منطقة إلى أخرى [9]. أي أنّ واقعنا اللّغوي تتجاذبه عدّة أطراف: اللّغة العربيّة الفصحى، اللّغة الأمازيغيّة، العاميّات واللّغة الفرنسيّة وهكذا نجد أنفسنا أمام ثلاث مستويات:

3-1- **المستوى الرّسمي:** ويمثّله استخدام اللّغة العربيّة الفصحى في المؤسّسات الإداريّة والتّعليميّة والدّينيّة؛ يقول إميل بديع يعقوب عن ذلك: «اللّغة العربيّة الفصحى هي لغة القرآن الكريم والتّراث العربي، والتي تستخدم في المعاملات الرّسميّة وفي تدوين الشّعر والنّثر والإنتاج الفكري»[10].

3-2- **المستوى التّواصلي:** وهو مستوى استخدام اللّغة للتواصل اليومي والتّطبيق الفعلي، وتتمثّل في اللهجات العربيّة العاميّة والتي تتوزّع على أربع مناطق رئيسة هي: "اللهجات العاميّة في الشّرق الجزائري، وعاميّات الجزائر الوسطى وضواحيها، وعاميات الغرب الجزائري إضافة إلى اللهجات العاميّة بالجنوب[11] واللهجات الأمازيغيّة (القبائليّة، الميزابيّة الشّاويّة والتّرقيّة)، وهي التي تستخدم في الشّؤون العاديّة، والتي يجري بها الحديث اليومي[12].

3-3- **المستوى الوظيفي:** وهو المستوى الذي يستخدم اللّغة من أجل الانفتاح على العالم الخارجي، ويأتي في المقدّمة المجال الاقتصادي، ويمثّله استعمال اللّغة الفرنسيّة في المرتبة الأولى واللّغة الانجليزيّة في المرتبة الثّانيّة.

4-واقع تعليميّة اللّغة العربيّة في ظلّ التعدّديّة اللّغويّة في الجزائر:

4-1- **مفهوم التّعليميّة:** إنّ كلمة التّعليميّة هي ترجمة لكلمة didactique المشتقّة من الكلمة الإغريقيّة didaktikus التي تعني فلنتعلّم، وهي أيضا مذهب متعلّق بمعارف علميّة أو تقنيّة [13] وترجم هذا المصطلح إلى اللّغة العربيّة وأخذ العديد من الكلمات ومن أبرزها التّعليميات /علم التّدريس/علم التّعليم/التّدريسيّة/الدّيداكتيك [14].

كما يعرف أحمد حساني التّعليميّة: «بأنّها تهدف إلى إكساب المتعلّم مهارة التّعبير الشّفوي لأنّه هو الطّاغي على ما سواه في الممارسة الفعليّة للحدث، اللّغوي والكفايّة اللّغويّة مهارتان إحداهما: مهارة شفويّة تعول أساسا على الأداء المنطوق والأخرى مهارة كتابيّة تعول على العادات الكتابيّة للغة معيّنة»[15].

4-2- **واقع تعليميّة اللّغة العربيّة في ظل التعدّديّة اللّغويّة:** إذا أردنا تتبّع واقع تعليم اللّغة العربيّة في المدرسة الجزائريّة نجد أنّ الطّفل يتعلّم العاميّة من محيطه الأسري، وبعد دخوله المدرسة يجد نفسه أمام لغة أخرى تختلف بقوانينها عن العاميّة التي يستعملها، وهو مجبر على اتقانها ليتمكن من النّجاح، وهو ما أشار إليه عبد الله الدّنان بقوله: « يدخل التّلميذ العربي إلى المدرسة في سن السّادسة، وقد أتقن العاميّة قبل هذا السّن، عندما كانت القدرة اللّغويّة الهائلة للدماغ على اكتساب اللّغات في أوجها، أي أنّه تزوّد باللّغة التي يفترض أن يكتسب بها المعارف المختلفة، وذلك بحسب طبيعته وتكوينه، إلاّ أنّه يفاجأ بأنّ لغة المعرفة ليست اللّغة التي تزوّد بها، وإنّما هي لغة أخرى لابدّ له أن يتعلّمها ويتقنها، لكي يتمكّن من فهم المواد المعرفيّة الأخرى»[16].

وعليه فالطّفل العربي يبدأ حياته التّعليميّة الأولى باللّغة العاميّة التي تكون بمثابة القاعدة الأساسيّة التي ينطلق منها لاكتساب المعارف الحياتيّة المختلفة، وبعدها ينتقل

إلى المدرسة فيجد اللّغة الفصحى بكلّ قواعدها والتي لا يستخدمها في الغالب إلاّ في الكتابة لذا يقع صدام بين اللّغة العربيّة الفصيحة في الحياة التّعليميّة، والدّارجة أو العاميّة في الحياة العمليّة الواقعيّة ممّا يجعله يستصعبها، وينفر منها.

وقد مسّت ظاهرة التعدّد اللّغوي المدرسة الجزائريّة ككل من معلّمين ومتعلّمين وكذا الطّاقم الإداري على حد سواء، "فالمتعلّم اليوم في المدرسة الجزائريّة، يتعلّم في المدرسة اللّغة العربيّة الفصحى ويمارس في محيطه الاجتماعي اللّغة العاميّة أو الأمازيغيّة وأحيانا الفرنسيّة فهو يتأرجح بين ثلاثة مستويات[17]؛ إذ نجده ينوّع بين العاميّة التي تعلّمها منذ طفولته واللّغة العربيّة الفصحى التي اكتسبها من المدرسة، يقول أحد الباحثين عن الموضوع: « ففي حالة وجودهم أثناء تفاعلهم مع المعلّم أو المدير يحاولون جاهدين استعمال اللّغة العربيّة الفصيحة، وإن لم تؤهّلهم قدراتهم إلى تحقيق ذلك، وأثناء التّواصل فيما بينهم خلال مختلف النّشاطات التّعليميّة داخل القسم، فإنّهم يتحرّرون من النّمط المعياري ويتكلّمون مستوى لغويا تسيطر عليه لغة المتمدرسين الشّفهيّة التي يميّزها استخدام قواعد نحويّة بسيطة وسقوط الحركات وإقحام المفردات العاميّة، أمّا خارج القسم وبعيدا عن أنظار المعلّم فإنّ سلوكاتهم اللّغويّة تسيطر عليها ملكة تتأرجح بين الاستعمال الأقل معياريّة واللّغة التي يتحدّثها المتمدرسون »[18]. نستنتج أنّ المتعلّم في المدرسة الجزائريّة يستعمل مزيجا من الفصيح والعامي والأجنبي داخل القسم أو خارجه.

5-انعكاسات التعدّد اللّغوي على تعليميّة اللّغة العربيّة: ينتشر التعدّد اللّغوي بشكل كبير في العديد من دول العالم؛ إذ لا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات من أحد أشكاله فحتّى المجتمعات أحاديّة اللّغة نجدها تعاني من تواجده، وقد يكون التعدّد اللّغوي نعمة إذا تمّ التّخطيط له، كما قد يكون نقمة إذا لم تحسن الدّول التّعامل معه كما هو الحال في بعض بلداننا العربيّة.

ولنتطرّق فيما يلي لبيان انعكاسات التعدّد اللّغوي الإيجابيّة والسّلبيّة على تعليميّة اللّغة العربيّة.

4-3- **الإيجابيات:**من أهم آثار التعدّد اللّغوي الإيجابيّة على تعليميّة اللّغة العربيّة نجـد أنّه:

- يسهم التعدّد اللّغوي في التّفاعل بين المجموعات اللّغويّة المختلفة وتحقيـق حـوار حضاري، وهو ما يؤكّده أوفيليا غارسيا بقوله: « التّربيّة الثّنائيّة اللّغة والمتعدّدة اللّغة هـي في الحقيقة تربيّة صحيحة متعدّدة الثّقافة، تتجاوز التّعبير عن الأحاسيس الإيجابيّـة لتمـنح النّاس وسيلة حاليّة وهي الثّنائيّة اللّغويّة لخلق معرفة وتفاهم كبيرين »[19]، ممّا يعنـي أنّ التعدّد اللّغوي يسهم في الانفتاح على الثّقافات المختلفة دون المساس باللّغة العربيّة؛

- فالتعدّد اللّغوي قد يكون ظاهرة طبيعيّة مفيدة في الدّول إن اتخذ "مسـلكا للتطعـيم وانفتاح الثّقافة الوطنيّة على الثّقافات الأجنبيّة لتوسيع دائرة التّفكير اللّغوي بما يخدم اللّغـة الوطنيّة [20]. ولعلّ أفضل مثال الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي استفادت من حضـارات الأمم الأخرى وذلك من خلال توظيف لغاتها كالفارسيّة في نقل العلـوم دون الإضـرار باللّغة العربيّة؛

فاللّغات الأجنبيّة تؤدّي دورا هاما في تعزيز التّواصل والاطلاع على التّكنولوجيـات الحديثة وآخر الاختراعات؛

- استغلال التعدّد اللّغوي في محاربة بعض مظـاهر التّمييـز العنصـري وعـدم المساواة بين المجموعات إضافة لكونه يمنح الطّلبة ثنائي اللّغة والمعرفة إيجابيات معرفيّة متزايدة وتفكيرا خلاقا ومتشعّبا جدا ويمكن في سن مناسبة للقدرة اللّغويّة أن يمنح الطّلبـة وعيا لغويا واسعا [21].

4-4- **السّلبيات:** أمّا عن الآثار السّلبيّة للتعدّد اللّغوي على تعليميّة اللّغة العربيّة نجد:

- الصّراع اللّغوي بين العربيّة وغيرها من اللّغات، وضعف الاعتزاز باللّغة العربيّة والميل للتباهي باللّغة الأجنبيّة كلغة حضارة، وكذا تلاشي الهويّة لأنّ العربيّة بالنّسـبة لنـا موحّدة للأمّة العربيّة ولغة الدّين والشّخصيّة العربيّـة بمـا تحملـه مـن قـيم روحيّـة واجتماعيّة [22]؛

وقد أصبحت اللّغة العربيّة تعاني الإهمال والتّهميش في وطنها؛ إذ نجد المعلّم لا يستخدم اللّغة العربيّة نظرا لعدم إتقانها، بل يستخدم لغات أخرى أو لهجات محليّة ممّا يؤدّي إلى تخرّج العديد من طلبة الجامعة وهم لا يحسنون اللّغة الفصحى، يقول عبده الرّاجحي: « إنّ تعليم اللّغة العربيّة لأبنائنا ليس في موضع ملائم وحالتّه حرجة جدا بدليل أنّ المتخرّج من الجامعة لا يحسن التّكلّم بالعربيّة، ولا يمكنه كتابة صفحة بالعربيّة الفصحى السّليمة، ثمّ تغلغل هذا الإلف وصار أمرا طبيعيا لا تدرك أخطاره لينسحب تدريجيا على النّظرة الاجتماعيّة حيث صار الطّلاب يعزفون عن الالتّحاق بأقسام اللّغة العربيّة ولا يدخلونها إلاّ مضطرّين » [23]؛

– استعمال الفرد لغتين فأكثر في وقت واحد يجعله يعيش في عوالم مختلفة فالجزائري يستخدم مثلا لغته العربيّة ولغة المستعمر وهي الفرنسيّة، فيجد نفسه في وضع لغويّ متدهور ممّا يؤدّي إلى انحطاط لغته الفصحى، ذلك أنّ "تلقين لغتين في آن واحد يؤدّي إلى تدافعهما وعدم استقرار نسقيهما في العضو الذّهني المهيأ لحفظ الملكة اللّغويّة المكتسبة[24]. كما يعتبر هذا التعدّد غزوا ثقافيا؛

– وأبرز آثار التعدّد اللّغوي على تعليميّة اللّغة العربيّة تتمظهر في مستويات اللّغة من صوت وصرف ونحو ومعجم وتداوليّة (استعمال اللّغة في التّواصل)، ذلك أنّ استعمال أكثر من لغة في التّواصل يؤدّي مع مرور الوقت إلى نوع ودرجة من الإدماج داخل النّسق الصّوتي والصّرفي والتّركيبي والدّلالي، فيتم تدريجيا تعويض بعض الأصوات بمتتاليّة صوتيّة لا وجود لها، ويرد أيضا في بعض الأنماط والتّراكيب النّحويّة التي لا وجود لها في أنماط العربيّة نحو (ممنوع التّدخين) والصّواب (التّدخين ممنوع) مبتدأ وخبر، فالذي حدث هو صياغة المثال الأوّل بنمط اللّغة الفرنسيّة رغم أنّ الحروف عربيّة وهذا أحد نتائج الثّنائيّة اللّغويّة (عربيّة / فرنسيّة) [25]، كما يؤدّي التعدّد اللّغوي إلى لبس في المعاني لدى المتعلّمين نتيجة تداخل ألفاظ اللّغات ومعانيها، ذلك أنّ كلّ كلمة لها خصوصيتها في لغتها، فإذا انتقلت من لغة لأخرى قد يصيبها بعض التّحريف كما قد يكتسي دلالة جديدة تختلف عن الأصل، فيصبح للفظ الواحد أكثر من مصطلح ممّا يسبّب

صعوبة في تحديد المعاني وخلط لدى المتعلّمين "فالمفردة تعرف انتقالا وتحركا عبر النّسق، ممّا يخلق لبسا دلاليا. ومن هذا المنطلق فإنّ استعمال اللّغات المختلفة داخل القسم من قبل الأستاذ قد يخلق هذا المشكل خصوصا إن كان من بيئة مختلفة عن بيئة عيّنة معيّنة من التّلاميذ[26].

– كما نجد من الآثار السّلبيّة للتعدّد اللّغوي على تعليميّة اللّغة العربيّة استخدام بعض الأساتذة لغات أجنبيّة وبعض اللهجات المحليّة في حجرات الدّرس ممّا قد يسبّب صعوبة للفهم لبعض الطّلبة الذين لا يتقنون هذه اللّغة أو اللهجة ممّا يؤدّي إلى كثير من الخلافات.

5–الحلول المقترحة لترقيّة تعليم اللّغة العربيّة: على الجهات الرّسميّة وضع سياسة لغويّة محكّمة من أجل تنميّة اللّغة العربيّة وتمكين أفراد المجتمع منها أداء وصياغة وتعبيرا واستيعابا، وتتبني هذه السّياسة اللّغويّة على مجموعة من الحلول منها:

– تدريس اللّغة العربيّة الفصحى في المدارس وحدها إلى أن يتمكّن الطّالب من لغته الأمّ، عندها يمكن إضافة اللّغة الأجنبيّة، وهذا حفاظا على لغته؛

– تعريب التّعليم الجامعي في كافة التّخصّصات، والاستفادة من التّجارب النّاجحة التي قامت بها الدّول الأخرى؛

– اهتمام المدارس والجامعات بالواقع اللّغوي، والتّركيز على ممارسة اللّغة في قاعات الدّرس، وتكوين المعلّمين ومنعهم من استخدام العاميّة في التّدريس[27]؛

– العمل على توفير المراجع باللّغة العربيّة، وترجمة الكتب الأجنبيّة؛

– تعزيز الوعي اللّغوي والانتماء إلى الأمّة ولغة الأمّة الفصيحة[28]؛

– الوقوف ضد دعاة استبدال اللسان العربي الفصيح باللسان العامّي، والعمل على تطوير مناهج اللّغة العربيّة؛

– استخدام اللغة العربيّة الفصحى في البحث العلمي ونشر البحوث في دوريات عالميّة يمكن بعدها ترجمتها للغات أخرى أجنبيّة [29]؛

– إنشاء مراكز بحوث تربويّة تعمل على تطوير تعليم العربيّة للناطقين بها وبغيرها والاستعانة بأفضل الطّرق التّعليميّة والوسائل المعيّنة الحديثة [30].

الإحالات:

[1] – سورة الرّوم، الآيّة: 21.

[2] – ينظر: نوري جعفر، اللّغة والفكر، مكتبة التّـومي، الرّبـاط، المملكـة المغربيّـة، 1971م ص57.

[3] – صالح بلعيد، اللّغة الجامعة، مجلة الممارسات اللّغويّة، جامعة تيزي–وزو، 2015م ص8.

[4] – علي نبيل، الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 2001م، ص288.

[5] – التعدّد اللساني واللّغة الجامعة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزء: 01، 2014م ص190.

[6] – إبراهيم كايد محمود، العربيّة الفصحى بين الازدواجيّة اللّغويّة والثّنائيّة اللّغويّة، المجلّة العلميّة لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانيّة والإداريّة)، المجلد الثّالثّ، العـدد: 01، المملكـة العربيّـة السّعوديّة، 2002م، ص56.

[7] – مايكل كلين، التعدّد اللّغوي، ضمن كتاب دليل السّوسيولسانيات، تحرير: فلوريـان كولمـاس ترجمة: خالدّ الأشهب وماجدولين النّهيبي، المنظمة العربيّة للترجمـة، بيـروت، لبنـان، 2009م ص649.

[8] – عبد العزيز بلفقير، التعدّد اللّغوي واللبس الدّلالي وأثره على التّعلّم، صحيفة المثقّـف العـدد: 2311، الصّادر بتاريخ: الخميس 2012/12/27، www. Almothaquaf.com

[9] – باديس لهوميل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللّغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللّغة العربيّة، مجلّة الممارسات اللّغويّة، العدد: 30، 2014م، ص114.

[10] – إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربيّة وخصائصها، دار العلم للملايين، بيـروت، لبنـان ط1 1985م، ص144.

[11] – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، مطبعة أبناء وهبة حسـان، مكتبـة الأنجلـو مصـريّة القاهرة، 2003م، ص15.

[12] – التعدّد اللساني واللّغة الجامعة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزء: 01، 2014م ص501.

[13] – رضا جوامع، استثمارات تعليميّة اللّغات التي تدرس البلاغة العربيّة، مجلة العلوم الإنسـانيّة جامعة باتنة، الجزائر، العدد: 14، 2006م، ص41.

[14] – ينظر: بشير إبرير، تعليميّة النّصوص بين النّظريّة والتّطبيق، دار عالم الكتب الحديث ط1 2007م، ص9.

[15] – ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللّسانيات التّطبيقيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر 2000م، ص132.

[16] – الدّنان عبد الله، نظريّة تعليم اللّغة العربيّة بالفطرة والممارسة، تطبيقاتها وانتشارها، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، المؤتمر السّنوي السّادس، 2007م، ص11.

[17] – أحمد برماد، أزمة التّداخل اللّغوي بين العاميّة والفصحى في المدرسة الجزائريّة الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، كليّة الآداب واللّغات، جامعة جيجل، العدد: 19، 2018م ص59.

[18] – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[19] – أوفيليا غارسيا، التّربيّة الثّنائيّة اللّغة، ضمن كتاب دليل السّوسيولسانيات، تحرير: فلوريان كولماس، ص877.

[20] – ديدوح عمر، الصّراع اللّغوي في الجزائر: تأزيم الهويّة، ، (www.almarefh.net 2009/11/16م).

[21] – باديس لهوميل ونور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللّغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللّغة العربيّة، ص116.

[22] – المرجع نفسه، ص117.

[23] – عبده الرّاجحي، علم اللّغة التّطبيقي وتعليم العربيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة مصر، (د،ط)، 1995م، ص88.

[24] – محمد الأوراغي، التعدّد اللّغوي: انعكاساته على النّسيج الاجتماعي، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء، منشورات كليّة الآداب، الرّباط، ط1، 2002م، ص59.

[25] – باديس الهويمل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللّغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللّغة العربيّة، ص118.

[26] – عبد العزيز بلفقير، التعدّد اللّغوي واللبس الدّلالي وأثره على التّعلّم، صحيفة المثقّف العدد: 2311، الصّادر بتاريخ: 2012/12/27، (www. Almothaquaf.com).

[27] – عبد العزيز الدّوغري، العربيّة والعولمة بين الأحاديّة والتعدّديّة، ندوة عن التعـدّد اللّسـاني واللّغة الجامعة، الجزائر، 2012م.

[28] – ينظر: محمد أحمد السّيد، اللّغة العربيّة وتحديات العصر، مطابع الهيئـة العامـة، سـوريا 2008م، ص54.

[29] – علي القاسمي، العربيّة الفصحى وعامياتها في السّياسة اللّغويّـة، أعمـال النّـدوة الدّوليّـة: الفصحى وعامياتها، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2008م، ص207 وما بعدها.

[30] – المرجع نفسه، ص207 وما بعدها.

واقــع التــعدد اللغوي في الجزائــر وإمكانـيّة التوصـل إلى اصطنــاع لغة تواصـل مشـتركــة من خلال الاستفادة من "لــغة البيدجن"

أ. زينب عبد العزيز
أ. سارة عبدو
ج. الحاج لخضر باتنة -1-

ملخّص: تروم هذه الورقة البحثيّة إبراز الوضع اللغوي الرّاهن في الجزائر وتبحث عن إمكانيّة التّوصل إلى لغة تواصليّة مشتركة، تحفظ اللهجات المحليّة والأمازيغيّة من الضّياع، وتعبّر في الوقت ذاته عن الهويّة الجزائريّة، وهذا من خلال بيان نموذج لغوي وهو لغة البيدجن، والتي تعتبر لغة هجينة تمّ اصطناعها لكي يستطيع النّاطقون بلسان مختلف التّواصل فيما بينهم دون الحاجة إلى تعلم لغات بعضهم.

المداخلة: إنّ الانسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخر، مما يتوجّب عليه إيجاد وسيلة للتواصل مع مختلف الجماعات اللغويّة التي تكون تحت تأثير متبادل معه، وهي السّياسة التي تبنتها بعض الدّول الإفريقيّة التي تتّسم بالتّعدد اللغوي الكبير، بواقع 1500 لغة مختلفة، فقد صمّموا لغة هجينة بسيطة، تسهم في التّواصل الفعّال بينهم تمسى "لغة البيدجن"، وإذ تعتبر الجزائر قارة، وذلك لاتساع مساحاتها، وتنوّع بيئتها، وامتزاج ثقافاتها، وتعدّد لهجاتها، التي فاقت خمس لهجات، ألا يمكنها أن تسلك نفس المنحى، وتخترع لغة تواصل جامعة! وللوقوف أكثر على هذه القضيّة نطرح **الإشكاليّة** الآتيّة: ما هو واقع التّعدّد اللغوي في الجزائر؟ وهل هناك إمكانيّة للتوصل إلى لغة تواصل مشتركة كـ "لغة البيدجن"؟

كما انضوت تحت هذه الإشكاليّة الرّئيسة **التّساؤلات** الآتيّة:

– ما هي لغة البيدجن؟ وكيف يمكننا استشراف تجربة نيجيريا والكاميرون مثلا في خلق لغة جزائريّة جامعة؟

– ما مدى فعاليّة هذه اللغة؟ وكيف يمكن لها أن تحقّق الأمن الثّقافي وتطــرح التّسامح اللغوي في الجزائر؟

ومن هذا المنطق علينا إمعان النّظر للوصول إلى **الأهداف** الآتيّة:

– توسيع سبل التّواصل اللغوي بين فئات المجتمع، والإسهام في التّبادل اللغوي والثّقافي بينهم؛

– محاولة وضع سياسة لغويّة تضمن التّعايش السّلمي وذلك باصــطناع لغــة مشتركة تواصليّة تهدف إلى حفظ اللغات واللهجات الجزائريّة من الموت والاندثار.

وارتأينا السّير وفق **الخطة** الآتيّة:

أوّلا–الرّاهن اللغوي في الجزائر؛

ثانيا–استشراف تجربة نيجيريا والكاميرون مع لغة البيدجن فــي إبــداع لغــة جزائريّة جامعة؛

ثالثا–اللهجة الجزائريّة الجامعة ودورها في تحقيق الأمن الثّقافي وطرح التّسامح اللغوي في الجزائر.

أوّلا–الرّاهن اللغوي في الجزائر: وفيه سنحاول استجلاء الوضع اللغوي الــذي ساد ويسود الجزائر حاليا.

ويقسّم الدّكتور صالح بلعيد هذا الوضع اللغوي إلى ثلاثة أقسام، أوّلهــا اللغــات ذات الانتشار الواسع وهي المتمثّلة في العاميّات العربيّة بمختلف أنواعها، ثمّ اللغات المحليّة الأمازيغيّة، بمختلف طرق أدائها ولهجاتها، وبعدها اللغات الكلاسيكيّة وهي اللغة العربيّة الفصيحة، واللغة الفرنسيّة[1].

ومن هنا نستطيع استجلاء المستويات اللغويّة الآتيّة:

1- **المستوى العامّي:** وهو المستوى اللغوي التّواصلي الذي تستعمله كل فئات المجتمع الجزائري[2]، سواء في البيت، أم في الشّارع، أم في السّوق...[3]، وبما أنّها لغة منطوقة تواصليّة، فهي لغة تفكير الجزائري، فحتى وإن استعمل المعلّم والأستاذ والإمام والسّياسي... اللغة العربيّة الفصيحة، فإنّه ينتقل دون وعي منه إلى التّحدث بالعاميّة لتصير هي لغة الإفهام والأقرب إلى المستمعين، وتعتبر العاميّة مزيجا من مجموع لغات ولهجات محليّة وخارجيّة، وأكثرها ممتزجة بالفرنسيّة، لدرجة أن الفرد الجزائري لا يكاد يفرّق بين ما هو عربي من الألفاظ وبين ما هو فرنسي[4].

بالإضافة إلى تباين هذه اللهجة العاميّة بين مختلف مناطق الوطن؛ فسكان الشّرق لديهم لهجاتهم، بل وكل منطقة فيه تختلف عن الأخرى، فلهجة سكان ميلة تختلف عن سكان مدينة تبسة، وكلاهما يختلفان عن لهجة سكان قسنطينة، ونفس الأمر بالنّسبة لسكان الغرب والوسط والجنوب والشّمال.

1- **المستوى الفصيح:** إنّ ارتباط اللغة العربيّة بالدّين الإسلامي الذي تبنته الدّولة الجزائريّة منذ عقود مديدة، جعل هذه اللغة هي لغة الدّولة الرّسميّة، وذلك ما يصرّح به القانون الجزائري، لكن حينما نعود إلى الواقع نرى عكس ذلك تماما[5].

فبالرّغم من حصول الجزائر على الاستقلال من فرنسا، إلّا أنّها لم تتمكّن من الاستقلال عنها لغويا، فتفوقت اللغة الفرنسيّة على اللغة العربيّة في مرحلة تاريخيّة مضت وبقي شيء من هذا التّفوق في وقتنا الحاضر[6]؛ فهي لغة المجالات العلميّة والتّقنيّة، واللغة التي تستعملها الطّبقات المتثاقفة.

كما أنّ اللغة الفرنسيّة عادت وتغلغلت في مستوى النّظام التّربوي، ومسّت قاعدته الأولى،[7] وبهذا أصبحت الفرنسيّة منافسة للعربيّة في عقر دارها، وكلّ هذا راجع إلى بعض الجزائريين الذين بالغوا في تقديس هذه اللغة وجعلوها لغة التّواصل والتّعليم بحجّة مواكبة العلم،[8] بالإضافة إلى سياسة الاستدمار التي أنشأت جيلا مفرنسا بعد إبعاده للعربيّة عن التّعليم.

1- **اللغة الأمازيغيّة:** وتفكّكت إلى عدّة لهجات، كلّ لهجة منها تعكس نمط العيش والحياة في تلك المنطقة، وتعتبر هذه اللهجات لهجات شفويّة، وليست مشتركة بين كلّ الجزائريين، وقد لاقت تهميشا في بعض مراحلها، وذلك راجع لأسباب مختلفة، منها السّياسيّة، الاجتماعيّة...[9]

وينقسم المتحدّثون باللغة الأمازيغيّة بنسب متفاوتة كالآتي: [10]

- **القبائل (القبائليّة):** "وهي اللهجة الأمازيغيّة الأكثر انتشاراً، بتعداد لا يقلّ عن سبعة ملايين نسمة، وتعدّ منطقة القبائل أهمّ منطقة ناطقة بالأمازيغيّة، وتشمل منطقة القبائل كذلك كل من: بجايّة، تيزي وزو، بويرة، برج بوعريريج، أجزاء من ميلة، جيجل، بومرداس، ولهم حضور كبير في العاصمة، إذ كانوا يشكلون 60% من سكّانها في عهد الاحتلال.
- **الشّاويّة:** ويستقرّون في منطقة الأوراس، ويبلغ عددهم حوالي مليون نسمة، وتنتشر هذه اللهجة في كلّ من باتنة، خنشلة، أم البواقي، جزء من بسكرة تبسّة، سوق أهراس، قالمة، سطيف، قسنطينة وبرج بوعريريج.
- **الطّوارق:** ويستعملون اللهجة التّرقيّة، ويسكنون المناطق الآتيّة: إليزي تمنراست، التّاسيلي، جانت.
- بالإضافة إلى **الشّلحيّة** و**المزابيّة** التي تضمها ولايّة غردايّة.

وتقول الدّراسات أنّ اللغة الأمازيغيّة هي اللغة الوحيدة التي تمتلك أقدم كتابة خاصّة بها ولا تزال مستعملة رغم ما مرّت به في مسيرتها التّاريخيّة[11].

1- **اللغة الفرنسيّة:** وتزامن وجود هذه اللغة في المشهد الجزائري مع وجود الاستدمار الفرنسي، وازدادت أهميّة ورسوخا بعد الاستقلال، وحتى بعد إعادة الاعتبار للعربيّة كلغة وطنيّة رسميّة وحيدة، إلاّ أنّها حاضرة في المجتمع الجزائري[12].

وهي من الأساسيات المشكّلة للخريطة اللغويّة الجزائريّة باعتبارها لغة تــدّرس في كلّ مراحل التّعليم كلغة أجنبيّة ولغة التّخصصــات العلميّــة فــي الجامعــات الجزائريّة[13].

وتستعمل كذلك كوسيلة للتخاطب اليومي من قبل نسبة معتبرة من الجزائــريين وتستخدم في الإعلام، وفي القطاع الاقتصادي والإداري، والسّياسي والطّبي.

ونلاحظ أنّ اللغة الفرنسيّة امتزجت بلغتنا الأمّ، ســواء العربيّــة أم الأمازيغيّــة ومن هنا يظهر جليا مدى تأثيرها على الوضع اللغوي في الجزائــر، إذ أصــبحت تحتلّ مكانا مرموقا في المجتمع، خصوصا وأنّها اللغة الثّانيّة التي يتعلمها التّلاميــذ بعد العربيّة في المدرسة[14].

ونلاحظ ممّا سبق، أنّ الجزائريين تعايشوا وتسامحوا مع اللغة العربيّة، حتى أنّ بعض القبائليين من علماء بجايّة، وتيزي وزو، والبويرة، كان لهم باع طويل فــي خدمة اللغة العربيّة، ولم يشكّل هذا التّداخل العلمي صراعا في يوم من الأيام[15].

ولكن سرعان ما تحوّلت الأمازيغيّة في واجهة المشهد اللغوي الجزائــري إلــى مرحلة التّهميش[16]، وتقلّص فعلها كلغة استعمال فــي المحــيط الجزائــري عامّــة والمناطق الأمازيغيّة خاصّة.

ففي واقعنا الحالي ظهر ما لم يكن في القديم، حيث تتنافس اللغــات الأمازيغيّــة والعربيّة بفعل وجود الفرنسيّة، التي تحاول الإخلال بالنّسيج الاجتمــاعي للــوطن وذلك من خلال توظيف اللغة الفرنسيّة في مختلف المجالات تدريسا واستعمالا، ممّا جعل الأمازيغيّة تحتك بهذه الأخيرة التي تعتبر ثقافة حديثــة دخلــت مــع الغــزو الفرنسي الذي عمل على محو الشّخصيّة الجزائريّة[17]، وتداخلت الألفــاظ وأصــبح الجزائري يستخدمهما معا في المجالات اليوميّة والتّعليم والإدارة، وأضحت اللهجة القبائليّة مختلطة بالفرنسيّة.

ولم تعمّ الأمازيغيّة مثلما عممت العربيّة، وتمّ إلغاء كرسي البربريّة من التّعليم ومختلف المجالات، وفي سنة 1980 ظهرت أصوات تطالب بإحيــاء الأمازيغيّــة

وحاولوا العمل على ترقيّة هذه اللغة لاسترجاع حقّها في وسائل الإعلام، ودخولها إلى المدرسة كلغة رسميّة[18].

ثمّ ما لبث أن اعترف بها وجعلت لغة وطنيّة ثانيّة، وهكذا اتسع تدريسها تدريجيا، وفي سنة 2009، ثمّ فتح قناة تلفزيونيّة حكوميّة تبثّ برامج الأمازيغيّة بكلّ فروعها[19].

وهذا باختصار حال الوضع اللغوي الجزائري الرّاهن.

ثانيا-استشراف تجربة نيجيريا والكاميرون مع لغة البيدجن في إبداع لغة جزائريّة جامعة:

وفيه سنتناول مفهوم لغة البيدجن، وبعده سنتطرق إلى واقع التّعدّد اللغوي في إفريقيا، وكيف استطاعت دول ابداع لغة تجمعهم وتوحد لسانهم لتواصل سهل بينهم، وبعدها سنحاول استشراف تجربهم في واقعنا اللغوي الجزائري.

1-**مفهوم لغة البيدجن:** إنّ مفهوم البيدجن كما جاءت في المعاجم اللغويّة الحديثة هي: "لغة مبسطة تستخدم للتفاهم بين الشّعوب النّاطقة بلغات مختلفة، وهي وسيلة للتفاهم بين الشّعوب"[20]، وهي كما جاءت في ويكيبيديا "لغة تنشأ غالبا بشكل تلقائي من اختلاط عدة لغات كوسيلة للتخاطب بين النّاطقين بلغات مختلفة"[21] وتعرّف كذلك بأنّها "لغة هجينة"[22].

وعليه، فإنّ البيدجن هي لغة هجينة ومبسطة هدفها الأساسي هو التّواصل بين أفراد ذوي السّنة مختلفة.

1- **استشراف تجربة نيجيريا والكاميرون في إبداع لغة جزائريّة جامعة:**
بدايّة سنتحدّث عن واقع التّعدّد اللغوي في إفريقيا، ومن ثمّة سننتقل إلى وضع التّعدّد اللغوي في كلّ من نيجيريا والكاميرون، وقد عثرنا على تقرير تلفزيوني[23] بهذا الشّأن، يقول فيه:

"Africa is home to the highest linguistic diversity in the world, with over 1500 different languages. It is only during the colonial era that

other languages were introduced on the African continent. Languages like English, French, Portuguese and Spanish."

"So even before the colonial masters came to the continent, Africans had their indigenous languages. But things started changing when Africans were required to speak the language of their masters. By means of education and also with the introduction of Christianity and the Islamic religions"

تعدّ إفريقيا موطنا لأكثر اللغات اختلافا في العالم، مع أكثر مـن 1500 لغـة. وظهرت لغات أخرى مثل اللغة الإنجليزيّة، اللغة الفرنسيّة، اللغة البرتغاليّة واللغـة الإسبانيّة نتيجة الاستعمار. وحتى مع قدوم المستعمرين إلى إفريقيا ظـلّ الأفارقـة يتحدّثون بلغاتهم المحليّة الخاصّة، لكن الأمور بدأت تتغيّر عندما بـدأوا يتحـدّثون بلغات هؤلاء المستعمرين، خصوصا في التّعليم ومع الحملات التّبشيريّة، والدّيانـة الإسلاميّة.

"How Africans spoke these languages of course was kinda different from how the colonialists spoke. This of course was attributed to the influence of their first languages. It was also the same case for those Africans who were taken to the America's as slaves.

A certain form of language developed among these Africans because they came from different backgrounds coupled with the fact that they had to try to speak their master's language. Scholars refer to this language as pidgin or creole. And it was mostly spoken in West Africa".

وكان حديث الأفارقة بهذه اللغات الوافدة الجديدة مختلفا عن المتحدّثين الأصليّين بها، نتيجة تأثرهم بلغاتهم المحليّة وطريقة نطقها. وحدث نفس الشّيء مع الأفارقـة

الذين أخذوا كعبيد إلى أمريكا، وسمّى الدّارسون هذه اللغة التي تحدّث بها الأفارقـــة بلغة البيدجن أو الكرول، وشاعت هذه اللغة أكثر في غرب إفريقيا.

"In a country like Nigeria, pidgin has become a more informal alternative to English… But these languages have started becoming more and more recognised following the huge number of people who use them. Just recently, the BBC launched a pidgin service for West and Central Africa in August 2017. So it shows the popularity of this form of language".

في بلد مثل نيجيريا، أصبحت لغة البيدجن بديلاً غير رسمي للغة الإنجليزيّـــة... ولكن بفضل ازدياد عدد المتحدثين بلغة البيدجن أصبحت لغـــة شـــعبيّة ومعروفـــة حتى أنّه في شهر أوت لعام 2017 أطلقت هيئة الإذاعة البريطانيّة "بي بـــي ســـي" خدمة بلغة البيدجن خصّيصا لسكان غرب ووسط إفريقيا.

"Cameroon is a bilingual country That means it has French and English. They also have their form of pidgin, pidgin English, kamtok as well as camfranglais. Camfranglais is a mixture of French and English and other cameroonian local languages.

The use of pidgin is so widespread in Cameroon that they even have a television station that uses pidgin English" .

تعتبر الكاميرون بلدا ثنائي اللغة، لوجود لغتين رسميتين الإنجليزيّة والفرنســيّة ولديها أنواع من البيـــدجن: pidgin English، kamtok، وcamfranglais. هـــذه الأخيرة التي تعدّ خليطا من الإنجليزيّة والفرنسيّة وبعـــض اللغـــات الكاميرونيّـــة المحليّة.

انتشر استخدام البيدجن في الكاميرون بشكل واسع حتى أن لديهم قناة تلفزيونيّـــة تستعمل هذه اللغة.

وليس هذا فحسب بل لقد أصبحت البيدجن اللغة الرّسميّة في بابوا غينيا الجديدة التي تقع في شمال أستراليا، وبابوا غينيا الجديدة كما هو معروف عنها، أنّها تحتوي على أكثر اللغات اختلافا بواقع 800 لغة لـ800 قبيلة، ومع كثافة سكانيّة تقدر بثمانيّة ملايين نسمة[24].

وعلى ما سبق، تبيّن أن هدف هذه اللغة الهجينة هو التّواصل، ولكي يفهم المتكلّمون بعضهم البعض دون اللجوء إلى تعلّم الإنجليزيّة.

ومن هنا نأتي إلى واقع التّعدّد اللغوي في الجزائر الذي ذكرناه آنفا؛ فإلى جانب اللغة العربيّة ولغة المستعمر الفرنسيّة، واللغة المحليّة الأصليّة اللغة القبائليّة؛ فإنّ الأخيرة تتفرّع عنها لهجات مختلفة.

وتعدّ لهجتنا العاميّة الجزائريّة المختلطة بالفرنسيّة من أصعب اللهجات وأغربها على أذن المستمعين من دول المشرق العربي، وهذا لأنّ لغتهم الثّانيّة هي اللغة الإنجليزيّة وليست الفرنسيّة مثلنا، وحتى وإن غُيرت اللغة الفرنسيّة باللغة الإنجليزيّة فإن واقع اللهجة العاميّة الجزائريّة لن يتغير _في نظرنا_ لأنّ الفرنسيّة قد تغللت في لبّها، ولكثرة المتحدثين بها خصوصا في شمال وغرب الجزائر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ التّباين بين شرق وغرب وشمال وجنوب الجزائر وتمايز كلّ منطقة بلهجتها، أدى في بعض الأحيان إلى عدم فهم المتكلّمين لبعضهم البعض.

ومنه فمحاولة ابتداع لغة جزائريّة جامعة إنما تكون لغرض المحافظة على الإرث والثّراء والتّعدّد والتّنوع اللغوي الموجود في مناطق متفرّقة من الجزائر من الضّياع أوّلا، ومن اندثار المتحدّثين ، ولكي تشيع مفردات هذه اللهجات بين مختلف الجزائريّين ويسهُل التّحدّث بينهم، لأنّ التّمايز بين اللهجات القبائليّة في كثير من الأحيان يؤدّي إلى عدم الفهم، فلو اتجه شخص على سبيل المثال من الشّرق الجزائري باتجاه الصّحراء، إمّا إلى مدينة غردايّة، أو إلى منطقة الهقار فإنّه يصعب عليه أن يفهم لهجتهم، كما يوجد احتمال أنّه في الأعوام القادمة قد يأتي

إلينا أشخاص يجهلون بأنّ في الجزائر مثل هذه اللهجات، ويمكن أن يكونــوا مــن أبناء هذا الوطن في حدّ ذاته، وعليه تكون هذه اللغة الجزائريّة الجامعة ذات أهميّة في تحقيق الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة بامتياز، وتكون سببا في ربط ومــدّ الجســور الثّقافيّة بين الأجيال السّابقة بالأجيال اللاحقة.

ثالثًا-اللهجة الجزائريّة الجامعة ودورها في تحقيق الأمــن الثّقــافي وطــرح التّسامح اللغوي في الجزائر: بلا شكّ فإنّ لهذه اللغة الجزائريّــة الجامعــة أهميّــة كبيرة في تحقيق الأمن الثّقافي، ومحاولة لإيجاد حل لهذا التّعدّد اللغــوي، وإتاحــة التّعايش بين مختلف المتحدّثين، وفي ثراء المخزون الثّقــافي والعلمــي واللغــوي ويمكن حصر بعض هذه الأهداف في النّقاط الآتيّة:

1-حفظ الموروث الثّقافي واللغوي واللهجات من الاندثار ومن الانقراض، بــل تعيد إحياؤها، وتدعّم استمرارها لأنّ في استمرارها اســتمرار لتــاريخ وعــادات وتقاليد تلك المناطق، وتفسح المجال لانتشار تلك اللغة ولا تبقى فقط حبيســة تلــك المنطقة، لكي يكون كلّ المواطنين على علم بما في المنطقة الأخــرى مــن لغــة وتنتشر في ربوع الوطن، وبالتّالي يكون هناك تواصل لا قطيعة معرفيّــة ولغويّــة بين منطقة وأخرى.

2-ابداع لغة محليّة تواصليّة تكون خاليّة من لغة المستعمر، بل تــدعّم اللغــات المحليّة وتحييها وتعيد انتشارها.

3-التّبادل الثّقافي بين أبناء الوطن الواحد؛ فحين ينتشر استخدام تلــك اللغــات يدفع الفضول بعض الأفراد إلى زيارة تلك المناطق للتعرّف عليها أكثــر، فلــم لا تكون هناك زيارات محليّة إلى هذه المناطق _في إطار تشجيع السّــياحة الدّاخليّــة وتنشيطها_ التي لا تزال تحافظ على لهجاتها، وأن يتمّ تعريف أبناء هذا الجيل بمــا يزخر به بلدهم من تنوع ثقافي، في سبيل اكتشاف اللهجات المحليّة لتلك المنــاطق والوقوف على عاداتهم وتقاليدهم.

4-المرء عدو ما يجهل، فحينما يجهل الفرد الجزائري بوجـود هـذه اللغـات فطبيعي أن يحدث تعصّب وتطرف، ولكن ما إن يعلم بوجودها وأن وجودهـا مـن صميم الاختلاف المشروع وأنّ هذا الاختلاف نتيجة البعد المكاني والجغرافـي، أو لتعدّد الوافدين والزّائرين، أو لتعدّد الحضارات الوافدة أو نتيجـة لجـوار بعـض البلدان؛ فإنّ ذلك يفسح المجال لتقبّل الآخر، وتنطفي نيران الفتنة، التي تنادي بـأنّ اللغة الفلانيّة هي اللغة الجزائريّة الأصليّة، وأنّ أناسا محدّدين هم سـكّان المنطقـة الأصليين.

5-الاعتداد بالهويّة الثّقافيّة الجزائريّة، وأنّنا شعب ذو تاريخ ممتد حافل، ويمكن إثبات هذا الموروث للأجيال القادمة، عن طريق الشّعر والأدب الشّـعبي، تـأليف المسرحيّات، والأفلام الوثائقيّة، والرّوائيّة الطّويلة، وكذا أدب الرّحلات، واسـتخدام الوسائط التّكنولوجيّة من: مواقع التّواصل الاجتماعي ومدونات، بودكاست... فهـذا يتيح التّسامح اللغوي بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد، ويطلع المجتمعات الأخرى على ما نمتلكه.

الخاتمة:

من خلال هذه الجولة العلميّة في **واقـع التّـعدّد اللغـوي فـي الجزائـر وإمكانـيّة التّوصـل إلى اصطنـاع لغة تواصـل مشـتركـة مـن خـلال الاستفادة من "لـغة البيدجن"** أمكننا التّوصل إلى النّتائج الآتيّة:

1-هناك تباين لغوي في الجزائر، يطرح هذا التّباين في بعض الأحيان مشادّات واختلافات بين أفراد المجتمع؛

2-تعتبر لغة البيدجن لغة هجينة مبسطة تستعمل للتواصل بين أفراد لا يجمعهم لسان واحد؛

3-اللهجة الجامعة الجزائريّة تهدف إلى استمرار وانتشار اللهجات المختلفة بين جميع الأفراد، وانفتاح كلّ طائفة لغويّة على ما عند غيرها، وتسهيل التّواصل بلغة محليّة تعبّر عن الهويّة الجزائريّة الحقّة بين جميع الأفراد؛

4-اللهجة الجامعة الجزائريّة تعتبر اقتراحا لضمان التّسامح اللغوي، وانتشـــارا للأمن الثّقافي، واعتدادا بالهويّة الثّقافيّة الجزائريّة.

ويمكننا أن نخرج بــ**التّوصيتين** الآتيّتين:

1-النّظر إلى الواقع اللغوي الجزائري بنظرة الثّروة والمخزون القيم الذي يجب المحافظة عليه، باعتباره موروثا ثقافيا وتاريخا حضاريا للدولة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينظر إليه بعين الحرص على تنقيته من مخلفات الاســتعمار، وتمنيتــه لكي يصل سليما إلى الأجيال القادمة.

2-لا ننكر أنّ هذا الاقتراح يطرح الكثير من قضـــايا وإشــكالات ســلبيّة، ولا ندّعي فيه الكمال، ويحتاج إلى كثير من الدّراسة والتّعمق، إلاّ أنّه محاولة في سبيل خدمة الهويّة الجزائريّة الأصيلة.

المصادر والمراجع:

1. بوهناف عبد الكريم، النّشأة اللغويّة في منطقة الأوراس (دراسة ميدانيّة مقارنة ريف، مدينة) أجريت بولايّة باتنة (بلديّة الحاسي)، جامعة الجزائر، 2002.

2. سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتها في استعمالات النّاطقين الجزائريين مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

3. سوهيلة درويش، تعليم اللغة الأجنبيّة (اللغة الفرنسيّة) في الجزائر، أعمال الملتقى حول: التّخطيط اللغوي، جامعة تيزي وزو، 2012.

4. صالح بلعيد، الأمازيغيّة في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011.

5. صالح بلعيد، العربيّة الفصحى في المجتمع الجزائري (الممارسات والمواقف) منشورات مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو 2014.

6. صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، دار هومة الجزائر، 2009.

7. صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، دار هومة، الجزائر، ط2.

8. https://www.ultrasawt.com/ تدريس-الأمازيغيّة-في-الجزائرالواقع-والمأمول/بوبكر-بلقاسم/طلبة، 2020/02/27، 08:50.

9. كريمة أوشيش، التّداخل اللغوي في اللغة العربيّة (تدخل العاميّة لدى تلاميذ الطّور الثّالثّ من التّعليم الأساسي)، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، علوم اللسان والتّبليغ المدرسة العليا للأساتذة والعلوم الإنسانيّة، الجزائر، 2002.

10. محمد العربي عقوب، الأمازيغ عبر التّاريخ نظرة موجزة في الأصول والهويّة التّنوخي للطباعة والنّشر التّوزيع، الرّباط، ط1، 2010.

11. مراد عميروش، دليلة صاحبي، آراء الباحث الجزائري الأستاذ الدّكتور صالح في مسألة التّخطيط اللغوي من خلال مؤلفاته ودراساته، أعمال الملتقى حول: التّخطيط اللغوي، جامعة تيزي وزو.

12. معزوز سمير، التّداخل اللغوي بين الفرنسيّة والعربيّة في السّنة الثّالثّة من التّعليم الابتدائي الجزائري، مدينة _بجايّة_ أنموذجا، (دراسة وصفيّة تحليليّة).

13. موسى معوش، المنثورات الذّهبيّة في كنز كل المعلومات الأمازيغيّة، دار الأمل ط1، 2014.

14. al-watan.com/news-details/id/170426-800-الجديدة-غينيا-بابوا-/
للتفـــاهم-لغـــةd/20190105%20class=%20class=%20class=%20class=,
27/02/2020, 09:46.

15. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D9%87%D8%AC%D9%8A%D9%86, 26/02/2020, 17:01.

16. https://www.africanews.com/2017/10/16/african-pidgin-languages-culture-tmc/, 26/02/2020, 16:54.

17. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/pidgin/, 26/20/2020, 17:30.

18. https://www.ultrasawt.com-الواقـــع-الجزائر-فـــي-الأمازيغيّة-تدريس/
والمأمول/بوبكر-بلقاسم/طلبة، 2020/02/26، 08:50.

الهوامش:

[1] ينظر: صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، دار هومة، الجزائر 2009، ص9.

[2] ينظر: كريمة أوشيش، التّداخل اللغوي في اللغة العربيّة (تدخل العاميّة لدى تلاميذ الطّور الثّالثّ من التّعليم الأساسي)، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير، علوم اللسان والتّبليغ، المدرسة العليا للأساتذة والعلوم الإنسانيّة، الجزائر، 2002، ص51.

[3] ينظر: سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتها في استعمالات النّاطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص32.

[4] ينظر: صالح بلعيد، العربيّة الفصحى في المجتمع الجزائري (الممارسات والمواقف) منشورات مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014 ص15.

[5] ينظر: سوهيلة درويش، تعليم اللغة الأجنبيّة (اللغة الفرنسيّة) في الجزائر، أعمال الملتقى حول: التّخطيط اللغوي، جامعة تيزي وزو، 2012، ج12، ص117.

[6] ينظر: مراد عميروش، دليلة صاحبي، آراء الباحث الجزائري الأستاذ الدّكتور صالح في مسألة التّخطيط اللغوي من خلال مؤلفاته ودراساته، أعمال الملتقى حول: التّخطيط اللغوي، جامعة تيزي وزو، ج2، ص172.

[7] ينظر: سوهيلة درويش، المرجع السّابق، ص171.

[8] ينظر: مراد عميروش، دليلة صاحبي، المرجع السّابق، ص171.

[9] ينظر: بوهناف عبد الكريم، النّشأة اللغويّة في منطقة الأوراس (دراسة ميدانيّة مقارنة، ريف مدينة) أجريت بولايّة باتنة (بلديّة الحاسي)، جامعة الجزائر، 2002، ص104-105.

[10] ينظر: موسى معوش، المنثورات الذّهبيّة في كنز كل المعلومات الأمازيغيّة، دار الأمل، ط1 2014، ص160.

[11] ينظر: موسى معوش، المرجع نفسه، ص167.

[12] ينظر: كريمة أوشيش، المرجع السّابق، ص60.

[13] ينظر: معزوز سمير، التّداخل اللغوي بين الفرنسيّة والعربيّة في السّنة الثّالثّة من التّعليم الابتدائي الجزائري، مدينة _بجايّة_ أنموذجا، (دراسة وصفيّة تحليليّة)، ص51.

[14] ينظر: كريمة أوشيش، المرجع السّابق، ص62.

[15] ينظر: صالح بلعيد، الأمازيغيّة في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011، ص27.

[16] ينظر: صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، المرجع السّابق، ص14.

[17] ينظر: صالح بلعيد، الأمازيغيّة في خطر، المرجع السّابق، ص36، 39.

[18] ينظر: صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، دار هومة، الجزائر، ط2، ص56.

[19] . https://www.ultrasawt.com-تدريس-الأمازيغيّة-في-الجزائرالواقع-والمأمول/بوبكر-بلقاسم/طلبة/، 2020/02/26، 08:50.

[20] https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/pidgin/, 26/20/2020, 17:30.

[21] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D9%87%D8%AC%D9%8A%D9%86, 26/02/2020, 17:01.

[22] https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/pidgin/, 26/02/2020, 17:30.

[23] https://www.africanews.com/2017/10/16/african-pidgin-languages-culture-tmc/, 26/02/2020, 16:54.

[24] al-watan.com/news-details/id/170426-لغة-800-الجديدة-غينيا-بابوا-/للتفاهمd/20190105%20class=%20class=%20class=%20class=, 27/02/2020, 09:46.

دور المؤسّسات التعليميّة في بعث استعمال اللّغات الرّسميّة ـاللغة العربيّة أنموذجاـ

سارة لعقد

جامعة الجزائر 2

قال ابن فارس في الصّاحبي: «تؤخذ اللغة اعتيادا كالصّبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات، وتؤخذ تلقنا من ملقن، وتؤخذ سماعا من الرّواة الثّقات» ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، ص64.

تمهيد: إنّ الاهتمام بتعليم وتعلّم اللغات من الأمور التي تولّيها كلّ دول العالم أهميّة بارزة خصوصا عندما يتعلّق الأمر باللغات الوطنيّة التي تشكّل في كثير من دول العالم اللغات الأصليّة لسكان تلك الدّولة ولغات وافدة إلى تلك الدّول منذ مئات السّنون لدرجة أنّ الواحد فينا لا يمكنه أنّ يعرف ذلك إلاّ بعد الاطّلاع على كتب التّاريخ التي أرّخت له، والجزائر واحدة من الدّول التي تعتبر اللغة الأمازيغيّة هي اللغة الأصليّة لسكّانها بدليل أنّ عديد المصادر تشير إلى أنّ اللغة الأمازيغيّة هي لغة السّكان الأصليين في شمال إفريقيا.

ومع الفتوحات الإسلاميّة التي شملت المغرب العربي: ليبيا، وتونس، والجزائر والمغرب وموريتانيا كانت اللغة العربيّة هي لغة الفتح الجديد ولغة الدّين الجديد، ولم يكن المغرب العربي الوحيد الذي اهتم بلغة الدّين فيه؛ فمنذ القدم كان الاهتمام باللغات ومحاولة المحافظة عليها بل وتطويرها مرتبط بالدّين، وهذا ما جعل سكان شمال إفريقيا يتقبّلون اللغة الجديدة بل -سنتطرّق إلى هذا لاحقا- كثيرون هم علماء المغرب العربي الذين أولّوا اللغة العربيّة الدّرجة العليا في أبحاثهم ودراساتهم منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا، وما هذه المحافل والنّدوات التي تقوم بها الجامعة الجزائريّة والمجلس الأعلى للغة العربيّة، وكذا مركز تطوير اللغة العربيّة إلاّ دليل على رفعة اللغة العربيّة

ومكانتها في المجتمع الجزائري، ومحاولة من أجل ترقيتها وتطويرها والوصول بها إلى مصاف اللغات العالميّة. وربما تحسب هذه المساعي الطّامحة إلى ترقيّة اللغة العربيّة؛ وبما أنّنا لسنا في معرض الحديث عن السّياسة اللغويّة التي تبنتها الجزائر في سبيل ذلك وهو الشّيء الذي كنا قد حاولنا فيه في عديد المقالات التي نشرت سابقا فنحن اليوم في معرض الحديث عن تلك المؤسّسات التي يمكنها أنّ تكون فاعلا أساسا في مدى نجاح هذه السّياسة من عدم ذلك، إنّها المؤسّسات الأكثر فاعليّة في محاولة تخطيط هذه السّياسة والانطلاق بها في أرض الواقع ألا وهي المؤسّسة التّعليميّة وعندما أتحدثث عن المؤسّسة التّعليميّة فأنا أقصد المدرسة الابتدائيّة، والمتوسّطة والثّانويّة أضف إلى هذا الجامعة والمدارس العليا ليس لشيء سوى لجعل المواطن الجزائري قادرا على التّواصل باللغة العربيّة الفصحى اعتبارا من كونها اللغة الأمّ في الجزائر. ليس فقط في الجزائر وإنّما في الوطن العربي ككلّ، لذلك فإنّ المحافظة عليها يعدّ حفاظا على الإرث الإسلامي العربي اعتبارا من كونها ركيزة الهويّة الوطنيّة والقوميّة والوحدة العربيّة؛ ولعلّ السّؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا في هذا السّياق: كيف يمكن للمؤسّسات التّعليميّة أن تبعث استعمال اللغات الرّسميّة – اللغة العربيّة–في الجزائر؟

أوّلا/ المؤسّسة التّعليميّة: إنّ الحديث عن لفظ مؤسّسة يشير غالبا إلى كلّ ما هو مؤسّس و«**منظم من طرف المجتمع ككل؛ ومؤسس لأنّه مؤثر وفاعل في الأفراد وبهذا المعنى يتسع مفهوم المؤسّسة ليضمّ أيضا الموضوعات الرّمزيّة كاللغة**»[1]، أي أنّ فاعليّة المؤسّسة غير محصور في المؤسّسات الحكوميّة المتعلّقة بوثائق معيّنة مثلا وإنّما اتسع مفهومها لتضم المؤسّسات الفاعلة في اكساب وترسيخ اللغات.

أمّا مصطلح تعليميّة[2] فالغرض منه رسم حدود لهذه المؤسّسات ليخرج بذاك من هذا الإطار المؤسّسات الاقتصاديّة والاستشفائيّة والاجتماعيّة وغيرها، وعلى هذا الأساس فالمؤسّسات التّعليميّة مجمل المؤسّسات التي تعمل على تنظيم التّعليم؛ حيث يدخل في إطار هذه المؤسّسات:

1. المدارس(Ecole): المدرسة «**لفظ يطلق على جميع المؤسّسات التي يجري فيها التّعليم**»[3]، وعلى هذا نعتبر كلاً من المدرسة الابتدائيّة، والاكماليّة، والثّانويّة اعتبارا من كونها مؤسّسات تعليميّة.

- الابتدائيّة: فتطلق على المرحلة الأولى أو الطّور الأوّل من السّنة الأولى ابتدائي إلى السّنة الخامسة ابتدائي؛ والتي تختتم بامتحان لنيل شهادة التّعليم الابتدائي.

-الاكماليّة: تطلق على المؤسّسة التي يدرس على مستواها الطّور الثّاني من السّنة الأولى متوسّط إلى السّنة الرّابعة متوسّط تنتهي باجتياز شهادة التّعليم المتوسّط.

-الثّانويّة: تطلق على المؤسّسة التي يدرس التّلميذ على مستواها الطّور الثّالثّ من السّنة الأولى ثانوي إلى الثّالثّة ثانوي وتنتهي أيضا بنيل التّلميذ شهادة التّعليم الثّانوي "البكالوريا" والانتقال إلى التّعليم العالي.

وعموما فإنّ مجمل هذه المدارس «**على شحذه بآليات التّعلم التي بواسطتها يكتسب المتعلّم ملفوظات جديدة، كما يعمل على تحديد العلاقة بين تطوّر الفكر والتّطوّر اللّغوي. فالمدرسة تعطي أكبر الحظوظ الذّهنيّة والماديّة والاتصاليّة لإنجاح اكتساب اللغة الأمّ**»[4]، والشّيء المشجع في عمليّة التّعليم والتّعلم في هذه المؤسّسات

2. الجامعات(université): «**مؤسّسة عموميّة (أو خاصّة) تتألف من عدد من الكلّيّات المتخصّصة، مهمتها منح تعليم عالٍ ومتخصّص، والإشراف على البحث الأكاديميّ**»

3. المدارس العليا للأساتذة(Ecole normale supérieure) هذه الأخيرة التي تعدّ «**مؤسّسة من مؤسّسات التّعليم العالي تضطلع بتكوين معلّمي المدارس الابتدائيّة وأساتذة التّعليم المتوسّط(الإعدادي)، وأساتذة التّعليم الثّانوي**»[5]، حيث تعدّ هذه المؤسّسات بمثابة الفاعل الأساس في عمليّة التّعليم والتّعلم والمنظم لها، والمؤثّر في سير أي تخطيط لغوي وفي نجاح أي سياسة لغويّة عامّة للدّولة، ما يجعلنا نفكّر في مدى فاعليّة المؤسّسات التّعليميّة في نجاح هذه السّياسة.

ولعلّ ما جعلنا نقف عند هذه النّقطة هو واقع اللغات الرّسميّة في الجزائر خصوصا اللغة الأمازيغيّة، وعندما أخص كلامي عن اللغة الأمازيغيّة هذا لا يعني البتة الانتقاص من قيمة اللغة العربيّة فسموها بكونها لغة الكتاب الحكيم، ولغة أهل الجنّة أكبر من أكتب فيها مقالا أو كتابا أو مجلّدا، وإنّما الغرض من مقالي هو لفت الانتباه إلى اللغة الأمازيغيّة التي لم تأخذ نصيبها حتى اليوم في المجال التّعليمي، رغم كل النّصوص القانونيّة والدّستوريّة في الجمهوريّة الجزائريّة.

إنّ الاهتمام باللغة الأمازيغيّة يعني الاهتمام بجانب ثقافي، وحضاري، وتاريخي مهم في تاريخ الجزائر وتجاهله تجاهل لأصل هذا الشّعب وثقافته الحيّة التي تعيش في ربع من ربوعه فلا تتعدّى معرفتنا به تلك المعرفة السّطحيّة التي لا ترقى إلى أن تكون صورة من صور التّواصل النّاجح في مختلف المواقف. فإذا ما توجهنا إلى القوانين التي تصدر عن الجمهوريّة الجزائريّة فإنّ جلّها فيه تصريح بضرورة الاهتمام والاعتناء بالمازيغيّة والتي تعدّ من مقومّات الهويّة الجزائريّة التي من المفروض أن تعمل المدرسة الجزائريّة على ترسيخها.

ثانيا/ اللغات الرّسميّة في الجزائر حاليا-العربيّة والمازيغيّة-:

يعدّ مصطلحا اللغة الرّسميّة والوطنيّة من المصطلحات التي حاول عديد الباحثين الفصل فيها، إذ ظاهرها واضح والفصل في مفهوم كل منهما ضرورة لابدّ منها، أمّا اللغة الرّسميّة في دولة ما فهي اللغة المنصوص عليها في القوانين والدّساتير، وللإشارة فيمكن أن تعتمد الدّولة أكثر من لغة رسميّة، هذه الأخيرة التي «**غالبا ما تكون هي لغة التّعليم ولغة التّأليف والثّقافة، ووسيلة التّعامل الرّسمي والاجتماعي**»[6]، ففي الجزائر مثلا تعدّ اللغة العربيّة اللغة الرّسميّة، وفي وقت ليس ببعيد كانت اللغة الأمازيغيّة لغة وطنيّة National langue غير أنّها في السّنوات الأخيرة أصبحت لغة رسميّة مع اللغة العربيّة لتصبح الجزائر رسميا في إطار الدّول متعدّدة اللغات. ولا يمكننا الحديث عن التعدّد اللّغوي في الجزائر على أنّه خطر يهدد وجود إحدى اللغتين سواء العربيّة أم الأمازيغيّة؛ بل لابدّ من النّظر إلى زواياه الإيجابيّة واعتباره سمة تميّز الجزائر ودول

المغرب العربي عن بقيّة الدّول التي تتميّز بوحدة اللغة والثّقافة، واستثمار هذا الاختلاف في مجالات تنمويّة كالجانب السّياحي على سبيل التّمثيل لا الحصر.

فالكثير من الجزائريين لا يعون معنى أنّ تزخر بلادهم بوجود هذا التّنوع اللّغوي المتمثّل في اللغة العربيّة، واللغة الأمازيغيّة، فانقسموا إلى ثلاثة توجهات؛ الأوّل هو المتعصّب للغة العربيّة والقائل بها ولا وجود لغيرها، والثّاني هو المتعصّب للغة الأمازيغيّة اعتبارا من كونها اللغة الأصل في شمال إفريقيا، والثّالث وتمثّله نخبة من المثقّفين وهو القائل بضرورة التّعايش بين هاتين اللغتين، فلا غنى للجزائر عن العربيّة ولا عن الأمازيغيّة فكلاهما تعبران عن ماضي هذا الشّعب عن ثقافته، عن حضارته وعن تاريخه.

وبالعودة إلى التّاريخ فإنّ التّعصب لإحدى اللغتين واعتقاد كلّ طرف أنّ إحدى اللغتين تمثّل تهديدا على الأخرى تعود جذوره إلى مرحلة الاستعمار الفرنسي؛ هذا الذي عمل على خلق هذا الفضاء المكهرب بين عرب الجزائر وأمازيغيها عملا بالمقولة الشّائعة «فرق تسد» فالجزائر كسجد لا يمكن لهذا الجسد أن يتخلّى عن عضو من أعضائه فتخلّيه عن القلب أو الدّماغ يشكل موته، فلا يمكن للجزائر أن تتخلّى عن اللغة العربيّة ولا عن الأمازيغيّة فلكل منهما كيان ووجود وتميّز في حضور الآخر وليس إلغاءً لذلك الآخر المختلف. فالعروبة والبربريّة جزء من تاريخ الجزائر؛ بل هما تمثيل الجزائر في حد ذاتها، وفي هذا السّياق «**فلابد من التّفريق بين البربريّة والنّزعة البربريّة الأولى عنصر من عناصر تاريخ الجزائر والمغرب العربي بل والعروبة والثّانيّة خلقها الاستعمار الفرنسي الجديد من خلال الأكاديميّة البربريّة بفرنسا والتي أسّسها عام 1967م بعد استقلال الجزائر، من أجل إلغاء عروبة المغرب العربي واستبدالها ببربريّة المغرب وذلك لصالح الفرانكفونيّة ولصالح استمرار هيمنة اللغة الفرنسيّة على إدارات المغرب العربي**»[7]، والحقيقة التي لا مفرّ منها أنّ محاولة خلق هذه الثّغرة أو الفجوة بين عرب الجزائر وأمازيغها كانت أغراضها سياسيّة تنم عن

محاولة خلق جوٍ مكهرب بينهم على مرّ السّنون ما يسهم في خلق نزاعات أهليّة بين هؤلاء وعليه يمكن لفرنسا أن تفرض سيطرتها بطريقة غير مباشرة في محاولة لفك النّزاع الذي خلقته هي في الأساس والشّيء الذي يجعلنا نعتقد أنّ هذا لن يحدث في الجزائر لأن كل الجزائريين يفخرون بالدّين الواحد الذي يجمعهم ألا وهو الدّين الإسلامي فأغلب المجتمع الجزائري يدين بدين الإسلام وبانتمائهم العربي والأمازيغي ويذهب عثمان سعدي وعديد الباحثين إلى أبعد من ذلك فيعتبرون اللغة الأمازيغيّة من اللغات العربيّة القديمة والتي تفرعت عن اللغة العربيّة الأم قبل آلاف السّنين وهي اللغة الوحيدة التي بقيت حيّة إلى يومنا هذا على غرار بقيّة اللغات مثل: الآكديّة، والآشوريّة والآراميّة، والحميريّة...إلخ.[8]وقد أكّد هذا الكشف عن الجذور العربيّة للكثير من الكلمات الأمازيغيّة. وبالنّسبة لهم فهذا سبب كاف يبرر سهولة تعريب بربر شمال إفريقيا، وذهب فريق آخر إلى أنّ يافث أحد أبناء نوح عليه السّلام قد سكن شمال إفريقيا وإليه تعود الأمازيغيّة وأنّ سبب اشتراك اللغة الأمازيغيّة في كثير من الكلمات مع اللغة العربيّة يعود إلى أنّ نوحا عليه السّلام قد كان يحدث أبناءه باللغة العربيّة لتتغير تلك اللغة بحكم عديد العوامل التي أثرت فيها وأسهمت في تغييرها، غير أنّ البعض يرى أنّ سكان شمال إفريقيا أكثر الشّعوب قابليّة للتحدّث بأي لغة بحكم تعرضهم على مرّ الزّمان إلى الاستعمار باختلاف جنسياته ولغاته.

1. اللغة العربيّة: تعدّ اللغة العربيّة من أكثر لغات العالم اهتماما من قبل أهلها بحثا وتأليفا ودراسة ولكنّها ليست الأكثر استعمالا، فاستعمالها تزاحمه استعمال لغات عديدة خصوصا الفرنسيّة في بلاد المغرب العربي، والإنجليزيّة في بلاد المشرق والعالم كلّه بالنّظر إلى مكانتها السّياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة التي فرضت وجودها كلغة عالميّة، ونظرا لتلك الخلفيّة التّاريخيّة المتمثّلة في الاستعمار الفرنسي في المغرب والإنجليزي في المشرق ولعلّ هذا التّزاحم اللّغوي جعل الكثير من الدّول العربيّة تحاول فرض استعمال اللغة العربيّة في مختلف المجالات وذلك إيمانا منها أنّها الطّريقة الوحيدة التي يمكن أن تحافظ من خلالها على اللغة العربيّة؛ التي تعدّ «**أمتن تركيبا**

وأوضح بيانا، وأعذب مذاقا عند أهلها»[9]، وبالنّسبة للجزائريّين فاللغة العربيّة «**ليست فقط لغة الدّين واللغة القوميّة؛ بل هويّته التي لابدّ أن يحافظ عليها إزاء أي محاولة للتخلّص منها وجعلها منسيّة»**[10]، وعلى هذا فقد سعت الجزائر منذ الاستقلال إلى فرض استعمال اللغة العربيّة اعتبارا من كونها اللغة الأمّ، والوطنيّة، والرّسميّة، فلم يكن من السّهل على الجزائر بعد كلّ الذي لاقته إبان الاستعمار الفرنسي أن تعيد اللغة العربيّة إلى المكانة التي تستحقّها لكنّها سارعت في ذلك ويشهد التّاريخ لها هذا الصّنيع لكن الشّكل الذي كانت تسير به الجزائر في اتجاه التّعريب عرف الكثير من التّعثرات.

وكغيرها من الدّول التي عانت ويلات الاستعمار فالجزائر على يقين تام أنّ جعل اللغة العربيّة لغة التّعليم بدلا من أي لغة أخرى سيسهم بشكل كبير في إعادة هيكلة النّظام اللغوي فيها، وعندما نقول إعادة بنائه فإنّ هذا البناء بانطلاقه من المدرسة سيكون جد ناجحاً إذا أسس منذ البدايّة تأسيسا صحيحا لا يوجد في طياته أي محاولة للتلاعب بالنّظام اللغوي المراد، ففي أمريّة (1976م) جاء في المادّة (8): «**يكون التّعليم باللغة العربيّة في جميع مستويات التّربيّة والتّكوين وفي جميع المواد»**[11] وفيه دعوة صريحة إلى ضرورة تعريب جميع المواد والمستويات. ففي فترة ما كان التّعليم في الجزائر عربيا في جميع أشكاله ومستوياته غير أنّ المحاولات الأخيرة التي عرفتها المنظومة التّعليميّة من إدراج للمصطلحات العلميّة بلغاتها الأصليّة –الفرنسيّة–أي دون ترجمتها إلى اللغة العربيّة خصوصا في مرحلة التّعليم الثّانوي.

وبعد هذا جاء ما يعرف بقانون تعميم استعمال اللغة العربيّة وقد جاء فيه[12]: «**المادّة الأولى: يحدّد هذا القانون القواعد العامّة لاستعمال اللغة العربيّة، في مختلف ميادين الحياة الوطنيّة، وترقيتها، وحمايتها»**

«**المادّة الثّانيّة: اللغة العربيّة مقوم من مقوّمات الشّخصيّة الوطنيّة الرّاسخة وثابت من ثوابت الأمّة، يجسد العمل بها مظهرا من مظاهر السّيادة الوطنيّة واستعمالها من النّظام العام»**

«المادّة الثّالثّة: يجب على كلّ المؤسّسات أن تعمل على ترقيّة اللغة العربيّة وحمايتها والسّهر على سلامتها، وحسن استعمالها. تمنع كتابة اللغة العربيّة بغير حروفها»

وبعد الإفصاح عن ضرورة تعريب مختلف المستويات التّعليميّة واستعمال اللغة العربيّة بدلا من أي لغة أخرى تطرق في المادّة 37 من الفصل الخامس من "قانون تعميم استعمال اللغة العربيّة" حيث جاء خلالها:«**يتم التّدريس باللغة العربيّة وحدها في كلّ مؤسّسات التّعليم العالي، والمعاهد العليا، ابتداء من السّنة الأولى الجامعيّة 92/91 على أن تتواصل العمليّة حتى التّعريب الشّامل والنّهائي في أجل أقصاه 5 يوليو سنة 1997م**» أما في المادة 38 فيؤكد على تعريب مجمل الممارسات اللغويّة المتعلّقة بكتابة التّقارير والوصفات الطّبيّة وغيرها: «**تكتب التّقارير والتّحاليل والوصفات الطّبيّة باللغة العربيّة**» إلى هنا فالأمر عادي غير أنّ الاستثناء الذي ألحق بهذه المادّة والقائل: «**غير أنّه يجوز استثناءً كتابتها–التّقارير، التّحاليل، الوصفات الطّبيّة–باللغة الأجنبيّة إلى أن يتم التّعريب النّهائي للعلوم الطّبيّة والصّيدلانيّة**» غير أنّ هذا الأمر لم يعمل به فإلى يومنا هذا مازالتّ كليّة الطّب والصّيدلة والعلوم التّكنولوجيّة تدرس باللغة الفرنسيّة. ومن خلال هذه المواد نلفت الانتباه إلى أهم القضايا العلميّة التي لطالما كانت ومازالتّ فحوى الملتقيات والمؤتمرات الدّوليّة والوطنيّة في مختلف الدّول العربيّة ألا وهي قضيّة تعريب التّعليم العالي من خلال جعل اللغة العربيّة لغة التّعليم والتّعلم، والذي طرح عدّة إشكالات أهمّها: عمليّة ترجمة النّصوص والمصطلحات العلميّة والتّقنيّة من اللغات الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة. إنّ محاولة فرض الجزائر لهذه القوانين كان مماشيا لشيء عربي مشابه له، ففي عمان مثلا أقرّ الوزراء المسؤولون عن الثّقافة في المؤتمر الأوّل في (ديسمبر 1976م) «**وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربيّة في التّعليم ووسائل الإعلام والثّقافة باعتبار أنّ اللغة القوميّة هي أهم دعامة للوحدة والوعاء الصّحيح للثقافة الأصيلة للأمّة**»[13] أي أنّ

حضور الثّقافة العربيّة رهين الحضور اللغوي للغة العربيّة اعتبارا من كونها الوعاء الذي يحوي الثّقافة العربيّة ويذهب بعضهم لأبعد من هذا فيرى أنّ هذا الحضور حضور حضاري بكل أبعاده ومقاييسه وفي ظلّ كل هذه الرّؤى وتحقّقها في الواقع وبين التّطلع لما نريد أن يكون وما هو كائن بالفعل فإنّ الاستعمال هو الدّال على ما تنصّ عليه القوانين الوطنيّة والدّوليّة في الوطن العربي وما هو معيش في الواقع اللّغوي...ولعلّ السّبيل إلى تحقّق هذا من عدمه هو ما عدّته هذه القوانين الوسائل المتاحة لفرض ما تنص عليه كمؤسّسات التّعليم ووسائل الإعلام والثّقافة.

وتعتبر هذه الأمريّة (16 أفريل 1976م) من الخطوات الجريئة في تاريخ الجزائر والذي جاء في خصوص استعمال اللغة العربيّة؛ حيث يوجب استعمالها في مختلف المجالات والمؤسّسات، وضرورة حمايتها والحفاظ عليها والسّعي في ترقيتها وعدم الاستهانة بخصوصياتها ككتابتها بحروف غير حروفها، مشيرا إلى كونها مقوم من مقوّمات الشّخصيّة الوطنيّة، وثابث من ثوابت الحضارة الإسلاميّة؛ ومادامت اللغة «**هي أداة الحضارة، وتطوّر ونمو أي حضارة مرتبط ارتباطا وثيقا بحفاظ أهل هذه الحضارة على لغتهم وتنميتها**»[14]، ومادامت «**ثقافة كل أمّة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها واللغة أبرز السّمات الثّقافيّة.** »[15] فإنّ هذا يفرض علينا أنّ نجعل اللغة العربيّة هي الأساس الذي لابد أن نركز عليه اهتمامنا من أجل نهضة ثقافيّة عربيّة تعمّم بعد ذلك على مختلف المجالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة وغيرها؛ وربما لن يحدث هذا ما دمنا لم نقم بتطوير مناهجها[16] وفق ما يخدمها ليس وفق ما هو مناسب لغيرها من اللغات، وأساليب تدريسها، وكذلك كتبها التي كثيرا ما نجدها تتضمّن أشياء منافيّة لأخلاق المسلم أو الهويّة الوطنيّة، استثمار الوسائط الإلكترونيّة في تعليمها، وكذلك إجراء إحصاءات مسحيّة لمعرفة واقع استعمالها في الوطن العربي على الأقل ثم بعد ذلك في العالم كلّه لمعرفة ما يجب فعله؛ ذلك لأنّه «**ما من حضارة إنسانيّة إلاّ وصاحبتها نهضة لغويّة**»[17]، إنّ النّهضة اللغويّة لا تكون إلا بتضافر الجهود الجماعيّة.

كما لا يفوتنا التّركيز على من يدرس اللغة لأبنائنا بتكوينهم تكوينا يمكّنهم من تعليمها ويمكّن المتعلّمين من اكتسابها اكتسابا يمكّنهم من استعمالها استعمالا صحيحا في مختلف المواقف والتّعبير عن مختلف الانفعالات والمشاعر التي تختلج في صدورهم والإبداع عند استعمالها فلا نكتفي بمجرّد الاستعمال الصّحيح، فالقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف أكبر دليل على ما فأيّ محاولة لقطع الصّلة بين اللغة والحضارة يعني دون شكّ اندثار هذه الحضارة، ولعلّ الشّيء الذي يجعلنا نفكّر في أنّ هذا الشّيء لن يحدث كون اللغة العربيّة هي اللغة التي نزل بها القرآن والقرآن محفوظ من الله وأنّ صلاتنا لا تكون إلاّ باللغة العربيّة.

والحقيقة أنّ جلّ هذه القوانين لم تستطع أن تضمن للغة العربيّة المكانة التي تحدث عنها وما يواسينا في هذا أنّها تبقى مطامح ساعيّة إلى كل ما تقرّه هذه القوانين وإن لم نلحظ تغيرا كبيرا على مستوى الاستعمال. فمستوى تلاميذنا في اللغة العربيّة يتراجع باستمرار. والنّاشطون في مواقع التّواصل الاجتماعي يجدون في اللغات الأجنبيّة اللغة الأكثر قدرة على التّعبير عما يريدون، وربّما تعبر عن التّحضر والثّقافة الرّاقيّة أيضا...

أمّا في التعديّل الدّستوري عام 2002م فقد أكّد على مطامح الدّولة من جعل اللغة العربيّة لغة التّعليم والتّعلم واللغة الوطنيّة والرّسميّة في الجزائر فدعا إلى «**دعم تعليم اللغة العربيّة باعتبارها اللغة الوطنيّة والرّسميّة وذلك برصد الوسائل الضّروريّة من أجل جعلها أداة فعالة لتعليم كل المواد**»[18]، وهو الشّيء الذي أكّده القانون التّوجيهي (2008م) والقائل في المادّة (33): «**يتمّ التّعليم باللغة العربيّة في جميع مستويات التّربيّة، سواء في المؤسّسات العموميّة المؤسّسات الخاصّة للتربيّة والتّعليم**»[19] حيث يؤكّد هذا القانون على وجوب تعريب جميع المستويات والمؤسّسات، وهو تأكيد لما جاء في أمريّة 1976م.

وبالرّغم من هذه المساعي المنصوص عليها في جلّ القوانين الصّادرة عن الدّولة الجزائريّة منذ الاستقلال وإلى يومنا هذا وكذا الدّوليّة العربيّة فإنّ الملاحظ وكأنّها تركّز

نظرنا في إعادة بعث اللغة العربيّة فقط على التّربيّة والتّعليم في الجزائر، وسائل الإعلام في الوطن العربي؛ لنصطدم فيما بعد بالقائلين بعجز اللغة العربيّة أمام عمليّة التّعليم والتّعلّم بها. خصوصا عندما يتعلّق الأمر بالمعرفة والعلوم التّقنيّة...ما يجعلنا نتساءل هل فعلا اللغة العربيّة التي كانت يوما ما هي لغة للثقافة العربيّة بل لنقل لغة الثّقافة والحضارة العربيّة «**وليس من شكّ في أنّ الثّقافة تستدعي علما بها، وأنّ المعرفة تقتضي الدّرايّة بمنظومتها وإحكاما للغتها**»[20]، إنّ قضيّة الإحكام هذه تقتضي أنّ تتكاثف الجهود الفرديّة والجماعيّة في الدّولة الواحدة والدّول العربيّة لمحاولة النّهوض باللغة العربيّة وألا نجعل المسألة اللّغويّة مسألة تعليميّة تربويّة فحسب بل تعدّت ذلك لتصبح قضيّة متعلّقة بالإعلام من جهة ومؤسّسات الدّولة المختلفة من جهة أخرى أضف إلى كلّ هذا وسائط التّواصل الاجتماعي التي أصبحت تفرض نفسها بشكل كبير في مختلف مواقفنا الحياتيّة، خصوصا عندما نجد هذه الوسائط تغزوها مختلف اللهجات؛ والتي تعتبر بالنّسبة للناشطين على مستواها الأكثر قدرة على التّعبير عن مختلف الانفعالات والعواطف والمشاعر التي تختلج في صدورهم، وأصبح قليلا ما نجد من يكتب باللغة العربيّة الفصحى إلاّ الطّبقة المثقّفة.

وفي ظلّ كل هذا فالأدهى والأمرّ أنّ نجد من يدعو إلى التّعليم بالعاميّة سواء في الجزائر أم في دول المغرب العربي لكن العاميّة لا يمكن التّعليم بواسطتها ذلك لأنّه يجب أن تكون هناك لغة جامعة بين كل تلك اللهجات لها نظامها ومفرداتها دالة وقواعدها محدّدة تحكم بناءها، وهو الشّيء الذي لا يمكن أن يتوفّر في اللهجات ففي الجزائر على سبيل التّمثيل نجد لهجة شرقها مختلفة عن لهجة غرب الجزائر والشّمال كذلك مختلف عن الأولين وجنوبها كذلك فبأيّ لهجة سندرس؟ هل لهجة عنابة؟ أم لهجة جيجل؟ أم لهجة وهران؟ أم لهجة تلمسان؟ أم لهجة تمنراست؟ والمشكل إذا كان الأستاذ من ولايّة عنابة ويدرس في ولايّة وهران هل ستكون عمليّة التّعليم والتّعلم ناجحة وعمليّة التّواصل غير ناجحة؟ والسّبب في ذلك وجود العديد من الألفاظ في لهجة تعدّ غريبة عن لهجة ولايّة أخرى. ويمكن أن تكون المفردة واحدة لكن معناها يختلف من

منطقة إلى أخرى فاللهجة غير موحّدة. والحقيقة أنّ رفض هذه الدّعوة أو قبولها مرهون بالأستاذ في حدّ ذاته والذي نجده أصبح يميل في كثير من الأحيان إلى استعمال العاميّة بدلا من اللغة العربيّة أثناء شرح الدّرس والسّبب في نظره أنّ التّلميذ يستطيع أنّ يفهم الدّرس بشكل أكبر منه عن اللغة العربيّة الفصحى، لدرجة أنّنا نحن أساتذة اللغة العربيّة نجد التّلاميذ في حيرة من أمرهم لأنّهم يسمعون الدّرس بالعربيّة الفصحى وهو الشّيء الذي لم يتعوّدوا عليه في بقيّة المواد. أيعقل أن يشرح درس اللغة العربيّة الفصحى بالعاميّة؟ هل اللغة العربيّة غير قادرة عن التّعبير عن نفسها؟ فتصيح الأمّة بعجز لغتهم عن تأديّة الوظيفة ما وراء لغويّة. وبالتّأكيد لا فقد أثبتت التّجارب أنّ اللغة العربيّة «**لها ما يكفي من القدرات لتلقين العلوم**»[21] لذلك لا يمكننا أن نفكر مجرد التّفكير في محاولة توسيع أطر استعمال اللهجات على حساب اللغة العربيّة الجامعة والموحّدة.

ثالثًا/ كيفيّة بعث استعمال اللغة العربيّة: إنّ السّؤال الذي يجب علينا أن نحاول الإجابة عنه قبل الخوض في كيفيّة إعادة بعث اللغة العربيّة ما علاقة اللغة بالهويّة الثّقافة للحضارة العربيّة؟

إنّ محاولة الإجابة عن السّؤال الذي طرحناه يجعلنا نحدّد على قضيتي اللغة والهويّة والثّقافة في الحضارة العربيّة حالها في ذلك حال الحضارة الفارسيّة والهنديّة هذه الحضارات التي أصبحت بعد مرور عقود طويلة عليها تطرح موضوع الهويّة اعتبارا لما عرفته خلال تاريخها الطّويل خصوصا ما يعرفه العالم من تغيّرات وتطوّرات فهي في حاجة إلى إعادة بعث وترتيب عناصرها الهوياتيّة في ظلّ هذه العوالم والمتغيّرات لتطرح أهم إشكالات الهويّة ألا وهو المتعلّق باللغة حيث نجد حضارات كالعربيّة يسعى أصحابها إلى إعادة بعثها باستراتيجيات تتمشى وفق تلك المتغيّرات ودون أن تمسّ ببقيّة المقوّمات، خصوصا الدّول التي عانت ويلات الاستعمار حيث أصبحت تريد أن تفرض هويتها أو المقومات الجماعيّة في مجتمعاتها

خصوصا اللغة؛ وعندما يتعلّق الأمر باللغة والهويّة فإنّ العلاقة التي تجمعهما وفق ما يراه علماء العلوم الإنسانيّة متمثّلة فيما يلي[22]:

-اللغة وعاء الفكر وأداة التّفكير؛

-وسيلة لتواصل والتّفاهم بين الاجتماعي؛

-عنوان الهويّة للفرد والمجتمع؛

-تربط اللغة بالثّقافة والقيم الحضاريّة.

ومن الضّروري الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ «**الهويّة انتماء بينما اللغة اكتساب**»[23]، ومادام اكتسابها يرتبط بمفهوم نفسي فردي فإنّ ممارستها ترتبط بمفهوم اجتماعي جمعي[24] فاللغة نشأت في الجامعات اللغويّة بحكم الحاجة إلى التّواصل وإنّ كانت الوظيفة التّواصليّة ليست هي الوظيفة الوحيدة للغة إذ إنّها تؤدّي دورا في هيكلة الملامح الفكريّة لصاحبها في إطار جماعي يعدّ الفرد جزءا منه. أي أنّ اللغة تعدّ جزءا من ثقافة أيّ شعب من الشّعوب لهذا ظهر ما يعرف بالأنثروبولوجيا اللغويّة وهو العلم الذي يهتم باللغة باعتبارها فعالة لفهم طبائع المجتمعات الإنسانيّة، كما أنّها تعكس بوضوح أفكار ومعتقدات هذه المجتمعات؛ لذلك فهي تهتم بدراسة اللغة وعلاقتها بالبيئة الثّقافيّة التي تنشأ فيها[25]

وعندما نتحدّث عن كون اللغة هي المجسّد الفعلي للهويّة والوعاء الذي يحمل ثقافة الجماعة فهذا هو الشّيء الذي طالما طمحت إليه النّصوص القانونيّة في الدّولة الجزائريّة في جانبها النّظري فيما يخص سياستها اللغويّة وأبرز ما جاء في هذا الخصوص ما دعا إليه القانون التّوجيهي حين دعا إلى «**تقويّة الوعي الفردي والجماعي بالهويّة الوطنيّة باعتباره وثاق الانسجام الاجتماعي وذلك بترقيّة القيم المتّصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغيّة**»[26]،

فإذا كان علينا أنّ نعزّز انتماءنا الهوياتي فلابدّ من اكتساب اللغة المتعلّقة بتلك الهويّة، وإذا كان لابدّ من اكتساب لغة ما تعزّز انتماءنا فلابد من اكساب اللغة العربيّة للمواطن الجزائري. ولابدّ على المدرسة ومؤسّسات التّعليم العالي أن يكرسوا كل ما

يمكنهم من أجل دعم تعليم وتعلم اللغة العربيّة أضف إلى ذلك المدارس القرآنيّة والمساجد، الإعلام، ومختلف مؤسسات الدّولة لأنّ الأمر يعنيها كلّها فنهضة الأمة تبدأ لغويّة لتنتقل إلى بقيّة المجالات، أضف إلى ذلك أنّ هذه النّهضة لا تكون حكرا على مؤسّسة دون غيرها أو في قطاع دون غيره فالأصل أنّ تكون هذه النّهضة شاملة لجميع المجالات؛ على غرار المؤسّسات الفاعلة في عمليّة تعليم وتعلم اللغة الرّسميّة والقوميّة ألا وهي اللغة العربيّة وإعادة بعث استعمالها في مختلف المواقف والسّياقات والتي لابدّ أنّ تعمل على ما يلي:

1. حفظ القرآن والحديث: قال الثّعالبي في مقدمة كتابه "فقه اللغة العريّة": «**من أحبّ الله تعالى أحبّ رسوله محمّدا صلّى اله عليه وسلّم، ومن أحبّ الرّسول العربيّ أحبّ العرب، ومن أحب العرب أحبّ العربيّة التي بها نزل أفضل الكتب**»[27]، يعدّ القرآن الكريم هو كلام الله المنزّل على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السّلام، المصدر الأساس للغة العربيّة إذ نزل بها تكريما لها، وإذا أردنا أن نتعلّم اللغة العربيّة فلابد من حفظ الكتاب الكريم وإدراك ما يحويه من تراكيب وألفاظ فقد جاء معجزا بلفظه وتركيبه وبلاغته ومعانيه مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [23 سورة البقرة] فتحداهم بما كانوا به يفتخرون ألا وهو كلامهم الفصيح البليغ سواء في الشّعر أم النّثر[28].

أضف إلى ذلك الحديث النّبوي الشّريف الذي عدّ ثاني مصدر من مصادر اللغة العربيّة قال علي بن أبي طالب: "**يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلّم وفود العرب بما لا نفهم أكثره قال صلّى اله عليه وسلّم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»**" دليل على أنّ الرّسول صلّى اله عليه وسلّم كان عارفا بكلام العرب ولهجاتهم فقد كان يحاور كل وفد بلهجته وعندما سئل عن ذلك أجاب بفضل الله عليه بأنّ جعله عارفا بذلك.

2. كلام العرب: الاهتمام بكلام العرب سواء أكان شعرا أم نثرا أم أمثالا أم حكما أم خطبا ذلك لأنّ كلام العرب يصنف على أنّه ثالث مصدر للغة العربيّة بعد القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف لدرجة أن بعض المفسّرين لم يفهموا بعضا من القرآن الكريم إلاّ إذا عادوا إلى العربيّة قال ابن العباس كنت لا أدري ما "فاطر السّموات" حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول أنا ابتدأتها[29] ومعنى هذا أنّ المفسّرين والمعرّبين لقرآن الكريم لم يستطيعوا فهم بعضه إلاّ بمخالطّتهم فصحاء العرب. ما يجعلنا نفكّر في أنّ اكتساب اللغة لابد أن ينطلق من هذه المصادر الأساسيّة لها لأنّ اللغة فيها صافيّة لا تشوبها أي أخطاء. أيضا الاهتمام بالأدب الحديث شعرا ونثرا لأنّه أكثر قربا منهم.

3. استخدام الوسائل التّكنولوجيّة في التّعليم: المدرسة الجزائريّة فقيرة جدا من ناحية الوسائل التّكنولوجيّة، وكثيرا ما نجد دروسا لابدّ أنّ تستخدم في إنجازها مختلف الوسائل غير أنّ الدّرس يتم دون ذلك، ومن جهة أخرى نجد أنّ هناك الكثير من الأساتذة يجدون صعوبة في استخدام بعض الوسائل لذلك ينجزون الدّروس دون اعتمادها ما يسهم في عدم تعرف التّلاميذ على هذه الوسائل والقدرة على استعمالها ومن ثم يجد صعوبة في فهمها وترسيخها.

4. مشكلة الكتاب المدرسي: حيث نجد الكتب المدرسيّة الجزائريّة تعاني خصوصا ما تعلّق منها بتعليم اللغة العربيّة كوجود أخطاء لغويّة أو إملائيّة، إضافة إلى إدراج بعض الدّروس دون مراعاة سن التّلميذ، إضافة إلى ذلك ظاهرة التعدّد المصطلحي في مجال اللغة العربيّة كاستعمال مصطلح الصّفة في مرحلة التّعليم الابتدائي والنّعت في مرحلة التّعليم المتوسّط...وغيرها كثير، أضف إلى كل هذا استعمال بعض المفردات بالعاميّة. كل هذه الأشياء لابد من إعادة النّظر فيها وإعادة إصلاح الكتب المدرسيّة.

الخاتمة:

من أهم النّتائج التي توصّلنا إليها من خلال بحثنا الموسوم: « **دور المؤسّسات التّعليميّة في بعث استعمال اللّغات الرّسميّة-اللغة العربيّة -**» نوجزها فيما يلي:

1.نشر فكرة التّعايش اللّغوي والثّقافي في الجزائر بالاعتماد على المدرسة كأساس أوّل والإعلام القادر على نشر الوعي في الوسط الجزائري بالقدر الذي نحتاجه، لأنّ هذا سيسهم في بناء الجزائر الجديدة؛

2. إنّ التّخطيط اللغوي المحكم مهم جدّاً في عمليّة بعث استعمال اللغة العربيّة من جديد؛

3. إنّ عمليّة بعث اللغة العربيّة تحتاج موقفاً جاداً من الدّولة الجزائريّة بكلّ مؤسّساتها؛

4. إنّ إعادة بعث استعمال اللغة العربيّة يعني الاهتمام بالقرآن الكريم في الدّرجة الأولى في مجال التّعليم بعده الحديث النّبوي الشّريف وكلام العرب، أيضا اعتماد وسائل التّعليم الحديثة.

المقترحات:

بناءً على ما توصلنا إليه من نتائج خلال بحثنا الموسوم: «**دور المؤسّسات التّعليميّة في بعث استعمال اللّغات الرّسميّة-اللغة العربيّة -نقترح** ما يلي:

1. وضع سياسة لغويّة ومخطّط لغوي تكون المؤسّسة التّعليميّة الحجر الأساس فيها لضمان نجاحها في أرض الواقع؛

2. إنشاء قنوات فضائيّة يشرف عليها مختصّون في اللغة العربيّة تقدّم برامج ثقافيّة ودينيّة وأشرطة ورسومات كارتون بالغة العربيّة تكون بمثابة الحمام اللغوي؛

3. إعادة بناء مناهج تعليميّة تنطلق من الأصول العربيّة القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف وكلام العرب شعره ونثره...واستثمار ما توصّلت إليه البحوث العلميّة في مجال التّعليم.

المصادر والمراجع:

[1]- عبد الكريم غريب: المنهل التّربوي معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجيّة والدّيداكتيكيّة والسّيكولوجيّة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1 2006م، 515/2.

[2]- والتّعليميّة في مجال السّانيات التّطبيقيّة تعني: «مجموعة الطّرائق والتّقنيات والإجراءات التي تتخذ للتعليم» **ينظر: بن تريدي، بدر الدّين، قاموس التّربيّة الحديث عربي–فرنسي–انجليزي. منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2010م، ص129.**

[3]- بدر الدّين بن تريدي: قاموس التّربيّة الحديث –عربي–فرنسي–انجليزي–، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2010م، ص294.

[4]- صالح بلعيد، اللغة الأم؛ والواقع اللّغوي في الجزائر، مجلة الممارسات اللّغويّة، المجلد 5 العدد2، ص142.

[5]- بدر الدّين بن تريدي: قاموس التّربيّة الحديث –عربي–فرنسي–انجليزي–، ص294.

[6]- صالح بلعيد، علم اللغة النّفسي، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، الجزائر 2008م ص36.

[7]- عثمان سعدي، معجم الجذور العربيّة للكلمات الأمازيغيّة(البربريّة)، دار الأمة الجزائر ط1، 2007م، مقدمة الكتاب (أ).

[8]- ينظر: المرجع نفسه، مقدمة الكتاب(ب).

[9]–سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتّعبير بين التّنظير والتّطبيق دار الشّروق للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص19.

[10]–سارة لعقد، دور المؤسّسات البحثيّة في ترقي استعمال اللغة العربيّة من خلال توحيد المصطلحات العلميّة في المدرسة الجزائريّة، الكتاب الجماعي: السّياسات اللّغويّة في العالم العربي الرّؤى والبدائل، زكريا السّرتي ومحمد الغازي، مطابع الرّباط نت، المغرب 2017م ص276.

[11]- قونتين وأوامر أمر مؤرخ في 16 أفريل 1976.

[12]- قانون رقم 91-05 مؤرخ في 30جمادى الثّانيّة عام 1411 الموافق 16 يناير سنة 1991 يتضمن تعميم استعمال اللغة العربيّة.

[13]- عبد السّلام المسدي، الهويّة العربيّة والأمن اللّغوي دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص69.

[14]- أحمد دويدار البسيوني، تعريب التّعليم العالي في الوطن العربي ضرورته معوقاته شروط ومتطلبات نجاحه، اللسان العربي، مكتب تنسيق التّعريب، الرّباط، المغرب ع55-56 2003م، ص215.

[15]-نبيل علي، الثّقافة العربيّة في عصر المعلوماتيا -رؤيّة المستقبل الخطاب الثّقافي العربي- عالم المعرفة، يناير 1978م، ص232.

[16]- بدر بن ناصر الجبر، اللغة العربيّة في أنحاء العالم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 2019م، ص8.

[17]- نبيل علي، الثّقافة العربيّة في عصر المعلوماتيا -رؤيّة المستقبل الخطاب الثّقافي العربي- ص232.

[18]- برنامج الحكومة الموافق عليه من طرف المجلس الشّعبي الوطني يوم 27جويليّة 2002م.

[19]- الجريدة الرّسميّة للجمهوريّة الجزائريّة، قانون رقم 8-4 مؤرخ في 15محرم عام 1429 الموافق 23يناير سنة2008م يتضمن القانون التّوجيهي للتربيّة الوطنيّة، ع4 المادة 33 ص12.

[20]- عبد السّلام المسدي، الهويّة العربيّة والأمن اللّغوي: دراسة وتوثيق، ص259.

[21]-إلياس بكا، ومحمد حراز، إشكاليّة الهويّة والتعدّد اللغوي في المغرب العربي -المغرب أنموذجا-، مركز الإمارات للبحوث والدّراسات الاستراتيجيّة، أبوظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة ط1، 2014م، ص144.

[22]- إلياس بكا، ومحمد حراز، إشكاليّة الهويّة والتعدّد اللغوي في المغرب العربي - المغرب أنموذجا-، ص21.

[23]- عبد السّلام المسدي، الهويّة العربيّة والأمن اللّغوي: دراسة وتوثيق، ص68.

[24]–ينظر: كريم زكي حسام الدّين، اللغة والثّقافة –دراسة أنثرولغويّة الألفــاظ وعلاقــات القرابة في الثّقافــة العربيّــة–، دار الغريــب للطباعــة والنّشــر والتّوزيــع، القــاهرة مصر،2001م، ص36.

[25]– كريم زكي حسام الدّين، اللغة والثّقافة –دراسة أنثرولغويّة لأفاظ وعلاقات القرابة في الثّقافة العربيّة–، ص59.

[26]–الجريدة الرّسميّة للجمهوريّة الجزائريّة، قانون رقم 8–4 مؤرخ في 15محــرم عــام 1429 الموافق 23يناير سنة2008م يتضمن القانون التّــوجيهي للتربيّــة الوطنيّــة، ع4 المادّة 2 ص8.

[27]– أبو منصور الثّعالبي، فقه الغة العربيّة، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1938م، ص1.

[28]– ينظر: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص16.

[29]– أحمد الشّرقاوي إقبال، معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، بيــروت، لبنــان، ط2 ص5.

هل المازغيّة خطر على الأمن اللّغوي الجزائري؟

أ. سامي عزيزي [1]

المشرف: أ د. لغزال لخضر

الجامعة: جامعة العقيد أحمد درايّة –أدرار-

ملخّص: تطرح هذه المقالة جملة من هموم الهويّة الوطنيّة، وبعض ما تعانيه الأداءات الوطنيّة من تداعيات في العصر، فعرّضت إلى بعض المفاهيم المتعلّقة بالموضوع كالأمن اللّغوي والأمن الهوياتي، والمسألة المازغيّة وشيء من تاريخه وبعض القضايا المتعلّقة بها وخلصنا إلى نتائج أنّ اللغات الوطنيّة إذا وضعت في مكانها وأنزلت مكانتها فستحقّق الأمن اللغوي ومنه يتحقّق الأمن الهوياتي والوحدة الوطنيّة، وأيضا خلصنا إلى أنّ اللّغة أداة خطيرة أن لم نحافظ عليها فستستغل من طرف الأعداء لزعزعة الأمن القومي.

كلمات مفتاحيّة: المازغيّة؛ العربيّة؛ الأمن اللغوي؛ الأمن الهوياتي؛ الأمن القومي.

1. مقدّمة : يقول الباحث صالح بلعيد: نحن الأمازيغ الشّعب الذي يناشد الحريّة منذ وجوده على وجه الأرض، وقد شحنته مختلف الأزمات بالثّورات ضدّ الظّلم وثرنا ضدّ المستعمر الرّوماني والوندالي، والفينيقي والبزنطي، وقاومنا العرب ورضينا بالإسلام دينا وباللسان العربي لسانا ولغة، كما أنّ الإسلام لم ينكر بأنّ ما أثبته التّاريخ بأنّ الأصل أصل، والفرع فرع، والإسلام هو الذي علّمنا بأنّ التّمسك بالإنيّة التي تعطي مستوى النّديّ؛ ونلاحظ في الآونة الأخيرة تسارع وتيرة خطاب الكراهيّة وتطوّر حدّته في مواقع التّواصل الاجتماعي، ممّا ألجأ السّلطات العليا إلى سنّ قوانين رادعة تجاه مرتكبيه، وتنقسم هذه الخطابات حسب تتبعنا لبعض الصّفحات الفيسبوكيّة إلى خطابات تمجّد القوميّة العربيّة وتطعن في المازغيّة وتتهمها بأنّها وليدة أجنبيّة

وخطابات تتّهم العربيّة بأنّها لغة التّخلف والدّين، والنّاظر في هذه الخطابات يلحظ أنّها لأشخاص تبنّوا خلفيات سيّئة تجاه الوحدة الوطنيّة وكلّ ما يؤدّي إلى الاتحاد والتّسامح ممّا أثار فينا رغبّة في تناول هذا الموضوع وهو:

- **هل المازغيّة خطر على الأمن اللّغوي الجزائري؟**

وللإجابّة عن هذا التّساؤل طرحنا عدّة فرضيات منها:

المازغيّة ليست خطراً على الأمن اللّغوي وهي جزء من المجتمع اللّغوي الجزائري.

نشأت اللّغة العربيّة والمازغيّة جنبا إلى جنب ولم نسمع من أجدادنا أنهما تصارعتا بل تعايشتا.

وسعينا لبيان صّحة هاتين الفرضيتين من بطلانها معتمدا المنهج الوصفي والتّاريخي وتحليل بعض الآراء الواردة.

2. المازغيّة (المفهوم والماهيّة): عاشت الأمازغيّة آلاف السّنين وحافظ عليها أهلها وأصحابها من غير قوانين تلزمهم ولا أعراف تجبرهم عليها، ومرّت السّنين والأعوام ولا تزال محافظة على أصواتها وكلماتها، فلم تتدثر بين الأجيال وورثها الأبناء عن الآباء والأجداد، ونُرجع ذلك إلى أنّها ليست لغة علوم ولا لصناعات كي تندثر مع الزّمن وتتأثّر به، وإنّما لغة تراث وموروث وأشعار ينقلها الابن عن أبيه والحفيد عن جدّه وخاصّة في زمن العولمة حيث تتأثّر اللغات فمنها التي تطوّرت وسايرت التّكنولوجيا كاللّغة الانجليزيّة والعربيّة والصّينيّة ومنها التي ماتت وأصبحت بين دفآت الكتب كاللاّتينيّة واليونانيّة وقد بقيت "خطوط المازغيّة في القراطيس رسما وأهلها في التّراب وسما منذ ما يزيد عن الثّلاثين قرنا"[2].

1.2 المازغيّة أم الأمازغيّة أم البربريّة: يجدر بنا أن نضبط المصطلح الصّحيح وخاصّة وأنّنا في عصر الفوضى المصطلحيّة، وأن نوحّد التّسميّة لنحاول بعدها أن نوحّد نظرتنا تجاه قضايا هذه المسألة، فإن كنّا نختلف في أصل التّسميّة فما بعدها حريٌ بالاختلاف فيه.

اختلف الباحثون حول تسميّة لغة شعوب شمال إفريقيا لاختلافهم في أصل تسـميتهم فاصطلح بعضهم عليهم بالأمازيغ ولغتهم بالأمازغيّة ويرجع ذلك إلى كلمـة **إيمـازيغن** ومؤنّثه **تمازيغت** وجمعهم **إيمازيغن**، واختار نفر من الباحثين ومنهم د.صالح بلعيـد أن أصل التّسميّة راجع إلى مازيغ بن حام بن كنعان بن مصريم حسب أكثـر الرّوايـات وكلمة مازيغ لا نجد في أصلها حرف (أ) إذ أنّ الألف في لهجاتها يُستعمل في التّعريف فنقول مازيغ أمازيغ للتعريف، ومعناها الرّجل الشّريف أو النّبيل أو الحر.

ويطلق فريق آخر عليهم **البربر** وعلى لغتهم **البربريّة**، وتشير المصادر أنّ أقدم مـن نقل لنا كلمة البربر هم المصريون في كتاباتهم عن أخبار البربـر، وإنّ أرتيميـذيورس الرّهاوي: أحد الجغرافيين اليونانيين المشهورين عاش مـن رأس القـرن الأوّل قبـل المسيح، زار بلادا كثيرة، ألّف رحلة مطوّلة جعلها موسوعة جغرافيّة اشتملت على أحد عشر سفرا فجعل السّفر السّابع منها في أحوال البربر[3].

وهي غير كلمة **barbare** الفرنسيّة التي تعني الهمجيّة والتّخلّـف، والملاحـظ أن كلمة الأمازيغ استعملت في بدايات القرن الماضي حوالي 1880م مع دخول الاستعمار الفرنسي إلى بلادنا، وأغلب الظّن أن الشّيخ ابن باديس استعمل كلمة أبناء مازيغ بـدلا عن البربر درءا لأي فهم غالطّ وسدا لذريعة التّأويل الفاسد.

والأمازيغ يطلق على السّكان الذين يعيشون في أقاليم تمتد من البحر المتوسّط إلـى جنوب النّيجر، ومن النّيل إلى شاطئ المحيط الأطلسي ...ويتكلّمون لغات مشتقّة مـن لغة أمّ وهي تمازيغث (البربريّة).

2.2 الأداءات المازغيّة (لهجات أم لغات؟): يُرجع الكثير من الدّارسـين أنّ عقـدة البحث والدّراسة في المازغيّة هي عدم رسميتها ودسترتها لذلك لم يتمّ الفصل فيها أهي لغة أمّ لهجة؟.

فاللّهجة هي: "مجموعة من الصّـفات اللّغويّـة (الصّـوتيّة والصّـرفيّة والنّحويّـة والدّلاليّة) تنتمي إلى بيئة جغرافيّة أو اجتماعيّة معيّنة هي من بيئة أشمل، تضـمّ عـدّة لهجات تجمعها عناصر لغة مشتركة، ويتكلّم أهل هذه البيئة أو البيئات الأوسع والأشمل

لغة واحدة مشتركة"[4]، والمازغيّة صنّفها بعض المتخصّصين بأنّها لغة وهناك من اعتبرها مجموعة من اللّهجات المحلّيّة بسبب افتقارها إلى نظام رمزي هجائي وقواعد نحويّة وصرفيّة موحّدة بين جميع أنواعها الجهويّة، وجدير بالتّنبيه أنّ التّمييز الاجتماعي الذي أحدثته الفرنسيّة التي خلقت نوعا من النّخبّة الوطنيّة المتعاليّة والتي أضحت تعتدي على الثّوابت.[5]

إذا أجرينا على المازغيّة تعريف ابن جني القائل أنّ «حدّ اللّغة: أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[6]؛ وجدنا الحدّ صالحاً أن نطلقه عليها، وفي ذكر ابن جني أركان اللّغة الأربعة وهي:

- أنّ اللّغة صوت؛
- أنّ اللّغة اجتماعيّة (كل قوم)؛
- وظيفتها تواصليّة (يعبّر بها)؛
- لكلّ قوم لغتهم الخاصّة، (بها كلّ قوم).

وكلّ هذه الشّروط تنطبق على المازغيّة فهي صوتٌ ولغة اجتماعيّة ووظيفتها الأولى التّواصل وتختصّ بقوم هم البربر.

وزاد بعض المحدثين أركاناً أخرى مثل الإفهاميّة، وجعلوه ركنا فيها فوسّعوا مفهوم اللّغة إلى كل ما يؤدّي إلى إيصال المعنى كالإشارة والكتابّة، وعرّفها د. حاتم الضّامن بقوله: «نظام من الرّموز الصّوتيّة، أو مجموعة من الصّور اللّفظيّة تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللّغويّة، وتستخدم في **التّفاهم** بين أفراد مجتمع معيّن»،[7] وأيضا المازغيّة تضم شرط الإفهاميّة، ونرجع إلى تعريف د. حاتم الضّامن أنّ هذا النّظام موجود في ثنايا المازغيّة وهو المطلوب من المؤسّسات والمحافظة السّاميّة للمازغيّة وطلبّة أقسام المازغيّة وأساتذتها ّأن يضعوا ويستقرؤوا المخزون اللّغوي ليرتبوا هذا النّظام اللغوي الخاصّ بالمازغيّة.

وإذا نظرنا إلى واقعها، لوجدنا أنّها لغة كغيرها من اللّغات البشريّة ذات لهجات وصيغ مختلفة، وهي لغة الاستعمال اليومي ولغة التّوصل والتّواصل، لهجاتها متداولة

ومنطوق بها لدى سكان شمال إفريقيا بالخصوص وكما يُقال تلك اللغة الجامعة للّغــات البربريّة.

3. الأمن اللّغوي والهويّة الوطنيّة: لا ينكر عاقل فضل اللّغة على الأمــم وأثرهــا على تطوّرها إذ باللّغة تُحفظ الثّقافات وتنقل الحضارات، فالحفاظ عليهــا حفــاظ علــى التّراث والموروثات، لذلك استلزم على الباحثين الحفاظ على أمنهــا والتّركيــز علــى استتبابه، وهو ما يسمّيه بعض اللسانيّين **بالأمن اللّغوي** أو **الأمن اللّساني**، وكذلك الأمر بالنّسيّة **للهويّة والأمن الهوياتي**؛ فلا تزال موضوعا مهمّاً للعديد من المجتمعات وذلــك لما لها من قوّة ربط الأفراد بمجتمعاتهم ونبذ التّفرقة والتّشــتّت، فاللّغــة عنصــر مــن عناصر الهويّة التي بدورها هي أساس تحقّق الأمن واستقرار المجتمعات.

1.3 الأمن اللّغوي (المفهوم والماهيّة): اختلف الدّارسون في تعريفه على حســب نظرتهم وتخصّصاتهم، وأحسن تعريف وقفت عليه ما ذهب إليه الباحث محمود شــاكر سعيد الذي عرّفه بقوله: " هو توفير الوسائل والإمكانيات المتاحــة التــي تحفــظ للغة العربيّة مكانتها وتعيد إليها بريقها الذي كانت عليــه في عصــور تقــدّمها وازدهارها وتعمل على إعادتها إلى الواجهة من خلال جهــود وتحقيــق الظــروف الموضــوعيّة الملائمة لتحقيق ذلك بوضع إستراتيجيّة شاملة حقيقة مشتركة تحمي لغتنا وثقافتنا مــن تيار العولمة الجارف"[8].

2.3 الهويّة اللغويّة الوطنيّة (المفهوم والماهيّة)[9]: وتُعرف الهويّــة علــى أنهــا الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق، أي تلك الصّفة والثّابتة والذّات التي لا تتبدل ولا تتأثّر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها أو تكون نقيضا لها فالهويّة تبقــى قائمة ما دامت الذّات قائمة وعلى قيد الحياة وهذه الميزات هي التي تميّز الأمــم عــن بعضها البعض والتي تعبر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها[10]، وتحقيــق الهويّــة الوطنيّة واستقرارها عنصر أساس في تحقيق السّلم والأمن الهوياتي الذي بــدوره هــو أحد أجنحة الأمن القومي والاجتماعي.

لذلك فالحروب العصريّة لا تقوم على إخلال الأمن القومي للدّول فقط، بل تبدأ بإخلال الأمن الاجتماعي والهوياتي والثّقافي للأفراد والجماعات وبعد ذلك يتيسّر هدم الأمن الكلي، وكما أنّ الأمن البشري يشمل الأمن الثّقافي من خلال الحفاظ على الهويّة القوميّة على المستوى المحلي أمّا على المستوى الدّولي تقع مسؤوليّة المجتمع العالمي في تأمين الحوار الثّقافي والحضاري بين مختلف الحضارات المتنوّعة وتوفير التّعايش فيما بينها على قاعدة حق الاختلاف والمساواة.[11]

"تعتبر اللّغة قوام الأمم، وقوام كيانها التّاريخي والثّقافي والحضاري، وهي العنصر الأساس في التّكوين القومي للشّعوب، إذ ليست اللّغة أداة للتخاطب فحسب بل وعاء يحمل في طيّاته الفكر نفسه وبما أنّ اللغة هي أقدم تجلّيات الهويّة، ومكون رئيس من مكوناتها"[12]، ولعلّ الحديث عن اللّغة وأهمّيتها في تقدّم المجتمعات يقودنا بالتّأكيد إلى طرح أبرز مؤطّر ومحدّد لها والذي يتجسد في الهوية بمحتواها الثّقافي المتجدّد الشّكل والظّهور، واعتبارها مطلبا مهمّا ينبغي النّضال من أجله وتنمية الإحساس به وتقوية العلاقة، بمحتويات تحركها من صورة جامدة تقليديّة إلى صورة عصرية من خلال استيعاب التّغيرات والإنجازات التي أتت بها العولمة، وتكييفها وفق حاجاتنا ومصالحنا هذا يعني أن للغة أهميّة كبيرة جدا بل وقدرة على الإبداع والتواصل الفكري والاجتماعي، غير أنّه وأمام ما تقدم طرحه عن أهميّة اللغة، وفي الوقت الذي اعتمدت فيه العولمة الإعلاميّة وسائلها الاتصاليّة لنشر لغتها، بل وأمام القدرة الإعلاميّة للدول والمنظمات الداعية لفرض ظاهرة العولمة بالعمل على استثمار منجزات ثورة الاتصالات والتقدم التكنولوجي في نشر ثقافة واحدة ، وبقوالب محدّدة عمودها الفكر الاستهلاكي لا نزال نعيش صراعا لغويا أساسيا مبدأه رفض الاختلاف **اللغوي** لدرجة **اللّاتعايش**، ... **التّعصب للّهجة** دون أخرى، **التّطرف اللغوي**، وغيرها من المظاهر السّلبيّة..

ولا شكّ أنّنا في الجزائر ندرك جيدا التّنوع الثّقافي والتعدّد اللّغوي واللّهجي وتأثيراته على حياة الفرد الجزائري، فالعربيّة عندنا متنوّعة اللّهجات من لهجة

قسنطينيّة إلى لهجة جيجيليّة وسطائفيّة إلى عاصميّة إلى لهجة أهــل الغــرب ولعربيّــة الجنوب... وفي المقابل نجد لغة أخرى وهي المازغيّة التي بدورها لها لهجات عديــدة منها الشّاويّة والتّارقيّة والقبائليّة والميزابيّة والشّلحيّة ..إلخ، إنّنا نــدرك جيّــدا التعدّديــة والتّنوع الثّقافي اللّغوي وتأثيراته على حياة الفرد الجزائري، لكن وفي مقابل هذا التّنوع نحن فعلا بحاجة إلى توحيد مفرداتنا حتى نتواصل إيجابيا بعيــدا عــن أي أفكــار أو **اتجاهات إيديولوجيّــة** غالبا ما تكون ردود أفعال شخصيّة أو مصلحيّة، لم تتمكن مــن فرض مقاييس لغويّة موحدة بقدر ما أسهمت في نشر ثقافة الاختلاف اللّغــوي، وربّمــا أيضا في بعض الأحيان **التّطرف والتّعصّب** مثلما هو ملاحظ واقعيا، متجاهلة خطــورة الوضع في ظلّ عولمة القرن الواحد والعشرين.

وتتمثّل الهويّة الجزائريّة في عدّة مستلزمات منها اللّغة، يقــول صــالح بلعيــد: "إنّ هويّة الشّعوب عبارة عن تراكم من التّجارب والمكتسبات والتّفاعلات مع أدوار التّاريخ ومن هنا تؤخذ الهويّة في إطار عملي عريض، فلا تكــون معزولــة عــن التّــأثيرات الأخرى في الفهم والأولويات، وهكذا احتضنت بلاد الشّمال الإفريقــي القــرآن ولغــة القرآن وجعلوها جزأ من هويّتهم وشخصيّتهم ، وصار استعمال اللّسان العربــي مــن شعائر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، وهذا بعد عميق فهمه أجدادنا فــي إيمــانهم فتخلّوا عن أنانيّتهم وعن الفهم الضّيّق عن الهويّة المرتبطــة بالــدّم والعــرق والإقلــيم الجغرافي."[13]

4. المازغيّة والأمن اللّغوي (بوادر القضيّة وتداعياتها):

1.4 التّعايش بين المازغيّة والعربيّة: لابدّ على كلّ باحث يريد التّطرق إلى قضايا الهويّة واللّغة أن يتّسم بالهدوء والرّزانة إلى جانب التّحلي باليقظة والنّباهة، ويلزم عليــه الابتعاد عن الخلفيات القوميّة والرّكائز العرقيّة والأطروحات الإيديولوجيّة، وأن يكــون مسلّحا بالعقيدة السّليمة والمنهج الرّباني الصّحيح وبالمنهجيّة الأكاديميّة العلميّة، وأقولهــا صراحة أنّ قضايانا اللّغويّة والهوياتيّة الوطنيّة سُلبت دراستها منا مذ زمن بعيــد أيــام الاستعمار الفرنسي الصّليبي الغاشم، وحُوّرت وكوّرت ثمّ أُلبست لباس الوطنيّة الزّائفــة

ثم صدّرت إلينا باسم العلميّة والموضوعيّة في قالب النّاصحين المعلّمين، لــذلك علينــا وعلى كلّ من صدّر نفسه لدراسة هذه القضايا أن يكون نبيها ذكيّاً حكيما حتّــى يُخــدع بالمظاهر الزّائفة الخدّاعة وبالشّعارات الرّنّانة، فقد استمال المستشرقون فــي تصــدير المعلومات الكاذبة والمغلوطة لجيل من الشّباب قد مضى ولكن الشّــبهات والأكاذيــب باقيّة ومن هذه الأغاليط زعمهم أنّ العربيّة لغة اجنبيّة للجزائريين وأن الفرنســيّة هــي اللغة الأمّ والأصل للشعب المغلوب على أمره، فاقتنع بهذه الــدّعوات جيــل يصــح أن نطلق عليه أنّه المقصود بقول القائل المغلوب مولع بالغالب.

لكنّ اللّه سبحانه وتعالى جعل لهذه الأمّة أمرا رشدا وأيقاظ لها من أبنائهــا الخلّــص المؤمنين الذين انتهجوا السّلفيّة منهجا وتشرّبوا العقيدة الإسلاميّة حتى النّخــاع الجــائزة ومن هؤلاء أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين رحمهم الله، على رأسهم الإمام السّلفي ابن باديس الذي دافع وبشدّة عن أصول هذا المجتمع وردّ خطر الغزاة المســتدمرين فــي محاولاتهم البائسة لتجنيس هذا الشّــعب وخلعــه مــن هويتــه وأصــوله وعروبتــه ودينه ووطنه.

فقد عرف ابن باديس أنّ الاستعمار يستعمل كل أوراقه العسكريّة التّدميريّة للــدّيار والمباني وقتل الأرواح، إلى سياسات سلميّة يدسّ في ثناياها السّمَّ في العسل ومن هــذه الأوراق استغلاله للّغة المازغيّة والعرق المازيغي محاولا إثارة الفتن بين أفراد الشّــعب المسلم الواحد، فنجد أنّ ابن باديس عرف الدّاء الذي أراد الاستعمار أن يستشــريه فــي هذا الجسد الواحد فعمل على بعث اليقظة الرّوحيّة فيه بقولــه: نحــن أمــازيغ عرّبنــا الإسلام، وفي بعض خطاباته يستعمل يا أبناء مازيغ وتارة أبناء يعرب فكانت خطاباته العلميّة الإسلاميّة دواء وشفاء لكلّ السّموم التي نفثتها فِرنسا الصّليبيّة، فقــد قــال: "إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشرة قرنا، ثمّ دأبــت تلــك القرون تمزج بينهم في الشّدة والرّخاء وتؤلّف بينهم في العسر واليسر، وتوحّــدهم فــي السّرّآء والضّراء حتى كوّنت منهم في أحقاب بعيدة عنصــرا مســلما جزائريــا أمّــه

الجزائر وأبوه الإسلام"[14]، فابن باديس رحمه الله لخّص لنا في قوله هــذا وأبــان عــن الدّور الكبير للإسلام في جمع وتوحيد وتأليف أبناء يعرب وأبناء مازيغ.

عاش العرب والمازيغ جنبا إلى جنب وتصاهروا فأصبح بعضهم أبا وعمّا وخــالا وأخا وزوجا وصهرا ونسبا للآخر، ولم نسمع يوما أنّ قضيّة العرق والأصــل نشــبت بين أفراد هذا الوطن، وكذلك الأمر بالنّسبّة للغة فقد عاشت العربيّة بلهجاتها والمازغيّــة بلهجاتها وأداءاتها جنبا إلى جنب ولم يحصل أي صراع لغوي بينهما ولا تصادم بقــدر التّعايش والتّسامح بينهما.

بل يذكر التّاريخ أنّ ملوك البربر اتخذّوا العربيّة لغة رسميّة في البلاد وبنــوا لهــا المدارس والمؤسّسات وكتبوا بها المراسلات وجعلوها لغة الإدارة والتّعاملات الرّســميّة قال صالح بلعيد: ونقرأ في التّاريخ أنّ ثلاث عشرة دولة مازيغيّــة حكمــت المغــرب العربي منذ الفتح الإسلامي، وما حدث أن شكّلت اللّغة عندهم قضيّة، أو شــهدت تلــك المماليك الحروب بسبب الخلاف اللغوي، بل إنّ المماليك البربريّة عملت في خطابهــا الرّسمي باللّغة العربيّة، وأعلت من مقام العربيّة أكثر من المازغيّة نفسها، والمــازغيون أنفسهم عملوا على إعلاء الدّين الإسلامي ولغة الدّين، كمــا لــم يســتعملوا الحــرف التيفيناغي بتاتا في حكم دولهم، بل كانوا يتخذون الحروف الرّومانيّة قبل الفتح العربــي ولما دخلوا في الإسلامي نبذوا الحروف الرّومانيّة وكذا التيفيناغ واســتبدلوها بــالحرف العربي.[15]

2.4المازغيّة وشيء من ظهورها: ممّا لا شكّ فيه أنّ اللّغة العربيّة لغــة عالميّــة وانتشرت في الفتوحات الإسلاميّة سابقا وانتشرت بالسّلم بدخول الأفراد طواعيّــة فــي الإسلام، نعلم يقينا أنّ انتشار العربيّة في كثير من بلدان العــالم، وفــي هــذا العصــر بالتّحديد ظهر هاجس لدى الدّول الأجنبيّة عكّر صفو أمنها اللّغوي وخاصّة تلك الــدّول الأوروبيّة والآسيويّة التي لا تدين بالإسلام، لأنّهم يعلمون أنّ انتشــار العربيّــة يرفقــه اعتناق الإسلام وانتشار أخلاقه السّمحة، يقول المستشرق زيغود هونكــة حاكيــا هــذا التّخوّف: "ولم تكن غليّة العربيّة بعد ذلك بسلطان الحكومة بل بالاختيار وكــان انتشــار

العربيّة في الأقوام غير الإسلاميّة أمرا لا ترغب فيه الحكومات، فمنع تكلّم النّصارى العربيّة وتعلّم أولادها في مدارس المسلمين، ورغم هذه الحال صار الإسلام دينا رغب فيه أكثر الشّعب واتّخذت الشّعوب غير المسلمة اللّغة العربيّة لغة لها"[16].

إنّ المتتبّع لخطابات ودراسات الذين تناولوا المسألة المازغيّة، يلحظ بشكل دقيق مدى سعي أصحابها إلى أدلجة القضيّة مرّة وتسييسها مرة أخرى، وهذه من الأسباب التي أدّت إلى إيقاظ هذه القضيّة وإعطائها أبعاداً لم تكن في غابر الزّمن ولم تُعرف عند الأجداد ولا الآباء.

فاتجه قوم متشبعون بالقوميّة العربيّة وتعصّبوا لها تعصّبا أعمى عملوا على انتقاء القواسم المشتركة بين العربيّة والمازغيّة لإثبات دعوتهم أن أصل المازيغ عرب، ومن ثمّة أنّ المازغيّة لهجة من لهجات القوميات العربيّة اليمنيّة، واتجه قوم عرفوا بالحركة البربريّة إلى انتقاء القواسم المشتركة بين المازغيّة واللغات الأوروبيّة وخاصّة ممّا يتعلّق بالتّشابه في البُنى الصّرفيّة واللّغويّة ثم بنو الطّرح القائل أنّ أصلها أوروبي.

أعود وأنوّه إلى أنّ دراسة مثل هذه المسائل يخضع لزاما إلى النّزاهة المعرفيّة والمنهجيّة العلميّة، فأصحاب الاتّجاه الأوّل اعتمدوا على التّعصب للقوميّة العربيّة بنسبّة كبيرة متغافلين عن الدّور الكبير للدّين الإسلامي في صقل ونقل بعض الثّقافات والألفاظ والكلمات، إلى المازغيّة والثّقافة المازغيّة وهذا حاصل في كلّ لغات العالم وثقافته وملموس فيها جرّاء التّأثر والتّأثير المتبادل، وأمّا أصحاب الاتجاه الثّاني فقد تناسوا التّأثر الوارد بين اللّغات (المازغيّة والأوربيّة) وذلك كونهما متقاربين جغرافيّا وأيضا بسبب العامل الاستعماري.

عملت فِرنسا على تكوين نخب مواليّة لها وذلك لتسهيل تمرير سياساتها وتلميعها وإلباسها لباس الوطنيّة، يقول المؤرّخ الجزائري د. ناصر الدّين سعيدوني: " كانت الخطّة الفرنسيّة تهدف إلى إيجاد تيار جزائري في مظهره وأصوله، فرنسي في قناعاته وتوجهاته، فهو يرفض مقولة الجزائر فرنسيّة، وقد استطاع هذا التّيّار الذي ظهر ناطقوه باسم الجزائر، أن يستقطب في منطقة القبائل بالخصوص جماعات من

الشّباب نشأت في أحضان المدارس الفرنسيّة ذات التّوجهات اللائكيّة وترعرعت بتوجيه من الإدارة الفرنسيّة، وقد استطاع بعض الأفراد من هذه الجمعات أن يتسرّب إلى السّاحة الجزائريّة وأن يخترق جناح الاستقلال للحركة الوطنيّة التي يمثّلها آنذاك حزب الشّعب الجزائري، وقد تسبّب فيما يعرف بالأزمة البربريّة لحزب الشّعب سنة 1949م "[17]

وأشار بعض الدّارسين[18] إلى أنّ النّزعة المازغيّة ظهرت تباعا مع ظهور النّزعات القوميّة في العالم، ولكن تميّزت النّزعة القوميّة المازغيّة بميزة أنّ ظهر فيها اتجاهان:

-نزعة بربريّة ذات توجّه إسلامي.

-نزعة بربريّة ذات توجّه لائكي.

أمّا أصحاب النّزعة الأولى فكان روّادها من العلماء والإصلاحيين وكانت دعوتهم وطنيّة ولخدمة الوطن واللّغة والدّين، وأمّا أصحاب التّوجّه الثّاني فأغلبهم من خريجي التّيّار الفرانكفوني من المدارس الفرنسيّة.

5.هل المازغيّة خطر على الأمن اللّغوي؟ وما مدى صحّة العبارة؟ إنّ النّاظر في الوضع اللّغوي بالجزائر يلحظ أنّ حرب اللّغات وصراع اللّهجات تتجلّى في كون اقتران المطالب المازغيّة بالحركة الفرنكفونيّة، ويظهر هذا جيّدا في معاداة كلّ ما هو عربيّ وله علاقة بالإسلام والعربيّة، وبالتّالي فإنّ الظّاهرة الفرنسيّة حاضرة وبقوّة في الأبحاث التي تصدر من هذه الحركة، وخاصّة ما تقوم به الأكاديميّة البربريّة في باريس من تغريب للمازغيّة وخلعها من ثوب العربيّة وتنقيتها من الإسلام ومتعلّقاته وبالتّالي فالمسألة المازغيّة لها بعدان تجاه الأمن اللّغوي مازغيّة هي خطر على الأمن اللّغوي والهوياتي والوطني ونقصد بها تلك المازيغيّة التي يُتحكّم فيها من خارج الوطن وبأيدي أجنبيّة، ومازيغيّة ليست بخطر بل من مقوّمات هذا الوطن ومن أصوله وأسسه وهي التي تمثّل لبنات الأمن اللّغوي مع أختها العربيّة.

وبناء على ما مرّ نقترح أنّ المازغيّة لن تكون خطراً على الأمن اللّغوي إذا التّزمنا بهذه النّقاط:

أ.عدم ربط المازغيّة باللّغات الأجنبيّة وخاصة لغة المستعمر الفرنسيّة التي تدهورت قيمتها وتراجعت مكانتها خاصة بما يتعلق بالذّكاء الاصطناعي والرّقمنة والشّابكة؛

ب. الابتعاد عن الثّقافات الأجنبيّة وخاصّة ثقافات ما وراء البحر في برامجه التّدريسيّة المتعلّقة بالمعاهد والمدارس والأقسام التّربويّة؛

ت. أن لا تكون المازغيّة في مكان تنافس فيه العربيّة، وأن لا تُعطى مكانة أكبر وأعظم من اللّغة الرّسميّة في البلاد؛

ث. أن تلتزم المازغيّة مكانها الصّحيح والمتعارف عليه بين أبناء هذا الوطن وهي لغة التّعاملات اليوميّة البسيطة في محيط جغرافي ضيق؛

ج. أن لا نختزل البربريّة في لهجة واحدة وهي القبائليّة ونبعد باقي الأداءات اللّغويّة، بل يلزم علينا أن نقف بنفس المسافة تجاهها مع اللهجات الأخرى؛

ح. جعل البربريّة في مقام اللّغة الأمّ الشّاملة لكلّ الأداءات ويُعمل على إشراك كلّها بنسب متساويّة دون تفضيل لهجة على أخرى.

خ. أن يكون تعليم وتدريس المازغيّة وفق برنامج تربوي بحيث لا يؤثّر على الاكتساب اللغوي، ولا يتصادم تعليمها مع تدريس العربيّة، وخاصّة في المرحلة الابتدائيّة والحق يُقال أنّه من غير المعقول منطقيا أو علميا أو ديداكتيكيا أن نبرمج ثلاث لغات لطفل في المرحلة الابتدائيّة تزامنا مع اكتسابه للعلوم المختلفة؛

د. لن تكون المازغيّة خطرا على الأمن اللّغوي إذا التّزم أصحابها بالوطنيّة الصّحيحة، وتحلّوا بالعقيدة السّليمة وتولوا الدّفاع عن مقدسات الوطن وهي لغته العربيّة ودينه الإسلام وحدوده الجغرافيّة والتّاريخيّة، أمّا من تصدّر لتقسيم الوطن حسب الصّراعات اللّغويّة واللهجيّة فهذا سيزيد خطرا على اللّغات بشكل عام وعلى المازغيّة خاصّة.

ذ. إبعاد المازغيّة عن الأيديولوجيات الغربيّة وربطها بالدّين الإسلامي وبعادات وتقاليد وأعراف المجتمع.

ر. كتابيّة المازغيّة بالحرف العربي لما فيه من ميزات خاصّة ومرونـــة لاحتـــواء الحروف والأصوات، وخير شاهد التّراث الذي وصـــلنا مـــن الكتـــب والمخطوطـــات المترجمة من العربيّة إلى المازغيّة والمرسومة بالحرف العربي، ويُرجع الموضوعيون من الأمازيغ أسباب الكتابيّة بالحرف العربي إلى:

- صلاحي الحرف العربي مع إمكانيّة تحويره في بعض الأصوات؛
- إنتماء المازغيّة إلى وعاء الحضارة الإسلاميّة، ووجود رصيد معرفي أمـــازيغي دوّن بالحرف العربي خلال عهود الدّولة الإسلاميّة في القرون الوسطى؛
- ارتباط المازغيّة بالإسلام بحكم أنّ النّطاقين بها مسلمون؛
- اقتراض الأمازغيّة الكثير من الألفاظ من العربيّة فيما يخصّ المفاهيم العصريّة
- كسر الحواجز النّفسيّة بين المتعلّمين واللغة الأمازغيّة في حال استعمال الحرف العربي؛
- تجاوز الحرف العربي لحدود الدّولة العربيّة إذ صار مستعملا فـــي عـــدد مـــن الدّول الآسيويّة منذ القرون الوسطى لكتابيّة لغاتها؛

ز. نعمل على ترقيّة المازغيّة من مبدأ أن لا عداء بين اللغة العربيّـــة والمازغيّـــة وأنّهما شريكتان وتتعرضان للاضطهاد نفسه من قبل جهـــات معينـــة لا ترضـــى إلاّ بالفرنسيّة لغة.

س. العمل على نقل الصّراع اللغوي عربي أمازيغي إلى عربي فرنسي، أمـــازيغي فرنسي.

ش. بث روح ومبدأ أنّنا في الجزائر لا نعيش صراعات وحروب لغويّة، فالحمد لله عرفنا ونعرف أنّ العربيّة مكانها التّعليم والإدارة والعلوم الاســـلاميّة وغيرهمـــا مـــن وظائف الدّولة ومعاملات اليوميّة ....وأنّ المازغيّة لغة مشافهة لأفرادها والنّاطقين بها ومن أراد تعلّمها فالمعاهد مفتوحة ليتخصّص فيها وفي ثقافات أجداد أبناء مازيغ.

خاتمة: وفي ختام هذا البحث أود أن أذكر بعض النّتائج وأردفها ببعض التّوصيات:

أ. النّتائج: بقاء المازغيّة إلى يوم النّاس هذا راجع إلى التّزامها بمكانتها الصّحيحة ونأيها عن الصّراعات اللّغويّة.

أي محاولة لنقل المازغيّة من مكانها المألوف عند أبناء هذا الوطن يمكن أن يدخلها فيما يُسمى بحرب اللغات واللهجات.

تعايش العربيّة والمازغيّة جنبا إلى جنب ولم يُنقل لنا أنّهما تصادمتا أو تنافرتا وذلك راجع إلى الوعي اللغوي عند الآباء والأجداد.

المازغيّة في خطر إن لم نقم بحمايتها وترقيتها بالشّروط التي ذكرناها سابقا.

هناك جهات أجنبيّة تريد زعزعة الأمن القومي وذلك بزعزعة الامن اللّغوي والهوياتي.

ب. التّوصيات:

- العمل على رقي المازغيّة بقدر ما تكون ثقافة وتراثاً مشتركاً لجميع الجزائريين وذلك باحترام عقيدتهم ودينهم وأعرافهم وتقاليدهم السّمحة.

- العمل على ابعاد كلّ التّوجهات الإيديولوجيّة والسّياسيّة التي تعمل على اتخاذ اللّغة ذريعة لأعمالها ووجّهاتهم.

- العمل على تصحيح الممارسات غير العلميّة لدى بعض المؤسّسات الوطنيّة.

- تدريس المازغيّة بالمازغيّة وإن كان لابدّ بلغة أخرى فبالعربيّة.

- تعليم المازغيّة بربطها بالتّراث الإسلامي والعقيدة الصّحيحة لا بالتّراث الغربي الفِرنسي.

- العمل على عدم حصر البربريّة في لهجة واحدة وهي القبائليّة وفي منطقة جغرافيّة واحدة، بل يلزم أن تكون جامعة لكلّ اللهجات ولأرجاء الوطن كلّه.

- التّحكّم والرّجوع إلى النّظريات العلميّة اللسانيّة في دراسة المازغيّة، وعدم إقصاء اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة.

- تجنّب الاحتكام إلى العرقيّات والإيديولوجيّات الغربيّة.

- تصحيح فكرة أنّنا نعيش حرب اللغات وصراع اللهجات في أذهان الأجيال القادمة، بل نعيش تكاملاً لغوياً بين العربيّة لغة السّيادة والعلم والدّين والتّواصل وبين المازغيّة لغة التّواصل والإدارة والثّقافة الشّعبيّة....

والحمد لله رب العالمين وأصلّي وأسلّم على رسوله الأمين وعلى صحابته والتّابعين وتابعيهم إلى يوم الدّين.

6. قائمة المراجع:

. أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربريّة الخلفيات والأهداف والوسائل البديلة دار الأمة للنشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، أكتوبر 2011.

. إلياس أبو جودة، الأمن البشري وسيادة الدّول، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1، 2008.

. جميلة روقاب، المصطلح والمفهوم في إشكاليّة التّعايش اللّغوي، ملتقى التّعايش اللّغوي في الجزائر بين العربيّة والأمازغيّة في ظل التعديّل الدّستوري الجديد، 27 /2018/11 المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر.

. حاتم الضّامن، علم اللّغة، بيت الحكمة، جامعة بغداد-العراق، دط، دت.

. رفيق بن حصير ، الأمازغيّة والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا -دراسة حالة الجزائر والمغرب-، رسالة ماجستر، قسم العلوم السّياسيّة، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، 2012-2013.

. سعيد محمود شاكر، الأمن اللّغوي ودور جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنيّة في تعزيزه الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة 9-2014/09/11.

. صالح بلعيد، المازغيّة في خطر، مجلّة الممارسات اللّغويّة، 2011، ع3.

. عاشور الزّهراء، إشكاليّة الهويّة اللغويّة في عصر العولمة -اللّغة العربيّة أنموذجا- دار الهدى للنشر والتّوزيع.

. عبد العزيز مطر، الأصالة العربيّة في لهجات الخليج، علم الكتب، الرّياض 1985م.

. عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح ، الخصائص، النّاشر: الهيئة المصريّة العامة للكتاب الطّبعة: الرّابعة، دت، ج1.

. محمّد زغوا، أثر العولمة على الهويّة الثّقافيّة للأفراد والشّعوب، الأكاديميّة لدراسات الإجتماعة والإنسانيّة.

7. هوامش:

[2]صالح بلعيد، المازغيّة في خطر، مجلّة الممارسات اللّغويّة، 2011، ع3، ص09.

[3]المرجع نفسه، ص27.

[4]عبد العزيز مطر، الأصالة العربيّة في لهجات الخليج، علم الكتب، الرّياض، 1985 ص7

[5]يُنظر: جميلة روقاب، المصطلح والمفهوم في إشكاليّة التّعايش اللّغوي، ملتقى التّعايش اللّغوي في الجزائر بين العربيّة والأمازغيّة في ظل التعدّيل الدّستوري الجديد، 27 /2018/11، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، ص35.

[6]أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، النّاشر: الهيئة المصريّة العامة للكتاب الطّبعة: الرّابعة، دت، ج1، ص34.

[7]حاتم الضّامن، علم اللّغة، بيت الحكمة، جامعة بغداد-العراق، دط، دت، ص32.

[8]سعيد، محمود شاكر، الأمن اللّغوي ودور جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنيّة في تعزيزه الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة 9-2014/09/11، ص59.

[9]للمزيد يُنظر: بحثنا الموسوم: التّعصب اللّغوي وفرض الرّأي الآحاد، وأثرهما على استتباب الأمن اللّغوي والثّقافة والوحدة الوطنيّة الجزائريّة.

[10]محمّد زغوا، أثر العولمة على الهويّة الثّقافيّة للأفراد والشّعوب، الأكاديميّة لدراسات الإجتماعة والإنسانيّة، ص94.

[11] يُنظر: إلياس أبو جودة، الأمن البشري وسيادة الدّول، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، لبنان، ط1، 2008، ص-ص 48-58.

[12]عاشور الزّهراء، إشكاليّة الهويّة اللغويّة في عصر العولمة -اللّغة العربيّة أنموذجا-، دار الهدى للنشر والتّوزيع. ص20.

[13]بلعيد صالح، المواطنة اللغويّة، الجزائر، دار هومه (2008)، ص180.

[14]الميلي محمّد، ابن باديس وعرويّة الجزائر، ص50.

[15]صالح بلعيد، المازغيّة في خطر، ص11.

[16]زيغود هونكة، تاريخ الحضارة الإسلاميّة، منشورات المكتب التّجاري للطباعة، زيغود هونكة تاريخ الحضارة الإسلاميّة، منشورات المكتب التّجاري للطباعة، ط2، 1969م ص63.

[17]أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربريّة الخلفيات والأهداف والوسائل البديلة، دار الأمة للنشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، أكتوبر 2011، ص67.

[18]يُنظر: بن حصير رفيق، الأمازغيّة والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا –دراسة حالة الجزائر والمغرب–، رسالة ماجستر، قسم العلوم السّياسيّة، جامعة الحاج لخضر–باتنة– 2012–2013 ص66.

دور المدرسة في قضايا الازدواجيّة والمواطنة اللّغويتين
ـ تعاصُر وتواصل وتناصر ـ

أ، سعاد مسعودة سايغي

جامعة الجزائر02

الملخّص: تعدّ الازدواجيّة اللغويّة من الميزات التي تتميّز بها بلدان عن غيرها من الدّول الموجودة على سطح المعمورة، حيث تحتوي على جملة من الإيجابيات والسّلبيات، ومن البديهي أن تسعى كلّ دولة تتميّز بها إلى الحدّ من سلبياتها، واستثمار إيجابياتها بما يعود بالخير على أفرادها، والحقيقة أنّ هذا الاستثمار لا يكون إلاّ بتدخّل من المعلّمين والقائمين على العمليّة التّعليميّة، لأنّ تنشئة الطّفل على تقبّل هذه الظّاهرة من صغره سيجعل منه فردا صالحا متفتّحا على ثقافة الآخر، معتزّا بها مادام هذا الآخر أخًا له يتقاسم معه البلد والعادات والتّقاليد والتّاريخ.

Abstract: Linguistic duplication is one of the features that distinguish countries from other countries on the surface of the globe, as it contains a number of pros and cons, and it is evident that each country that is distinguished by it seeks to limit its negatives and invest its positives in a way that is good for its members, and the truth is that this The investment can only be interfered by the teachers and those in charge of the educational process, because bringing up the child to accept this phenomenon from a young age will make him a righteous individual open to the culture of the other, cherishing it as long as this other is his brother who shares with him the country, customs, traditions and history.

الكلمات المفتاحيّة: المعلّم، الازدواجيّة اللغويّة، المواطنة اللّغويّة.

مقدّمة: تعدّ الجزائر من بين أثرى بلدان العالم من النّاحيّة اللغويّة، فلا يكاد المــرء ينتقل من ولايّة إلى أخرى حتى يجد الكم الهائل من الاختلاف بين المتحــدّثين باللغــة فبتعدّد الاتّجاهات تتعدّد اللهجات واللّغات في الجزائر، فهناك عدّة لغات محليّة مستعملة من قبل أفراد المجتمع، نجدها تتعايش وتسير جنبا إلى جنب أمام بعضها، والحقيقــة أنّ هذا التّنوّع لا يعدّ نقمة بقدر ما يعدّ مكسبا لهذا الوطن، ذلك أنّه يجعل أفــراده يعملــون على التّعايش مع بعض ضمن حقل لغويّ ثقافيّ يضمن انتماء كلّ فــرد إلــى الــوطن وارتباطه فكريا ووجدانيا به، من أجل مواجهة التّحــديات الرّاهنــة، ونبــذ الصّــراع ومحاولة إيجاد نوع من التّعايش اللّغويّ. والحقيقة أنّ المدرسة لها دورها في كلّ ذلــك إذ لابُدّ أن يعمل القائمون عليها من أجل إيجاد السّبل التي تجعل التّلاميذ يتعايشون لغويا ويتقبّلون فكرة التّنوّع من الصّغر، كي لا تتكوّن لديهم أفكار سيّئة عن هذه الميزة التــي يتميّز بها وطنهم، ويبدؤون مرحلة جديدة يسعون فيها إلــى تعميــر وتطــوير بلــدهم متفاهمين متسامحين لغويا. ومن أجل كلّ ذلك سنحاول الإجابة عن جملة من الأســئلة من بينها: ما الازدواجيّة اللّغويّة؟، وما إيجابياتها وما سلبيّاتها؟، وما المواطنة اللّغويّــة؟ وما دور المدرسة في إيجاد نوع من التّعايش والتّسامح في هذا الوطن؟.

تعريف الازدواجيّة اللغويّة: قبل البدء في تعريف الازدواجيّة اللغويّة لابدّ لنــا مــن إطلالة بسيطة على مفهوم اللغة، التي تأتي من مادّة (ل، غ، و)، "... واللّغــة: اللســن وأصلها: لغوة فحذفوا واوها وجمعوها على لغات، كما جمعت على لغــوة، واللغــوة: النّطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها..."[1]، أي التي يتواصــلون بهــا، وبواســطتها تتحقّق عمليّة الاندماج الاجتماعي لكونها لفظ يُطلق على اللسان والنّطــق معــا. أمّــا اصطلاحا: فهي" أداة يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[2]، أي أنّها الوسيلة التي يســتطيع بها كلّ فرد إبلاغ الطّرف الآخر عن كلّ مكنونات نفسه وخوالجها، أو يطلب بواسطتها طلبا معيّنا، أو خدمة ما. ويقول ميلر Miller أنّ:" اللغة هي استعمال لرمــوز صــوتيّة مقطعيّة، يعبّر بمقتضاها عن الفكر"[3]. ومن هنا نلاحظ أنّ للغة تعريفات عديدة تعــدّدت بتعدّد آراء الباحثين، ولكنها عموما كلّ ما يستطيع بــه الفــرد التّواصــل مــع غيــره

والتّعبير له عمّا يدور في نفسه من مشاعر وأحاسيس. وهناك من يرى أنّها ما يخرج من الجهاز النّطقيّ للإنسان من أصوات تُرسل منه إلى الجهاز السّمعيّ للمتلقي، الذي يقوم بدوره بمحاولة فهم تلك الرّموز من أجل تشكيل رموز أخرى يتمّ إرسالها إلى الطّرف الآخر، وبهذا تتمّ عمليّة التّواصل اللغوي الذي يكون القصد منه عموم الفائدة على الطّرفين.

وإذا عرّجنا إلى مفهوم الازدواجيّة اللّغويّة سنجد أنّها تأتي من مادّة (ز، و،ج) وجاء في لسان العرب:"... الزّوج خلاف الفرد... وكان الحسن يقول في قوله عزّ وجلّ: (ومن كلّ شيء خلقنا زوجين)، قال السّماء زوج، والنّهار زوج، ويجمع الزّوج أزواجا وأزاويج..."[4]. "... والأصل في الزّوج الصّنف والنّوع من كلّ شيء، وكلّ شيئين مقترنين شكلين كانا أونقيضين فهما زوجان، وكلّ واحد منهما زوج..."[5]. ومادة (ز و،ج) تأتي من"... زاوج الأشياء تزويجا، وزواجا: قرن بعضها ببعض، وفلان امرأة بها جعله يتزوجها... ازدواجا: اقترانا، والقوم تزوّج بعضهم من بعض، والكلام أشبه بعضه بعضا في السّجع والوزن، والشّيء صار اثنين... تزاوجا وازدواجا والقوم ازدوجوا..."[6].

أمّا اصطلاحا فتعتبر الازدواجيّة اللغويّة"... تداخلا في الاستعمال في اللساني في الحياة اليوميّة، وقد ينسحب هذا التّداخل على النّصوص العليا، أدبيّة أو غير أدبيّة إذ يختلط في التّداول والتّخاطب والتّكاتب الفصيح بالعامي، أي اللغة العليا باللغة الدّارجة (العاميّة)"[7]. أي أنّ أهل البلد الواحد يعبّرون بلغة البلد الرّسميّة مختلطة مع لهجة عاميّة، واللغة الفصيحة هي لغة التّعليم والصّحافة، وهي كذلك لغة الكتابة التي تستعمل في التّدوين، أمّا العاميّة فهي بدرجة كبيرة اللغة التي تُستعمل مشافهة بين الأفراد في حياتهم اليوميّة وفي الشّارع وأماكن عملهم، ولا تستعمل بأيّ حال من الأحوال في القراءة والكتابة إلاّ نادرا بين الأفراد، ويمكن أن نضرب لذلك مثالا فيما يسمّى باللغة المستعملة على شبكات التّواصل الاجتماعي، أو ما يسمّى حاليا بلغة الأنس. يقول اللساني الأمريكي شارل فرغيسون:" الازدواجيّة اللغويّة وضع مستقر نسبيا توجد فيه

بالإضافة إلى اللهجات الرئيسة للغة (التي قد تشمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليميّة متعدّدة) إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء كان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضاريّة أخرى، ويتم تعلّم هذه اللغة الرّاقيّة عن طريق التّربيّة الرّسميّة، ولكن يستخدمها أيّ قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتياديّة"[8].
أي أنّ"... مزدوج اللغة يمارس استعمال لغتين وطنيتين بنفس الكفاءة، وأنّ كلّ لغة من لغتي المزدوج تصبح أداة لحمل فكرته، ووسيلة لتمثيل العالم المحيط به"[9].

والحقيقة أنّ عوامل كثيرة تظافرت من أجل ظهور الازدواجيّة على السّاحة اللغويّة والتي من أهمّها: **العامل التّاريخيّ**، ذلك أنّ ظهور مصطلح الازدواجيّة اللغويّة كان حديثا، حيث ظهر على يد العالم الفرنسي ويليام مارسيه سنة 1930م، والحقيقة أنّ العرب عرفوه منذ زمن بعيد، ولا أحد يُنكر أنهم كانوا يتحدّثون بلهجات شتّى، فهم لم ينطقوا لهجة واحدة، بل كان الاختلاف في لهجاتهم ظاهرا وبائنا، إلى غاية نزول القرآن الكريم، الذي اكتشف العرب ورود بعض لهجات قبائلهم فيه. والذي يؤكّد ما قلناه ما أشار إليه ابن هشام إلى أنّ العرب كان يُنشد بعضهم شعر بعض، وكلٌّ يتكلّم على مقتضى سجيته التي فُطر عليها، ومن هاهنا كثُرت الرّوايات في بعض الأبيات[10]. وفي عصر ظهور الإسلام أصبحت هذه اللهجات تزداد قوّة وتأثيرا سلبيا على العربيّة الفصيحة، خاصّة بعد ظهور اللحن، الذي أصبح يهدد هو الآخر اللغة العربيّة، كما يقول ابن خلدون في مقدّمته:"... حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحنا مردودا وصار النّطق بالعربيّة من المعايب معدودا... فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون"[11].

وإضافة إلى العامل التّاريخيّ هناك عامل آخر هو: **العامل الثّقافيّ**: الذي يعود إلى استعمال أهل البلد الواحد للعاميّة، التي تسير جنبا إلى جنب أمام اللغة الرّسميّة الفصيحة، وهذا ما نلمسه في بلدنا: الجزائر، وقد يكون عامل الاستعمار من أكثر العوامل المشجّعة على التّحدّث بالعاميّة وترك اللغة العربيّة: لغة الدّين واللغة الرّسميّة

جانبا، وهذا ما انعكس سلبا عليها، حيث أصبحت فئات كبيرة من المجتمع تتحدّث بالعاميّة، وأصبحت اللغة العربيّة لا تُسمع إلا في كتاتيب تحفيظ القرآن أو في الإذاعات المحليّة التي كان المستعمر يشدّد الخناق عليها، حتى أصبحت العاميّة تستحوذ على الصّدارة لما استسهلها ناطقوها، وجرت على السّنتهم.

<u>الازدواجيّة اللغويّة بين الإيجابيات والسّلبيات:</u> إنّ الحديث عن إيجابيات وسلبيات الازدواجيّة اللغويّة سيقودنا حتما إلى التّعرّف على الظّاهرة وخباياها، واستثمار إيجابياتها في قضيّة التّعايش السّلمي بين اللغات في البلد الواحد، كما أنّ سلبياتها ستقودنا إلى التّعرّف على تلك الثّغرات المُعيقة للتعايش بسلام بين أفراد المجتمع الواحد النّاطقين بلغات متعدّدة، أو بلغة رسميّة تنافسها لهجات محلّيّة.

ولعلّ من أهمّ إيجابيات الازدواجيّة اللغويّة أنّها تدخل في إطار اجتماعيّة اللغة والتي تُعتبر مكسبا تحظى به شعوب دون أخرى، يقول فندريس:" في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة فقد وُجدت اللغة يوم أحسّ النّاس بالحاجة إلى التّفاهم فيما بينهم"[12]، ذلك أنّ الازدواجيّة اللغويّة حاجة اجتماعيّة، وتنوّع ثقافيّ مجتمعيّ، يدعو إلى الرّغبة في التّطلّع إلى ثقافة الآخر، ولن يكون ذلك إلا باكتشاف اللهجة أو اللغة التي يتحدّثها ويتعامل بها. يقول بياجيه:" إن اللغة مؤسسة اجتماعيّة تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد"[13]، والحقيقة أنّ البلد الواحد الذي يتميّز بالازدواجيّة اللغويّة تتعدّد ثقافات مجموعاته، خاصّة إذا كان بلدا يحوي لغة رسميّة مثل: اللغة العربيّة عندنا في الجزائر ولهجات محلّيّة مثل: الأمازيغيّة على تعدّد صفاتها وأشكالها، والعاميّة وغيرها، فإنّ هذا التّنوّع يجب أن يجعل منه مواطنو البلد الواحد مفخرة وثروة لا يُستهان بها، لأنّها تدلّ على تنوّع ثقافيّ مجتمعيّ إنسانيّ.

وكلّ ما كنّا بصدد الحديث عنه من جوانب إيجابيّة للازدواجيّة اللغويّة لا يدعونا إلى إهمال الجوانب السّلبيّة منها، إذ أنّ هناك من يرى أنّ" اللغة عامل انقساميّ في الوطن الذي يتكلّم أبناؤه أكثر من لغة واحدة، فعندما تشعر مجموعة لغويّة بالغُبن في وطنها يتفاقم خطر الانفصال بسبب العامل اللغوي، وتقوى النّزعة الانفصاليّة في وجود

التّفاوت الاجتماعي وانعدام المساواة في فرص العمل، إذ تتحد الأقليات التي تتكلّم اللغة الواحدة في حركات وتنظيمات سياسيّة تعمل على رفع شأن الجماعة ككل، وغالبا ما تكون الجماعة مغلوبة على أمرها في النّواحي الاجتماعيّة والاقتصاديّة لأنّها اللغة الرّسميّة والنّافذة، ممّا يزيد من شعورها بالغُبن"[14]، ومن هنا يمكن أن تخلق هذه الظّاهرة فئات مجتمعيّة متعارضة، من نواح كثيرة، وهذا التّعارض قد يؤدّي بها إلى التّطرّف والتّعصّب والعنف، ويمكن أن ينحو بالمجتمع إلى التّنافر، وبذلك تصبح المجتمعات منقسمة إلى مجتمع سليم وآخر متنافر، وفي هذا يقول كمال بشر:" الفرق بين المجتمع المتكامل السّليم والمجتمع المتنافر المريض هو في تقارب المستويات اللغويّة في الأوّل وتباعدها في الآخر، فتقارب مستويات التّعبير دليل على تجانس المجتمع وتوازن طبقاته، وحيويّة ثقافته، ومن ثم يشير إلى تكامله وسلامته الفكريّة. فمن الثّابت أن العصور التي يسود فيها نوع من التّآلف بين المستويات العلميّة والأدبيّة والعمليّة هي غالبا أزهى العصور وأرقاها. أمّا إذا كان كل مستوى لغوي بعيدا كلّ البُعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام الفكري في المجتمع، وهذا يؤدّي إلى التّدهور والانحطاط والشّيخوخة..."[15].

كما يمكن لهذه الظّاهرة أن تصبح مشكلة كبيرة في المجتمع، لأنّ هذا التّلاقي بين الفصحى والعاميّة قد يتسبب في إضعاف اللغة العليا، بسبب التّنافس الموجود بينهما داخل رقعة ترابيّة واحدة مهما اتسعت مساحتها، لأنّها تمثّل اختلافا لهجيا بين أبناء الجماعة اللغويّة الواحدة[16]، وهناك من يرى أنّها قد تؤثّر في تلاميذ المدارس"... وتفضي بهم إلى لجلجة لغويّة تهدر شطر طاقاتهم الفكريّة وهي رأس المشكلة في تعليم العربيّة لأبنائها"[17].

تعريف المواطنة اللغويّة: المواطنة مأخوذة من الوطن، وهو الرّقعة الجغرافيّة التي تضمّ عددا من النّاس الذين يشتركون في اللغة والدّين والعادات والتّقاليد، وهي الشّعور بالمسؤوليّة اتجاه الوطن، واتجاه أفراده الذين يعيشون فيه من خلال احترام الحقوق والواجبات. أمّا المواطنة اللغويّة فمفهومها لا يختلف اختلافا كبيرا عن مفهوم المواطنة

إذ أنّها إيجاد نوع من التّعايش بين اللغات في المجتمع الواحد الذي يتميّز بالتعدّد اللغويّ أو الازدواجيّة اللغويّة إذ الغرض منها: الاعتزاز باللغات الوطنيّة والعمل على ترقيتها ذلك أنّها جزء من وسائل الحفاظ على الهويّة الوطنيّة وعامل من عوامل تقويتها، ولا يمكن لها أن تتحقّق إلّا بتجنّب التّطرّف، والعمل على تقبّل الآخر، وكلّ ذلك من أجل تحقيق غرض بالغ الأهمّيّة، والذي يمثّل في: التّصدي للغزو اللغوي، وتحقيق شيء من القوّة تكون كافيّة من أجل مواجهة أيّ خطر لغويّ قادم من بلد آخر.

تعريف المدرسة: المدرسة تأتي من مادّة (د، ر، س)،"... ودرس الشّيء والرّسمُ يدرس دروسا: عفا. ودرسته الرّيح: يتعدّى ولا يتعدّى، ودرسه القوم: عفَّوْا أثره والدّرس أثر الدّارس. وقال أبو الهيثم: درس الأثر يدرس دروسا، ودرسته الرّيح تدرسه درسا أي: محته، ومن ذلك درست الثّوب أدرسه درسا، فهو مدروس ودريس أي: أخلقته، ومنه قيل للثوب الخَلَق: دريس... والدّرس: الطّريق الخفيّ... والمِدراس والمِدرس: الموضع الذي يُدرس فيه، والمِدرس: الكتاب... والمُدارس الذي قرأ الكتب ودرسها... والمِدراس: البيت الذي يُقرأ فيه القرآن..."[18].

وهي في الحقيقة المكان الذي يتعلّم فيه التّلاميذ دروسهم، حيث يحتوي على القائمين على عمليّة التّدريس والمتمدرسين، إضافة إلى مجموعة من العمّال الذين يسهرون على سير العمليّة التّعليميّة التعلّميّة، وللمدرسة دور بالغ في عمليّة تربيّة وتنشئة الجيل الجديد، الذي يُعدّ من أجل خدمة الوطن، والعمل على رقيّه ورفعته.

دور المعلّم في تعليم المتمدرسين التّعايش والتّسامح في ظلّ الازدواجيّة اللغويّة:

يمرّ الطّفل بمراحل عديدة يكتسب خلالها لغة وثقافة مجتمعه، فيبدأ بمرحلة الكلمة القائمة، أي: الجملة المؤلفة من كلمة واحدة، ثم ينتقل إلى مرحلة الجملة المختصرة ليصل إلى مرحلة الجملة التّامة، أين يستطيع التّعبير عن احتياجاته بجملة تامّة[19]. وواقع اللغة في المجتمع الجزائري لا يُحسد عليه المتمدرس، فهي تتخبّط بين الفصحى والعاميّة ولهجات أخرى، إضافة إلى تواجد اللغة الأجنبيّة التي خلّفها المستعمر الفرنسي فعاميّة الجزائر متنوّعة بتنوّع الثّقافات واللهجات، وربّما ما خلّفته الحروب التي مرّت

عليها عبر تاريخها، فكلّ الأمم التي مرّت عليها تركت فيها بصمة لغويّة أو بصمات لغويّة لا يمكن محوها.

إنّ وجود لغتين مختلفتين اختلافا كليا في بلدنا الجزائر كالعربيّة والعاميّة –إضافة إلى اللهجات المحلّيّة–يجعل المجتمع الجزائري مجتمعا مزدوج اللغة، وهذا ينعكس على مستويات تفكير أفراده وكلامهم، وحتى مناغاتهم لأطفالهم. وهذا ما يجعل الطّفل منذ سماعه أولى الكلمات من أمّه يسمعها مزيجا من العاميّة والعربيّة الفصيحة وربّما باللهجة الأمازيغيّة على تعدّد أشكالها وأصنافها، فهي تناغيه بالعاميّة، وربّما تغني له أغان بالفصحى. وعندما يتعلّم أوّل ما يتعلّمه العاميّة التي تتواصل بها الأسرة في البيت ويتواصل بها أهل المنطقة التي يسكنها، ذلك أنّها الأسهل مجهودا أو قواعدا لتعلّمها وربّما تسعى الأسرة عند بلوغه سنّ الخامسة إلى تعليمه بعض كلمات اللغة العربيّة الفصيحة من أجل تحضيره لمرحلة ما قبل الدّخول المدرسيّ.

وعند دخوله إلى المدرسة يجد نفسه داخل حجرة درس، يجلس على طاولة يقاسمه إيّاها زميل من الزّملاء، ويجد نفسه وجها لوجه أمام معلّم يحدّثه بلغة عربيّة لا يعرف من تراكيبها شيئا، وما يعرف منها غير معانيها، لأنّها أقرب في الفهم من لغته أو لهجته العاميّة التي نشأ عليها. ويجد المعلّم نفسه أمام عائق كبير في إيصال هذه اللغة التي يسعى المتعلّم إلى اكتشافها باعتبارها المنفذ الذي ينفذ إليه للتحصيل العلمي والمعرفي.

والمتطلّع إلى الواقع اللغوي داخل أسوار المدرسة يجد أنّ اللغة العربيّة الفصيحة تصطدم مع اللهجات المتعدّدة للمجتمع الجزائري، ويجد المتعلّم والمعلّم في أخذ وردّ بين هذه وتلك. فالمتعلّم يجده شغوفا إلى تعلّم لغة فصيحة كان يسمعها في المساجد أو في وسائل الإعلام السّمعيّة البصريّة، ولكنّه يفتقد إلى ممارستها، فهو يسمعها ويفهمها ولا يستطيع التّعبير بها. أمّا المعلّم فيجد نفسه أمام متعلّمين حضروا لا يفقهون في العربيّة الفصيحة غير معانيها، فيقع على كاهله مهمّة تعليمهم هذه اللغة، بل ومهمّة جعلهم يتواصلون بها على الأقل داخل حجرة الدّرس. فمهمّته ليست باليسيرة، بل

ستعترضه عدّة عوائق عانت وتعاني منها المدرسة الجزائريّــة، مــن أهمّهــا مشــكلة الاكتظاظ داخل الأقسام، التي تجعل المتعلّمين يتحدّثون لا محالة بالعاميّة، فلا يســتطيع المعلّم التّحكّم في عدد الأفواه النّاطقة بها، ولا يستطيع في كلّ مرّة بل وفي كــلّ حــين توجيه ملاحظات عن عدم التّحدّث بغير العربيّة الفصيحة داخل القسم، زد علــى ذلــك الاكتظاظ في القسم يسبب مشكلة عدم الاستيعاب للمتعلّمين، ومشكلة عدم القدرة علــى منح الفرصة لكلّ متعلّم في أخذ الكلمة والتّعبير باللغة العربيّة الفصيحة.

إنّ المتعلّم ما هو إلا كائن متأثّر بكل من حوله، وأكبر شخصيّة يمكنها التّأثير عليــه بعد والديه هي شخصيّة المعلّم، لأنّه مثله الأعلى، خاصّة في المرحلة الابتدائيّــة أيــن تتشكّل تلك الرّابطة القويّة بينهما، فيقوم المعلّم باستغلال ذلك من أجــل تعلــيم الطّفــل الصّغير لغته العربيّة الفصيحة، فيبدأ بتعريفه بمسميات الأشياء حتى يتسنى له اســتعمال ما تعلّمه فيما بعد، "... فتعليم اللغة إنّما هو تخزين معان متنوّعــة المســتوى والمــدى والمجال، لأنّ الأجدر بالاهتمام ليس كيف يتعلّم الأصوات اللغويّة، إنّمــا كيــف يــتعلّم المعاني"[20]، أو بالأحرى تعلّم توظيف هذه المعاني، وجعلها في جمل تامّــة صــحيحة ومفهومة.

وإلى جانب مهمّة التّعليم تقع على عاتق المعلّم مهمّة أخرى بالغة الأهميّة تتمثّل فــي تربيّة النّشء على المواطنة اللّغويّة، إذ لابدّ أن يُربّى الطّفل من نعومة أظفــاره عليهــا ذلك أن تربيته عليها من الواجبات الأساسيّة على الأسرة والمدرسة على حدّ سواء، لأنّ دور الأولى تكمّله الثّانيّة، وكلّ هذا من أجل تحقيق هدف أسمى هو غرس روح المحبّة لأوطانهم ولكلّ فرد يعيش أو يتعايش معهم، مهما كانت اللهجة أو اللغة التــي يتحــدّث بها، مادام جزائريا تربط بينه وبين أفراد الوطن روابط الدّين واللغة والانتماء إلى رقعة جغرافيّة واحدة، إضافة إلى وحدة التّاريخ المجيد الذي عرفته البلاد، وتعاون مواطنيهــا على اختلاف السّنتهم في صُنع هذا التّاريخ ، متخطّين كل عقبات الاختلاف، وســائرين نحو هدف واحد، متمثّل في تحرير الوطن في فترة الاستعمار، والإســهام فــي بنائــه وتشييده بعدها.

والواقع أنّ للمدرسة دوراً كبيراً وهامّاً في تربيّة أبنائنا على قيم المواطنة اللغويّة لأنّ سياسة التّعليم في الجزائر تسعى إلى"... تكوين مواطن مزوّد بمعالم وطنيّة أكيدة ومتمسّك بعمق بقيم المجتمع الجزائري، وباستطاعته فهم العالم الذي يحيط به، والتّكيّف معه والتّأثير فيه، والتّفتّح بدون عقدة على العالم الخارجيّ"[21]، ومن تعلّم قيم المواطنة تنتقل المدرسة إلى تعليم النّشء قيم المواطنة اللغويّة، التي تتمثّل في إبرازها التّنوّع اللغوي الذي تعرفه بلادنا، مشيرة إلى ضرورة اعتباره مكسبا تحظى به الجزائر وبعض الدّول الأخرى دون غيرها من البلدان، وكلّ هذا يتمّ عن طريق المواد التي يقوم المعلّمون بتدريسها للمتعلّمين، إضافة إلى النّوادي المدرسيّة التي تخلق جوّا من الاندماج والوحدة في كلّ المناسبات الوطنيّة والعالميّة، والتي يسعى القائمون عليها من خلال الأنشطة والاحتفالات بالأيام والمواسم والمناسبات إلى غرس روح المواطنة اللغويّة، ففي مناسبة عيد الاستقلال تقام احتفالات على مستوى المدارس لتذكُّرِ هذه المناسبة التي تحمل معاني الوحدة والقوّة، والتي تغرس في المتعلّمين ضرورة مواصلة الطّريق التي شقّها الآباء والأجداد، ففيها تقيم النّوادي الثّقافيّة المدرسيّة نشاطات تربويّة تتمثّل في المعارض والمسرحيات التي تكون باللغة العربيّة والأمازيغيّة إضافة إلى العاميّة، مع إدخال اللغة الفرنسيّة في مسرحيات وأناشيد وطنيّة تحمل معاني الوحدة والتّضامن والتّكافل، إنّ مثل هذه النّشاطات تنمي في فكر تلاميذنا الصّغار روح المحبة والشّعور بالانتماء إلى البلد الواحد رغم وجود كثير من التّنوع اللغوي فيه. ثم إنّ هذا التّنوّع لا يجب أن يشكّل عائقا عن طلب العلم والتّفوّق والعمل من أجل رفعة الوطن فعوض اعتباره اختلافا لابدّ من اعتباره تنوّعا يحظى بكثير من الجمال والتّفاصيل الرّائعة التي يجب أن تسعى المدرسة إلى تبيانها وتحبيبها إلى المتعلّمين حتى تترسخ في أذهانهم وتبدو لهم أمرا طبيعيا عاديا عندما يكبرون، بل وتبدو لهم شيئا ملهما للنهوض بهذا البلد الأبيّ، ومحاولة الاستفادة من كلّ تنوّع فيه من أجل جعله في مصاف الدّول المتقدّمة.

إنّ معرفة المعلّم للمراحل النّمائيّة التي يمرّ بها المتعلّمون، ومشاكلهم واحتياجاتهم النّفسيّة والتّعليميّة، تسهّل عليه مهمّة ربطهم بمصطلح المواطنة اللغويّة وذلك بهدف جعل المتعلّم يتقبّل الآخر مهما كان مختلفا عنه، ويبتعدّ عن كلّ تعصّب وتطرّف يمكن أن يحصل نتيجة التّنوّع اللغوي الموجود في المجتمع، وأنّه من الضّروري جعل الازدواجيّة اللغويّة نمطاً سلوكياً لغويّاً إيجابياً. ثمّ إنّ إشراك المعلّم المتعلّمين في النّشاطات المدرسيّة المتمثّلة في المشاركة في المناسبات الوطنيّة والدّينيّة عن طريق الإسهام في الكتابة في المجلات الحائطيّة، والمجلات الورقيّة التي تُصدرها المؤسّسة التي يدرّسون فيها، والتي تكون من أعمالهم وإنجازاتهم الخاصّة، سيعمل على ربطهم بموروثهم الثّقافيّ، الذي تظهر فيه التّنوّعات اللغويّة واللّهجيّة للبلد الذي يعيشون فيه ومن هنا يعمل على جعلهم يتقبّلون كلّ هذا التّنوّع، فمثلا فكرة جعلهم يُنشئون قاموسا أمازيغيا في مناسبة يناير تدفع من يحسنون الأمازيغيّة إلى إنجازه، ثمّ إنّها تجعل غير العارفين بها يسعون إلى التّعرف عليها، وربّما إلى البحث عن كلمات أخرى لإثراء القاموس اللغويّ الجديد الذي لم يكونوا ليتعرّفوا عليه لولا إشارة المعلّم إليه.

إنّ المتعلّم في المحيط المدرسي هو في الحقيقة داخل محيط يمثّل المجتمع وتعلّمه للمواطنة اللغويّة في هذا المحيط وأخذه الأساسيات الأولى عنها يُسهّل عليه التّعامل معها في المحيط الخارجي وتقبّله لفكرتها من نعومة أظفاره من معلّم كفء يصنع منه مواطنا صالحا، ذا فكر متفتّح على الثّقافات الأخرى، مهما كان نوعها مادامت لا تخالف عاداته وتقاليده. ثمّ إنّ نجاح المعلّم في بث روح المواطنة اللغويّة في نفوس المتمدرسين يعمل على جعلهم يشعرون بالانتماء إلى الجسد الواحد، ويحسون بضرورة التّسامح والتّعايش بسلام.

خاتمة: وفي نهايّة هذا البحث المتواضع يمكن لنا أن نستنتج بعض الاستنتاجات والتي تتمثّل فيما يلي:

- الازدواجيّة اللغويّة ظاهرة تتميّز بها دول عن غيرها، وتتمثّل في: تداخل استعمال لغة رسميّة وع لغات أو لهجات أخرى في البلد الواحد؛

- من أهمّ عوامل ظهور الازدواجيّة اللغويّة: العامل التّاريخيّ والعامل الثّقافيّ وغيرهما...؛

- من أهمّ إيجابيات الازدواجيّة اللغويّة أنّها تعبّر عن تنوّع لغويّ مجتمعيّ فريد من نوعه، يعبّر عن تعدّد الثّقافات في البلد الواحد؛

- من أشدّ سلبيات الازدواجيّة اللغويّة أنّها قد تفضي إلى الاختلاف والتّعصّب بل والتّطرّف والعنف بين أفراد المجتمع الواحد؛

- المواطنة اللغويّة تعني إيجاد شيء من التّعايش بين اللغات واللهجات الموجودة بين أفراد البلد الواحد، الذي يتميّز بالتعدّد اللغوي أو الازدواجيّة اللّغويّة؛

- المدرسة هي المكان الذي يتعلّم فيه المتعلّمون دروسهم الأولى، ويأخذون عن أساتذتهم أصول التّربيّة والتّنشئة المفيدة لهم، والتي تعمل على بناء شخصياتهم، من أجل إعدادهم كأفراد صالحين خادمين لأوطانهم؛

- المعلّم بخبرته وبحبّه لمهنته وللأجيال التي يعمل على تنشئتها، تقع على عاتقه مهمّة ربط هذه الأجيال بحاضر بلدها وماضيه ومستقبله، عن طريق جعلها متقبّلة للواقع اللغوي الذي يتميّز بالتّنوّع والازدواجيّة، من أجل إخراجه لمجتمعه ينظر إلى إخوانه ممن يتميّزون عنه بلغة أو لهجة أخرى نظرة الرّضا والتّقبّل، ماداموا جميعهم مواطنين تربطهم بهذا البلد روابط الدّم والتّاريخ والعادات والتّقاليد، وتقع عليهم مهمّة واحدة تتمثّل في الحفاظ على أسوار البلد قويّة منيعة ضدّ أيّ غزو لغويّ أو ثقافيّ دخيل.

ثبّت المصادر والمراجع:

1-إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلاميّة للنشر والتّوزيع دط دت.

2-ابن جنّي، الخصائص، دار الكتب المصريّة، مصر، 2006م.

3-ابن خلدون عبد الرّحمن بن محمّد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط4، دت.

4-ابن منظور أبو الفضل جمال الدّن محمّد بن مكرم ت711هـ، لسان العرب، دار الفكر/ دار صادر، لبنان، ط1، 1990م.

5-أندري مارتيني، الثّنائيّة الالسّنيّة والازدواجيّة الالسّنيّة، دعوة إلى رؤيّة ديناميّة للوقائع تر: نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد11، 1990م، مركز الإنماء القومي بيروت، لبنان.

6-جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، دط، 1950م.

7-حسني عبد الباري، تعليم اللغة العربيّة في المرحلة الابتدائيّة، مركز الاسكندريّة للكتاب مصر، دط، 2005م.

8-حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النّفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر، ط5، 2003م.

9-سمير شريف استيتيّة، اللسانيات والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1 2000م.

10-السّيوطي عبد الرّحمن جلال الدّين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح: محمّد أحمد جاد المولى بك، مكتبة دار التّراث، القاهرة، مصر، ط3، دت.

11-عبد السّلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس دط 1986م.

12-على القاسمي، العربيّة الفصحى وعاميتها في السّياسة اللغويّة، أعمال النّدوة الدّوليّة الفصحى وعاميتها، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، 2008م.

13-القانون التّوجيهي للتربيّة الوطنيّة(2008م)، وزارة التّربيّة الوطنيّة، الجزائر.

14–كمال محمّد بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب، القاهرة، مصر دط دت.

15–محمود أحمد السّيّد، اللغة العربيّة تدريبا واكتسابا، دار الفضيل الثّقافيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1388هـ.

16–مشتاق عبّاس معن، المعجم المفصّل في فقه اللغة، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان دط.

17–ميشال زكرياء، قضايا السّنيّة تطبيقيّة دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقارنة تراثيّة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

18–نهاد الموسى، الثّنائيات في قضايا اللغة العربيّة–من عصر النّهضة إلى عصر العولمة–، دار الشّروق للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنّشر، لبنان، ط1، 1990م، دار الفكر مج13، ص214.

[2]– ابن جنّي، الخصائص، دار الكتب المصريّة، مصر، 2006م، ج1، ص33.

[3]– محمود أحمد السّيّد، اللغة العربيّة تدريبا واكتسابا، دار الفضيل الثّقافيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1 1388هـ، ص12.

[4]– ابن منظور أبو الفضل جمال الدّن محمّد بن مكرم ت711هـ، لسان العرب، دار الفكر/ دار صادر، لبنان ط1، 1990م، مج2، ص241

[5]– ابن منظور، لسان العرب، مج2، 292.

[6]– ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلاميّة للنشر والتّوزيع، ص405.

[7]– مشتاق عبّاس معن، المعجم المفصّل في فقه اللغة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط ص38–39.

[8]– علي القاسمي، العربيّة الفصحى وعاميتها في السّياسة اللغويّة، أعمال النّدوة الدّوليّة الفصحى وعاميتها المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، 2008م، ص37.

[9]– أندري مارتيني، الثّنائيّة الالسّنيّة والازدواجيّة الالسّنيّة، دعوة إلى رؤيّة ديناميّة للوقائع، تر: نادر سراج مجلة العرب والفكر العالمي، العدد11، 1990م، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان ص33.

[10]– السّيوطي عبد الرّحمن جلال الدّين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح: محمّد أحمد جاد المولى بك، مكتبة دار التّراث، القاهرة، مصر، ط3، ج1، ص261

[11]– ابن خلدون عبد الرّحمن بن محمّد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان ط4 ص560.

[12]– جوزيف فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، مصر، دط، 1950م، ص35.

[13]– عبد السّلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، دط، 1986م ص161.

[14]– ميشال زكرياء، قضايا السّنيّة تطبيقيّة دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقارنة تراثيّة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص14.

[15]– كمال محمّد بشر، علم اللغة الاجتماعي مــدخل، دار غريــب، القــاهرة، مصــر، دط، دت ص128.

[16]– انظر: سمير شريف استيتيّة، السّانيات والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحــديث، الأردن، ط1 2000م ص66.

[17]– نهاد موسى، الثّنائيات في قضايا اللغة العربيّة–من عصر النّهضة إلى عصر العولمــة–، دار الشّروق للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م، ص127.

[18]– لسان العرب، ابن منظور، ج16، ص1359–1360.

[19]– انظر: حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النّفس اللغوي، ديــوان المطبوعــات الجامعيّــة الجزائر، ط5 2003م، ص137.

[20]– انظر: حسني عبد الباري، تعليم اللغة العربيّة في المرحلة الابتدائيّــة، مركــز الاســكندريّة للكتاب، مصر دط، 2005م، ص35.

[21]– القانون التّوجيهي للتربيّة الوطنيّة(2008م)، وزارة التّربيّة الوطنيّة، الجزائر، ص09.

حركيّة المازيغيّة في الجزائر
بين الحضور التاريخي والبعد السّياسي والفعل البيداغوجي

أ. سميرة بن جدو
أ. وفوزيّة خميسي
جامعة الشاذلي بن جديد – الطّارف-

المقدّمة: تعدّ القضيّة الأمازيغيّة من بين أهم القضايا المطروحة مؤخرا في السّاحة السّياسيّة والثّقافيّة والتّربويّة في الجزائر، ذلك أنّها تمثل اللغة الأصليّة التي يتداولها قرابة خمسة عشر مليون متكلّم في شكل تلوّنات لهجيّة مختلفة، وقد طفت إلى السّطح في السّنوات الأخيرة قضيّة وطننة اللغة المازيغيّة وترسيمها باعتبارها مكسبا وطنيا يجب الاعتزاز به، ولعلّ أهم بوادر هذا الاعتراف هو فكرة تداولها في المؤسّسات التّربويّة لأنّ المدرسة هي أهمّ لبنات بناء الشّخصيّة في المجتمعات المدنيّة، وبها يتسنى نقل النّسق الفكري والهويّاتي لأيّة لغة، هذا فضلا عن الحضور الذي تحظى به الأمازيغيّة في الصّرح التّاريخي والثّقافي والسّياسي في الجزائر، فما هو موقع اللغة الأمازيغيّة بين هذه الأبعاد الثّلاثة؟ وكيف يمكن رصد مسارها المستقبلي وهي لغة أقليّة معينة بين وضعها السّياسي والثّقافي وبين حضورها في المدرسة الجزائريّة؟

سنحاول في هذه الورقة البحثيّة أن نسلّط الضّوء على جوانب هذا الموضوع مبرزين مكانة المازيغيّة في هذه الميادين ومدى تأثيرها على بعضها.

1. **اللغة الأمازيغيّة:** يذهب الباحث صالح بلعيد إلى أنّ كلمة "الأمازيغيّة" خطأ شائع، لأنّ الكلمة في أصلها من النّاطق الأوّل (مازيغ بن مصريم بن كنعان بن نوح) وعند النّسبة في العربيّة للذكر تضاف ياء مشدّدة : مازيغيّ وللمؤنّث ياء مشدّدة وتاء مربوطة: مازيغيّة والألف في القبائليّة تستعمل للتذكير في المفرد (أ مازيغ) وذات الهمزة تصبح مكسورة في الجمع (إيمازيغن) وتسقط في التّأنيث (ثامازيغت)

(ثيمازيغن) ولا يصحّ أن نقول (ثأمازيغيت) أبدا، فالألف الزّائدة في بدايّة التّسميّة ألـف وهميّة مترجمة من الفرنسيّة (Amazighité) والأصح استعمال: المازيغيّة/المازيغيّات[1].

تجمع جل البحوث على أنّ اللغة الأمازيغيّة متفرعة من اللغات السّاميّة وهي "اللغـة التي ينطق بها سكّان شمال إفريقيا بالخصوص، فهي لغة جامعة للغات البربر ولكنّها لم تتجسّد في لغة التّراث بل هي شيء مجرّد، وحتى إن وجدت فهي لغة ميّت وما يوجـد الآن هو كلام هذه اللغة أو لهجاتها"[2] التي تتنوّع بتباعد مناطق ساكنيها ويقـع التّبـاس الفهم بينها لغياب المرجعيّة الكتابيّة الأولى "وتتواجد في قارة آسـيا وإفريقيـا وأروبـا وتحمل خصوصيات كتابيّة تعود إلى ثلاثة آلاف سنة، وبقيت آثارها على شكل نقـوش ماتزال تشهد عليها وتحمل اسم نقوش التيفيناغ التي تحولّت إلى كتابة التّيفيناغ المستمدّة من الحرف الفينيقي"[3].

أمّا عن العلاقة اللغويّة القائمة بين العربيّة والأمازيغيّة، فقد ذهـب الباحـث محمّـد المدلاوي في مقال له حول مبادئ المقارنة اللغويّة السّاميّة الحاميّة إلى إمكانيّة اعتبـار الأمازيغيّة متفرّعة مباشرة من اللغات السّاميّة، ويرى أنّه بالإمكان الوصول إلى إعـادة بناء اللغة السّاميّة الأمّ انطلاقا من المقارنة بين اللغة العربيّة القديمة واللغة الأمازيغيّـة[4] وقدّم لذلك أمثلة عديدة ومنهجيّة علميّة دقيقة للتوصّل إلى إعادة بنـاء الإرث المشـترك بين اللغتين.

في حين اتّجه بعض الباحثين اتجاهاً آخر، من بينهم أحمد بوكوس، الـذي رأى أنّ الأمازيغيّة ليست حاميّة ولا ساميّة وإنّما لغة مستقلة بذاتها[5]، وما نظنّـه نحـن هـو أنّ التّفاعل اللغوي بين العربيّة والأمازيغيّة برز بوضوح بعد حملة الفتوحـات الإسـلاميّة فتعرّب بعض الأمازيغ وتمزغ بعض العرب, وبقي الأمـازيغ الأقحـاح يسـتعملون كلمات عربيّة في مجال الدّين والعبادات وأخرى لاتينيّة في مجـال التّجـارة والعمـل وتأثير الأمازيغيّة واضح أيضا في اللهجات العربيّة المغاربيّة، وتلك نتيجـة لا تـدعو إلى الحيرة بعد مضي قرون طويلة من التّفاعل والتّبادل بين اللغتين على السّنة النّاطقين الأصليين لكلّ لغة.

2. **المازيغيّة في الجزائر بين الحضور التّاريخي والبعد السّياسي:** برزت في العقود الأخيرة فضلا عن الصّراع اللغوي التّقليدي في الجزائر بين النّخبة المعرّبة والنّخبة المفرنسة؛ نخبة ثالثّة تدافع عن الانتماء الأمازيغي، فأسهمت في تطعيم المسألة اللغويّة وزادت من حدّتها، وتشير معظم الدّراسات المعنيّة بالتّأسيس للمسألة الأمازيغيّة في الجزائر إلى أنّ الممتلك الأوّل لسلطة القرار أصرّ منذ بدايات الاستقلال على تجاهل البعد الهويّاتي الأمازيغي للشعب الجزائريّ وذلك حين تجاوز بعدها التّاريخي والثّقافي واختزل مقوّمات الهويّة الجزائريّة في العروبة والإسلام، وهذا ما أكّده عبد الرّحمان شيبان باعتباره عضوا في المجلس الوطني التّأسيسي في الفترة ما بين (1962-1964م) حين أفاد بما يأتي" كان المجلس المكلف بصياغة الدّستور منقسما إلى تيّارين، الأوّل كان إسلاميّاً والثّاني كان شيوعيّاً، وعندما طرحت قضيّة الإسلام واللغة العربيّة، طرح التّيار الشّيوعي فكرة أنّ الإسلام دين الشّعب، والعربيّة كذلك لغة الشّعب وليس الدّولة، لكنّ التيار الإسلامي عارض هذا الطّرح، واستطاع أن يفرض الإسلام دينا للدولة، والعربيّة لغة الجزائر الرّسميّة"[6]، ففي ذلك الحين لم يكن هناك تيّار ثالثّ أثار فكرة البعد الأمازيغي للهويّة الجزائريّة، أو دافع عن اللغة الأمازيغيّة باعتبارها لغة رسميّة أو حتى لغة وطنيّة، ومع مطلع التّسعينات عرفت اللغة الأمازيغيّة في الجزائر تحسّنا ملحوظا بعد حركة الأمازيغ – مايعرف بالرّبيع الأمازيغي- التي جاءت كردّ فعل ناتج عن هذا الإقصاء الواضح من المشهد الثّقافي والسّياسي غداة الاستقلال، فتجاوبت المؤسّسات الرّسميّة للدّولة مع المطلب الأمازيغي بإنشاء المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة بموجب المرسوم الرّئاسي الصّادر بتاريخ: 28 /05 /1995م والذي نصّ على ضرورة التّفتح على اللغة الأمازيغيّة باعتبارها إحدى مكوّنات الثّقافة والهويّة الوطنيّة لكل الجزائريين، وبموجب هذا القرار بدأت اللغة الأمازيغيّة تُدرّس اختياريا في مناطق محدّدة، وبعدما أكّد رئيس الجمهوريّة السّابق "عبد العزيز بوتفليقة" في عهدته الأولى على هامش خطاب ألقاه على سكان ولايّة تيزي وزو، بأنّه لا يمكن ترسيم اللغة الأمازيغيّة إلاّ من خلال استفتاء رسمي للشّعب الجزائري، عاد وتراجع

عن ذلك، وتمّ الاعتراف بالأمازيغيّة كلغة وطنيّة في دستور 2008م، ثمّ رُفعت إلى مصاف لغة رسميّة ثانيّة في دستور 2016م "وهذا حلّ جيّد ومكسب وطني نعتزّ به ويجب أن نعمل على الاحتفاظ به وترقيته، وأن تعمل المؤسّسات وجمعيات المجتمع المدني على إثراء هذا الرّصيد المعرفي والتّراثي المكمّل للشخصيّة الوطنيّة التي تتكامل فيها المازيغيّة والإسلام والعروبة"[7].

تنقسم المجموعات اللغويّة الأمازيغيّة الموزّعة على التّراب الجزائري كما يلي[8]:

1) القبائل (الزّواوة): يبلغ تعدادهم ما لا يقلّ عن سبعة ملايين نسمة، يتحدّثون اللهجة القبائليّة في منطقة القبائل الكبرى والصّغرى التي تغطي الولايات الآتيّة: تيزي وزو، البويرة، بجايّة باستثناء دائرة خراطة التي تستعمل فيها القبائليّة ممزوجة بالعربيّة، وأجزاء من برج بوعريريج و بومرداس وسطيف وجيجل، ولهم حضور كبير في العاصمة، إذ كانوا يشكلون 60% من سكّانها في عهد الاحتلال.

2) الشّاوية: يستقرّون في الأوراس ويبلغ تعدادهم حوالي مليون نسمة، وتنتشر هذه اللهجة في باتنة وخنشلة وأمّ البواقي وجزء من بسكرة وتبسّة وسوق أهراس.

3) الطّوارق: يستعملون اللهجة التّرقية/ الهوقاريّة ويتواجدون في ولايات الجنوب: إليزي وتمنراست والتّاسلي وأدرار وبشّار وتندوف.

4) المزابيّة: ولايّة غردايّة (منطقة بني يزقن).

5) الشّنويّة (الشّلوح): تشمل أجزاء من ولايتيّ تيبازة والشّلف (بني حوا على الخصوص).

وعلى قدر هذا التّنوع اللهجي والاتّساع الجغرافي والامتداد التّاريخي الذي تشهده اللغة الأمازيغيّة، إلاّ أنّها لم تلتحق بعد بالرّكب اللغوي الذي تسير فيه العربيّة والفرنسيّة ويُردّ ذلك ربّما إلى أنّ الاعتراف بها رسميّا جاء متأخّراً نسبيّاً، ويتبّث التّاريخ أنّ سببه سياسيّ خالصّ، تمتدّ جذوره إلى الفترة الكولنياليّة والخطّة التي انتهجها المستعمر في زرع الخصومة بين العرب والأمازيغ، ما أدّى إلى نشأة هذا الصّراع حول استعمال الأمازيغيّة؛ إمّا على المستوى الرّسمي أو التّربوي وحتى في الميادين العامّة؛ الثّقافيّة

والاجتماعيّة، فهذا الصّراع لم يُسجل في فترة ما قبل الاحتلال، بل إنّ الأمازيغ قد تفاعلوا مع العرب الفاتحين وعرّبوا أنفسهم طوعا نتيجة انجذابهم للإسلام، يقول هشام جعطيط في هذا الصّدد "تفاعل المسلمون الأوائل مع البربر بسبب الجاذبيّة والفاعليّة للمقدس، لكنّ الأسلمة التّدريجيّة والبطيئة لم يرافقها تعريب لغوي سريع"[9] خاصّة بالنّسبة للهجات التي حافظت على أصواتها الأولى ولم تتعرّض للدخيل لكونها تابعة للمناطق الصّحراويّة المعزولة أو الجبليّة العاليّة كالتّرقيّة والقبائليّة، فاستغلّ المحتلّ هذا الاختلاف اللغوي وبذل جهودا مضنيّة لغرس التّنافر بغرض تفكيك الوحدة الوطنيّة وبقيت هذه التّراكمات السّلبيّة مؤثّرة على السّياسة اللغويّة الجزائريّة بعد الاستقلال وتمظهرت على شكل صراعات معلنة أحيانا ومضمّرة أحيانا أخرى، و"تجلّت في محاولة تثبيت الأمازيغيين للغة الأمازيغيّة مع منع انتشار اللغة العربيّة في مناطقهم على الأقل بمنع الأجيال من ممارستها وتداولها، على اعتبار أنّ عروبة وإسلام الجزائر معطيات تاريخيّة متأخّرة والأمازيغيّة هي اللغة الأصليّة الوحيدة للمغرب العربي عامّة والجزائر خاصّة فيما دافعت الفئة المعرّبة عن الهويّة العربيّة فقط معتبرة الأمازيغيّة نزعة انفصاليّة خاصّة لم تبلغ المجتمع العام، وترتبط بالنّخب الفرنكوفونيّة وتهدّد وحدة المجتمع"[10] هذا فضلا عن كونها لغة شفاهيّة غير مكتوبة، الأمر الذي منعها أن تكون لغة للتعليم كنظيرتيها، فالأمازيغيّة لا تمتلك مقابلات لكلّ المصطلحات العلميّة (الأدبيّة أو التّقنيّة) كما هو الحال مع اللغة العربيّة أو الفرنسيّة، ولذلك لا تُدرّس إلاّ للاستعمال وفي ولايات محدّدة، ولا يُعنى بها لسانيا لأنّها تفتقر إلى التّدوين، ومن هنا لا نجدها تنتشر بكثرة في المجالات الحيويّة الكتابيّة الرّسميّة وغير الرّسميّة كالقوانين والمواثيق والصّحافة والوثائق الإداريّة، ولكن نجدها في بعض المجالات الشّفويّة، خاصّة في المناسبات التي تُقام بين النّاطقين بها، كما خُصّصت لها قنوات تلفزيونيّة خاصّة ناطقة باللهجات الأمازيغيّة (المزابيّة والشّاويّة)، بالإضافة إلى القناة الإذاعيّة الثّانيّة (النّاطقة بالقبائليّة) والتي تبث برامج متنوعة (دينيّة وإخباريّة وثقافيّة وفكاهيّة).

3. **<u>المازيغيّة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة:</u>** إنّ مسألة إدخال اللغة الأمازيغيّة إلى المدرسة الجزائريّة أمر يهم جهات متعدّدة فإدماجها هذا يعني جعلها في المنظومة التّربويّة الوطنيّة لغة فاعلة تؤثّر بكلّ خصوصياتها في المتلقّي(المتعلّم)، ولذلك رأى صالح بلعيد أنّه يجب أن نعرف في البدايّة إن كنّا نريد لهذه اللغة أن تكون وسيلة ثقافيّة تعليميّة، أيّ تخضع للنمط التّعليمي مثلها مثل اللغة العربيّة، أمّ وسيلة ثقافيّة فقط، فإذا كان المقصود من هذه اللغة في ما يستقبل من الزّمان أن تكون لغة ثقافة، فهذا أمر يختلف عن ترسيمها في المدرسة، لأنّ لغة الثّقافة ليست لها متطلّبات وطنيّة ودوليّة... وأمّا أن تكون اللغة الرّسميّة فلها تبعات وطنيّة ودوليّة تترتّب على عاتق الدّولة والدّولة خير من يحرص على تطبيق تلك التّبعات الدّاخليّة والخارجيّة بحكم النّصوص التّشريعيّة التي تعمل على حمايتها[11].

فلا شكّ أنّ قرار تدريس اللغة الامازيغيّة في المؤسّسات التّعليميّة إذاً لم ينشأ من عدم، بل سبقته ارهاصات أوليّة شكلت مرجعيّة سياسيّة يستمدّ منها مشروعيّته ومن ذلك فإنّ الحكومة قد بادرت بعد قرار ترسيم الأمازيغيّة في الدّستور، السّماح بتدريسها في المؤسّسات التّعليميّة للنهوض بها وبالثّقافة الأمازيغيّة بصفة عامّة، ليمثّل ذلك اعترافا حقيقيا بأنّ الأمازيغيّة مكوّن أساس من مكوّنات الشّخصيّة الوطنيّة الجزائريّة وقد استطعنا أن نتبيّن من خلال هذا أهمّيّة القرار السّياسي في تفعيل هذه المبادرة التي تجعل الأمازيغيّة ترتقي إلى لغة المدرسة أيضا بعد أن كانت تمثّل لغة الحياة اليوميّة فقط.

وتحتاج اللغة الأمازيغيّة لكي تدخل إلى المنظومة التّربويّة الجزائريّة توفّر مجموعة من الخصائص، قسّمها الباحث صالح بلعيد إلى ثلاثة روافد أساسيّة، يمكن أن نلخصها في ما يلي[12]:

- **<u>الرّافد العلمي:</u>** إذ يجب أن تتوفّر في اللغة مجموعة معطيات حتى تنال النّصيب الأوفر ضمن معطيات اللغات الحيّة والعالميّة ومنها:

✓ تتميط حروفها تتميطا آليا، بحيث تدخل مجال الآليّة بشكل يسترعي خصوصياتها؛

✓ أن تنال نصيبها من التّواصل العالمي؛ حيث يكون لها الجمهور العالمي الذي يجعل منها لغة التّواصل العالمي؛

✓ الانفتاح على العالميّة من موقف القوّة، وموقف الإسهام والإبداع وتطوير الموجود، أخذا بالمبدأ المعروف: أن تتأثّر وتؤثّر (الأخذ والعطاء) وفي هذه النّقطة تحديدا يجب أن يكون لنا موقعنا من المتغيّرات من خلال الحريّة التي تتيح للغة أن تتفاعل مع المجتمع داخل منظومة العلاقات الإنسانيّة بوصفها تعبيرا عن الذّات ومرجعا للحفاظ على تلك الذّات وسط المتغيّرات والعولمة.

- **<u>الرّافد الحكومي:</u>** يتمثّل في:

✓ النّيّة في تجسيد هذه اللغة على مستوى التّربيّة والتّعليم، وتتمثّل هذه النّيّة في الاهتمام بها وتجسيدها، لا أن تكون في النّصوص التّشريعيّة ثم تهمش، وهذا ما يُلاحظ في اللغة العربيّة حاليا؛

✓ تجسيدها على نطاق النّصوص الرّسميّة، كالدّستور والميثاق، وكلّ ما يتعلّق بالرّسميات الوطنيّة والدّوليّة، وهذا لا يكفي، بل العمل على أن يكون التّطبيق على أرض الواقع في الدّرجة الأولى؛

✓ إعداد المؤطّرين الذين يحملون عبئ نشر هذه اللغة وتوسيع مجالاتها، وهؤلاء المعلّمين يجب أن يعدو إعدادا وافيا حسب المستلزمات الحديثة والتّطور الذي تفرضه العصرنة؛

✓ نمذجة بعض المدارس في بادئ الأمر، لتفادي أيّ أشكال قد يطرح أثناء توسيعها، كما يجب أن تتوفّر هذه المدارس النّموذجيّة على كلّ الوسائل التي تجعل هذه اللغة ترتقي نحو الأفضل؛

✓ تجنيد وسائل الإعلام، التي تعدّ من مكملات المدرسة التي توفر لها القواعد وهي توفّر لها بالمقابل الاستعمال الجيّد؛

✓ انشاء معاهد الأنتروبولوجيا لممارسة الأبحاث الميدانيّة، والتي من خلالها توسّع معاهد الثّقافات الشّعبيّة والمعاهد الأمازيغيّة الموجودة حاليا؛

✓ إعداد الكتاب المدرسي الخاص، والتّركيز على المضامين التي يحملها الكتاب بحيث يكون حاملا لمضامين الوطنيّة والدّيمقراطيّة والعصرنة ضمن البعد الرّوحي والتّاريخي والوطني والعصري والإنساني والدّيمقراطي.

- **الرّافد الاختصاصي:** وهو من عمل المختصّين التّربويين، وقد أحصى الباحث واجباتهم في ما يلي:

✓ تشجيع التّعاون الثّقافي المغاربي، لأنّه لكي تتمّ الأعمال يجب أن تتوسّع الاستشارات، ويؤخذ برأي الدّول المغاربيّة كلّها، لأنّ المسألة لا تخصّ بلداً واحداً، بل هي مسألة لغويّة مغاربيّة، ويجب الانفتاح خاصّة على الدّول التي نشطت أبحاثها اللسانيّة حول هذا الموضوع تحديدا؛

✓ الاتّفاق على النّظام الصّوتي الموحّد والمستعمل، لتفادي الاضطراب الحاصل بين اللهجات الأمازيغيّة؛

✓ جمع الرّصيد اللغوي، وهي –حسب ذات الباحث–نقطة متمّمة لما سبقها فالأصوات هي المحك الذي يقف عليه المعجم، وبعدها تأتي مسألة الاتّفاق على الرّصيد الوظيفي لتجنّب الاختلاف الواقع بين اللهجات البربريّة المتنوّعة؛

✓ الكتابة بالحروف العربيّة، لأنّ في الكتابة بالعربيّة تجسيد لخيارات الشّريحة الكبرى من المواطنين، وتكملة للغة العربيّة التي أفادت منها واستفادت؛

✓ اعتماد المناهج الحديثة التي تعمل على تلقين اللغة بيسر وسهولة في ظروف زمنيّة وجيزة، باستعمال أحدث ما توصّلت إليه اللسانيات الدّيداكتيكيّة التّربويّة باعتماد التّعليم بالاستكشاف والتّعليم المندمج والمفتوح وكذا استثمار التّقانة الحديثة؛

✓ العمل على التّأليف في هذه اللغة في كلّ جوانبها، لتجسيدها في كلّ أشكال التّأليف: الأدبي، الاجتماعي، النّفسي، العلمي، والاهتمام بالدّرجة الأولى بالكتاب

المدرسي وخاصّة كتاب الطّفل، لضمان استقرار خاصيّة هذه اللغة في مخيّلة النّشء في صورتها النّهائيّة؛

✓ الاستفادة من اللغات التي عاشت هذه التّجربة، وهنا يكون التّعاون بين العلميين جميعاً، المعرّبين منهم والمفرنسين، لإيجاد أرضيّة مشتركة للعمل الجماعي نحو بناء هذه اللغة.

نستطيع أن نلمس من خلال هذه الرّوابط الثّلاثة أنّ الباحث أولى اهتماما واضحا – لكي تدخل اللغة الأمازيغيّة إلى المحيط البيداغوجي– بالأبعاد الأساسيّة المتحكّمة في هذه العمليّة على التّرتيب: البعد العالمي؛ حيث أنّ امتلاك هذه اللغة لأقلّ السّمات التي تؤهّلها لولوج مصاف العالميّة من شأنه أن يسهّل كثيرا من عمليّة جعلها لغة مدرسيّة تُتداول مع غيرها من اللغات، وبعدها مباشرة يأتي العامل السّياسي، وهو المتحكّم الأوّل في سيرورة اللغات وترقيتها أو تهميشها، لأنّ القرارات السّياسيّة بمثابة غرفة الاحتراق المركزيّة في محرّك الإجراءات المصيريّة والمفعّل الأساس لتجسيد إرادة نخبة معيّنة أو قطاع خاص، ومن ثمّة أشار الباحث إلى البعد الاختصاصي؛ فلا يمكن بأيّ حال أن تُطرح المسألة في الأسواق على العوام، بل إنّ لكلّ مسألة متخصّصون يدركون تاريخها وتجلياتها وأبعادها وآفاقها، بل ويخصّصون لها إذا استدعى الأمر نسقا استشرافيا يفترضون به مرامي هذا الهدف وما مدى تأثير تجسيده على السّاحة التّعليميّة.

يعتبر تدريس هذه اللغة إذاً انصافاً للثقافة والهويّة الأمازيغيتين، وقد أحصى الباحث بوبكر بلقاسم في مقاله (تدريس الأمازيغيّة في الجزائر "الواقع والمأمول") ما تمّ تجسيده فعلا في السّاحة التّربويّة الجزائريّة حتى الآن، وخلص إلى أنّه تمّ تدريس اللغة الأمازيغيّة في البدايّة في الولايات التي تتكلّم الأمازيغيّة مثل "تيزي وزو" و"بجايّة" و"البويرة" و"باتنة" و"بومرداس"، ثمّ اتّسعت رقعة تدريسها تدريجيًا إلى إحدى عشرة محافظة قبل بضع سنوات، قبل أن تقرّر وزيرة التّربيّة والتّعليم السّابقة نوريّة بن غبريط تعميم تدريسها في واحد وعشرون محافظة من أصل ثمانيّة وأربعون

واعتبرت الوزيرة آنذاك أن قرارها يدخل في إطار ترسيخ أحد أعمدة الهويّة الوطنيّة وأنّ وزارتها تعمل بالتّنسيق مع المحافظة السّاميّة للأمازيغيّة" التّابعة لرئاسة الجمهوريّة من أجل تعميم تدريسها وطنيا، والعمل على تكوين المدرّسين والإطارات وإثراء المناهج التّربويّة"[13]؛ وقد لاحظنا حسب ما أفادت به الوزيرة السّابقة بشكل واضح مرّة أخرى تلك القوّة التي تربط علاقة الأوامر الحكوميّة العليا بإمكانيّة تنفيذ التّطلعات الميدانيّة، ومن هنا تبرز الفكرة الجوهريّة المضمرة في عنوان بحثنا هذا، الذي رصّفنا فيه نسق "الفعل البيداغوجي" بعد "البعد السّياسي".

أمّا بالنّسبة للمعاهد المتخصّصة في اللغة والثّقافة الأمازيغيّة كما سبق وبيّن الباحث صالح بلعيد أهمّيتها؛ فإنّ الجزائر تتوفّر حسب آخر إحصاء على أربعة معاهد تابعة لوزارة التّعليم العالي والبحث العلمي في كلّ من "تيزي-وزو" و"بجايّة" و"البويرة" إضافة إلى معهد الأمازيغيّة في محافظة "باتنة"، ويتخرّج من هذه المعاهد سنويًا المئات من حملة الإجازة والماجستير في اللغة والثّقافة الأمازيغيّة، وتراهن الجزائر على هؤلاء من أجل تدريس اللغة الأمازيغيّة وتغطيّة حاجيات المؤسّسات التّربويّة من مدرسين[14] وهذا وحده لا يكفي بطبيعة الحال، بل إنّه نزر قليل من التّطلّعات المستقبليّة التي نريدها للغتنا الأمازيغيّة -رمز أصالتّنا وجزء لا يتجزّأ من تاريخ وجودنا- فعدد المعاهد قليل جدا ويكاد ينعدم بالنّسبة إلى اتّساع الرّقعة الجغرافيّة الجزائريّة، بل واتّساع شيوع الأمازيغيّة نفسها.

أمّا بالنّسبة لقضيّة توفير (الكتاب المدرسي الأمازيغي)، فإنّنا نجدها أجدى الوسائل وأنفعها في تحقيق هذا المطلب، لأنّ الكتاب أهمّ وسيلة أساسيّة تعليميّة، يصحبه المتعلّم يوميا إلى المدرسة ويستقي أفكاره من مضامينه ونصوصه لينطلق بمخيّلته في النّسج على منوالها، وقد تمّ "خلال السّنوات القليلة الماضيّة، اعتماد كتاب مدرسي في اللغة الأمازيغيّة لكلّ مرحلة من التّدريس، وتزايد عدد المعلّمين بعد تخرّج دفعات جديدة من المعاهد المتخصّصة، وقرّرت وزارة التّربيّة منذ عام 2005 إدراج اللغة الأمازيغيّة في مناهج الأقسام الابتدائيّة، إذ يتمّ تدريسها بدايّة من السّنة الرّابعة[15]؛ وقد لمسنا في هذا

الإجراء أيضا تعثرا واضحا لا يكاد يختلف عمّا سبقه، لأنّ الفكرة الجوهريّة من هذه المسألة؛ هي أن تسير الأمازيغيّة جنبا إلى جنب مع اللغة الرّسميّة الأولى(العربيّة) ليقع بينهما حسن الجوار-إن صحّ هذا التّعبير قولا وفعلا- فتُدرّس في كلّ المستويات ولجميع الجزائريين، ونعلم يقينا بأنّ هذا المطلب مبدئيا يبدو بعيدا؛ ومن هنا وجب" أن نقرّ أنّه من الصّعوبة بمكان أن تُدرس اللغة الأمازيغيّة في المناطق المعرّبة تماماً ويجب أن تكون اختياريّة، لكنّها يجب أن تُدرس في المناطق الأمازيغيّة إجبارياً، وكلّ منطقة تدرس لهجتها الخاصّة، ويكون ذلك في الطّور الأوّل من الأساسي، بغيّة التّوحيد النّسبي في الأطوار اللاحقة، ونعرف أنّ هذا سيستغرق دهوراً ودهوراً، والمهمّ هو البدايّة، وعندما يحصل نوع من التّوحيد سوف يحصل الإجماع على اللغة الجامعة والشّاملة من كلّ اللهجات، أضف إلى ذلك قضيّة التّوظيف اللغوي وهي مسألة في غايّة الأهمّيّة تروم تحقيق مبدأ النّفعيّة"[16]؛ لأنّ أيّة لغة أينما حلّت ومهما كانت فإنّ جوهرها الحقيقي يكمن في الاستعمال، ذلك المسؤول عن انتشارها وتوسعها ودخولها مختلف المجالات الحيويّة؛ علميّة كانت أو عمليّة، يوميّة أو أدبيّة.

4. **<u>أهداف إدماج المازيغيّة في المدرسة الجزائريّة:</u>** <u>إنّ</u> الغايّة من وراء إدماج اللغة الأمازيغيّة في المدرسة تتمثّل في محاولة إكساب التّلميذ الجزائريّ بعض القدرات التي تؤهّله على الأقل من تجنيد المعارف اللغويّة التي تعلمها في وضعيات متنوّعة (مدرسيّة أو غير مدرسيّة)، الأمر الذي يفتح أمامه آفاقاً واسعة للتعرف على هذه اللغة التي كان يحسبها بعيدة كلّ البعد عن مساره التّكويني إضافة إلى أنّ هذا الأمر يخلق أرضيّة مستويّة مساعدة على بثّ روح المشاركة بين النّشء، أمّا بالنّسبة للمتعلّم الأمازيغي فيكون قد اكتسب بعض القدرات الإضافيّة بعد هذه التّجربة مثل: التّحكّم في قراءة وكتابة بعض الأصوات والمقاطع الصّوتيّة وكلّ ما يصحب القدرة على الكتابة والقراءة بالعربيّة، لأنّ التّلاميذ النّاطقين بالأمازيغيّة يتقدّمون لدراستها صوتا وكتابة وهم يمتلكون ملكة ممارسة اللغة الأمازيغيّة شفويا، فيبقى على المدرس العمل على نقل ذلك إلى المجال الكتابي، فالتّلميذ في هذا المستوى متهيّئ لتعلّم القراءة والكتابة

الأمازيغيّة بالحروف التي يتبناها المدرس لمتعلّميه؛ –واعتماد الحرف العربي كما سبق وبيّنا هو أنسب الحلول في هذه الحالة؛ لأنّ المتعلّم قبل السّنة الثّالثة ابتدائي يكــون قــد درس كلّ شيء بالحرف العربي، فهو حرف ألفه نوعا ما، وهذا سيكون لا محالة أنجع من أن ندرّس الطّفل لغة جديدة بحروف جديدة–وهو بذلك سيصل إلى تحقيق الكفــاءات التّاليّة في المجال الشّفوي[17]:

- التّعرف على المقاطع الصّوتيّة والنّطق السّليم لها؛
- القدرة على تمييّز الكلمات الواردة في الجملة؛
- التّمييّز بين الجمل الواردة في المنصوصات الشّفويّة؛
- إنتاج جمل من مختلف الأنماط عند الاستماع؛
- التّمكّن من القراءة الجهريّة للكلمات والجمل الــواردة فــي نصــوص قصــيرة والتّحكّم فيها.

هذه بعض الأهداف الخاصّة التي يروم واضعوا البرامج الأمازيغيّة تحقيقها بعد عدّة وحدات تعليميّة، أمّا بالنّسبة للمرامي العامّة التي تطمح إليها الحكومة ككــلّ مــن وراء هذا الإدماج المدروس سلفا، فتتمثّل في ما يأتي[18]:

- تحرير الفرد من الشّعور بالدّونيّة؛
- معرفة مكمن الدّخل والتّداخل بينها وبين اللغة العربيّة؛
- تعزيز الايمان بالتّراث العظيم الذي تستوعبه اللغة الأمازيغيّة وصــلته العميقــة بالإسلام والعروبة، فهذه مكونات ثلاثة مكمّلة للهويّة الوطنيّة؛
- تعزيز روابط الألفة بين أبناء الوطن الواحد؛
- القدرة على التّفاعل الواعي والصّادق مع قضايا الأمّة ومستجدّاتها ومــا يطــرأ عليها من تغيّرات وتطوّرات ومشكلات؛
- استيعاب المعارف اللغويّة والأدبيّة التي تمّ التّوصل إليهــا فــي ميــدان اللغــة الأمازيغيّة؛

▪ تكوين رصيد أساسي من المفاهيم والمعلومات التي تبني التّراث المشترك بين أبناء الوطن.

ولا يمكن أن يتأتّى ذلك، إلاّ بعد أن تُؤخذ بعين الاعتبار جملة من المبادئ؛ أهمّها "إيجاد مشروع ديداكتيكي لوحدة اللغة الأمازيغيّة؛ بحيث لا يمكن أن ينجح تدريس هذه اللغة في ظلّ غياب الوحدة اللغويّة لهذه اللغة على المستوى الدّلالي، وتدريس اللغة الأمازيغيّة كوحدة من الوحدات تستهدف التّواصل والنّوعيّة، وكذا تدريسها لكلّ الجزائريّين وفي مختلف المستويات"[19]؛ وهكذا يكون تعميمها برنامجا يمسح كلّ مؤسّسات التّراب الوطني، فتظهر الإيجابيات بشكل شمولي وتزيد متانة المجتمع في ظلّ التّآخي وتقبُّل الآخر، وكذلك تزويد المتمدرسين بمكسب لساني إضافي يعمل على بلورة الكفاءة اللغويّة لديهم وإخصاب القدرات سواء على مستوى الإنتاج أمم التّلقّي.

الخاتمة: أردنا من خلال هذه الدّراسة أن نتتبع واقع اللغة العربيّة في الجزائر بين الموجود والمنشود، وذلك بعد الإحاطة بما هو كائن من ثلاثة جوانب رئيسة (الحضور التّاريخي والبعد السّياسي والفعل البيداغوجي)، وخلصنا بعد هذه الدّراسة المتواضعة إلى استخلاص بعض النّتائج هي:

✓ يمثّل حضور اللغة الأمازيغيّة في الجزائر وجودا عريقا له أبعاد تاريخيّة وثقافيّة وسياسيّة يجب أن يتناولها الأخصائيون من كلّ التّخصّصات بالدّراسة والاهتمام لتتبلور فكرة هذا الوجود في الأذهان ويعود ذلك بالنّفع على الأصعدة الإجرائيّة التي تُتداول فيها الأمازيغيّة؛

✓ بين اللغة العربيّة واللغة الأمازيغيّة تكامل لا صراع، وتصديق هذا الواقع والعمل به هو الضّامن الوحيد الذي يمكّن الأفراد من التّعايش تحت سقف التّفاهم وتبادل المنفعة؛

✓ واقع تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة لا يطمح إلى التّطلّعات التي وضعت لأجله، ومن ثمّة وجب أن يتمّ مسبقا تهيئة الأرضيّة اللازمة التي تحتضن هذا المشروع البيداغوجي؛

- ✓ وجود صعوبات وعراقيل تقنيّة وتنظيميّة مفتعلة، تفسر المفارقة الكبيـــرة التـــي تعيشها الأمازيغيّة في الجزائر بين المعمول والمأمول؛
- ✓ تكاثف كلّ مؤسّسات وهيئات المجتمع المدني بالعمل الفعلي والجاد حول القضيّة الأمازيغيّة في الجزائر هو الضّامن الأوّل للخروج من عنق هذه المسألة.

الهوامش والإحالات:

[1] للاستزادة ينظر: رأي في تدبير المازيغيّة لغة رسميّة ثانيّة، دار الخلدونيّة، الجزائر، 2018 ص17.

[2] صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، دار هومة، الجزائر، ط2، ص31.

هكذا ورد في النّص ولعله يقصد بذلك تلك التّأديات الأمازيغيّة المتداولة في الوطن العربي والتي يوجد اختلاف كبير بينها لغياب مدونة اللغة الأمازيغيّة الأم.

[3] صالح بلعيد، رأي في تدبير المازيغيّة لغة رسميّة ثانيّة، م س، ص105.

[4] محمد المدلاوي، مبادئ المقارنة اللغويّة السّاميّة الحاميّة، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بوجدة –المملكة المغربيّة–، العدد 1، 2006، ص 165.

[5] للاستزادة ينظر: مسار اللغة الأمازيغيّة: الرّهانات والاستراتيجيات، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغيّة، الرّباط، 2012، ص 211 إلى 227.

[6] عبد الرّحمن شيبان، "لم نحرر اللغة العربيّة من الفرنسيّة"، جريدة الخبر اليومي، العدد 4989 الجزائر 16/04/ 2007م.

[7] صالح بلعيد، رأي في تدبير المازيغيّة لغة رسميّة ثانيّة، م س، ص106.

[8] ينظر: موسى معوش، المنثورات الذّهبيّة في كنز المعلومات الأمازيغيّة، دار الأمل، ط1 2014 ص 160، وصالح بلعيد: رأي في تدبير المازيغيّة لغة رسميّة ثانيّة، ص49. وصالح بلعيد: في المسألة الأمازيغيّة، ص45.

[9] هشام جعطيط، أزمة الثّقافة الإسلاميّة، دار الطّليعة الإسلاميّة، بيروت، 2001، ص18.

[10] بهلول العونيّة وجيلاني معاشو، اللغة الأمازيغيّة في الجزائر: الرّهانات والتّحولات، مجلّة آفاق فكريّة، جامعة سيدي بلعباس، العدد9، 2018، المجلد4، ص6.

[11] ص 204.

[12] م ن، ص 212.

[13] بوبكر بلقاسم، تدريس الأمازيغيّة في الجزائر "الواقع والمأمول"، مقال إلكتروني: https ://www.ultrasawt.com/

[14] م ن.

[15] م ن.

[16]صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، م س، ص 202.

[17]ينظر، نجلاء نجاحي، مسيرة الأمازيغيّة في الجزائر بين البناء الثّقافي والمشروع السّياسي والفعل التّربوي، مجلة دراسات لغويّة، العدد 5، 2017، ص377

[18]م ن.

[19]صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، م س، ص202.

الاقتراض اللّغويّ ودوره في إثراء رصيد العربيّة

د/ عبدالرّحمن بلحنيش

جامعة عبد الله مرسلّي تيبازة (الجزائر)

ملخّص: إنّ التّعدد اللّغوي يصل إلى آلاف الالسّن حيّها وميّتها، دليل كبير على عظمة خالق اللّغات ومقدرته، حيث قال: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ الرّوم22، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ تجاور اللّغات وتعدّدها أضفى على البيئة الواحدة ثراء كبيرا وغناء، فأنت تجد كثيرا من ألفاظ العربيّة لها استعمال في لغات لاتينيّة أوروبيّة من فرنسيّة وإنجليزيّة وألمانيّة وإسبانيّة وغيرها، فتجزم أنّ هذه اللّغات قد اقترضت هذه الألفاظ للتعبير عن حاجتها وعن تأثّرها بالعربيّة التي كانت إلى وقت قريب لغة عالميّة منتجة للحضارة علميّا وثقافيّا وأدبيّا، فإنّ التّأثير والتّأثّر سمة تغلب على جميع اللّغات؛ ففقهاء اللّغة يثبّتون في مباحث متعدّدة ورود ألفاظ فارسيّة وروميّة يونانيّة في تراث العرب وقد أقرّها القرآن في الاستعمال كلفظ السّندس والإستبرق والدّرهم..الخ وهذا يثبت حسن الجوار بين اللّغات الذي أسهم دوما في مدّ جسور التّقارب بين الأمم والدّول، كما أنّه معين خصب على التّنوّع الثّقافي.

هذه المداخلة ستجيب عن أهمّيّة التّقارض والتّقارب اللّغوي وأنّه علامة صحّة لا اعتلال فيه، وربّما تبيّن الأبحاث مستقبلا اللّغة الأمّ التي نطق بها آدم ومنها تشظت هذه اللّغة إلى لغات وأنّ عوامل التّقارب بينها بحاجة إلى الكشف وإماطة اللّثام عنها. ومنه كانت الإشكاليّة: ما مفهوم الاقتراض اللغوي؟ وما سبل ذلك؟ وكيف حال العربيّة مع اللّغات من خلال الاقتراض؟ وما أثّر ذلك على العربيّة؟

1/تمهيد: الاقتراض ظاهرة اجتماعيّة لا تسلم منه أيّ لغة مهما كانت قوّتها وغناؤها ولن تكون في مأمن منه، كما يرى علي عبد الواحد وافي، إلاّ أن تكون في

عزلة تامّة تحيط بها جبال وغابات، وسبيل هذا الاحتكاك، ولهذا كانت لغات العالم عرضة لهذا التّطور المطّرّد في هذا السّبيل[1].

مفهوم الاقتراض:

الاقتراض: لغة: هو مصدر اقترض يقترض اقتراضاً. واقترضتُ منه أيّ أخذْتُ منه القروض وأقترضه أيّ أعطاه قرضا. ويقال أقرضه المال أو غيره، والقرض ما تعطيه غيرك من مال أو نحوه على أن يردّه إليك.[2] وأمّا تعريف الاقتراض **اصطلاحا** فهو عند بعض من تطرّقوا إلى هذه الظّاهرة: إدخال أو استعارة ألفاظ أو غيرها من لغة إلى أخرى. وقد استعمل أهل اللّغات لفظ الاقتراض والنّقل والاستعارة والإدخال. وأمّا العرب فقد أطلقوا على عمليّة نقل الألفاظ واستعارتها لفظ التّعريب وعلى الألفاظ المقترضة الألفاظ المعرّبة.[3]

وجاء تعريفه في معجم **المصطلحات العمليّة** أنّه إدخال عناصر من لغة ما إلى لغة أخرى أو من لهجة ما إلى لهجة أخرى سواء كانت تلك العناصر كلمات أم أصواتا أم صيغا[4]. ويعرّفه هوجن (Haugen) بأنّه محاولة نسخ صورة مماثلة لنمط لغوي لإحدى اللّغات تعلّم سابقا في لغة الأخرى، أو هو العمليّة التي تأخد فيها إحدى اللّغات بعض العناصر اللّغويّة الأخرى. وقد فرّق محمّد علي الخولي بين التّداخل اللغوي والاقتراض اللّغوي إذ قال بأنّ الأوّل هو تدخل لغة ما في لغة أخرى عند الفرد الذي يعرف كلتَا اللّغتين وأمّا الثّاني فهو استعمال المتكلّم بلغة **ما** كلمة من لغة أخرى[5].

ويتّضح من هذه التّعريف أنّ الاقتراض اللّغوي هو عمليّة أخذ إحدى اللّغات بعض العناصر اللّغويّة من لغة أخرى وتلك العناصر قد تكون أصواتا، أو كلمات أو صيغا.

أو هو نقل كلمة أجنبيّة من لغتها الأصليّة إلى أخرى، وفق ضوابط إملائيّة أو صرفيّة (صيغة) أو صوتيّة، وذلك حتّى يستساغ نطقها بكيفيّة سليمة في اللّغة المنقول إليها، خاصّة في العربيّة، يقول أحد الباحثين: "لم يقبل أسلافنا في أغلب الأحيان الكلمات الدّخيلة كما هي، بل أخضعوها لأنواع من التّحريف والتّغيير، بما يجعلها متناسبة وأصوات العربيّة وأوزانها."[6].ولنا أنّ دعّم هذا الرّأي بقول أحمد رضا حينما

وصف العربيّة في آخر جاهليّتها وبدايّة الإسلام، يقول:" تجد لغة إذا دخلتها كلمة أجنبيّة عنها قلق موضعها حتّى تأخذ وزن كلمات اللّغة وهيئة حركاتهــا لتشــاكلها وتماثلهــا وتأتلّف معها، لذلك تراهم يشذّبون الكلمات الأعجميّة الطّارئة التي لم تأت علـــى أوزان العرب بالحذف والإبدال حتّى تلائم الأسلوب العربيّ الموجز الخفيف."[7] من ذلك كلمـــة إستبرق وهي معرّب استبره الفارسيّة.... ويعرّف الباحث (ماريو باي) هــذه الظّــاهرة بقوله:" إنّها العمليّة التي تمتصّ بها لغة ما ألفاظا وتعبيرات، وربّما أصـــواتا وأشـــكالا قواعديّة من لغة أخرى، وتكيّفها في استخدامها، مع أو بدون تكيّف صوتي ودلالـــي." [8] والتّكييف يتمّ بجعلها وفق السّنن العربيّ.

أمّا كيف يتمّ هذا؟ فقد ذكر كثير من الباحثين طرقا لذلك منها: أن تعتمد كلّ لغة مـــن اللّغات على أساليب وطرق مختلفة استجابة لهذا الطّلب المعجمي الملحّ، كـــ **الاشـــتقاق** المبني على ألفاظ اللّغة الأساسيّة ووفق نظمها الصّرفيّة أو عن طريق الاقتراض الـــذي يكون بأخذ الكلمة من اللّغة المانحة مباشرة مع بعض التّحـــوير أو التّعـــديل الصّـــرفي والإملائي والصّوتي حتى تستقيم مع طبيعة اللغة المقترِضة؛ قد ذكر النّـــادري ســـبيل العرب في تعريب الدّخيل واقتراضه بأمرين:

1-تغيير أصوات اللّغة، وذلك بإبدال صوت عربيّ بالصّوت غير العربـــيّ، وقـــد راعوا في كثير من الأحيان أن يكون الصّوت العربيّ البـــديل أقـــرب مخرجـــا إلـــى الصّوت غير العربيّ، مثاله تعريب إشمائيل وشـــراويل ودشـــت ونيشـــابور، فقـــالوا: (إسماعيل، سراويل دست، نيسابور)، وعرّبوا كوسه، فقالوا كوسج.

2-إلحاق اللّفظ الدّخيل بوزن من الأوزان العربيّة، بزيادة أصوات عليه، أو بحـــذف بعض الأصوات منه. مثل درهم ألحقوه بهِجْرَع (الأحمق)، وبهـــرج ألحقـــوه بســـلهب (الرّجل الطّويل)، ودينار وديباج ألحقوها بديماس (الحمّام)."[9]الكلمة المُقترضـــة علـــى صيغة من صيغ العربيّة وعلى أصواتها، والتّعريب يُقابله الإدخـــال أي تـــرك الكلمـــة الأعجميّة المقترضة على حالها كما ينطقها أهلها من دون تعريبها مع تغييـــر حروفهـــا التي تخلو منها العربيّة إلى أخرى عربيّة قريبة منها في النّطق مثل تيليفون ولوجســـتيك

كما يُمكن أن يكون الاقتراض عن طريق الخلْس وهو دمج كلمة محلّيّة مع أخرى دخيلة، مثل حديدوز وكبريتيد في اللغة الكيميائيّة العربيّة، وقد يكون أيضا بالتّرجمة ويُسمّى الاقتباس وهو في حقيقته اقتراض مرتبط بعلّة التّسميّة في اللّغة المانحة، حيث تعطي هذه اللّغة صلة تربط بين المعنى اللّغوي للكلمة ومعناها الاصطلاحي، وتُعتبر كلمة computer في اللغة الانكليزيّة اليوم الكلمة التي دخلت كلّ اللّغات عن طريق الاقتباس بما في ذلك العربيّة، حيث سُمّيت« حاسوبا»، أو« رتّابة»، لأنّه في المقام الأوّل آلة حساب لأغراض علميّة، ولعلّ الفرنسيّة هي اللّغة الوحيدة التي يفتخر أصحابها بعدم أخذهم بهذه العلّة في تسميّة هذا الجهاز فهم يسمّونه ordinateur بمعنى نظّامة، القريبة من رتّابة.

2/ أسباب الاحتكاك اللّغوي: الاقتراض صار ظاهرة عامّة في كلّ اللّغات، لا تخلو لغة من ألفاظ دخيلة عنها، فكلّ جماعة لغويّة تأخذ لنفسها ما يناسبها من ألفاظ حسب الحاجة، فهي تقترض الأسماء دون الأفعال، ثمّ بعد ذلك تصير هذه الكلمة الدّخيلة كأنّها من اللّغة الأصل، فتؤخذ منها الصّفات والأفعال.

ولعلّ أسباب الاحتكاك عديدة، منها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة.. فمن الأسباب الاجتماعيّة الجوار والمصاهرة، "فإنّه من المتعذّر أن تظلّ لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى"[10] ومن الأسباب الاقتصاديّة التّجارة والهجرة، وبتجاور الشّعوب يحدث الاحتكاك، وبالاحتكاك يحدث التّأثير والتّأثّر[11]، وفي هذا المقام يقول الجاحظ:

" ألا أنّ أهل المدينة لمّا نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدّهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمّون البطّيخ الخربز، ويسمّون السّميط الرّزدق، ويسمّون المصوص المزور، ويسمّون الشّطرنج الأشترنج، وفي غير ذلك من الأسماء."[12] وبالأسباب السّيّاسيّة والحروب والاستعمار والنّزاعات؛ يرى محمّد المبارك "أنّ من أسباب التّبدّل الصّوتي التّأثر بأصوات لغة أخرى، فقد تتّصل لغة بأخرى عن طريق الغزو الثّقافي أو الفتوح، فيتعلّم أهل البلاد فينطقون اللّغة الجديدة محتفظين بخصائص لغتهم الصّوتيّة وهذا ما حدث للّغة العربيّة.."[13] ولعلّ هذا من الأسباب غير المباشرة، أمّا الأسباب

المباشرة فيعود الاقتراض إلى عامل التّرجمة، فممّا يؤثر عن ذلك ما نقله الأوروبيون باللّغة اللّاتينيّة كلّ علوم العرب في الأندلس وفي غيرها، ثمّ انتقلت هذه المترجمات من اللّاتينيّة إلى اللّغات الأوروبيّة الحديثة النّشأة كالفرنسيّة والإنجليزيّة والألمانيّة، وهذا ما يفسّر وجود كلمات عربيّة في هذه اللّغات المقترضة، بنفس النّطق والكتابة.

فالحاجة إلى إيجاد مقابلات لموضوعات جديدة ومفاهيم مبتكرة، وأسماء حديثة فمن السّهولة بمكان أن تقترض لغة ما مصطلحا موجودا في لغة أخرى من أن تبتدع مصطلحا جديدا. وقد تلجأ اللّغة إلى الاقتراض من اللّغات الأخرى للتّعبير عن مستحدثات لا عهد لها بها من المعاني، لفقر في مخزونها اللّفظي، ولا تسعفها وسائلها الخاصّة في تنميّة الألفاظ.[14]

ومن الأسباب الدّاعيّة للاقتراض مكانة اللّغة، فيلجأ المقترضون للألفاظ، لا لأنّ لغتهم تعاني حاجة وفقرا، بل لاعتقادهم أنّ هذه اللّغة ذات مكانة ورقيّ كما حال الفرنسيّة والإنجليزيّة للمُستَعْمَرِين، كما هو حال الإنجليزيّة لمّا اقترضت من الفرنسيّة في زمن رقي الفرنسيّة، في العهد النّورمندي. وكذا شأن اللّاتينيّة لمّا أخذت من العربيّة في حركة ترجمة واسعة في الأندلس، ومن ثمّ تحوّل اللّاتينيّة إلى اللّغات المستحدثة من فرنسيّة وغيرها، وهو ما أثبته سعة انتشار كلمات عربيّة في هذه اللّغات، وهو غير خافٍ على أحد، من كلمات من سكر وقطن وتعريف.....

والنّزعة إلى التّفوّق من أسباب الاقتراض، وقد فسّر ستيفن أولمان هذا العامل بقربه من عامل التّفوّق، وأنّ المقترض لا يأخذ إلاّ من الأمّة التي لها مكانة من الأمم وهي جديرة بالتّقليد في كلّ المجالات[15].

كما لا يجب إغفال دور التّبادل التّجاري فيما بين الأمم فهو دور مشهود في انتقال الكلمات بين اللّغات كما أنّ لانتشار الدّين تأثيرا في احتكاك اللّغات لا يستهان به فلغات الشّعوب المسلمة في جنوب شرق آسيا بما فيها إندونيسيا وماليزيا وتايلند والفلبّين تحتوى على كلمات عربيّة تسربت إليها لحاجة أولئك المسلمين الدّينيّة لها. ولم ينتشر الإسلام في تلك المنطقة بداعي الحروب، فقد كان لتأثير المعاملات الدّينيّة من

تجار المسلمين من اليمن وعمان والهند وغيرها دور في هذا المجال، فحاجة المسلمين هناك لأداء الشّعائر الدّينيّة من صلاة وحجّ ودعاء، دعاهم إلى اقتراض كلمات عربيّة وكما أنّهم يعلمون أنّه لا تجوز الصّلاة بغير العربيّة.

أمّا من يقوم بهذا الاقتراض؟ فلعلّ إبراهيم أنيس يجيب أنّ هذا العمل يقوم به أفراد وجماعات، كما تقوم به حاليا هيئات حديثة كالمجامع العلميّة اللّغويّة، ومراكز البحوث وغيرها[16].

3/أثر العربيّة في اللّغات المجاورة لها، وفي غيرها: تثبّت كثير من الدّراسات أنّ للعربيّة تأثيرا في اللّغات المجاورة جوار الجغرافيّاً كالفارسيّة والهنديّة والتّركيّة والأمازيغيّة، أو لغات البلاد المفتوحة، كاللّاتينيّة والإسبانيّة والبرتغاليّة، وكمثال على ذلك، ما ورد في الأمازيغيّة من كلمات عربيّة وهي كثيرة منه لفظ (أذرار) وتعني قمم الجبال، وفي العربيّة يرد هذا اللّفظ نفسه(الذّروة) دليله قول النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: الجهاد ذروة سنام الإسلام.. والسّنام أعلى ما في الجمل، وتركيب أويد ذا مان، وتعني أريد ماء، فلا يخفى على سامعها قربها من العربيّة، وإذا نظرت إلى العربيّة وأثرها في اللّغات الأوروبيّة، ستجد الكثير منها، كلفظ (cave) في الفرنسيّة والإنجليزيّة والإيطاليّة وغيرها، فهي بالعربيّة (كهف)، والاختلاف لا يقع إلاّ في كيفيّة النّطق.

4/التّلاقح بين اللّغات: ثبت بالدّليل أنّ التّلاقح والتّفاعل بين اللّغات جارٍ بينها عبر العصور والأزمنة، وهو أمر واقع لا جدال فيه، وهذا يجري في العربيّة كما يجري على باقي اللّغات، وليس وليد الفترة الإسلاميّة، بل ثبت قبل الإسلام في كثير من مفردات الشّعراء الجاهليّين كالأعشى قيس، وكذا قوافل التّجار القاصدة إلى الحبشة ومصر واليمن وفارس، ومنه فكان كثير من الشّعراء يقصدون بلاطات حكّام هذه البلدان، فقد أورد ابن دريد في جمهرته بابا بعنوان"ما تكلّمت به العرب من كلام العجم حتّى صار كاللّغة، يقول:" فممّا أخذوه من الفارسيّة البستان والبهرجان....إلخ؛ ومن الألفاظ التي اشتمل عليها القرآن، وهي ليست عربيّة لفظة **المشكاة** وتعني الكوّة وهي هنديّة، ولفظ **القسطاس** الرّوميّة وتعني الميزان، ولفظ **الإستبرق** وتعني الدّيباج الغليظ

ولفظ **سجّيل** وتعني الحجر من الطّين. وكأمثلة على ذلك ما ورد في شـعر الشّـعراء كلفظ السّجنجل عند امرئ القيس. ومن الباحثين المحدثين حلمي خليل في كتابه (المولـد في العربيّة) من يرى كلمات أعجميّة في القرآن، وذلك لجوار العربيّة لهذه الأمم، وأنّها لم تنج من تأثيرات اللّغات الأخرى، أو تأثيرها في اللّغات الأخرى، لصلتها بما حولهـا من الأمم من فرس وروم، ممّا يثبت احتكاك العربيّة باللّغات السّاميّة وغيرها[17].

5/نماذج من أثر العربيّة في غيرها: أثر العربيّة في غيرها من اللّغات باد لا أحـد يستطيع إنكاره، بل وباعتراف من أهل الذين اتّصلوا بالعرب بطريق مباشر، أو غيـر مباشر، كما ذكرنا سابقا عن طريق التّرجمة أو الاحتكاك التّجاري أو الجوار بالدّراسـة في الحواضر العربيّة أو الحروب والاستعمار، يقول أحد القساوسة (القيرو) القرطبـي: "إنّ إخواني في الدّين يجدون لذّة في قراءة شعر العرب وحكايـاتهم، ويقبلـون علـى دراسة مذاهب أهل الدّين والفلسفة المسلمين، لا ليسـردوا عليهـا وينقضـوها، وإنّمـا ليكسبوا من ذلك أسلوبا عربيّا جميلا صحيحا، وأين تجد الآن واحدا من غيـر رجـال الدّين يقرأ الشّروح اللّاتينيّة التي كتبت على الأناجيل المقدّسة؟ ومن سوى رجال الـدّين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرّسل؟ يا للحسرة؟ إنّ الموهوبين من شبّان النّصارى لا يعرفون اليوم إلاّ لغة العرب وآدابها، ويؤمنـون بهـا ويقبلـون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها، ويفخرون في كلّ مكـان بـأنّ هذه الآداب حقيقة جديرة بالإعجاب. فإذا حدّثتهم عن الكتب النّصـرانيّة أجـابوك فـي ازدراء بأنّها غير جديرة بالإعجاب بأن يصرفوا إليها إنتاجهم، يا للألـم؟؟ لقـد أنسـى النّصارى حتّى لغتهم فلا تكاد تجد في الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب إلى صـاحبه كتابا سليما من الخطأ فأمّا من الكتابة في لغة العرب فإنّك واجد مـنهم عـددا عظيمـا يجدّدونها في أسلوب منمّق بل هم ينظّمون من الشّعر العربيّ ما يفوق شـعر العـرب أنفسهم فنّا وجمالا. "[18]، سقنا هذا النّص على طوله لندلّل أنّ العربيّة يوما كانـت لغـة حضارة، لغة عالميّة تهافت غير العرب عليها، لتعلّمها بل والفخر بها علـى الأقـران ونظم الشّعر بها، ألاّ يكون أثرها باقيّا إلى اليوم في سائر اللّغات العالميّة، وهو ما أثبتته

كثير من الدّراسات. يقول أحد الباحثين في شأن بقاء العربيّة كتأثير وتأثّر في كثير من اللّغات خاصّة المجاورة لها: "وقد صحب هذا النّشاط الزّراعي في الأندلس اهتماما كبيرا بالرّيّ ووسائله حتّى أنّ كثيرا من المصطلحات والأدوات المستخدمة في الزّراعة والرّيّ في إسبانيا الحديثة ما زالتّ حتّى اليوم تحمل أسماء عربيّة أو ذات أصل عربيّ."[19]، ومن يدعم هذا القول في شأن أثر العرب في غيرهم، غوستاف لوبون، يقول: "ولم يظهر في أوربة قبل القرن الخامس عشر من الميلاد عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب، وعلى كتب العرب عوّل روجر بيكن واليوناردو ألبيزي وأرنولد الفينولوفي وريمون لول وسان توما وألبيرت الكبير والأذفونش العاشر القشتالي؛ قال مسيو رنان: "إنّ ألبيرت الكبير مدين لابن سينا في كلّ شيء وإنّ (سان توما) مدين في جميع فلسفته لابن رشد، وظلّت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلميّة مصدرا واحدا تقريبا للتّدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستّة قرون"[20]. وعن مدى أثر التّرجمة من العربيّة إلى اللّاتينيّة، يقول المستشرق الفرنسي المشهور إدغار بلوشيه: "إنّ ما اصطلح على تسميته بالنّهضة الأوروبيّة لم يكن ليكون لولا اتّصال الأوروبيّين بالعرب المسلمين وحضارتهم."[21]، وهذا يبيّن أنّ آلاف الكلمات العربيّة قد انتقلت إلى اللّاتينيّة ومنها إلى اللّغات الأوروبيّة الموجودة اليوم[22]، وكمثال على ذلك نذكر ما قالتّه وما بيّنته زغريد هونكه عن ابن سينا:"... وذكر في كتابه القانون ما ينيّف على سبعمائة وستّين عقّارا دخلت كلّها في علم النّبات وعلم الصّيدلة الأوروبيين، وظلّ الكثير منها بأسمائها العربيّة في اللّغات الأجنبيّة، كالعنبر(ambra) والزّعفران(saran)، والكافور(kampfer)، والتّمرهندي(tamarinde)، وعودالهند (aloe)، والحشيش(haschisch)، والمسك(muskat)، والصّندل(sandelholz) وغيرها...[23]، ويذكر الباحث السّحيمي أمثلة أخرى عن هذه التّرجمات من العربيّة إلى اللّاتينيّة، ثمّ إلى اللّغات الحديثة من ذلك كلمة **مخزن**، فهي بالإنجليزيّة(magazine) وبالفرنسيّة (magazin)، وفي الألمانيّة(magazin)، وكلمة **قطن**، ففي الإنجليزيّة(cotton)، وفي الفرنسيّة(coton)، وفي الألمانيّة(koton)، وكلمة **تعريف**

تكون في الإنجليزيّة(tariff)، وفي الفرنسيّة(tarif)، وفي الألمانيّة(tarif)..[24]، ولا شكّ أنّ الاختلاف لا يقع إلاّ في النّطق.

هذا وأنّ كثيرا من المؤلّفات تناولت مسألة تأثير العربيّة في غيرها، وهو ما ذكره الدّكتور سليمان أبو غوش في تأليف سمّاه "عشرة آلاف كلمة إنجليزيّة من أصل عربيّ"، وألّف المستشرق والتّ تايلور كتابا بعنوان"كلمات عربيّة في اللّغة الإنجليزيّة" وذكر أنّ فيه حوالي ألف كلمة ذات أصل عربيّ، منها: أمير البحر(amiral/admiral)، ولفظ حشّاشين(assassin)، ولفظ حلفاء(alpa)، ولفظ دار الصّناعة (arsenal)، ولفظ زرافة(giraf)، ولفظ سكّر(sucre/suger)، ولفظ سموم (simoon)، ولفظ شراب(sirop)، ولفظ قاض(cadi)، ولفظ جبّة (jupe)، وقد ذكر أحد الباحثين أنّ نصف اللّغة الإسبانيّة من أصل عربيّ."[25]، وممّا دخل الإسبانيّة وأختها البرتغاليّة، وقد جاورتا العربيّة ثمانيّة قرون، من ذلك، لفظ العمود(alamoud) والفرس(alfaraz) واللّوز(alloza)، والرّئيس(arroz)، وعرق السّوس(alcacus/alcazuz)، والقائد (alcaide/alcaet) والقطيفة(akatifa/alcatifa) والضّيعة(aldeia/aldea)، والجبّ (algibe/aljibe) والمدّ (almude/almud) والبيطار(alveitar/albeitar).

6/أثر غير العربيّة فيها، ونماذج من ذلك: ومن أمثلة ما ورد في شعر الشّعراء كلفظ **السّجنجل** عند امرئ القيس، وهي لفظة روميّة وتعني المرآة، يقول:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسّجنجل

ولفظة **الجمان** الفارسيّة وتعني الدّرة المصوغة من الفضّة، وردت في قول لبيد أنّ أبي ربيعة:

وتضيئ في وجه الظّلام منيرة كجمانة البحريّ يسلّ نظامها

7/ ثراء اللّغات بالاقتراض: ومهما يكن من أمر فالاقتراض اللّغوي ظاهرة معروفة في اللّغات على مدى العصور ويعدّ أحد وسائل تنميّة الثّروة اللّغويّة وابتكـار كلمـات جديدة، والاقتراض ظاهرة لغويّة اجتماعيّة شائعة تكاد تطرد في معظم لغات العالم فإنّنا لا نكاد نجد لغة تخلو من كم كبير من كلمات اللّغات الأخرى بداخلها إذ لم تكن هنـاك أمّة منعزلة كلّيّة عن سواها، والاحتكاك بالأمم الأخرى يؤدّي حتما إلى هذه الاسـتعارة وإن كان عدد كلماتها قد يتفاوت بصورة واضحة[26]. وقد أكّد الدّكتور إبـراهيم أنـيس على أنّ هذا التّبادل سنّة من سنن الحياة لا تخرج عليها لغة من اللّغات، وقد حدث بـين اللّغات القديمة، كبين العربيّة والعبريّة والحبشيّة والسّريانيّة، وهي من اللّغـات السّـاميّة ولا يزال يحدث بين اللّغات الحديثة، كبين العربيّة واللّغات الأوروبيّة، وأنّ هذا الأمـر موضع إجماع العلماء[27]. ومنه نرى أنّ الاقتراض من خصائص اللّغـات يسـهم فـي ثرائها بكمّ كبير من المفردات من جهة، ومن جهة أخرى فهو مجال رحب، ليزوّد أهل اللّغة بمفردات بديلة لأخرى استعصى التّلفّظ بها، أو لحاجة سدّ الفراغ إذا لم يكـن فـي اللّغة الأصل مقابل لمبتكرات جديدة، كما هو جار اليوم من مخترعات، فـنحن بحاجـة لهذه المصطلحات وذلك لمواكبة التّطوّر الحاصل في كثير من العلوم.

8/طرق الاقتراض: ما يؤثّر عن طرق الاقتراض هو اللّجوء إلـى التّرجمـة، أيّ ترجمة ما هم بحاجة إليه، كما استخدموا وسائل القياس والاشتقاق والمجـاز، وعنـدما اضطرّتهم الحاجة لجأوا إلى الاقتراض[28]، وقد يتمّ الاقتراض بطـرق منهـا التّعريـب والدّخيل والمولّد لكن قبل الحديث عن هذه المظاهر التي تحدّث عن فقهاء اللّغة وجـب الحديث عن الظّاهرة والتي حكم بصحّتها ووجودها كثير من البـاحثين بـدليل وجـود كلمات معرّبة ودخيلة في القرآن الكريم؛ وهذه مسألة وقع بشأنها جدل كبير بين مجيـز ومانع، أيّ بين من يقرّ بوجود كلمات غير عربيّة في القرآن مثـل الصّـراط وجهـنّم والمشكاة...وبين من يرفض الطّرح استدلالا بالقرآن نفسه عندما يصرّح في العديد من الآيات أنّه عربيّ مفصّل خالصّ؛ **{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين }** الشّعراء،150، وقد أفاض في هذه المسألة جلال الدّين السّيّوطي، رادّا عن هذه الشّبهات التي تثار بين حـين وحـين

موفّقا بين الفريقين المجيز والمانع، وبه ينتهي الإشكال، وسنورد ما بيّنه السّيوطي في موضعه. وقبل ذلك نبيّن مفهومه للمعرّب، يقول: قال الجوهري: المعرب أن تتفوّه به العرب على منهاجها، تقول: عرّبته العرب وأعربته أيضا[29]، ويروي عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم: أمّا لغات العجم في القرآن، فإنّ النّاس اختلفوا فيها، فرويَ عن ابن عبّاس ومجاهد وغيرهم كثير من أهل العلم، أنّهم قالوا في أحرف كثيرة، بأنّها لغات العجم، منها قوله: طه واليم والطّور والرّبّانيون، يقال سريانيّة، والسّراط والقسطاس والفردوس روميّة، ومشكاة وكفلين حبشيّة، وهيت لك حورانيّة..فهذا قول أهل العلم من الفقهاء؛ وقد زعم أهل العربيّة أنّ القرآن ليس فيه من كلام العجم، بدليل قوله تعالى: **{ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}** قال أبو عبيّدة: والصّواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أنّ هذه الحروف أصولها عجميّة كما قال الفقهاء، إلاّ أنّها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربيّة، ثمّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال إنّها عربيّة فهو صادق ومن قال عجميّة فهو صادق."[30]، ويرى الجواليقي أنّها أعجميّة باعتبار الأصل وعربيّة باعتبار الحال، وقد يطلق على المعرّب لفظ الدّخيل. وقد بيّن فقهاء العربيّة طرقا لمعرفة الدّخيل المعرّب من العربيّ الأصيل، من ذلك:

– النّقل، بأن ينقل ذلك أحد أئمّة العربيّة؛

– خروجه عن أحد أوزان العربيّة، نحو إبريسم، فإنّ مثل هذا الوزن مفقود في أبنيّة في اللّسان العربيّ؛

– أن يكون أوّله نون ثمّ راء نحو: نرجس، فإنّ ذلك لا يكون في كلمة عربيّة؛

– أن يجتمع فيه الصّاد والجيم نحو: الصّولجان، والجصّ؛

– أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو: المنجنيق؛

– أن يكون خماسيا ورباعيّا خاليّا من حروف الذّلاقة، المجموعة في قولك: (مر بنفل). أيّ الميم، الرّاء، الباء، النّون، الفاء، اللّام؛ فإنّه متى كان عربيّا، فلابدّ أن يكون

فيه شيئ منها، نحو: سفرجل، وقذعمل، وقرطعب (خرقة)، وجحمرش، ذكره أبو حيّان في شرح التّسهيل..[31]

– والجيم والطّاء لا يجتمعان في كلمة واحدة، ولهذا كان الطّاجن والطّيجن مولّدين لأنّ ذلك لا يكون في كلامهم الأصلي؛

– وفي الصّحاح: المهندز: الذي يقدّر مجاري القنى والأبنيّة، وهو معرّب بأن صيّروا زايه سينا، فقالوا مهندس، لأنّه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال، وقال أيضا الجيم والقاف لا يجتمعان في كلام العرب إلاّ أن تكون معرّبة، أو حكايّة صوت نحو: الجردقة (الرّغيف)، والجموق (يلبس فوق الخفّ)، والجوسق (القصر)، وجلّق (موضع بالشّام) والجلاهق (البندق)، والمنجنيق، وجلنبلق (حكايّة صوت باب ضخم عندما يفتح ويغلق).[32]

ولعلّ من طرق دخول كلمات جديدة في العربيّة، التّعريب، فما هو التّعريب؟

التّعريب: هو أن تصاغ اللّفظة الأعجميّة بالوزن العربيّ فتصبح عربيّة بعد وضعها على قوالب الألفاظ العربيّة، وإن لم تخضع لهذا القالب أو الوزن تصرّفوا فيها بالحذف أو الإضافة أو الإبدال، وصاغوها على الوزن العربيّ فتخضع بذلك لأوزانهم، يقول في هذا المجال سيبويه: " كلّ ما أرادوا أن يعرّبوه ألحقوه ببناء كلامهم، كما يلحقون الحروف بالحروف العربيّة."[33]، وقد عرف التّعريب قديما في اللّغة العربيّة، ففي العصر الجاهلي عرفت العربيّة، مثلما ذكرنا سابقا، الكلمات المعربّة، كما وردت في القرآن الكريم كلمات معرّبة، ممّا يدل على شيوعها بين العرب قبل الإسلام، وقد نبه سيبويه في (الكتاب) إلى بعض الكلمات الأعجميّة، كلفظ إسماعيل ولفظ كوسج، بمعنى إشمائيل، وكوسه وتحدث أيضا عن المعرّب، وكيفيّة التّعريب في موضوعين من كتابه.[34]

يقول الجوهري: " أيّ في ظاهرة التّعريب تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها."[35]، أيّ على طرقها في الاسترسال باللّغة فلا تشعر وأنت تنطق هذا الاسم بالثّقل أو بالغرابة.

ختاما لهذا البحث، يمكن أن نجمل ما تناولنه في النّقاط التّاليّة:

- الاقتراض ظاهرة لغويّة اجتماعيّة، لا تخلو لغة منه مهما ضربت على نفسها الحدود أو السّدود؛

- تلجأ اللّغات إلى الاقتراض لحاجتها إليّه، فهو يسدّ خللها، ويعينها على مواكبة ما يستجدّ من اختراعات وابتكارات، لوضع أسماء لمسمّيات جديدة؛

- يسهم الاقتراض في نماء الرّصيد اللّغوي، وفي ثراء اللّغة بأسماء جديدة لم تكن تعرفها، أو يصر للمسمّى الواحد ألفاظا عديدة وهو ما يسمّى بالتّرادف اللّغوي؛

- يتمّ الاقتراض بطرق عديدة وهذا من خصائص اللّغة، التّعريب، والتّرجمة والتّوليد والاشتقاق، والإدخال، والنّحت، وغيرها من الطّرق..؛

- ثبت بالأدلّة القاطعة أنّ العربيّة لغة تؤثّر وتتأثّر؛ فقد تأثّرت قديما بلغات جاورتها الفارسيّة والرّوميّة والسّريانيّة والحبشيّيّة، بما وجد في شعر العرب من آثار لهذه الكلمات؛ وبما أثّرت في لغات جاورتها من خلال الفتوحات الإسلاميّة، كالتّركيّة والفارسيّة والهنديّة، ولغات الشّرق الآسيوي في ماليزيا وأندونيسيا. وبما أثّرت في اللّغات الأوروبيّة الحديثة من إسبانيّة وفرنسيّة وإنجليزيّة وألمانيّة، وغيرها عن طريق التّرجمة من العربيّة إلى اللّاتينيّة في الأندلس، ثمّ من اللّاتينيّة إلى اللّغات الأوروبيّة المستحدثة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. see :pei ; mario(1966) ;glossary if linguistics terminoliogy; new York: anckorbooks.

2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

3. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1972، القاهرة.

4. إبراهيم أنيس، من أسرر اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1971.

5. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة، 1949م.

6. أحمد رضا، مولّد اللّغة. دار مكتبة الحياة، بيروت.

7. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف مصر، ط7 1979م.

8. الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللّبناني، بيروت لبنان.

9. رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغويّة، إنكليزي– عربي، مكتبة لبنان 1997م، بيروت، لبنان.

10. زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون ط1406،8ه/1986م.

11. ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشّباب، القاهرة 1987.

12. سلمان بن سالم بن رجاء السّحيمي، أثر العربيّة في اللّغات الأوروبيّة عن طريق العربيّة، حوليّة كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنين، جامعة الأزهر بالقاهرة، العدد 25 مجلّد2، 1428هـ/2007م.

13. سميح أبو مغلي، الكلام المعرّب في قواميس العرب، دار الفكر بيروت،1998.

14. سيبويه عثمان بن قنبر، الكتاب، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط3 1403ه/1983م.

15. السّيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمّد أحمد جاد المولى، وآخرون، مكتبة دار التّراث، القاهرة، 2008م.

16. صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايّين، 2009م، بيروت لبنان.

17. صبري إبراهيم السّيّد، المصطلح العربيّ، الأصل والمجال الـدّلالي، دار المعرفـة الجامعيّة، 1966، القاهرة مصر.

18. عبد الفتّاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبـة الأنجلـو المصـريّة، ط10 1986م

19. عبد المنعم محمّد الأروري، التّعريب في ضوء علم اللّغـة المعاصـر، دار جامعـة الخرطوم، السّودان، 1987.

20. علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، دار النّهضة، ط7، 1976، القاهرة مصر.

21. غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: علال زعيتر، طبعة عيسى الحلبي وشركائه.

22. محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، ط1، 2002م، دار الصّلاح للنشر والتّوزيع.

23. محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسا، دار عـالم المعرفـة، الكويـت 1413هـ/1992م.

24. المولّد في العربيّة.

25. النّادري محمّد أسعد، فقه اللّغة، مناهله ومسائله، المكتبة العصريّة، بيـروت لبنـان 2008م/1429ه.

الهوامش:

[1]. ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، (د ت)، دار النّهضة، القاهرة مصر، ص24.

[2]. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 733/2

[3]. سميح أبو مغلي، الكلام المعرّب في قواميس العرب، دار الفكر، بيروت،1998 ص 8.

[4]. رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغويّة، إنكليزي- عربي، مكتبة لبنان م1997 بيروت، لبنان، ص 75.

[5]. محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، ص 95

[6].النّادري محمّد أسعد، فقه اللّغة، مناهله ومسائله، المكتبة العصريّة، بيروت لبنان 2008م/1429ه، ص325.

[7]. أحمد رضا، مولّد اللّغة، ص110.

[8] . see :pei ; mario(1966) ;glossary if linguistics terminoliogy; new York: anckorbooks; p p(30-31)

[9]. النّادري، فقه اللّغة، مناهله ومسائله، ص326.

[10]. علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، دار النّهضة، ط7، 1976، القاهرة مصر ص229.

[11]. صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، 2009م، بيروت لبنان ص315.

[12]. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة، 1949م، 1/19-20.

[13]. محمّد المبارك، فقه اللّغة دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة، مطبعة جامعة دمشق 1379ه/1960م، ص40.

[14]. صبري إبراهيم السّيّد، المصطلح العربيّ، الأصل والمجال الدّلالي، دار المعرفة الجامعيّة 1966، القاهرة مصر، 231/1.

[15]. ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشّباب، القاهرة 1987 ص162.

[16]. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1972، القاهرة ص117.

[17]. المولّد في العربيّة، ص109.

[18]. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف مصر، ط7 1979م ص40.

[19]. عد الفتّاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط10 1986م 538/1. وينظر: زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون ط1406،8ه/1986م، ص497.

[20]. غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: علال زعيتر، طبعة عيسى الحلبي وشركائه ص596.

[21]. محمود المقداد، تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسا، دار عالم المعرفة، الكويت 1413هـ/1992م، ص28.

[22]. سلمان بن سالم بن رجاء السّحيمي، أثر العربيّة في اللّغات الأوروبيّة عن طريق العربيّة حوليّة كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنين، جامعة الأزهر بالقاهرة، العدد 25، مجلّد2 1428هـ/2007م، ص85.

[23]. زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص312.

[24]. سلمان السّحيمي، أثر العربيّة في اللّغات، مرجع سابق، ص87.

[25]. الجندي أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللّبناني، بيروت لبنان، ص90.

[26]. عبد المنعم محمّد الأروري، التّعريب في ضوء علم اللّغة المعاصر، دار جامعة الخرطوم السّودان، 1987 ص 31.

[27]. إبراهيم أنيس، من أسرر اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1971 ، ص117.

[28]. صبري إبراهيم السّيّد، المصطلح العربيّ الأصل والمجال، 1966، ص17-18

[29]. السّيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمّد أحمد جاد المولى وآخرون، مكتبة دار التّراث، القاهرة، 2008م، 268/1

[30]. المرجع نفسه، 268/1-269.

[31]. ينظر: السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 270/1.

[32]. ينظر: المرجع نفسه، 271/1.

[33]. سيبويه عثمان بن قنبر، الكتاب، عالم الكتب، بيروت لبنان، 304/4

[34]. ينظر: سيبويه، الكتاب، الجزء الثّاني ص213، 229، 235، والجزء الرّابع ص303، 305 باب ما أعرب من الأعجميّة.

[35].ابن دريد، الجمهرة، نقلا عن السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، 269/1.

التداخل اللغويّ في الواقع الجزائريّ
(أخبار التلفزة الجزائريّة أنموذجا)

Chevauchement linguistique dans la réalité algérienne (journal télévisé algérien à titre d'exemple

أ.عويشة دحمان بونوة

م. ج. غليزان

تعدّ اللغة من بين أبرز مقوّمات المجتمع الإنساني، فهي وسيلة للتواصل وتبادل المعارف، وقضاء الحاجات وفي هذا الصّدد يحضرنا تعريف ابن جنّي للغة، إذ يقول: "حدّ اللغة: أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم" نرى أنّ ابن جنّي ذكر عبارة كل قوم دلالة على اختلاف التّعبير اللغويّ من مجتمع إلى آخر، أيّ يحيلنا هذا إلى التعدّد اللغويّ أو التّنوّع اللغويّ المتمثّل في اللهجات، فكل مجتمع وله نظامه اللهجي الخاص به، وهذه الظّاهرة اللغويّة هي ظاهرة طبيعيّة في جميع اللغات، أيّ ما كلّ لغة إنسانيّة إلاّ وتنضوي تحتها لهجات تختلف كلّ لهجة عن غيرها من حيث جانبها الصّوتي والجانب الصّرفي، والجانب المعجمي، وحتى الجانب التّركيبي، لكنّها كلّها تنتمي إلى لغة مشتركة أيّ لغة رسميّة، لكن هذه اللهجات لم تسلم من التّأثير الأجنبي في مفرداتها بسبب العوامل التّاريخيّة والاقتصاديّة، والسّياسيّة، وبما فيها العامل التّكنولوجي.

ولو انتقلنا إلى بلد الجزائر، نرى أنّ اللغة العربيّة الفصحى هي اللغة الرّسميّة واللغة المشتركة بين كلّ المجتمعات الجزائريّة، لكن يختلف كلّ مجتمع عن الآخر من حيث لهجته، ولو تمعّنّا في معظم اللهجات لوجدنا معجمها اللغويّ يتخلّله مفردات دخيلة لا هي من اللغة المشتركة ولا هي من اللهجة، وهذا ما يسمّى التّداخل اللغويّ.

وعليه نطرح التّساؤلات الآتيّة:

- ما المقصود بالتّداخل اللغويّ؟

- وما هي أسباب نشوء ظاهرة التّداخل اللغويّ في الجزائر؟
- وما هي الطّرائق اللازمة للحدّ من ظاهرة التّداخل اللغويّ في الجزائر؟

وعليه سيكون موضوع مداخلتنا موسوما بـــ: التّداخل اللغويّ في الواقع الجزائـــريّ (أخبار التّلفزة الجزائريّة أنموذجا).

وعليه تتمثّل أهداف مداخلتنا في تحقيق النّقاط الآتيّة:

- التّشخيص اللغويّ للواقع الجزائر؛
- التّعريف بالتّداخل اللغويّ وآلياته؛
- تحديد أسباب التّداخل اللغويّ؛
- اقتراح طرق للحدّ من ظاهرة التّداخل اللغويّ.

الكلمات المفتاحيّة: اللغة العربيّة–الجزائر–التّداخل اللغويّ–اللهجات–المجتمع.

Résumé : La langue est l'un des fondements les plus importants de la société humaine, car elle est un moyen de communiquer d'échanger des connaissances et de répondre aux besoins. À cet égard, nous nous rappelons la définition d'Ibn Jenni de la langue. La mention de l'expression «chaque peuple» est une indication de la différence d'expression linguistique d'une société à l'autre c'est–à–dire qu'elle renvoie à la pluralité linguistique ou à la diversité linguistique représentée dans les dialectes. Sauf qu'il y a des dialectes en dessous, chaque dialecte diffère des autres en termes de phonème, de morphologie et de non lexicaux, et même côté de composition, mais ils appartiennent tous à la langue commune d'une langue officielle, mais ces dialectes n'ont pas reçu l'influence étrangère dans son vocabulaire, en raison de facteurs historiques et économiques, politiques, y compris le facteur technologique.

Si nous nous déplaçons vers le pays d'Algérie, nous voyons que la langue arabe classique est la langue officielle et la langue commune à toutes les sociétés algériennes, mais chaque société diffère de l'autre en termes de son dialecte, et si nous regardions de près la plupart des dialectes, nous trouverions son dictionnaire linguistique entrecoupé de vocabulaire étranger, ni de la langue commune ni du Dialecte, c'est ce qu'on appelle le chevauchement linguistique.

En conséquence, nous posons les questions suivantes :

-Qu'est-ce que le chevauchement linguistique?

-Quelles sont les raisons de l'émergence du phénomène de chevauchement linguistique en Algérie?

-Quelles sont les méthodes nécessaires pour réduire le phénomène de chevauchement linguistique en Algérie?

En conséquence, le sujet de notre intervention sera tagué avec : Chevauchement linguistique dans la réalité algérienne (journal télévisé algérien à titre d'exemple).

En conséquence, les objectifs de notre intervention sont d'atteindre les points suivants :

Diagnostic linguistique de la réalité Algérie ;

Définition du chevauchement linguistique et de ses mécanismes ;

Déterminer les causes du chevauchement linguistique ;

Proposer des moyens de réduire le phénomène de chevauchement linguistique.

Mots clés : langue arabe – Algérie – chevauchement linguistique – dialectes – société.

التداخل اللغويّ في الواقع الجزائري
(أخبار التلفزة الجزائريّة أنموذجا)

إنّ لكلّ مجتمع مقوّمات وأسس تميّزه عن غيره من المجتمعات، وأبرز هذه المقوّمات نجد اللغة التي تعكس كلّ المظاهر الثّقافيّة والاجتماعيّة، والسّياسيّة والتّعليميّة لكلّ مجتمع، فالمجتمع الجزائري تمثّله اللغة العربيّة، لكنّ هذه اللغة هي لغة رسميّة أيّ يتمّ استعمالها فقط في المناسبات والخطابات الرّاقية، أمّا الاستعمال اليومي فتتداخل اللهجات العاميّة، وبعض الكلمات الفصيحة، وبعض اللغات الأجنبيّة التي خلّفها الاستعمار، وهذه الظّاهرة تسمّى في الدّرس اللساني المعاصر بالتّداخل اللغويّ، وعليه سيكون موضوع مداخلتنا موسوما بـ: التّداخل اللغويّ في الواقع الجزائري (أخبار التّلفزة الجزائريّة أنموذجا).

ومن خلال هذه المداخلة نهدف إلى تحقيق النّقاط الآتيّة:

- التّعريف بالتّداخل اللغويّ ومظاهره ومستوياته؛
- تحديد أسباب التّداخل اللغويّ؛
- تشخيص واقع الجزائر بصفة عامة والتّلفزة الجزائريّة بصفة خاصّة؛
- اقتراح بعض الآليات للحد من ظاهرة التّداخل اللغويّ.

1- تعريف التّداخل اللغويّ:

أ- **لغة:** حُدّد التّداخل في معجم الوسيط بأنّه: 'دَاخَلَت الأَشْيَاء مُدَاخَلَةً، وَإِدْخَالاً: دَخَلَ بَعضْهَا فِيْ بَعْض، تَدَاخَلَت الأَشْيَاءُ: دَخَلَت وَالأُمُور التّبَسَت وتَشَابَهَت"[(1)]، يعني التّداخل هو اختلاط الأمور بعضها ببعض، وهذا الاختلاط يؤدّي إلى الالتّباس والتّشابه، ويخلق نوعا من الصّعوبات في الفصل بين شيئين أو أكثر.

ب- **اصطلاحا:** هو مرادف للمصطلح التّحول اللغويّ، ويقابل المصطلح الأجنبي "linguistique Interférence"، وأوّل من استعمل هذا المصطلح، وكان في تخصّص سوسيولوجيا هو فيرغان، إذ بفضله أصبح هذا المصطلح متداولا ومستعملا لكن لم

يتمدّد معناه وتمّت إعادة النّظر فيه فيما بعد، وقد سمّيت هـذه الظّهـارة عـن العـرب القدامى بمصطلح "اللحن".[2]

وعرّفه اللسانيون الغربيون التّداخل اللغويّ: "بأنّه تأثير اللغة الأمّ على اللغـة التـي يتعلّمها المرء، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأمّ بعنصر من عناصر اللغة الثّانيّـة ويعني العنصر هنا كلمة أو تركيبًا "[3]، كما يعرفه علي القاسمي بأنّه: "انتقال عناصـر من لغة أو لهجة إلى أخرى، في مستوى أو أكثر مـن مسـتويات اللغـة: الصّـوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والمفرداتيّة والدّلاليّة والكتابيّة، سواء أكان الانتقال مـن اللغـة الأمّ إلى اللغة الثّانيّة أم بالعكس وسواء أكان هذا الانتقال شعوريا أم لاشعوريا"[4]، فالتّداخل اللغويّ هو تشابك والتّباس نظام اللغة الأمّ باللغة الأجنبيّة، أو خلط لغـويّ بـين اللغـة العربيّة الفصحى واللهجات العاميّة، ويمسّ هذا التّشابك والتّداخل كلّ مسـتويات اللغـة المعروفة، ولا يقتصر على الجانب المفرداتي بل يشمل حتـى الجانـب التّركيبـي – وسنذكر هذا فيما يخصّ مستويات التّداخل اللغويّ–.

أمّا محمّد علي الخولي فيعرف التّداخل اللغويّ بأنّه: "نفوذ بعض العناصر اللغويّـة من لغة إلى لغة أخرى مع تأثير الواحدة في الأخرى، والمقصود هنا بالعناصر اللغويّـة مكونات اللغة من حروف وألفاظ وتراكيب ومعان وعبـارات"[5] أي بمعنـى الغـزو اللغويّ، وانتقال مفردات وكلمات وتراكيب غريبة ودخيلة على اللغة العربيّة.

ويقول صالح بلعيد في هذا الصّدد: "وعلى العموم فإن مصطلح التّداخل في عمومه يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثّه المستخدم للغتين، أو أكثر في موقف من المواقف، وقـد تكون للبيئة الاجتماعيّة التي يعيش فيها الطّفل فعاليّة أو أكثر في تولد توجه سـلبي، أو ايجابي اتّجاه لغة ما أكثر من الأخرى، وهنا يظهر أثـر اللغـة الأجنبيّـة فـي اللغـة القوميّة"[6]، يذكر صالح بلعيد في قوله العوامل المسبّبة لهذا التّداخل اللغـويّ أبرزهـا العامل الاجتماعي فمثلا ينشأ الطّفل في أسرة ذات ازدواجيّة لغويّـة، وعليـه سـتتأثّر حتما لغته الأمّ باللغة الأجنبيّة سواء في نظامها أم مستوياتها.

2- **أسباب التّداخل اللغويّ:** لقد تعدّدت عوامل وظروف تعدّد اللغات في كل مجتمع عربي، ومن بين أبرز هذه العوامل: هي الرّحلات والهجرات بين البلدان لعوامل مختلفة منها التّجارة وطلب العلم، والهروب من الاضطهاد السّياسي أو العرقي أو الدّيني، والهروب من الفقر، والأمراض بحثا عن الأمن والسّلام، والهجرة الجماعيّة سواء أكانت لأسباب ثقافيّة أم سياسيّة، أم اقتصاديّة، أم دينيّة، إضافة إلى الاستعمار وما خلفه من آثار سلبيّة على اللغة، وهذا ما عاشته الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي لها، زد على ذلك العامل الاجتماعي، والمتمثّل في الزّواج بين أصحاب الجنسيات المختلفة فينتج عنه جيل مزدوج اللغة، وحتى التّزاوج بين جنسين مختلفين من حيث المنطقة داخل البلد الواحد يؤدّي إلى ثنائيّة لغويّة، أيضا العامل النّفسي والمتمثّل في فقدان الثّقة بلغة الأمّ، نظرا للانبهار باللغة العالميّة وهي اللغة الإنجليزيّة، وهذا ما نجده عند الفئة الشّبابيّة التي تفتخر باستعمال الألفاظ الأجنبيّة، ولكن المشكل هو أنّهم لا يتكلّمون لغة أجنبيّة صحيحة، ولا لغة عربيّة فصيحة، بل هي لغة هجينة يتداخل فيها نظامان مختلفان أو أكثر من اللغة، كما لا ننسى العامل الأهم وهو العامل التّربوي الذي له دور في الإسهام في انتشار هذه الظّاهرة، وهذا ما يعيشه الواقع اللغويّ اليوم، إذ نجد الكثير من التّخصصات تدرس باللغات الأجنبيّة، وخاصّة التّخصّصات العلميّة إضافة إلى الإعلام بأنواعه المرئي والمسموع والمكتوب، إذ فيه تتجلى أبرز مظاهر التّداخل اللغويّ بين اللغات الأجنبيّة والعاميات.[7].

لقد خلّفت هذه الأسباب كلّ مظاهر التّداخل اللغويّ، التي أنتجت نوعا من الصّراع اللغويّ بين لغة الأمّ واللغة الأجنبيّة، الذي قد يؤدّي إلى انتصار لغة على أخرى أو تعايش اللغتين مع بعض دون غالب ولا مغلوب[8] وينتج عن هذا تداخل لغويّ بمظاهره، ومستوياته المختلفة، والتي سنذكرها فيما يأتي.

3- **مظاهر التّداخل اللغويّ:** إنّ من بين أبرز المظاهر التي يتجلّى فيها التّداخل اللغويّ هي كالآتي:

3-1 الاقتراض: يعني الاقتباس والاستعارة [9] من لغة أخرى، بمعنى إدخال كلمة أو صيغة من لغة أجنبيّة معيّنة ويعرّفه **ماريو باي (Mario Pei)** بأنّه: "العمليّة التي تمتصّ بها لغة ما ألفاظا وتعبيرات، وربّما أيضا أصواتا وأشكالا قواعديّة من لغة أخرى وتكيّفها في استخدامها مع أو بدون تكيف صوتي ودلالي"[10]، أيّ الاقتراض هو نقل لفظة من لغة إلى أخرى قد يتمّ تكيفها على حسب البيئة اللغويّة المنقول إليها وقد تدمج كما هي.

ويعرّفه **أميل بديع يعقوب** بأنّه:" تأثّر لغة بأخرى فتأخذ منها ألفاظا، أو دلالات أو تراكيب، أو أصوات أو نحو ذلك"[11]، بمعنى تبادل الألفاظ بين لغتين أو أكثر سواء من حيث الألفاظ أم الدّلالات أم التّراكيب أم الأصوات وكمثال على هذه الظّاهرة في لغتنا العربيّة: تلفون، تلسكوب، إستبرق.

3-2 **التّعريب:** يعرّفه **السّيوطي**(ت911هـ) بأنّه: "ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها"(12)، أيّ إدخال الألفاظ التي لم يوجد لها مقابل في لغة الأصل، وللتوضيح أكثر يقول **سيبويه** في كتابه "الكتاب" عن التّعريب:" أعلم أنّهم ممّا يغيّرون من الحروف ما ليس من حروفها البتة، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم وربّما لم يلحقوه... فأمّا ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرهم ألحقوه ببناء هِجْرَعٌ وبَهْرَجٌ ألحقوه بسَلْهَبٍ.... وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أم لم يكن نحو خراسان وخُرّ والكُركُم، وربّما غيّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسيّة نحو: فِرِند، وبقّمٍ، وآجُرٍ، وجُربُّظ.."[13] بمعنى ليس التّعريب يكون من خلال تعريب المفردة كلّيا إلى لغة أخرى مع إخضاعها للبناء الصّرفي، أو قد تكون الحروف متشابهة في كلتا اللغتين فتبقى على حالها حتى لو اختلف بناء صياغتها في اللغتين.

ومن بين الألفاظ المعربة في اللغة العربيّة "المجسطي" وهو أقدم كتاب في علم الفلك لبطليموس الإسكندري، قام بتعريبه إسحاق بن حنين من اليونانيّة [14].

3-3**الثّنائيّة اللغويّة (*Diglossie)**: يقصد بالثّنائيّة اللغويّة هي اختلاف لغتين من حيث الحديث والكتابة، يعرّفها **ويليم مارسيه (William Marçais) (1872-1956م)** بأنّها: "التّنافس بين لغة أدبيّة ولغة عاميّة شائعة للحديث"(15)، يقصد باللّغة الأدبيّة هي اللّغة الفصيحة المكتوبة، وأمّا المنطوقة فيقصد بها العاميّة الشّائعة، ويعرّفها من العرب اللغويّين **عبد الحميد عبد الواحد** بأنّها: "ما يعبّر عنها بالالتّقاء الحاصل بين اللّسان العربي الفصيح واللّهجة أو اللّهجات الدّارجة"[16]، أيّ أنّها التّقاء مستويين في اللّسان الواحد مثلما هو حاصل في اللّغة العربيّة بين الفصحى والعاميّة.

لقد انتشرت هذه الظّاهرة في التّعليم بمختلف مراحله، وفي الاحتفالات والاجتماعات واللّقاءات والمناقشات والكتابات الرّسميّة، والبرامج الإعلاميّة والدّعويّة والإرشاديّة.

3-4**الإزدواجيّة اللغويّة: (Le Bilinguisme)** إنّ الازدواجيّة على حسب **أندري مارتينه (André Martinet) (1908م-1999م)** هي وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد(17).

ويعرّفها **أحمد بن نعمان** (1944م-...) بأنّها: "اعتماد البلاد لغتين أو أكثر في التّعليم وبالتّالي في الاستعمال اليومي"(18)، أي تعدّد اللغات في المجتمع الواحد، فمثلا الجزائر، نرى تنافس بين اللغة العربيّة الفصحى، واللغة الفرنسيّة في كل المجالات الحياتيّة.

أمّا اليوم فيفرض الواقع اللغويّ على كلّ من يودّ الانخراط في العالم، والتّطورات العالميّة إجباريا تعلّم اللّغة الانجليزيّة.

كما نرى أنّ الازدواجيّة لم يسلم منها أحد إذ نجدها عند الكبير، والصّغير والمتعلّم والأميّ، فلقد تمّ تشخيص هذا الوضع ووجد أنّ المتكلّم قد يخجل من لغته أو يعدّها قاصرة عن الاستيعاب لما يقول.

* عبد السّلام المسدي، قاموس اللّسانيات، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، (دط)، 1984م ص106.

5-3 **التعدّد اللغويّ (Plurilingualisme):** قال جون ديبوا: "التعدّد اللغويّ: عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التّواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسيّة والايطاليّة والألمانيّة هي لغات رسميّة بها"[19]، يعني الدّولة التي تتكلّم بلغتين مختلفتين فما أكثر قنعت تلك الظّاهرة بالتعدّد اللغويّ، وهناك عدّة دول تتجلّى فيها هذه الظّاهرة، ونذكر منها سوسيرا.

والتعدّد اللغويّ في المقاربة اللسانيّة هو: "وضعيات تواصليّة لغويّة مختلفة تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعيّة والسّياق أو الحاجيات والغايات والأهداف أي أنّنا نتحدّث بأكثر من نظامين لغويّين ..."[20] بمعنى امتلاك أكثر من نظامين واستعمالهم في مواقف وسياقات متعدّدة، مع توظيف كلّ لغة بحسب المقام.

4- **مستويات التّداخل اللغويّ:** تتجلّى ظاهرة التّداخل اللغويّ في المستويات اللغويّة الآتيّة:

➢ **المستوى الصّوتي:** ويتمثّل في ظهور لهجة أجنبيّة في كلام المتكلّم، وتبدو واضحة من حيث اختلاف النّبر والقافيّة والتّنغيم، وأصوات الكلام، فمثلا استبدال نطق القاف (g)؛

وأيضا تداخل بين الفصحى والعاميّة الذي يترتب عنه أخطاء إملائيّة يصعب علاجها، (21) فمثلا نجد هناك خلطاً كبيراً بين الحروف، فمثلا يستبدل المتكلّمون نطق الذّال في الفصحى دالا، والظّاء ضادا...إلخ.

➢ **المستوى الصّرفي:** وهو تداخل نظام الصّرف للغة الثّانيّة بلغة الأمّ أو العكس بمعنى آخر تدخل صرف اللغة الأمّ في صرف اللغة الأولى، فإذا أخذنا كمثال نظام الصّيغ ومعانيها خاصّة المزيدة نجد أنّها تمثّل عبئا كبيرا بالنّسبة للمتكلّمين، مثل: استعمال صيغ الجمع للدلالة على المفرد في ذبح ميات كبش عوض مئة كبش[22].

- **المستوى النّحوي:** وهو تأثير نحو اللغة على اللغة الثّانيّة، أو العكس فيؤدّي ذلك إلى أخطاء نحويّة في التّركيب، ويتجلّى في عدم التّحكم في استعمال الضّمائر وعدم التّمييز بين المذكر والمؤنّث (23).
- **المستوى الكتابي:** يمسّ الجانب الكتابي من اللغة، إذ ينتج عن هذا التّداخل سواء بين اللغة الأمّ واللغة الأجنبيّة، أمّ اللغة الأمّ واللهجات، أخطاء، ويتجسّد التّداخل في حالتين هما: عندما يلفظ الحرف مختلفاً في لغته أو لهجته الأمّ، فيكتب الكلمة مثلما ينطقها، فمثلا كتابة التّلاميذ في اللغة العربيّة ثلاثة في الأصل، تلاتة، و"الثّانيّة" "التّانيّة"، والحالة الثّانيّة عندما تشترك اللغتان الأولى والثّانيّة في استخدام نظام كتابي واحد، مثلما هو الحال في الأورديّة والعربيّة، إذ يميل الطّالب الباكستاني المتعلّم للغة العربيّة كونها لغة ثانيّة، إلى كتابة الكلمات العربيّة كما يكتبها بالأورديّة، فيقع في أخطاء نظرا للاختلاف الحاصل بين اللغتين (24).
- **المستوى المعجمي:** هو استعمال المتكلّم لمفردات اللغة الثّانيّة، أي اقتراض كلمات من اللغة الأمّ ودمجها في اللغة الثّانيّة عند الكلام، وإذا كانت الكلمة مستخدمة في اللغتين ولكن بمعنيين مختلفين، فإنّ المتكلّم يستخدمها بمعناها في لغة الأمّ وهو يتحدّث اللغة الثّانيّة أو العكس (25).

5- **التّداخل اللغويّ في الإعلام الجزائري:** إنّ المجتمع الجزائري مثل المجتمعات العربيّة الأخرى التي تعاني من ظاهرة التّداخل اللغويّ، وتتمثّل هذه الظّاهرة في التّداخل الحاصل بين اللغة العربيّة الفصحى، واللهجات العاميّة واللغة الفرنسيّة، في كلّ المجالات ومن بينها الإعلام الذي نجد فيه تداخلا بين:

1- **اللغة الفصحى:** تعدّ اللغة العربيّة الفصحى الرّسميّة للبلاد، وهي لغة الخطابات والسّياسة والدّين، والتّعليم في مختلف أطواره، وفي هذا الصّدد يقول الثّعالبي (ت429هـ): "أنّها أداة العلم، ومفتاح التّفقّه في الدّين، وسبب صلاح المعاش والمعاد..."(26).

2- **اللهجة العاميّة:** العاميّة الجزائريّة تزخر بتعدّد اللهجات غير أنّها: "تختلف من جهة إلى جهة، بل أحيانا تختلف من قريّة إلى قريّة مجاورة لها، وهذه اللهجات تخضع لعوامل لغويّة كثيرة، منها ما ينشأ عن الوراثة والطّبيعة ومنها ما ينشأ عن البيئة والجوار ومنها ما ينشأ عن الاختلاف النّاشئ عن اختلاف الجنس، واللغة والطّبيعة الفيزيولوجيّة نفسها، فاللغات تتأثّر وتؤثّر في النّاطقين بها" (27). فنجد لهجة الغرب ولهجة الشّرق لهجة الشّمال ولهجة الجنوب، فكلّ هذه اللهجات تختلف عن بعضها البعض من خلال المستوى الصّوتي، والصّرفي، والنّحوي المعجمي.

3- **اللغة الفرنسيّة:** لقد خلّف الاستعمار وراءه آثارا عديدة ومن أبرزها، اللغة إذ نجد امتزاج اللهجات الجزائريّة باللغة الفرنسيّة، وأنّ كلّ متكلّم جزائريّ لا يخلو كلامه من بعض الكلمات الفرنسيّة سواء شعوريّاً أمّ لاشعوريا.

4- **اللهجات الأمازيغيّة:** تشتمل على عدّة لهجات مختلفة، ومن لهجاتها القبائليّة والميزابيّة، والتّارقيّة، والشّلحيّة.

إنّ الظّواهر اللغويّة المذكورة سابقا، نجدها متجلّيّة في الإعلام الجزائريّ وخاصّة في البرامج الخاصّة بالتّرفيه، والتّوعيّة وحتى نشرة الأخبار التي لا تخلو من هذا التّداخل الكبير في نشر الوعي اللغويّ لدى العامّة والخاصّة من النّاس.

ونذكر بعض نماذج من مظاهر التّداخل اللغويّ في أخبار التّلفزة الجزائريّة "قناة الشّروق نيوز في شهر جوان 2019: وهي استعمال الصّحافي للكلمات الآتيّة: **نيوز/ الكوكايين /بورصة/ الأنترنت / الفيسبوك.**

6- **آليات الحدّ من التّداخل اللغويّ:** يقول الطّيب البكوش: "لعلّه لا يوجد ميدان يضاهي الميدان الإعلامي في التّأثير على المستوى اللغويّ وتوحيد اللغة العربيّة وتطويرها"(28)، إنّ للإعلام أهمّيّة قصوى في حمايّة اللغة العربيّة الفصحى وتوحيدها بين المجتمعات.

ومن بين الحلول المقترحة في مواجهة هذا التّداخل هو لابدّ من خلق لغة فصيحة ميسّرة ويصرّ الإعلام على رعايتها، ونركّز هنا على الإعلام المسموع والمرئي أو المسموع وحده، الذي له دور في تصحيح النّطق وتوحيده، كما يعدّل ما انحرف عن المستوى الصّوتي في العربيّة، ولهذا نجد أنّ العديد من الدّول في العالم تهتمّ بكيفيّة نطق المذيعين وتدربهم تدريباً صوتيّاً دقيقاً[29].

إنّ الإعلام اليوم يمثّل قوّة وسلاحا فاعلا، وفعّالا في التّأثير على المستمعين والمشاهدين بوسائله المتعدّدة السّمعيّة، والبصريّة، والمقروءة، حتى صار المرشد لأفكار النّاس وآرائهم وتوجيههم.

فلهذا ينبغي استغلاله في حمايّة اللّغة العربيّة وتعزيزها في نفوس أفراد المجتمع كبارا وصغارا من خلال الإرشادات والتّوعيّات التي ينشرها[30].

وتتجلّى مظاهر حمايّة الإعلام للغة العربيّة في تطبيق النّقاط الآتيّة: [31]

- الاهتمام بالمادّة الإعلاميّة من حيث محتواها واختيار المواضيع المؤثّرة؛
- محاولة توظيف الشّباب المتمكّنين من اللغة العربيّة في وسائل الإعلام؛
- على المحطّات الفضائيّة وندواتها وبرامجها، أن تعرض أفلام الكرتون باللّغة العربيّة؛
- يجب على الشّركات الصّناعيّة بمختلف أنواعها، وشركات الأدويّة خصوصا تعريب نشراتها، وإمدادها بما تحتاج إليه من مفردات ومصطلحات، وإشعارها أنّ في ذلك صلاحَ العربيّة وحمايتها، وصلاح الشّركات بالإقبال على منتجاتها وتوسيع انتشارها وتداولها.

إذن، فالإعلام أحد المنطلقات الفاعلة في نشر اللغة العربيّة الفصيحة الميسّرة مع الدّعوة إلى حمايتها نظريا وعمليا، نظرا لسرعته وتأثيره في المتلقّين، [32] وفي هذا الصّدد يقول **محمود فهمي حجازي** (1940م–...): "تعدّ الإذاعة من العوامل الحاسمة فالنّطق الذي يرتضيه مذيعو الإذاعة يؤثّر في آلاف المستمعين، ولذا تهتمّ دول كثيرة

في العالم المعاصر بكيفيّة نطق المذيعين وتدربهم تدريبا صوتيّاً دقيقاً"**(33)**، فالسّماع من أولى المهارات اللغويّة لتبيان الخطأ من الصّواب في مستويات اللّغة العربيّة الفصيحة.

وقال أيضا **محمّد الفاضل بن عاشور (1909م–1970م)** عمّا قامت به الإذاعة التّونسيّة بعد تأسيسها عام 1918م، عن دورها في هذا المجال[34]**:**" ولمّا شاعت أحاديث المذياع في أوسط الأميين، كثر ورود الألفاظ والتّراكيب الفصحى على أسماعهم فألّفوها، وبذلك بدأت المفردات العاميّة تتناقص والمفردات الفصحى تكثر وصيغ النّطق تعتدل حتى تطوّرت اللّهجة العاميّة تطوّرا عظيما"[35] لهذا نرى من هذا القول أنّ السّماع أولى من المكتوب في القضاء على التّداخل اللغويّ.

لهذا لابدّ على الإعلام أن يستمرّ في نشر كلّ الأخبار باللّغة العربيّة الفصيحة سواء فيما اعتاد نشره بها أمّ فيما ينبغي أن ينشر بها، وما عدا ذلك من لقاءات وحوارات ومقابلات، وبرامج شعبيّة بوجه خاص، فلا ضير حسب رأي بعض الباحثين إن جاء بالفصيحة الميسّرة لأنّها لغة تفاهم وخطاب يومي ليس لدرجة التّنازل عنها مقابل الدّارجة إنّما تكون قريبة من مستويات اللغة العربيّة الفصحى خاليّة من الألفاظ الأجنبيّة،**(36)** كما يجب أن تكون لغة الإعلام بعيدة عن اللجلجة والعبارات الرّنانة فهي لغة تحدثيّة وليست خطابيّة، والبعد عن المبالغة والتّنميق والأسلوب الجمالي المعقّد، مع الالتّزام بالصّدق والوضوح.

لهذا لابدّ من معالجة هذا الأمر من خلال تحري الصّحة والصّدق، والاستقامة والاتّزان، والتّماسك اللغويّ حتّى يفهمها العامّ والخاصّ، وتصير محبّبة عند الكبير وعند والصّغير وهذا ما تقتضيه الحصانة اللغويّة [37].

الخاتمة: نستنتج ممّا سبق أنّ:

- التّداخل اللغويّ ظاهرة متجلّيّة في كلّ الالسّنة البشريّة، والتي تعود أسبابها إلى عوامل داخليّة، وأخرى خارجيّة.

- هناك فرق بين التّداخل اللغويّ والثّنائيّة اللغويّة والازدواجيّة والتعدّد اللغويّ
- التّداخل اللغويّ ظاهرة عامّة تحتوي على مظاهر متعــدّدة تشــمل الإزدواجيّــة اللغويّة والثّنائيّة اللغويّة، والتعدّد اللغويّ، والاقتراض، والتّعريب؛
- الإعلام يعدّ الوسيلة الفعّالة والمؤثّرة على كلّ فئات المجتمع، ولهذا نجد الغــرب اليوم يهتمّون ويسهرون على تطوير تقنياته؛
- لابدّ من استغلال الإعلام بأنواعه المسموع والمرئي، والمكتــوب، فــي نشــر الوعي اللغويّ، ومدى أهمّيّة اللغة العربيّة الفصحى؛
- لا يمكن القضاء على ظاهرة الثّنائيّة اللغويّة لأنّها ظاهرة طبيعيّة موجــودة منــذ الأزل، بل لابدّ من أن نوظف كلّ مستوى في مقامه المناسب، فمثلا الالتّــزام باللغــة العربيّــة الفصــحى الميســرة فــي التّعلــيم والإعــلام والخطابــات والإرشــادات والإعلانات...إلخ أمّا العامّيّة فهي لغة تواصل بين أفراد في مجتمع معيّن، وبنشر اللغة الفصحى الميسّرة ستقضي على كلّ ما هو دخيل مع الوقت.
- **<u>قائمة المصادر والمراجع</u>:**

1. أبو منصور الثّعالبي، فقه اللغة وسر العربيّة، إحيــاء التّــراث العربــي ط1422،1 هــ،2002م.
2. أحمد بن نعمان، التّعريب بين المبدأ والتّطبيق، الشّركة الوطنيّة للنشــر والتّوزيــع دط 1401هــ، 1981م، الجزائر.
3. أحمد بناني، الإزدواجيّة اللغويّة في الواقع الجزائري وفعاليّة التّخطيط في مواجهتهــا مجلة إشكالات في اللغة والأدب،ع08، ديسمبر 2015م.
4. أحمد طاهر حنين، اللّغة العربيّة (دراسات في المنهج)، (ددن)، الإمــارات العربيّــة المتحدة، العين، (دط)، (دت).
5. أحمد قيطون، الخصائص الفنيّة للنص الشّعري شعر المختار بــن صــديق أنموذجــا ص07.

6. أميل يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربيّة، الكتب العلميّة— بيروت، لبنان، ط1 1427هـ/ 2006م، مج 2.

7. إيمان ريمان وعلي درويش، بين العاميّة والفصحى، مسألة الازدواجيّة في اللّغة العربيّة في زمن العولمة والإعلام الفضائي، شركة رايتسكوب المحدودة، ملبورن أستراليا ط1، 2008م.

8. باديس الهويل، ونور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللغويّ في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللغة العربيّة.

9. بن علة بختة، التّداخل اللغويّ وإشكاليّة التّواصل في الوسط التّربوي، كليّة الأدب العربين قسم الدّراسات اللغويّة 2018م.

10. حنان عواريب، الأسس الاجتماعيّة لتعليميّة اللّغة في ضوء علم اللّغة الحديث مجلّة الأثر، ورقلة، ع20،جوان2014م.

11. سميح أبو مغلي، التّدريس باللّغة العربيّة الفصيحة لجميع المواد في المدارس دار الفكر، عمّان، الأردن، ط1 1997م.

12. سيبويه، كتاب سيبويه، تح: عبد السّلام هارون، ج4، عالم الكتب، بيروت لبنان ط4، 1402هـ/1982 م.

13. السّيوطي، جلال الدّين، المزهر في علوم اللغة، تح: محمّد أحمد جاد المولى وآخرين، مج1.

14. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، دار هومة، الجزائر، ط 2000م.

15. عبد الحميد بوترعة: واقع الصّحافة الجزائريّة في ظل التعدّديّة اللغويّة، الخبر اليومي الشّروق اليومي الجديد نموذجا مجلة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة الوادي، الجزائر ع8، 2014م.

16. عبد الرّحمن بن محمّد القعود، الازدواج في اللغة العربيّة، فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النّشر، الرّياض، ط1997م.

17. عبد الله جمعه الكبيسي، اللّغة العربيّة في مواكبة العصر وتحدياته، مدرسة قطر التّقنيّة الثّانويّة، الدّوحة، قطر، 14-03-2012م.

18. علي القاسمي، التّداخل اللغويّ والتّحول اللغويّ، مخبر الممارسات اللغويّة جامعة تيزي وزو، ع01، 2010م ص77

19. فوزيّة طيب عمار، أشكال ومستويات التّداخل اللغويّ "الجزائر"، مجلّة جيل الدّراسات الأدبيّة والفكريّة، ع53 2019م.

20. كمال أحمد غنيم، آليات التّعريب وصناعة المصطلحات الجديدة مجمع اللغة العربيّة الفلسطيني المدرسي، 1435هـ/2014م.

21. كمال محمّد جاه الله، مبارك محمّد عبد المولى، ظاهرة الاقتراض بين اللغات (الألفاظ العربيّة المقترضة في لغة الفور نموذجا، مركز البحوث والدّراسات الإفريقيّة جامعة إفريقيا العالميّة، إفريقيا، دط، 2007م.

22. اللّجنة الوطنيّة اللبنانيّة للتّربيّة والعلم والثّقافة، اللّغة العربيّة وتعلّمها الإشكاليات وآفاق الحلول، اللّجنة الوطنيّة اللّبنانيّة للتّربيّة والعلم والثّقافة (دط)، يونسكو بيروت، لبنان 2004م.

23. مجمع اللغة العربيّة، معجم الوسيط، دار المعرفة، مصر، ط1.

24. محمّد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشّرق العربي بيروت ط4.

25. محمّد الأوراغي، اللّسانيات النّسبيّة وتعليم اللّغة العربيّة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، الجزائر، (دط)، 2010م.

26. محمّد سالم الفيتوري، اللغة العربيّة الواقع والتّحديات، مجلّة كلّيّة اللغات طرابلس ع15، 2017م.

27. محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، دار الفلاح، الأردن، (د.ط)، 2002م.

28. محمود فهمي حجازي: علم اللّغة العربيّة: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التّراض واللّغات السّاميّة، دار غريب، مصر، (دط)، (دت).

29. هيفاء عبد الرّحمن ياسين التّكريتي، آليات العولمة الاقتصاديّة وآثارها المستقبليّة في الاقتصاد العربي، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2010م.

الهوامش:

1. مجمع اللغة العربيّة، معجم الوسيط، دار المعرفة، مصر، ط1، ص275.

2. ينظر: علي القاسمي، التّداخل اللغويّ والتّحول اللغويّ، مخبر الممارسات اللغويّة، جامعة تيـزي-وزو، ع01، 2010م ص77.

3. علي القاسمي، التّداخل اللغويّ والتّحول اللغويّ، ص 77.

4. المرجع نفسه، ص77.

5. محمّد علي الخولي، الحياة مع لغتين، دار الفلاح، الأردن، (د.ط)، 2002م ص91.

6. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، دار هومة، الجزائر، ط، 2000م ص124.

7. باديس لهويمل، ونور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللغويّ في الجزائر وانعكاساته على تعيميّة اللغة العربيّة ص112-113.

8. ينظر: المرجع نفسه، ص113.

9. ينظر: محمّد الأنطاكي، دراسـات فـي فقـه اللغـة، دار الشّرق العربي بيروت ط4 ص32.

10. ¨Pei , Mario(1966) : Glossary of Linguistics Terminology , New York : Anckor Books, p.p,(30-31). نقلا عن: كمال محمّد جاه الله مبارك محمّد عبد المـولى، ظـاهرة الاقتراض بين اللغات (الألفاظ العربيّة المقترضة في لغة الفور نموذجا، مركـز البحـوث والدّراسـات الإفريقيّة، جامعة إفريقيا العالميّة، إفريقيا دط، 2007م ص07.

11. أميل يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربيّة، الكتب العلميّة ـــ بيـروت، لبنـان، ط1 1427هـ/ 2006م، مج 2، ص377.

12. السّيوطي، جلال الدّين، المزهر في علوم اللغة، تح: محمّد أحمد جـاد المـولى وآخـرين، مـج1 ص268.

13. سيبويه، كتاب سيبويه، تح: عبـد السّـلام هـارون، ج4، عـالم الكتـب، بيـروت لبنـان، ط4 1402هـ/1982 م ص303-304.

14. ينظر: كمال أحمد غنيم، آليات التّعريب وصناعة المصطلحات الجديـدة مجمـع اللغـة العربيّـة الفلسطيني المدرسي 1435هـ/2014م، 16.

.15 Marçais, William : La Diglossie Arabe, L'Enseignement public, Vol,97, No,40(1930). نقلا عن: اللّجنة الوطنيّة اللبنانيّة للتّربيّة والعلم والثّقافة، اللّغة العربيّة وتعلّمها الإشكاليات وآفاق الحلول، اللّجنة الوطنيّة اللّبنانيّة للتّربيّة والعلم والثّقافة (دط)، يونسكو، بيروت، لبنان 2004م، ص47.

.16 إيمان ريمان وعلي درويش، بين العاميّة والفصحى، مسألة الازدواجيّة في اللّغة العربيّة في زمن العولمة والإعلام الفضائي، شركة رايتسكوب المحدودة، ملبورن أستراليا، ط1، 2008م، ص142.

.17 ينظر: المصدر نفسه، ص 66.

.18 أحمد بن نعمان، التّعريب بين المبدأ والتّطبيق، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع دط، 1401هـ، 1981م، الجزائر ص451.

.19 J.dubois et autre ; dictionnaire de linguistique, paris, larousse ; 1973, p368. نقلا عن: باديس الهويل، ونور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللغويّ في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللغة العربيّة، ص103.

.20 عبد الحميد بوترعة: واقع الصّحافة الجزائريّة في ظل التعدّديّة اللغويّة، الخبر. اليومي الشّروق اليومي الجديد نموذجا مجلة الدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، جامعة الوادي، الجزائر، ع8، 2014م ص201.

.21 بن علة بختة، التّداخل اللغويّ وإشكاليّة التّواصل في الوسط التّربوي، كليّة الأدب العربين قسم الدّراسات اللغويّة 2018، ص93.

.22 ينظر: فوزيّة طيب عمار، أشكال ومستويات التّداخل اللغويّ "الجزائر"، مجلّة جيل الدّراسات الأدبيّة والفكريّة ع53 2019م، ص59.

.23 أحمد بناني، الإزدواجيّة اللغويّة في الواقع الجزائري وفعاليّة التّخطيط في مواجهتها، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب ع08، ديسمبر 2015، ص109.

.24 ينظر: المرجع نفسه، ص79-80.

.25 ينظر: علي القاسمي، التّداخل اللغويّ والتّحول اللغويّ، ص79.

.26 أبو منصور الثّعالبي، فقه اللغة وسر العربيّة، إحياء التّراث العربي ط1422،1 هـ،2002 ص09-10.

27. الدّكتور عبد المالك مرتاض – العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى – الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر 1981–ص07. نقلا عن: أحمد قيطون، الخصائص الفنيّة للنص الشّعري شعر المختار بن صديق أنموذجا، ص07.

28. عبد الرّحمن بن محمّد القعود، الازدواج في اللغة العربيّة، فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النّشر الرّياض، ط119997م ص107.

29. ينظر: المرجع نفسه، ص109–110.

29. ينظر: محمّد سالم الفيتوري، اللغة العربيّة الواقع والتّحديات، مجلّة كليّة اللغات طرابلس، ع15 2017م.

30. محمود فهمي حجازي: علم اللّغة العربيّة: مدخل تاريخي مقارن في ضوء التّراض واللّغات السّاميّة، دار غريب، مصر (دط)، (دت).

31. سميح أبو مغلي، التّدريس باللّغة العربيّة الفصيحة لجميع المواد في المدارس دار الفكر، عمّان الأردن، ط1، 1997م.

32. ينظر: هيفاء عبد الرّحمن ياسين التّكريتي، آليات العولمة الاقتصاديّة وآثارها المستقبليّة في الاقتصاد العربي، دار حامد عمان، الأردن، ط1، 2010م.

33. عبد الله جمعه الكبيسي، اللّغة العربيّة في مواكبة العصر وتحدياته، مدرسة قطر التّقنيّة الثّانويّة الدّوحة، قطر، 14–03–2012م.

34. محمّد الأوراغي، اللّسانيات النّسبيّة وتعليم اللّغة العربيّة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة الجزائر، (دط) 2010م.

35. أحمد طاهر حنين، اللّغة العربيّة (دراسات في المنهج)، (ددن)، الإمارات العربيّة المتّحدة، العين (دط)، (دت).

36. حنان عواريب، الأسس الاجتماعيّة لتعليميّة اللّغة في ضوء علم اللّغة الحديث مجلّة الأثر، ورقلة ع20، جوان2014م.

هويّة اللّغة ولغة الهويّة

بين مقصديّة الاستعمال وحتميّة الواقع

د. غول شهرزاد – د. كريمة زيتوني

جامعة: عبد الحميد بن باديس، مستغانم

ملخّص:اللّغة مجموعة مفردات أو علامـــات ارتضـــاها المجتمـــع، إذ يقـــول دي سوسير: "اللغة نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة المواضعات التي يتبنّاها الكيـــان الاجتماعي، ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة."

كما أنّ الوظيفة الأساسيّة للّغة هي التّواصل، الذي يحتّم علينا التّعامل مع كافة فئات المجتمع دون استثناء، ومن هنا نطرح التّساؤلات الآتيّة:

ما هي أهمّ اللّغات القادرة على تحقيق التّواصل وفق مقتضيات المجتمع الجزائري؟ وكيف يمكن جعلها قادرة على تحقيق الأمن الثّقافي؟ ثمّ كيف تصبح عنصرا فعّالا فـــي تجسيد السّلم والسّلام؟

نهدف من خلال هذه المداخلة إلى الوقوف على أكثر اللّغات استعمالا في المجتمـــع الجزائري، على رأسها: اللّغة العربيّة، اللّغـــة الأمازيغيّـــة، اللّغـــة الفرنســـيّة، اللّغـــة الإنجليزيّة... مشيرين إلى مكانة هذه اللّغات ومدى اعتمادها في لغـــة الكـــلام اليـــومي بشتّى صيغه التّعبيريّة، ومحاولة طرح الحلول الملائمة لتجسيد شـــعار: "العـــيش معـــا بسلام."

Abstract: Language is a group of vocabulary or signs that society accepted, as de Saussure says: "Language is a social product of the queen of speech, and the set of placements adopted by the social entity, so that individuals can exercise this queen."

Also, the primary function of language is communication, which requires us to deal with all segments of society without exception, and from here we ask the following questions:

What are the most important languages that can achieve communication according to the requirements of Algerian society? How can it be made able to achieve cultural security? Then how do you become an effective element in the embodiment of peace?

We aim through this intervention to identify the most used languages in Algerian society, chief among them the Arabic language, the Tamazight, French, English ... pointing to the place of these languages and the extent of their adoption in the language of daily speech in its various expressive forms, and trying to offer appropriate solutions to embody the slogan " Live together in peace".

تمهيد: امتاز الإنسان باللّغة، وتفرّد بها عن بقيّة المخلوقات، وهي نعمة لا ينفكّ عنها أيّ إنسان كان، ولا يتصوّر خلو الحياة الإنسانيّة منها لحظة من الزّمن. يقول الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ،"[1] ومن سنن الله في العالمين ومن آياته تعدّد الالسّن واختلافها وحياتها وموتها فلكلّ قوم لغتهم التي تعبرّ عن رغباتهم، ولا مراء في أنّ اللّغة من أشدّ رموز الهويّة تأثيرا في البشر عامّة، وفي العلم والعلماء خاصّة.

كما أنّ اللّغة أداة لصنع المجتمع، حيث تكمن ثقافة كلّ أمّة في لغتها وبواسطتها تتمظهر العلوم والأفكار وترتقي وتنتشر، وبالتّالي تتحدّد قيمة اللّغة وتينع بما تعبّر عنه من علوم وما تحويه من أفكار، وبذلك تكون اللّغة مرآة عاكسة لثقافة المجتمع.

كما أنّها تشكّل حلقة وصل بين الأمم، فمن خلالها يتمّ التّعرّف على ثقافة أيّ مجتمع وعاداته وتقاليده، قد يكون هذا عسيرا أو يصعب إذا تعذّر الإلمام باللّغات، لذا ينبغي أن يمتلك اللّغة الأمّ، إضافة إلى لغة يفرضها المجتمع في التّعلّم.

1-ماهيّة اللّغة ووظيفتها في المجتمع: قبل التّعريج إلى ماهيّة اللّغة ووظيفتها ينبغي الإشارة إلى المقصود بهويّة اللّغة وهو أصل اللّغة وماهيتها، أمّا عن لغة الهويّة فهي "أداة للتّعبير عن المشاعر والاتّجاهات والآراء نحو الموضوعات المختلفة، تمثّل أداة إثبات الهويّة والإثبات الشّخصي لدى الفرد،"[2] أنّ لكلّ موطن هويته ولغة هويّته أي اللّغة الأمّ التي يتواصل بها مع بني جلدته أسرته وأقاربه وأهله ومجتمعه الأصلي والجذري.

فاللّغة هي أفضل الطّرق والوسائل لمعرفة شخصيّة أمّة ما وخصائصها، وهي الأداة التي تنسج الأفكار والأحاسيس، وهي البيئة الفكريّة التي يعيش فيها الفرد، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر وبالمستقبل، إنّها تمثّل خصائص الأمّة.

من النّاحيّة اللّغويّة يتحدّد مفهوم اللّغة بإرجاعها إلى الجذر اللغوي لغا (ل غ ا)، إذ جاء مفهوم اللّغة في لسان العرب على أنّ "اللّغة من اللّغو، واللّغو من الكلام غير المعقود عليه، واللّغة أيضا هو ما لا يعتدّ به لتقلّبه من حال إلى حال"[3].

أمّا من النّاحيّة الاصطلاحيّة فإنّ تعدّد لغات العالم واختلاف خصائصها من لغة إلى أخرى، جعلها متعدّدة التّعريفات، إلّا أنّها تكاد تجمع على أنّ اللّغة "قدرة ذهنيّة مكتسبة يمثّلها نسق يتكوّن من رموز اعتباطيّة منطوقة، يتواصل بها أفراد مجتمع ما،"[4] ولعلّ هذا ما يتداخل مع ما أشار إليه ابن جنّي على أنّ حدّ اللّغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، "اللّغة مجموعة من الرّموز التي تمثّل المعاني المختلفة،"[5] وبما أنّ اللغة ذهنيّة فإنتاجيتها متوقّفة على سلامة الجملة الفسيولوجيّة والعصبيّة للنّاطق بها إضافة إلى ذلك كون العلاقة بين أصواتها ودلالتّها اعتباطيّة، مؤدّيّة بذلك تلك اللّغة وظيفة تعبيريّة تواصليّة، أي أنّ البنيّة الأساسيّة للّغة هي الأنظمة الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والرّمزيّة والدّلاليّة، المستعملة للتّعبير والتّواصل وفق المجتمع المُعَاش فيه.

وتكمن أهميّة اللّغة في الأدوار التي تلعبها والوظائف التي تحقّقها، فاللّغة هي الوعاء الحافظ لكلّ المعارف والاكتشافات والاختراعات والآداب والعلوم المتناقلة من جيل إلى آخر.

اللّغة من أهمّ "مبتكرات الإنسان الحضاريّة، ولولا اللّغة لما استطاع البشر الحفــاظ على الحضارة والثّقافة والتّراث."[6]

اللّغة العامل الأساسي المؤثّر في الفرد الذي يجعله متأثرا بالثّقافــات والحضـــارات القويّة.

للّغة أهميّة كبيرة ليست منحصرة في ألفاظها وحسب بل في دلالتّها، فمــن خــلال إيحائيتها فهي تحمل قوّة سحريّة تتنوّع وتتزايد وفق سياقات حدوثها واستعمالها

ولعلّ أهم خاصيّة تميّز الإنسان عن بقيّة الكائنات الحيّة هي القدرة اللّغويّة، وهــي: رموز وليست إشارات كما هي عند الحيوانات، تشتمل على جملة مــن "الخصــائص"[7] التي تميّزها عن غيرها تتمثّل في:

- لغة الإنسان تتسع للتّعبير عن تجاربه وخبراته ومعارفه، وهي رمــوز عرفيّــة اصطلاحيّة؛

- إنّ الإنسان يستخدم اللّغة في التّعبير عن الأشياء العيانيّة والأحداث البعيدة زمانــا ومكانا؛

- يتكوّن لدى الإنسان وعي بالعلاقات التي يستخدمها قصدا علــى أنّهــا وســائل لتحقيق الأغراض من خلال اللّغة، وهي مركّبة تتألّف من وحدات ومن قواعد لتــأليف الوحدات (حروف، كلمات، جمل...)؛

- يكتسب الإنسان لغته من المجتمع الذي ينشأ ويعيش فيه، فتتنوّع بتنوّع الجماعات التي تستخدمها بفعل الزّمان والمكان؛

- ومن خصائص اللّغة عامة الطّبيعة الحيّة، إذ "اتّفق العلماء على وصــف اللّغــة بالكائن الحي، يعتريها ما يعتري الأحياء من قوّة ونماء وضعف وفناء..."[8].

وظيفة اللّغة: اللّغة متعدّدة ومتنوّعة الوظائف بحسب مقصديّة استعمالها، فهي وسيلة وأداة للتّواصل والتّعبير والفهم والإبداع الأدبي الفنّي تعليم مختلف العلوم والمعارف، وهذا ما يراه بياجيه (Jean Piaget) و(برونر) فاللغة عندهما "مفتاح النّمو المعرفي، لأنّ عمليّة اكتسابها من قبل الفرد تمكّنه من ترميز خبراته المتعدّدة، الأمر الذي يسهّل لديهم عمليّة التّعلّم والتّفاعل مع المشكلات المتعدّدة،"[9] :

الوظيفة الاجتماعيّة أو التّفاعليّة: تقتصر هذه الوظيفة على المتكلّم أو النّاطق باللّغة في تفاعله مع الآخرين في العالم الاجتماعي، "باعتبار أنّ الإنسان كائن اجتماعيّ لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته.. وتتمثّل الوظيفة الاجتماعيّة في الفهم والإفهام،"[10] وهنا يتّفق استخدام اللّغة على التّعبير عن الآراء المختلفة، وعن الأحاسيس والمشاعر والتّعبير عن الحاجات أو الأغراض كما سمّاها ابن جنّي، والتّأثير في عقول الآخرين وعواطفهم.

الوظيفة النّفسيّة: وقد تسمّى هذه الوظيفة بالوظيفة النّفعيّة أو الشّخصيّة، وأيضا الوجدانيّة، أي أنّ "اللّغة آلة للتّحليل والتّركيب التّصويريين، فإنّك بواسطة الكلمات أو الرّموز أن تفرد نواحي أو أجزاء خاصّة من الأحوال المعروضة على الحسن وتركّز عليها الانتباه، ومعنى ذلك أنّك تحلّل الحال المعروضة إلى تصوّرات،"[11] فمن خلال اللّغة يستطيع الشّخص التّعبير عن كلّ ما يجول في خاطره وعقله وفكره، فيترجم ذلك إلى لغة منطوقة أو مكتوبة.

الوظيفة الثّقافيّة الإبداعيّة أو التّخيّليّة: وهذه الوظيفة تتمثّل فيما "ينسجه من أشعار في قوالب لغويّة،"[12] وهذا ما أشار إليه (هاليداي) قائلا: "اللّغة أداة للهروب من الواقع من خلال كتابة الشّعر والقصص للتّنفيس عن الانفعالات الشّخصيّة، وكذلك للتّرويح عن النّفس (شعر، غناء)،"[13] اللّغة هي أحد عناصر الأدب إضافة إلى الفكرة والخيال والعاطفة، وهي الوسيلة التي تحفظ التّراث الأدبي والدّيني والعلمي.

الوظيفة الاستكشافيّة: وقد يصطلح عليها بالوظيفة التّعليميّة أو الإعلاميّة الإخباريّة أي أنّ اللّغة أداة لنقل المعلومات والخبرات إلى الآخرين، في المجتمع وفي العالم ككل

خاصّة مع تطوّر التّكنولوجيا في الإعلام والاتّصال، إضافة إلى تدوين الخبرات ونقلها من إلى الأجيال المتعاقبة، واكتساب المعرفة، فتكون بذلك وسيلة للتّعليم والتّعلّم.

وفي ضوء ما أشرنا إليه فيما يخصّ وظائف اللّغة المختلفة التي قد يكون مدارها ومرتكزها الأساسي الهدف من استعمال هذه اللّغة من قبل المخاطِب (المرسِل) أو المخاطَب (المرسَل إليه) أو مستقبل هذه اللّغة في أيّ شكل كانت، والمقصديّة من وراء ذلك، وهنا ربط (سابير) "القول بالمقصديّة التي تعمل على تشكيل العمليّة اللّغويّة بما ينسجم مع هذه المقصديّة وأهدافها الإبلاغيّة، وبما يسمح للمرسل بتوصيل ما يرغب فيه للآخر."[14]

2-واقع اللّغات المتداولة في المجتمع الجزائري: من بين اللّغات المتداولة في المجتمع الجزائري زيادة على اللغة الأمّ ونقصد اللّغة العربيّة، نجد اللّغة الأمازيغيّة اللّغة الفرنسيّة، اللّغة الإنجليزيّة، وهاتين الأخيرتين مع اللّغة العربيّة تشكّل اللّغات الرّسميّة الثّلاث المعتمدة في منظّمة الوحدة الإفريقيّة سنقف على كلّ لغة فيما يلي:

أ-اللّغة العربيّة: العربيّة لغة القرآن الكريم، وهو مهيمن على ما سواه من الكتب الأخرى، وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله الله للبشريّة جمعاء، واختار الله له اللّغة العربيّة وهذا يعني مدى صلاحيتها لأن تكون لغة البشريّة جمعاء، ليس هذا وحسب فالعربيّة هي أيضا "عبارة عمّا حفظ من كلام العرب الخلص، ونقل عنهم من الألفاظ الدّالة على المعاني،"[15]

واللّغة العربيّة هي من أثرى اللّغات الإنسانيّة، فهي تزخر بالعديد من الأصوات والألفاظ والتّراكيب وأكثر اللّغات انتشارا بين النّاس، وهي من بين اللّغات السّاميّة التي كان يتكلّم بها بنو سام، والمتمثّلة في اللّغة العربيّة، والأشوريّة والبابليّة والحبشيّة والسّريانيّة والعبريّة والفينيقيّة...

"لا أحد يستطيع أن ينكر أنّ اللّغات تتلاقح كلّما اتّصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأنّ أيّة (أي) لغة من اللّغات في العالم كما تؤثّر في غيرها فإنّها أيضا تتأثّر،"[16]

وللّغة العربيّة خصائص وسمات تفرّدها بين لغات العالم، على مستوى الأصوات ويظهر ذلك في كون اللّغة العربيّة من أثرى اللّغات في العالم من حيث عدد الأصوات ففيها 34 صوتا لغويا مستعملا (28 صوتا جامدا و6 حركات)، بينما في اللّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة تسعة وعشرون صوتا، ولكلّ حرف من تلك الحروف خصائصه وشروط تركيبه مع أخرى في كلمات متعدّدة، أمّا على مستوى المفردات فنجد للّغة العربيّة قدرة واسعة في توليد بعض الصّيغ من بعض والرّجوع بها إلى أصل واحد يحدّد مادتها ويعبّر عن معناها الأساسي بفعل الاشتقاق، إضافة إلى مستوى التّركيب.

ب-**اللّغة الأمازيغيّة:** الأمازيغيّة هي اللّغة الأمازيغيّة، "والأمازيغيّة هي اللّغة التي ينطق بها ساكن شمال إفريقيا بالخصوص، وهي تلك اللّغة الجامعة للّغات البربريّة... وما يوجد الآن هو كلام هذه اللّغة أو لهجاتها. الأمازيغيّة هي اللّغة الأم (الأمازيغيّة الأولى Protoberbére كما سمّاها Karl G.Prasse) وهذه اللّهجات يُتلاغى بها في أماكن مختلفة، هي أداءات تستعمل في البيت والسّوق، وهي لغات التّواصل اليومي غير التخصّصي أو غير الرّسمي."[17]

وهذه اللّغة ليست متفرّعة عن لغات أخرى إنّما هي: "لغة قائمة بذاتها، ليست لهجة متفرّعة عن أخرى، ولها لهجاتها المتفرّعة عنها، المنتشرة في المغرب والجزائر وليبيا وتونس وموريتانيا ومالي والنّيجر وبوركينفاصو."[18]

ولغات الأمازيغ هي المعروفة باللّغات البربريّة، التي تنقسم إلى التّرقيّة، القبائليّة الشّلحيّة الرّيفيّة، الشّاويّة، التّامازيغيّة.

أمّا عن تواجد هذه اللّغة في الجزائر، فقد أشار صالح بلعيد إلى استقرار "بعض هذه اللّغات (اللّهجات) في الجهات الجبليّة أو الصّحراويّة، فكانت أصعب منالا على الغزاة والفاتحين، بينما استسلمت لغات أخرى في جهات غير جبليّة وغير صحراويّة كالشّاويّة والميزابيّة، إلى لغة أكثر مسايرة للضّرورة الاجتماعيّة، وهي اللّغة العربيّة التي كانت حاضرة منذ قرون في هذا البلد الّي تبنّاها وعمل على نشرها. كما أنّ التّباعد بين مناطق هذه الفئات جعلها تختلف في كثير من قواعدها ومصطلحاتها، ومن

ذلك ظهرت لهجات أمازيغيّة،"[19] وتتمثّل هذه اللّهجات في: القبائليّة في منطقة القبائل الكبرى والصّغرى، الشّاويّة في أوراس النّمامشة، الميزابيّة في منطقة بني يزقن في غردايّة.

ج-اللّغة الفرنسيّة: وأمّا الثّنائيّة اللّغويّة في الجزائر فيضفي الحديث عنها إلى التّحدّث في المقام الأوّل عن اللّغة لما لها من مكانة مهمّة في السّاحة الثّقافيّة وفي عقول الجزائريين لاسيما النّخبة منهم، حيث نجد الثّنائيّة اللّغويّة (العربيّة/ الفرنسيّة) تمارس في الجزائر بقدر من الحريّة لا نجد له مثيلا في غيرها من البلدان العربيّة.

ومعلوم أنّ الفرنسيّة انتشرت مع الاستعمار الفرنسي (1830/ 1962م) وامتدت لجميع المناطق، وبقي تأثيرها قويّا بعد الاستقلال، حيث تحتلّ مكانة مهمّة مقارنة بغيرها من اللّغات الأجنبيّة، بل وتوظّف على نطاق واسع في التّعليم الجامعي بالشّعب العلميّة والتّقنيّة، وفي وسائل الإعلام المرئيّة والمكتوبة والمسموعة، وتستعملها بعض فئات المجتمع في التّواصل الشّفهي.

غير أنّ ما نراه في استعمال هذه اللّغة في المجتمع الجزائري هو أنّها أصبحت تؤثّر سلبا عليه وعلى تعليميّة لغته العربيّة الفصحى الممثّلة لهويّته وثقافته ودينه، وإن لم توجّه هذه الثّنائيّة ويتمّ التّخطيط لها بما يخدم المجتمع، لأنّ الوضع اللّغوي الرّاهن يشير إلى ترسيخ استعمال اللّغة الفرنسيّة أكثر، ويظهر ذلك في لغة الشّارع الثّنائيّة المتجسدة في إشارات المرور، لافتات المحلّات، الكتابات على المباني العامّة...

سمات الوضع اللّغوي بالجزائر: شخّص الباحث لويس جون كالفي (Louis Jean Calvet) الوضع اللّغوي ببلدان المغرب العربي ومنه الجزائر، بوجود أربع لغات مستخدمة بتفاوت لأداء وظائف شديدة التّنوّع، وهذه اللّغات هي العربيّة الفصيحة والفرنسيّة واللّغة الأمّ التي تنقسم إلى أمازيغيّة في بعض المناطق ولغة عاميّة قريبة إلى الفصحى في مناطق أخرى.

يقول جيبيلير غرانغيوم (Gilberl Grandguilloume) عن التّعريب والسّياسة اللّغويّة في بلدان المغرب: "تستخدم في بلدان المغرب الحالي ثلاث لغات، العربيّة

والفرنسيّة واللّغة الأمّ، أمّا الأوليان فلغة الثّقافة ، وهمـا لغتـان مكتوبتـان، وتسـتخدم الفرنسيّة أيضا لغة للمحادثة غير أنّ اللّغة الأمّ الحقيقيّة التي يستخدمها النّاس دائما فـي خطابهم اليومي لهجة هي العربيّة أو البربريّة وليست هذه اللّغة الأمّ إلّـا فـي حـالات نادرة جدّا لغة مكتوبة،"[20]

د–اللّغة الإنجليزيّة: تعتبر اللّغة الإنجليزيّة من بين اللّغات الحيّة، والمقرّر تعليمهـا في المؤسّسات التّربويّة الجزائريّة، إجباريّة كمادّة أساسيّة في مرحلة التّعلـيم المتوسّـط والتّعليم الثّانوي واختياريّة في التّعليم الجامعي، وهي لغة العلوم والفكر تحتـلّ مكانـة عالميّة مرموقة غير أنّه ما اقترح مؤخّرا في المنظومة التّربويّة الجزائريّة هو اسـتبدال اللّغة الفرنسيّة باللّغة الإنجليزيّة على أنّها اللّغة الأجنبيّة الثّانيّة بعد اللّغة الأمّ.

واللّغة الإنجليزيّة هي من اللّغات الدّوليّة الأكثر اسـتخداما فـي أغلـب الأعمـال والدّراسات، تتبع اللّغات الجرمانيّة القديمة، تطوّرت مع مرور الوقت، وقد أسـهم هـذا في إضافة كم هائل من المفردات والتّراكيب اللّغويّة الجديدة لها. وتزامن تطوّرها مـع التّطوّرات العالميّة في العديد من المجالات المتنوّعة.

يرى صالح بلعيد أنّ بعض الفئات أو الجماعات المعرّبة ترى أنّـه يجـب إحـداث "قطيعة مع الفرنسيّة، واستبدالها بالإنجليزيّة كلغة أجنبيّة،"[21] وقد رحّب الكثيـر بفكـرة استبدال اللّغة الفرنسيّة باللّغة الإنجليزيّة، ودعا إلى تعزيزها في المـدارس والجامعـات ومعاهد البحث.

3–فعاليّة تعدّديّة اللّغة في تجسيد السّلم والسّلام: منذ أن حوّلت البشريّة أصـواتها وإشاراتها الأولى إلى علامات لغويّة، نشبت حرب اللّغات نتيجة حتميّة لتعـدّد اللّغـات فالتعدّد اللّغوي أصل النّزاع، ولا يعني هذا القول أنّه السّبب الوحيد لهذه الحرب ولكنّـه الشّرط الضّروري لحصولها.

نقول عن دولة ما أنّها متعدّدة اللّغات حينما يتمّ التّكلّم فيها بلغتـين مختلفتـين علـى الأقل، وقد عرّفه جون ديبوا (Jean Dubois) في كتابه قـاموس اللّسـانيات بقولـه: "التعدّد اللّغوي عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد أو عند فرد واحد ليستخدمها

في مختلف أنواع التّواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسيّة والإيطاليّة والألمانيّة هي لغات رسميّة بها."[22]

فظاهرة التعدّد اللّغوي لا تكاد تخلو منها أي دولة أو مجتمع، وقد يكون ظاهرة طبيعيّة مفيدة في الدّول إن اتّخذ "مسلكا للتّطعيم وانفتاح الثّقافة الوطنيّة على الثّقافات الأجنبيّة لتوسيع دائرة التّفكير اللّغوي بما يخدم اللّغة الوطنيّة،"[23] وقد يكون التعدّد اللّغوي ظاهرة صحيّة تسهم في توسيع دائرة التّفكير اللّغوي والانفتاح على الثّقافات المحليّة والأجنبيّة تطعيما للثّقافة الوطنيّة دون أن يضرّ باللّغة العربيّة إن أُحسن استغلاله في مواكبة التّطوّر العلمي والتّكنولوجي، وقد ينعكس بالسّلب حين يستخدم لتحقيق أغراض سياسيّة واقتصاديّة تضرّ باللّغة الأمّ، وعليه فالتعدّديّة اللّغويّة "إن بُرّرت بصورة طبيعيّة نابعة من متطلّبات المجتمع المتطلّع إلى المعرفة الإنسانيّة فهي ظاهرة صحيّة، ومّا إن سلك التعدّد اللّغوي مسلكا إيديولوجيا سياسيا تحت أقنعة مختلفة ظاهرها الرّحمة وباطنها من قبله العذاب فذلك هو المسخ الثّقافي والحضاري والاستعمار في شكله الجديد."[24]

ولعلّ من أسباب تواجد ظاهرة التعدّد اللّغوي في الجزائر تعرّضها للاحتلال الفرنسي (1830- 1962م) وقد عملت فرنسا خلال هذه الفترة على محو اللّغة العربيّة وسعت جاهدة لفرض لغتها الفرنسيّة، فالمدّة التي قضتها فرنسا ليست بالهيّنة حيث تأثّرت مختلف فئات المجتمع الجزائري باللّغة الفرنسيّة وهذا ما أدّى إلى ظهور ثنائيّة لغويّة.

ناهيك عن أسباب وعوامل تربويّة وتعليميّة ساعدت على تفشّي ظاهرة التعدّد اللّغوي فمثلا الكثير من المواد العلميّة تستعمل مصطلحات أجنبيّة وهذا الوضع يخلق لدى المعتلّمين خطابا عربيا مشوبا بمصطلحات أجنبيّة ولهجيّة.

ويظهر التعدّد اللّغوي في الجزائر من خلال قضيتين، الأولى ما تشكّله اللّغة العربيّة مع لهجاتها ويطلق عليه علماء اللّغة مصطلح الازدواجيّة اللّغويّة، والقضيّة الثّانيّة هي ما تمثّله اللّغة العربيّة مع اللّغات التي تعايشت معها لسبب من الأسباب كاللّغة

الأمازيغيّة التي لازمت اللّغة العربيّة منذ الفتح الإسلامي إلى زمننا الحاضـــر واللّغـــة الفرنسيّة التي فرضت نفسها على اللّغة العربيّة جراء المستدمر، فشكّلت معها ثنائيّة في الواقع اللغوي، واللّغة الإنجليزيّة هي الأخرى كان لها نصيب في المجتمع الجزائري إذ تدرّس في مختلف المؤسّسات التّعليميّة.

وقد يكون للتعدّد اللّغوي مظهران ينعكسان إمّا بالإيجاب أو السّــلب علـــى الواقـــع اللّغوي:

أ-سلبيات التعدّد اللّغوي في الجزائر: قد خلّف التعدّد اللّغوي في الجزائري أثـــارا سلبيّة وعجزا عن التّواصل بين مختلف مناطق الوطن الواحد، وبدا هذا جليا في ثـــلاث نقاط أساسيّة:

- **الصّراع اللّغوي:** خلّف التعدّد اللّغوي في المجتمع الجزائري صراعا قويّـــا بـــين اللّغة العربيّة الرّسميّة واللّغة الأجنبيّة (الفرنسيّة والإنجليزيّة) من جهـــة، وبـــين اللّغـــة العربيّة واللّهجات العاميّة من جهة أخرى، فأضـــحت أغلـــب الخطابـــات الاجتماعيّـــة والرّسميّة بالعاميّة أو هجين من اللّغات حتّى في المؤسّسات التّعليميّة، فمسألة "الصّـــراع اللّغوي القائم في الجزائر نجده قائما منذ السّبعينيات بين العربيّة كلغة رســـميّة، وبـــين الفرنسيّة التي تريد الهيمنة والفرنسيّة فرضت وبالقوّة على حساب لغات أخرى (العربيّة واللّغات الأمازيغيّة)، بل إنّ العربيّة دخلت الصّراع في شكل سلمي مع الفرنسيّة تريـــد تحقيق حقّها في وطنها من حيث الاستعمال في كلّ المجالات، ولم تنظر إلى الفرنســـيّة على أنّها لغة يجب إقصاؤها، بل نظرت إليها علـــى أنّهـــا معطـــى واقعـــي يصـــعب إلغاؤها،"[25] ورغم أنّه صراع لغويّ إلّا أنّه لم يبعد اللّغة الفرنســـيّة مراعـــاة لجوانـــب إيجابيّة وجودها.

- **التّداخل اللّغوي:** لقد أحدث التعدّد اللّغوي فـــي الجزائـــر تغيّـــرات فـــي جميـــع المستويات التّحليليّة للّغة العربيّة (صوتيّة، نحويّة، دلاليّة، معجميّة)، فعلى سبيل المثـــال نجد بعض الألفاظ قد دخلت إلى الوسط اللّغوي الجزائري رغم أنّهـــا أجنبيّـــة أو مـــن

اللّهجات العاميّة، مثل: الميكرو، تليفون، أي أنّ نطقها بحروف أجنبيّة (فرنسيّة) وكتابتها بحروف عربيّة.

- **التّشتّت اللّغوي:** في بعض الأحيان يشكّل التعدّد اللّغوي ارتباكا على مستوى التّعبير، بدلا من أن يكون عاملا إيجابيا كعدم التّحكّم في أيّة لغة من اللّغات، فالمعرّب لا يتقن العربيّة جيّدا، والمفرنس لا يجيد النّطق بالفرنسيّة بالشّكل المطلوب، فاختلطت هاتان اللّغتان باللّهجة العاميّة وبقيّة اللّغات الأخرى، وفقد الجزائريون لغتهم الرّسميّة (العربيّة)، ممّا أدّى إلى تنوّع الخطابات التّعليميّة من منطقة إلى أخرى. فنجم عنه صعوبة في التّواصل وسوء فهم ظاهر في جميع نواحي البلاد.

ب-إيجابيات التعدّد اللّغوي في الجزائر: يرنو الجميع إلى إثبات هويته باعتبارها تحديدا للذّات وشرايين الأمّة، ومصدرا عظيما من مصادر القوّة وأمّة أضاعت لسانها أضاعت تاريخها، وسوف تضيّع حاضرها ومستقبلها، غير أنّ تعلّم الفرد أو الشّخص لأكثر من لغة غير لغة الأم ييسّر التّطوّر المعرفي والعقلي والإبداعي، شرط التّحكّم في اللّغات وإتقانها وفق قواعدها الصّحيحة قصد الاستفادة منها ومسايرة العولمة والتّطوّر التّكنولوجي.

ولا يفوتنا هنا التّنويه بمزايا التعدّد اللّغوي في البلدان المتحضّرة التي تعتبره جزءاً من الحضارة، ومبدأ عظيما لقبول الآخر واحترام لغته، إذ يقول صالح بلعيد في هذا الصّدد: "لا يجب أن نتقمّص الأحاديّة اللّغويّة، ففي الجزائر أشكال لغويّة متعدّدة تتداول في المحيط، بل توجد لغتان رسميتان (فرنسيّة عربيّة) بالمعنى الاستعمالي لا بالمعنى الدّستوري، ويضاف إلى هذا التعدّد القائم على مستوى اللّهجات، ومن هنا فإنّ مسألة التعدّد اللّغوي لا يشكّل عقدة تمنع جعل لغتين رسميتين آخذين بالاعتبار الخصوصيات المميّزة لكلّ لغة،"[26] فكلّ اللّغات تفتح آفاقا ومجالات واسعة أمام من يتقن الحديث بها.

هذا بالإضافة على أنّ اللّغات المشتركة تعمل على تحقيق التّنميّة البشريّة والتي لا يمكن أن تحدث في غياب التّواصل البيني، و"توطين المعرفة باللّغة المشتركة عامل قوي لمزيد من الإنتاج."[27]

وحتّى تجسّد هذه اللّغات (العربيّة، الأمازيغيّة، الفرنسيّة، الإنجليزيّة) الأمن والسّلم في الواقع اللّغوي بصفة خاصّة، والمجتمع الجزائري عامة، لابدّ من اتّخاذ التّدابير الآتيّة:

– الإيمان بأنّ اللّغة أداة تواصل تحمل الكثير من القيم الاجتماعيّة والتّصرّفات والأقوال؛

–تعزيز الهويّة الوطنيّة بالحفاظ على الهويّة اللّغويّة التي تخلد بحفظ الحقوق اللّغويّة وفي هذه النّقطة بالذّات يجدر بنا الإشارة إلى الهويّة اللّغويّة التي تتشكّل في مراحلها الأولى لدى الطّفل مع ضرورة تدخّل الأسرة في نمو لغته، لأنّ "اللّغات تنتشر عن طريق الأطفال الذين يتعلمونها، وحين يرى اللّسانيون أنّ لغة ما لا يتكلّمها إلاّ البالغون فإنّهم يعلمون أنّ هذه اللّغة في سبيلها على الانقراض"[28]؛

–**تحقيق الأمن اللّغوي:** لا يحصل الأمن اللّغوي في ظل الاعتداء على اللّسان أو على الحقّ اللّغوي، وكلّ اعتداء ينجم عنه تشتّت فكري، ويغيب الأمن بمظهريه الجسدي والفكري، لأنّهما متلازمان تلازما لا مفر منه "فلا رفاه اقتصادي بوجود الفوضى، ولا رفاه اجتماعي بغياب الأمن، ولا نشأة طبيعيّة مع حضور أدوات الرّعب، فالحياة لا تسمّى حياة إن لم يصاحبها الأمن، كالظّل من الإنسان، فهي اسم على مسمّى، فإن غاب الأمن، أصبحت الحياة جحيما، وإن عاث الفاسد في بلد قال الفقر أنا عضيدك وقال الكفر خذني معك، وقال القهر أنا حليفك، وقال الظّلم أنا خليلك وقالتّ الفوضى أنا شعارك، وقال الخراب أنا دثارك، وقالتّ الحياة أنا طليقتك بالثّلاث."[29] وفي هذا المضمار نؤيّد رأي صالح بلعيد حينما شبّه الأمن في الحياة بالرّوح في الإنسان.

– ضرورة اتّباع سياسة التّخطيط اللّغوي بدءا بضرورة توسيع دائرة الاهتمام باللّغات الأجنبيّة إلى جانب اللّغة الأمّ؛

– وجوب دراسة علاقة اللغة بالمجتمع، ومدى تأثر كل منهما بالآخر، فيتعامل الفرد مع اللغة التي هي إرث للجميع ويعمل على إنجاح التّخطيط اللغوي بتطبيق اللسانيات؛

– تشجيع التّرجمة لأنها الجسر النّاقل للثقافات والعلوم وبواسطتها يتم استدراك التّأخير ومسايرة الواقع اللغوي والتّطور التّكنولوجي في الوقت نفسه؛

– تفعيل المؤسّسات الحيويّة في الدّول العربيّة قصد ترقيّة اللغة والنّهوض بها؛

– إنشاء مؤسّسات ذات صبغة وطنيّة تكون مسؤولة عن بناء وصياغة مخطط لغوي نموذجي؛

– ضرورة القيام بدراسة وصفيّة دقيقة للواقع والممارسة اللغويّة في الجزائر لوضع مخطط لغوي وتجاوز الفوضى.

الخاتمة: اللغة ذاكرة الشّعوب وتاريخها بوجهيه الشّفوي والمكتوب، لذا ينبغي اتخاذ التّدابير اللازمة لتطوير الاستعمال اللغوي وتحسينه إلى جانب الإبقاء على مسافة بينها وبين اللغات الأجنبيّة داخل المنظومة التّربويّة وتعليم مختلف العلوم باللغة القوميّة وتحبيب تعلم بقيّة اللغات الأخرى للتلاميذ في إطار التّوسع العلمي والمعرفي، لذا ينبغي للمدرسة أن تعمل على إيجاد توازن يتيح للطفل تعلم اللغة الأجنبيّة كلغة معارف حديثة وفي الوقت نفسه يتمكن من التّفاعل مع مجتمعه ومحيطه، باستعمال لغته العربيّة الأصليّة التي تستطيع أن تستوعب الحداثة.

الهوامش:

[1]– الآيّة 23 من سورة الرّوم.

[2]– وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ص 31.

[3]– أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجــزء 2، دار إحيــاء التّــراث العربي، 1419ه–1999م، بيروت، لبنان، ص4501/15.

[4]– وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ط1: 2011م، دار أسامة للنّشر والتّوزيــع، الأردن ص 13.

[5]– محمّد فوزي أحمد بني ياسين، اللّغة، ط1: 2011م، مؤسّسة حمادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع، عمّان، ص 15.

[6]– وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ص 17.

[7]– ينظر: وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ص 18، 19.

[8]– محمّد فوزي أحمد بني ياسين، اللّغة، ص 20.

[9]– وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ص 30.

[10]– محمّد فوزي أحمد بني ياسين، اللّغة، ص 25.

[11]– وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ص 30.

[12]– محمّد فوزي أحمد بني ياسين، اللّغة، ص 26.

[13]– وليد رفيق العياصرة، التّفكير واللّغة، ص 30.

[14]– محمّد فوزي أحمد بني ياسين، اللّغة، ص 28.

[15]– محمّد الصالح الصّديق، العربيّة لغة العلم والحضارة، ط: 2006م، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص 36.

[16]– سعيد أحمد بيومي، أمّ اللّغات، دراسة في خصائص اللّغــة العربيّــة والنّهــوض بهــا، ط1: 2002م، مكتبة الآداب للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص 36.

[17]– صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، ط2: (د، ت)، دار هومة للطّباعة والنّشــر والتّوزيــع الجزائر، ص 31، 32.

[18]– صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، ص 32.

[19]– صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، ص 45.

[20]– لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغويّة، تر: أمحمّـــد يحيـــاتين، ط: 2006م دار القصبة للنّشر، ص 89.

[21]– صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، ص 66.

[22]– باديس لهويمل ونور الهدى حسني، مظاهر التعدّد اللّغوي وانعكاساته علـــى تعليميّـــة اللّغـــة العربيّة، مجلة ممارسات لغويّة، ع 30: 2014م، جامعة – محمّد خيضر، بسكرة، ص 103.

[23]– ديدوح عمر، الصّراع اللّغوي في الجزائر، تأزيم الهويّة http://www.almarefh.net

[24] – المرجع نفسه.

[25]– صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، ص 62.

[26]– صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغيّة، ص 61.

[27]– صالح بلعيد، رأي في تدبير المازيغيّة لغة رسميّة ثانيّة، ط: 2018م، دار الخلدونيّة للنّشـــر، ص 98.

[28]– صالح بلعيد، في الأمن اللّغوي، ط2: 2012م، دار هومة، الجزائر، ص 20.

[29]– المرجع نفسه، ص 23.

أبستمولوجيا الثقافة الأمنيّة وتعدّد اللّساني التـواصلي وفي الجــزائر ـالأفاق والتصـورات ـ

دكتورة لوت زينب

جامعيّة مستغانم - الجزائر

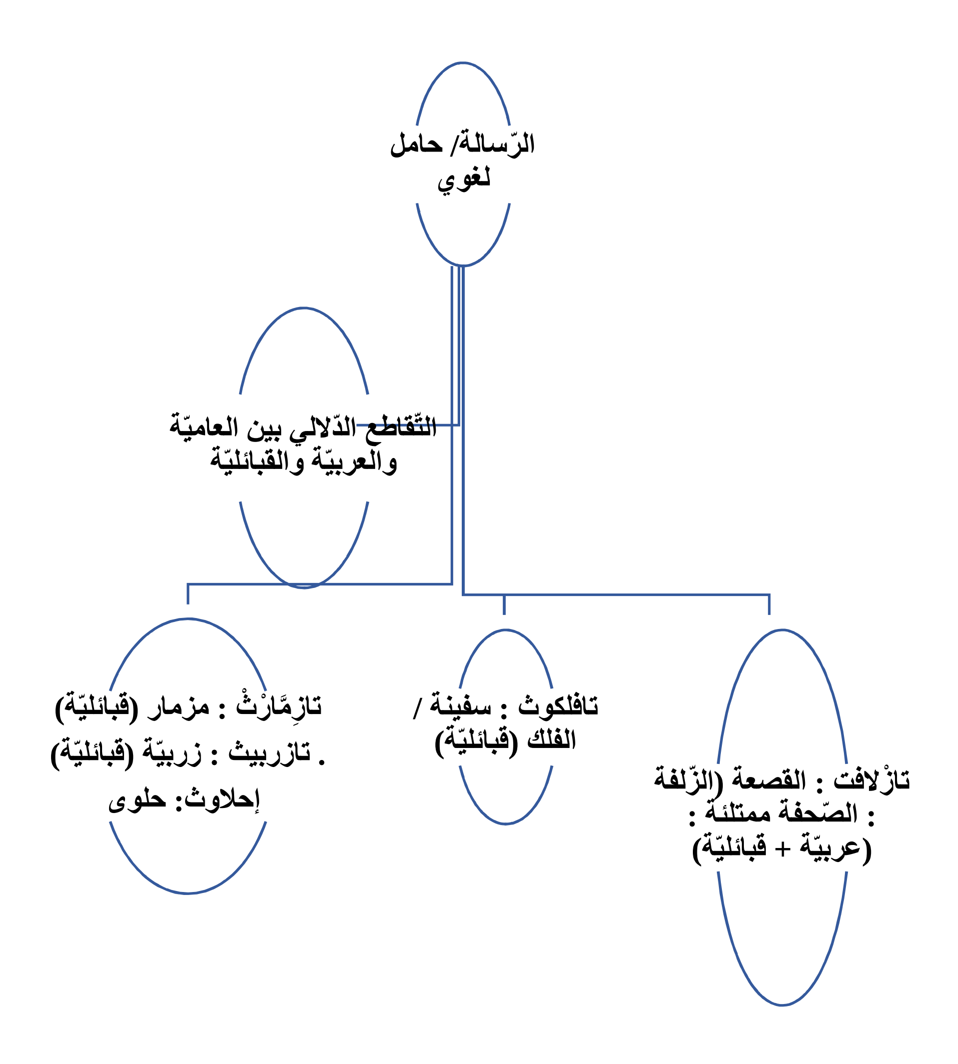
الملخّص: آفاق اللّغة بتعدّد استعمالاتها تمنح حافز التّفاعل الثّقافي فـــي مرجعيـــات الهويّة التي أفرزتها مرجعيات تاريخيّة واجتماعيّة، وهي نفســـها متعلّقـــة بطرائـــق استثمار حقائق التّداول اللساني واختلاف مهارات التّلقي والاســـتثمار المعرفـــي بـــين التّراث والحداثة يمنح تصوّر مشهد أمني يلازمه نظريّة معرفيّة للغة (الأبســـتمولوجيا) و يحدّد جون لوكا": (John Locke)هي علامات حسّيّة تدل على الافكار الموجـــودة في الذّهن" ومن هنا يظهر المدى الارتباطي بين اللغة والفكر وأثرهـــا الحسّـــي أثنـــاء ممارسة الخطاب التّواصلي ومن إشكاليات بحثنا: كيف يمكن تحقيق ائتلاف لغوي فـــي مسار تعدّدي للالسّن؟ هل يمكن إثراء العامل الثّقافي من خلال التعدّد اللســـاني؟ مـــاهي مقوّمات الأمن والتّسامح والسّلام مع التعدّد اللغوي.؟

الكلمات المفتاحيّة: اللغة –التّعدّد–السّلام–التّواصل–المجتمع– الثّقافـــة– التّســـامح– اللسان .

مفهوم التعدّد اللساني ونماذجه في الجزائر: يعدّ التعـــدّد اللســـاني فـــي المنـــاطق الجغرافيّة التي تتّحد في مواطنتها فالألفاظ تتميّز بواقعها مع خصائص حـــدّدها المـــنهج العلمي مع هيبوليت تين (/ 1893–1828)H.Taine) ثلاثيّة: البيئة–العصر–الجنس وفي هذا النّطاق يكون الفعل التّاريخي نتيجة للحضارات التي مـــرت علـــى الجزائـــر بعامل استعماري مثل (الوندال– الرّومان– البيزنطيـــون–الفنيقيّـــون– العثمـــانيّون...) مهمّاً لمعرفة جذور التّكوين الفكري اللغوي للجنس عبر العصور وما تحفره البيئات في ذهن المتكلّم، لتصبح نظام حياته وتواصله الاجتماعي واختلافه عن الآخر في منطـــق

العمليّة التّواصليّة، وهذا المظهر قد يحدّده اختلاف اللهجات مثل (الشّـــاويّة–الزّناتيّـــة– التّرقيّة– الميزابيّة– التّلمسانيّة –الوهرانيّة – الصّــحراويّة...) واللغــات (الأمازيغيّــة بأنواعها– العربيّة) ورغم التّعدّد تتواجد منابر التّآلف الوضعي للسان في ظــلّ الأقــاليم الثّقافيّة للتاريخ الوطني والنّسيج الاجتماعي خاصّة حيــث لا ينــتج السّــلام الأمنــي والجماعي بين الأفراد والمظهر اللساني عند فئة يتميّز عن أخرى بمجموعــة وســائط تحدّد نظامه وتعاقده الكلامي كما يحدّدها (عبد المالك مرتاض) هي "**نسج من الألفــاظ والنّسج مظهر من النّظام الكلامي الذي يتّخذ خصائص لسانيّة تميّــز عــن ســواه**"[1] وهذا التّميّز أيضا يمنح قرابة بين الأطر الوطنيّة وخصوصا الاجتماعيّة وهــذا لتواجــد امتزاج أسري يجمع الاختلاف اللغوي لكن التّفاهم والتّعايش يخلق مجالاً مــن تلاحــم الثّقافات اللغويّة والتّلاقح في مفرداتها وما يجده المتواصــلون اجتماعيــاً مــن قــرائن ومشابهة.

الثّقافة تلعب دورا مهمّاً في هذا التّنوّع وكلّ نوع لغوي يحتوي على نظام داخلــي صوتي ولفظي يمتلك خصوصيّة وجوده وخاصّيّة تواجده "**النّظام الدّاخلي لهذا الخطاب هو الذي يقوم بعمليّة التّأطير، فيكون معجما بذاته مكتفيا بالصّلات التي تربطــه مــع غيره من الأنظمة والأنساق، فيكون الخطاب انطلاقاً من هذا الأفق ممثّلاً لغوياً للبنيّــة الثّقافيّة للحقبة التي أنتج فيها**"[2] ومهمّاً امتد هذا الخطاب بصفاته الحضاريّة فهو يمثّــل وسطاً أنّ اللغة عند ابن سنان الخفاجي تمتلك صفاتها وموضعها وتواضــعها **بقولــه**: "**ولها في الوجود أربعة مواضع، الأوّل: وجودها في أنفسها، والثّاني: وجودهــا فــي أفهام المتصوّرين لها، والثّالث: وجودها في الألفاظ التي تدلّ عليها والرّابع: وجودهــا في الخط الذي هو أشكال تلك الألفاظ المعبَّر بها عنه**"[3] رغم اختلاف الأشكال التّعبيريّة عن الصّورة او حامل الشّيء نجد **الاشتراك الموضعي للمشار إليه في الذّهن واحداً:**



نجد التّقارب التّصويري للصّورة بين مفهومها القبائلي ومرادفها الدّلالي في اللهجة العاميّة مثل: تازلافت، تافلكوث بالأفلاك وهي لفظ لقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾-سورة البقرة-164.

أمّا من حيث التّشابه الصّوتي مثل: تازمارث- مزمار تحقق هذا الوعي الإنساني بالتّقارب الحضاري والتّعايش بين الأفراد منذ ظهور المستعمرات كعامل لتجزئة المناطق حسب التّموقع والاستراتيجيات الفكريّة والسّياسيّة والاقتصادي حيث ترسّبت الذّهنيات اللغويّة ونسجت أنماط تواصلها واستعمالها" **فحيثما تتشابه اللغة الأولى واللغة الثّانية يكون وفي هذه الحالة يسهّل تعلّم اللغة الأولى تعلّم positiveTransfer الانتقال إيجابيا اللغة الثّانية، والنّتيجة تسهيل وأداء صحيح. وحيثما تختلف اللغة الأولى واللغة الثّانية وتكون النّتيجة أنّ اللغة الأولى هنا أعاقت،négativeTransfer يكون الانتقال سلبيا وخطأ في الأداء من نوع ما inhibition.تعلّم اللغة الثّانية، أي تكون النّتيجة إعاقة وكلّما زاد التّشابه بين اللغة الأولى واللغة الثّانية زاد الانتقال الايجابي وقلّ الانتقال السّلبي، أي زادت الأداءات المصيبة وقلّت الأداءات الخاطئة وأسرع اكتساب اللغة الثّانية. وإذا زاد الاختلاف بين اللغتين زاد الانتقال السّلبي وقلّ الانتقال الايجابي وزادت إعاقة تعلّم اللغة الثّانية وزادت الأخطاء وطال أمد اكتساب اللغة الثّانية**"[4] كما خصّصت الوزارة الوصيّة بالتّربيّة والتّعليم بتعليم اللّغة الأمازيغيّة للمتمدرسين واكتساب لغة ثانيّة يمنح قدرة للتواصل بين مواطن التّشابه والاختلاف في حامل الرّسالة اللغويّة وصورة المبنى اللفظي من حيث التّشكيل والمظهر النّحوي والصّرفي والصّوتي وهذا ما يحقّق فكرة التّقارب الجغرافي بين الهويّة والجذور الحضاريّة والتّقاء الأجناس بين اللغات البشريّة. كما يسهم الوعي الفكري للإطار العام الذي يقوم بتوليف حياة اللغة داخل الوسط الاجتماعي والتّعلمي يمكن رصد هذه المشابهة والاختلاف في الأمثلة الواردة في الجدول الآتي:

الكلمة الأمازيغيّة	اللغة العربيّة على وجه المشابهة	الكلمة الأمازيغيّة	اللغة العربيّة على وجه الاختلاف
أمازيغ	أمازيغي	أضو	الهواء
أقدوح	القدح	أعلاو	البرنوس
أسلم	السّمكة	أمالو	الظّل

كما نجد ظاهرة الافراد والجمع مقاربة بالنّحو العربي كما سيأتي:

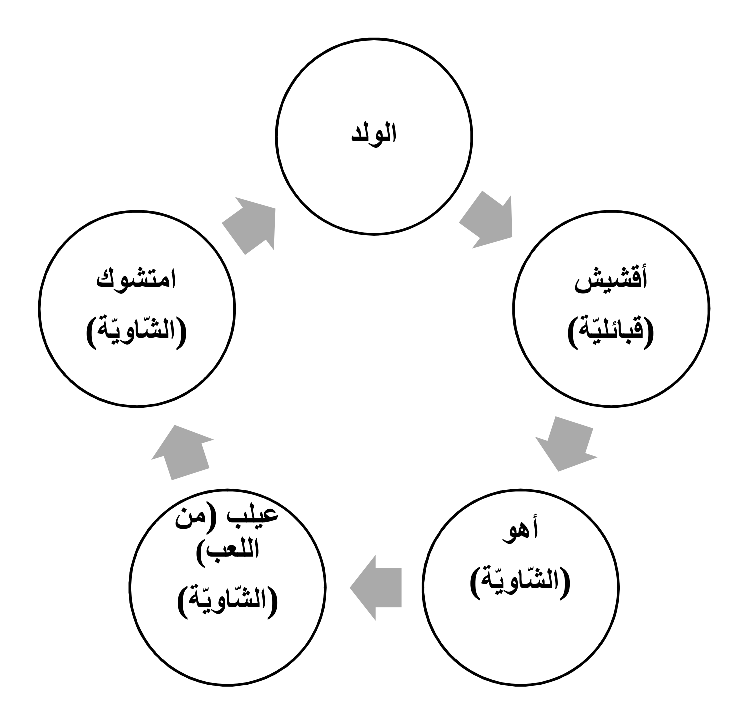
المفرد	الجمع
أركــاز(الرّجل)	إفــاون(الرّجال)
وُدَم(وجه)	ودمــان(وجوه)
ئِفــري(الغار)	ئفــران(الغيران)
أفّــاو(الضّياء)	أفــاون(الأضواء)
ئِتــري(النّجم)	ئِثــران(النّجوم)

يثير مفهوم التعدّد اللغوplurilinguisme الانفتاح الواعي لثروات ثقافيّة وتنوّع يــثمن التّقاطع والتّوازي بين الاختلاف والائتلاف وحالة تعايش إنساني وتحقيــق مثــل هــذا التّسامح والتّآلف ونتّفق على وجود سياسة واعيّة لخلق هذا الفضاء بين اللغات إثر:

- تعزيز التّواصل بالتّراث القديم عبر الاحتفاء بالمناسبات المتّصلة عبــر منــابر حضاريّة ومحامل تاريخيّة؛
- الإعلان عن اللغة الامازيغيّة لغة رسميّة جسد ثنائيّة اللغة؛
- إثبات وجود التعدّد والتّفاعل مع مظاهره الحضاريّة والانساق الدّلاليّة والصّوتيّة المتصلة باللغة؛
- احترام المظاهر السّوسيولغويّة والسّيكولوجيّة والفيزيولوجيّة الثّقافيّة للأفراد فــي محيط تواصلهم؛
- الإقرار بوجود تنوّع في الجنس اللغوي والثّقافي ونصّه في الكتب التّعلميّة فــي مادة التّربيّة المدنيّة احتراماً وتعلماً معرفياً ينمّي أصــول التّعــايش والامتــزاج بــين الخصوصيّة وبنيّة الخطاب؛
- التّقارب اللفظي في مختلف الاشتقاقيّة الصّوتيّة والدّلاليّــة والاصــطلاحيّة بــين اللغات في الجزائر مثال: بيــر من المادّة (بأر) بمعنى بئر. أفيغَــرْ ثعبان، الفاغر فــي العربيّة دويبة تعضّ.

3- الثّقافة اللغويّة و الرّصيد المعرفي التّراثي والاجتماعي في محيط الاختلاف الالسّني: يتشكّل الرّصيد المعرفي من محيط الاختلاف والتّنوّع حيث تتمثّل الأشياء حسب ثقافاتها وعاداتها وفعلها المتعامل به في الوسط الاجتماعي التّواصلي فالعديد من الألفاظ تعبّر عن شيء واحد في ظلّ اللغات المتعدّدة داخل الوطن المشترك في قيم ورموز **"وضعيات تواصليّة لغويّة مختلفة تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعيّة والسّياق أو الحاجيات والغايات والأهداف، أي أنّنا نتحدّث بأكثر من نظامين لغويين وعلى هذا الأساس نجد أنّ التعدّد اللغوي يحتوي على ما يسمّى الأحاديّة اللغويّة، الثّنائيّة اللغويّة والازدواجيّة اللغويّة"**[5] ولكن ما تحقّقه حالات التّعايش اللغوي من وضعيات حواريّة بين الملفوظات من حيث تكوينها داخل وسائط اجتماعيّة يؤكّد الحياة المشتركة بين مختلف الأفراد بتعدّد لغاتهم.

كلمة الولد:



هذه التّعريفات تمنح البعد الاصطلاحي والبعد اللغوي للفظ ومدلوله الذّهني المشترك (لعب/ عيلب) .

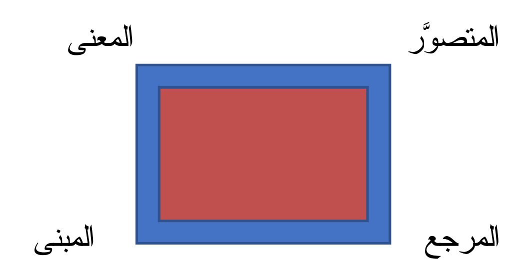
4- الأمن وثقافة التّواصل بين أقاليم التعدّد اللساني الجزائـري: يتحقّـق الأمـن اللغوي في الجزائر ضمن سياسة التّعايش حسب المعطيات التّكنولوجيّة والبحث العلمي وضرورة تعلّم اللغة للتواصل أو لتسهيل منطق التّفاهم واتساع الحوار "**فبدل اسـتعمال اللغة الأمازىغىّة تستعمل اللهجة المحلىّة القبائلىّة فـىلاحظ أنّ هنـاك تعـاىش لغوي بىن اللهجة القبائلىّة واللغة العربىّة في بعض مناطق القبائل، وبالتّدقىق في مناطق جنوب شرق ولاىة بجاىة**"[6] تسير اللغة مركزيّة الفكر نحو معينـات الأشـياء وماهياتها كما يصفها أبو حامد الغزالي حين يقول: "**فإنّ للشيء وجوداً في الأعيان .**

ثمّ في الأذهان .

ثمّ في الألفاظ .

ثمّ في الكتابة .

فالكتابة دالة على اللفظ؛ واللفظ دال على المعنى الذي في الـنّفس، والـذي فـي النّفس هو مثال الموجود في الأعيان"[7] تعلّم اللغـات المشـتركة فـي وسـط البيئـة الاجتماعيّة يعزز علاقات التّواصل والفهم وإيصال الأفكار وتنميتها ممّا يوسع الاطلاع على ثقافات غيره من المواطنين كما تنمّي وظائف السّماع والحوار والـتّلاحم القرابـة السّوسيوثقافيّة "**يجلب معه حصيلة كبيرة ناتجة عن معرفة اللغة الأمّ، وتبعا لذلك فإنّه يكون مدركا لكثىر من الخصائص العامّة المشتركة بين اللغات جميعها والتي تساعده على تعلّم اللغة الأجنبىّة بدلا من أن تعىق تعلّمـه.**"[8] وضرورة الانفتاح على مجالات معرفيّة تؤسّس **علاقات وطيدة بين العلائق التّواصليّة:**



في مرجعيّة اللّغة يكتشف المتعلّم تراكيب تنتمي للغة الأمّ أو اللّغة التي تتحدّث بها الجماعة، فنجد المتكلّمين باللغات الأخرى يحافظون على اللُكنة المتّصلة بمخارج الحروف، مع تعلّم لغة أخرى تترسّب في الأساليب والمستويات الدّلاليّة والقيم المؤثّرة في الألفاظ.

5- مظاهر التّسامح والسّلام بين آليات التّواصل اللغوي المتعدّد والثّقافة الإنسانيّة الجزائريّة الموحدة: تتمثّل الثّقافة بالمظاهر الإنسانيّة التي تتركها هذه البيئات اللغويّة مثل احتفال رأس السّنة الأمازيغي الذي تمظهر باعتباره عطلة رسميّة مدفوعة الأجر حول السّنة الجديدة 2967 من 12 يناير ويناير كلمة مركّبة من(يـن) تعني واحد و(ير) الشّهر الأوّل وهو أوّل شهر في الرّزمانة الفلاحيّة للأمازيغ (إخف أوسقاس)، وتختلف التّسميات بين (املالنّ) أقورارن) نسبة لانتشاره وذيوعه في في جميع أنحاء الوطن حاملاً لطقوس هذه العادات التي تمنح مظاهر جماليّة وبهجة في النّفوس حيث تكون هذه المصطلحات الأمازيغيّة منهلا خصباً للرسوخ و التّرسب في ذهن الانسان.


BBC NEWS | عربي

كما لا يمكن ان تفصل اللغة بين أفرادها في حيز المواطنة والتّجاذب الإقليمي حيث نجد تداخل التّقاليد متعة في تصديرة العروس وتسـميتها بالملفوظـات الخاصّـة بهـا (البرنوس– الجبّة– الحايك – اللباس القبائلي– الشّاوي–ال...) تسميات لهـا جـذورها التّاريخيّة الضّاربة في العمق الذي يثير نفس الجذور رغم ما نراه من اختلاف لغـوي ولهذا يبقى التّنوع يثري الحياة الاجتماعيّة في مناسبات عديدة تحتفـي بتعـدّد ثقافاتهـا ولعلّ النّصوص التّعليميّة حاملٌ مهم مثل نص (التّويزة) الذي يحمـل أسـمى معـاني التّعاون.

تقبلوا فائق الاحترام و التّقدير

مراجـــع البحث:

[1]– عبد المالك مرتاض، بنيّة الخطاب الشّـعري، دراســة تشــريحيّة لقصــيدة أشــجان يمنيّة للشاعر عبــد العزيــز المقــالح، دار الحداثــة للنشــر والتّوزيــع بيــروت، ط/1 1986، ص.53.

[2]–عبد الغني بارة، إشكاليّة تأصيل الحداثة، ص.331-332.

[3]– سر الفصاحة، ابن ســنان الخفــاجي، دار الكتــب العلميّــة، بيــروت، لبنــان ط:1 1982م، ص:235.

[4]– محمّد علي الخولي: " الحياة مــع لغتــين: الثّنائيــة اللّغويــة"، دار الفــلاح للنشــر و التّوزيع ، الأردن، ط 2002 ، ص.81.

[5]–عبد الحميد بوترعة: واقــع الصّــحافة الجزائريــة المكتوبــة فــي ظــل التعدّديــة اللغوية، الخبر اليومي الشّروق اليومي، الجديــد اليــومي نموذجــا"، مجلّــة الدّراســات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي ، الجزائر، العدد:8، 2014 ص 201.

[6]– خير الدّين معوش، التّنشــئة اللغويــة الأســرية للطفــل الجزائــري فــي منطقــة القبائل (بجاية أنموذجا)، جامعة بجايــة، مخبــر(الممارســات اللغويــة فــي الجزائــر العدد الخاص بأعمــال ملتقــى: الممارســات اللغويــة التّعليميــة والتّعلميــة)7-8-9 ديسمبر 2010،.ص.602-603.

[7]– منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيــار العلــم للإمــام الغزالــي، تحقيــق: ســليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م، ص:75.

[8]– نايف خرما، علي حجاج: "اللغــات الأجنبيــة تعليمهــا وتعلمهــا"، سلســلة كتــب ثقافية شهرية يصدرها المجلــس(الــوطني للثقافــة والفنــون والآداب، الكويــت 1978 ص.88.

نشاة التداخل اللغوي في المجتمع الجزائريّ وأثره في تغيير ملامح التركيبة اللغويّة ـدراسة تأريخيّة اجتماعيّةـ

أ. مباركة رحماني

جامعة: محمّد خيضر–بسكرة

ملخّص: جاءت هذه الورقة البحثيّة لدراسة العوامل والأسباب المختلفة التي أسهمت في نشأة ظاهرة التّداخل اللغوي في المجتمع اللغوي الجزائري دراسة تاريخيّة واجتماعيّة لكشف أثرها في تغيير ملامح التّركيبة اللغويّة للفرد والمجتمع الجزائري والتي نراها واضحة جليّاً في لغة التّواصل.

تمهيد: تعدّ ظاهرة التّداخل اللّغوي إحدى الظّواهر اللّغويّة التي تنشأ من احتكاك اللّغات ببعضها البعض وانصهارها في بوتقة التّواصل اللّغوي، ممّا يؤدّي بالمتكلّم إلى توظيف سمات لغويّة خاصّة بلغة ما ضمن مستويات لغته التي يتواصل بها ويظهر ذلك من خلال أدائه اللّغوي في سياق تواصليّ معيّن.

أوّلا: ماهيّة التّداخل اللغوي:

1- في حد التّداخل اللّغوي «Linguistic Interference

أ–الحدّ اللّغوي: أوردت المعاجم اللّغويّة تعريفات عديدة لـ"التّداخل"، صبّت كلّها في القالب ذاته على النّحو الآتي:

- و أشار "<u>كتاب التّعريفات</u>"**للشّريف الجرجاني** (740-816ه) إلى الأمر ذاته إذ ورد فيه عن هذا المصطلح مايلي : "التّداخل عبارة عن دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم ومقدار"[1]؛

- ولم يبتعدّ "<u>المعجم الوسيط</u>" كثيرا عن فلك المعجمين السّابقين؛ فقد ذكر في حدّ التّداخل ما يلي: " داخلت الأشياء مداخلة ودخالا: دخل بعضها في بعض، وتداخلت

الأمور: التّبست وتشابهت، والدّخيل من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم وكلّ كلمة أدخلت في كلام العرب وليس منه"[2].

فالحدّ اللّغوي لمصطلح "التّداخل" لايعدو إلاّ أن يحيل إلى الالتّباس والتّشابه في الأشياء والأمور دون زيادة أو نقصان فيها، والتّعريف ذاته يحيل إلى أنّ "التّداخل اللغوي" هو التّباس وتشابه يحدث إذا تداخلت لغة في أخرى.

ب-الحدّ الاصطلاحي: وجدت ظاهرة "التّداخل اللّغوي" منذ القدم في اللّغة العربيّة وقد وصفها أهل اللّغة وعبّروا عنها باللّحن أو الشّاذّ في اللّغة، فقد عرف العرب قديما "التّداخل اللّغوي" من خلال ملاحظتهم للاحتكاك الذي يحدث بين لهجة قبيلة ولهجة قبيلة أخرى وعدّوه خروجا عن اللّهجة النّمطيّة الخاصّة بقبيلة معيّنة كان واجبا التّقيّد بها، وفي ذلك يصف **ابن جنّي** اللّغة النّاتجة عن هذا الاحتكاك والتّداخل بـ **اللّغة الثّالثة**، وحديث ابن جنّي في خصائصه عن "التّداخل" بين اللّهجات العربيّة القديمة من خلال تعدّي السّمات اللّغويّة وتبادلها فيما بينها إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على انتشار هذه الظّاهرة اللّغويّة فعلا وقد عُدَّ ذلك لحنا لكونه "إمالة الكلام عن جهته الصّحيحة في العربيّة فيقع الخطأ في اللّغة: أصواتها، أو نحوها، أو صرفها، أو معاني مفرداتها"[3].

وهذا يعني أنّ ظاهرة "التّداخل اللّغوي" ليست نتاجا لعصرنا اليوم، وليست قصرا على اللّغة العربيّة المتداولة حاليّا، بل هي ظاهرة موجودة في كلّ اللّغات الإنسانيّة منذ القدم؛ وفي ذلك يدلي أستاذ اللسانيّات الاجتماعيّة **لويس جان كالفي** Louis-Jean Calvet(1942م-) برأيه ويحدّد مفهوم "التّداخل اللّغوي" في قوله: **"**يدلّ لفظ التّداخل على تحويرٍ للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبيّة في مجالات اللّغة الأكثر بناءً، مثل مجموع النّظام الفونولوجي، وجزء كبير من الصّرف، والتّراكيب، وبعض مجالات المفردات (القرابة، اللّون، والزّمن...)**"**[4]، وهذا التّعريف يوضّح كيفيّة حدوث التّداخل بين لغة ولغة أخرى؛ فهو احتكاك العناصر اللغويّة الأجنبيّة الدّخيلة مع العناصر اللّغويّة للّغة الأصليّة للمتكلّم، وغالبا ما يكون ذلك "في شكل تركيبة نحويّة معينة، أو مفردة أو تعبير اصطلاحي، أو استعارة، أو نظم كلام..."[5] يظهر في تواصل المتكلّم مع غيره

في بيئة لغويّة واحدة إلى حدّ يتفاهم فيها مع المستمع إليه، بالرّغم من وقوعه في اللّحن والخطأ الذي يحدث أثناء استعماله "عناصر أو وحدات تنتمي إلى لغة ما أثناء حديثه أو كتابته للّغة أخرى"[6] فيمسّ هذا الاحتكاك مستويات اللّغتين معا.

وكغيره من المجتمعات الغربيّة والعربيّة، يشهد المجتمع الجزائري انتشار هذه الظّاهرة بكثرة في وسطه اللّغوي، وبين مختلف الفئات العمريّة لأبنائه؛ الفتي والهرم المرأة والرّجل، المتعلّم والأمّي...فما أسباب تفشي ظاهرة "التّداخل اللّغوي" في البيئة اللّغويّة الجزائريّة؟

ثانيا: نشأة التّداخل اللغوي في المجتمع الجزائري؛ الأسباب والخلفيات: تتعدّد أسباب ومظاهر نشأة وانتشار "التّداخل اللّغوي" في المجتمع الجزائريّ الذي يتميّز بتنوّع لهجي كبير جدّا يتوزع على مختلف ربوع الوطن الشّاسعة، كما تعود بعض الأسباب إلى ما يزخر به التّاريخ الجزائري من حضارة وازدهار ثقافي، ولا ننسى كل ما عاناه الواقع اللّغوي الجزائري من استعمار وتناحر ثقافي كانت غايته طمس معالم الهويّة الجزائريّة بكل الأساليب والسّبل، ويمكن أن نوجز ما أشرنا إليه من أسباب في العناصر الرّئيسة الآتيّة:

أ–الأسباب التّاريخيّة والاجتماعيّة وأثرها في تغيير ملامح التّركيبة اللغويّة للمجتمع الجزائري:

أ–1: السّياسة اللّغويّة للاحتلال الفرنسي: يعيش الفرد في المجتمع الجزائريّ في وسط لغويّ يتميّز بسمات لغويّة مختلفة تعكس صورة لغويّة ذات تاريخ قديم للمجتمع الجزائريّ، وصراعه مع المحتلّ ذي اللّغة الفرنسيّة الذي احتلّ الوطن –سياسيّا اقتصاديّا، وأيديولوجيّا– لمدّة تفوق القرن من الزّمن: **(1830–1962م)** فـ"الاستعمار الفرنسي كان استعمارا فرنسيّا لصالح الفرنسيّين وحدهم وتدميرا لكل مالا ينتمي إلى الشّخصيّة الفرنسيّة والثّقافة الفرنسيّة ولهذا اعتبرت اللّغة العربيّة لغة أجنبيّة في بلدها وفي وسط أهلها طيلة 132 سنة، وقد قصد إزالة سيادة الشّعب الجزائري بتدميره سياسيّا، وإزالة هويته بإفقاره وتجهيله، ثمّ القضاء عليه نهائيّا"[7] وقد بذلت السّياسة

الفرنسيّة لترسخ القيم والمبادئ الفرنسيّة في العقول الجزائريّة قدر المستطاع، الأمر الذي انعكس في لغة الجزائريين لحدّ السّاعة.

إنّ التّركة اللّغويّة التي خلّفها الوجود الفرنسي ليست بالأمر الهيّن، فقد كان سببها السّياسة اللّغويّة المستهدفة التي اعتمدها المحتلّ الفرنسي حينها ليُفرنس الشّعب الجزائريّ "فاللّغة الفرنسيّة كانت اللّغة الرّسميّة الوحيدة في الإدارة والتّعليم، والتّسيير الاقتصادي والسّياسي لا ينافسها في ذلك أيّة لغة"[8]، كما سعت إلى تأسيس منظومة تعليميّة ترمي إلى احتواء الجزائريّين وضمّهم تحت لواء فرنسا ولو بعد حين؛ "فقد كانت المدارس –سواء العربيّة منها أم الفرنسيّة– تعدّ ضرورة سياسيّة ملحّة لتوجيه مستقبل البلد من خلال التّحكّم في 'الشّباب النّاشيء' عن طريق التّعليم"[9]، وزرع اللّغة والهُويّة الفرنسيّة بالتّدريج في المجتمع الجزائريّ؛ وقد "تفطّن بعض المسؤولين منذ سنة 1831م إلى ضرورة الإسراع في إنشاء المشاريع التّعليميّة طالما أنّ فرنسا أحكمت سيطرتها على المناطق الحسّاسة من الوطن الجزائري؛ كترجمة الكتب المدرسيّة الفرنسيّة والمستندات البيداغوجيّة، ووضع مترجم على رأس المدرسة الجزائريّة، وإصدار التّوجيهات والتّوصيات التّربويّة"[10]، وهذا **الأميرال كيدون** والي الجزائر سنة 1871م يقول: "إنّكم إذا سعيتم إلى استمالة الأهالي بواسطة التّعليم وبما تسدون إليهم من إحسان تكونون قد قدّمتم بعملكم هذا خدمة جليلة لفرنسا، فليس في وسع فرنسا أن تنجب من الأطفال ما يكفيها لتعمير الجزائر، ولذلك من الضّروري الاستعاضة عن ذلك بفرنسة مليونين من أبناء البربر الخاضعين لسلطتنا"[11] والأميرال الفرنسي موقن أشدّ اليقين أنّ العبث بإحداثيات الكيان الجزائري يتمّ بالتّعليم، فهو السّبيل الوحيد الذي يفضي إلى فرنسة الجزائريّين، وهذه الطّريقة تغني عن سبل كثيرة أخرى قد تلحق الضّرر بالجانب الاقتصادي أو الأمني لفرنسا في تلك الفترة رغم ما واجهته من مقاومة قادها رجال الدّين والعلم.

أ–2: التّركيبة اللّغويّة للمجتمع الجزائري، بين الماضي والحاضر: إنّ الحديث عن التّركيبة اللّغويّة في مجتمع تسمه التّنوعات اللّهجيّة وتطفو على ساحته اللّغويّة أكثر من لغة رسميّة للبلاد، يحلينا إلى ضرورة بسط مخطّط للواقع اللغوي فما "يلفت انتباه الملاحِظ ويشدّه شدّا حينما يكون إزاء واقع شبيه بواقع الجزائر هو تعقّد هذا الواقع الذي مردّه إلى وجود لغات أو بالأحرى عدّة تنوّعات لغويّة Variétés Linguistiques"[12] سارت جنبا إلى جنب منذ نيل الدّولة الجزائريّة استقلالها، فقد تشكّلت الملامح العامّة للخريطة اللّغويّة للمجتمع الجزائري في فترة زمنيّة طويلة صقلت فيها الهويّة اللّغويّة الجزائريّة ما قبل الاحتلال الفرنسي، وعاشت أكثر عصورها ازدهارا لتنتكس بعد ذلك في حقبة الاحتلال الفرنسي وتلقي هذه الانتكاسة بظلالها على لغة المجتمع الجزائري.

ويمكن القول أنّ الجزائريّين يعتمدون في تواصلهم على عدّة لغات ولهجات، فهم يستخدمون في ذلك "العربيّة والفرنسيّة ولغة الأمّ؛ أمّا الأوليّان فلغتا الثّقافة، وهما لغتان مكتوبتان وتستخدم الفرنسيّة أيضا لغة للمحادثة، غير أنّ لغة الأمّ الحقيقيّة التي يستخدمها النّاس دائما في خطابهم اليومي لهجة هي العربيّة أو البربريّة، وليست –لغة الأمّ– باستثناء حالات نادرة جدّا لغة مكتوبة"[13]، فاللّغة العربيّة هي اللّغة الرّسميّة للبلاد وذلك ما سمح لها باستخدامها في التّعاملات الرّسميّة المختلفة، واللّغة الفرنسيّة لغة ثانيّة أعطيت الشّرعيّة بسبب تاريخ الجزائر، وأمّا لغة الأمّ فهي لهجاتُ الأمازيغيّة والعاميّة معا، ومن هذا التّمازج اللّغوي واللّهجي تشكّل "التّداخل اللّغوي" في المجتمع الجزائري فالمتكلّم الجزائري أثناء تأديته لهذا التّمازج اللّغوي يقع في الخطأ؛ وهذا "الخطأ أو الخلل اللّغوي ناجم عن عدم تطابق وتوافق لغتين عند احتكاك الواحدة بالأخرى"[14] وبذلك يمكن وصف وتحديد البنيّة اللغويّة للمجتمع الجزائري على النّحو الآتي:

1–الازدواجيّة اللّغويّة في المجتمع الجزائري: يحدث أن تسود لغة ما جزءا كبيرا من هذه البسيطة، فإن سادت استقرّت على السّنة أهلها زمنا ما حتّى جرت على السّنة السّكان وصارت لغتهم يتواصلون بها فيما بينهم، وإن جرت على السّنتهم لفترة أطول

بعد اختلف ناطقوها في استخدامها كلّ حسب لسانه وحاجاته من مفرداتهـا وتراكيبهـا ودلالاتها، وقد يرى البعض منهم ضرورة تحديث هذه المفردة أو تلـك، وقـد يـرى البعض الآخر عدم الحاجة إلى هذا المصطلح، أو الحاجة إلى إبقائه مع تغييـر طفيـف في معناه، أو تغيير المعنى كليّا، وذلك يقف على حسب مستجدّات مجتمعه، وعصـره وبيئته التي يعيش فيها بتضاريسها وجغرافيّتها وطقسها الذي يميّزها، ومن هذه النّقطـة تولد وتنشأ اللّهجات المحليّة وتتفرّع رويدا رويدا عن اللّغة الأمّ فـ"تختلف اللّهجات فـي الأمة الواحدة تبعا لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم من ظروف، وما يمتاز به مـن خصائص، وقد جرت عادة العلماء أن يطلقوا على هذا النّوع من اللّهجـات **اللّهجـات المحليّة** "DialectesLocaux"[15]، تتنوّع وتختلف من حيث نطق الأصوات، المفـردات التّراكيب والأساليب، وهي بذلك تحافظ على كينونتها الخاصّة البسيطة دون أن تسـتقل بشكل نهائي عن اللّغة التي تفرّعت عنها، أي أنّها لا تعدّو أن تكون "أحد أشكال اللّغـة له نظامه الخاصّ في مستوى المفردات والتّراكيب والأصوات وتستعمل فـي محـيط ضيّق"[16] مقارنة بمحيط اللّغة الأمّ، وبمرور الزّمن تنشأ الازدواجيّة اللغويّة بين الأفـراد الذين يستعملون لغة واحدة لكن بأساليب مختلفة.

ويقودنا مقام البحث إلى أن نشير إلى أوّل من استحدث مصطلح الازدواجيّة اللّغويّة واستعمله في عالم الدّراسات اللّغويّـة؛ و"لعـلّ **ولـيم مارسـيه** "William Marçais" (1872– 1956م) المستشرق الفرنسي هو أول من شرع هذا المصطلح (الازدواجيّـة Diglossie)، ولكنّ **تشارلز فرجسـون** "Charles Ferguson"(1921– 1998م) هـو الذي اشتهر به في مقالتّه التي نشرها في مجلّة (Word) عـام 1959م ومثّـل لهـذه الظّاهرة بأربع لغات كانت العربيّة إحداها؛ إذ لاحظ أنها لغة تستعمل مستويين: أعلـى (هو الفصحى)، وأدنى (هو العاميّة)، يُتداول أوّلهما في مواقف ووظـائف مخصوصـة ويتداول الثّاني في مواقف ووظائف مخصوصة"[17]، أي أنّ لكلّ من المستويين موقـف خاص يستعمل فيه يتوافق مع مفرداته وعباراته، وقد حدّد **فرجسـون** مفهومـا عامّـا للازدواجيّة في مقالتّه قائلا: "في عدّة مجموعات كلاميّة speech community هنـاك

منوّعتان وأكثر لنفس اللّغة يستعملها المتكلّمون تحت شروط مختلفــة، وأكثــر الأمثلــة انتشارا لهذا النّموذج هو اللّغة المعياريّة (القياســيّة) « The standard » « language واللّهجات المحلّيّة « The regional dialects »"[18].

وقد ورد في **معجم أكسفورد** عن الازدواجيّة اللّغويّة أنّها «a situation in which two languages , or two varieties of the same language are used under diffrent conditions within a community, often by the same speakers »[19]

والتّعريف في المعجم قد ضبط ليكون شاملا لمصطلحين اثنين لكلّ منهما مفهومــه في اللّغة العربيّة؛ أي لم يضع فارقا بين الازدواجيّة اللّغويّة والثّنائيّة اللّغويّــة، واكتفــى المعجم بالإشارة إلى أنّ الازدواجيّة هي موقف أو سياق لغوي يستعمل فيه المتحــدّثون في مجتمع معيّن لغتين مختلفتين، أو ضربين مختلفين من نفس اللّغة الواحدة.

والبيئة اللّغويّة في المجتمع الجزائري تتميز بـــ**الازدواجيّة اللّغويّة** التي تتمثّل فــي "وجود مستويين لغويّين في بيئة لغويّة واحدة"[20]، أي استخدام لغة فصيحة (وهي اللغــة المعياريّة أو الأدبيّة)، وعاميّة تمثل (الوجه الآخر البسيط المتداول من اللّغة الفصــيحة) وذلك ما اصطلح عليه **فرجسون** "المنوّعة العليا High variety ويرمز لهــا بــــ (H) اختصارا، في حين يسمّي اللّهجة المحلّيّة بالمنوّعة السّفلى Low variety ويرمــز لهــا بـــ (L) "[21].

إنّ ظاهرة **الازدواج اللّغوي** نشأت من تقاطع العاميّة مع اللّغات الأجنبيّــة، ويمكــن القول أنّ "العاميّة التي تسبّبت ولا تزال تتسبّب في الازدواج اللّغوي، هي عاميّة نشــأت من اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى، بل هي انحراف عن الفصيحة "[22] وذلك ما سيتمّ الإشارة إليه في الحديث عن العاميّة الجزائريّة.

ويظهر الازدواج اللّغوي في الأداء الفردي لمتكلّم يوظّف فــي تواصــله مســتويين اثنين من لغة ما، أحدهما للكتابة والآخر للمشافهة؛ أي أنّه "العلاقة الثّابتة بين ضــربين لغويّين بديلين ينتميان إلى أصل جيني واحد؛ أحدهما راق والآخر وضــيع، كالعربيّــة الفصحى والعاميّات"[23]، والأفضل استخدام لفظ "بسيط" بدل "وضيع"؛ ذلك أنّ البساطة –

في هذا المقام– تتمثل في خلوّ العاميّة من سلطة القواعد والنّحو الذي يجعل اللّغة معياريّة فصيحة يتمّ توظيفها في الجانب التّحريري منها، ويتم استعمالها في المواقف الرّسميّة، أو في بعض سياقات التّواصل التي يحتاج فيها صاحب اللّغة في مثل هذه المواقف إلى ضرب من المفردات الرّاقيّة التي تنسج متنا تُوَظَف قيمته اللّغويّة في جذب الانتباه أو صوغ عبارات تجعله في موقع المتميّز المتمكّن من زمام اللّغة العربيّة الفصيحة بين أقرانه.

والمتكلّم في البيئة اللّغويّة الجزائريّة غالبا مايوظّف العاميّة في ثنايا العربيّة الفصيحة أثناء حديثه الشّفوي، لابل في لغته المكتوبة أيضا، ظنا منه أنّه يحقّق الوظيفة التّواصليّة التي يعجز عنها دون دمج مستويات اللّغة معا، ونكاد نجزم أنّ ذلك يعود إلى ضعفه عموما في تحكّمه بقواعد اللّغة العربيّة الفصيحة ولجوئه إلى تعويض هذا الضّعف باستعمال العاميّة في تواصله اللّغوي، ومردّ ذلك ما جُبل عليه في بيئته اللّغويّة.

أ/1–**العاميّة في المجتمع الجزائري**: وعرّف الأستاذ **عبد الرّحمن الحاج صالح** (1927–2017م) –رحمه الله–**العاميّة** في قوله: "**هي اللّغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد في الحاجات اليوميّة، وفي داخل المنازل، وفي الاسترخاء، والعفويّة**"[24] فهي "لغة أنشأتها العامّة لحياتها اليوميّة والدّليل على ذلك أنّها لغة البيت والشّارع والسّوق، والمجتمع"[25]، لكن ما يتبادر إلى الذّهن هو سؤال عن ماهيّة العاميّة:

- **هل العاميّة الجزائريّة –فعلا–لغة؟، وما هي الخصائص والظّروف التي جعلتها تصنّف كلغة؟ ...**

في حقيقة الأمر، وبمقارنة العاميّة الجزائريّة مع اللّغة العربيّة –أقرب اللّغات إليها مقارنة باللّغات المتداولة في الجزائر: فرنسيّة وإنجليزيّة–، يتضح أنّ العاميّة في الجزائر والتي تمتدّ عبر ربوع الوطن لا ترقى إلى مصاف اللّغات فعلا ولا تصنّف لغة حقيقيّة –رغم أنّ الذين يتواصلون بها ويستعملونها يوميا يقدر عددهم بالملايين– إذا ما استثنينا بعض القواعد البسيطة جدّا التي تضبطها، والتي لا تتوافق أحيانا

والقواعد الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة كذلك للّغة العربيّة؛ ومن ذلك أنّ العاميّة الجزائريّة تتسلّل إليها كلمات فرنسيّة كثيرة تختلف ببنيها الصّوتيّة عن البنيّة الصّوتيّة للّغة العربيّة، وفي بعض ولايات الشّرق كعنّابة وتبسّة يخاطب المؤنّث بصيغة المذكّر أو يخاطب المذكّر بصيغة المؤنّث أو يخاطب المؤنّث والمذكّر بصيغة واحدة.

أ/2-عوامل نشأة العاميّة الجزائريّة:

لم تنشأ العاميّة من فراغ ولم تظهر بين ليلة وضحاها، بل نشأت لأسباب وعوامل تتمثّل في:

- **عوامل جغرافيّة:** تختلف البيئة الجغرافيّة التي يعيش فيها الإنسان بين التّلّ والصّحراء والسّاحل وهو سبب مهمّ في تفرّع وتشعب اللّهجات؛ إذ "يرجع السّبب الرّئيس في هذا التّفرع إلى انتشار اللّغة في مناطق مختلفة واسعة، واستخدامها لدى جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من النّاس"[26]، وجغرافيّة الجزائر مثال على ذلك فالاختلاف والتّنوّع الجغرافي في مساحة قدرها 2,382,000 كم^2، قد أسهم في تشعّب العاميّة الجزائريّة إلى عاميّات أو لهجات متعدّدة، فليست العاميّة المتداولة في السّاحل كالعاصمة مثلا كالعاميّة المتداولة في الشّرق كباتنة أو قسنطينة وليست أيضا كعاميّة تندوف أو تمنراست، بل وليست كالعاميّة المتميزة التي يتداولها السّكان في الغرب الجزائري والتي تشبه إلى حدّ ما العاميّة المغربيّة، وبذلك يمكّننا التّوسّع الجغرافي للجزائر إلى تفريع اللّهجات إلى أربعة فروع هي:
- الرّقعة الشّرقيّة التي تشمل بعامّة ما يعرف بمنطقة قسنطينة Le constantinois.
- الرّقعة الوسطى التي تشمل بعامّة منطقة العاصمة L’algérois والدّاخل L’intérieur.
- الرّقعة الغربيّة التي تشمل منطقة وهران وماجاورها L’oranie.
- الرّقعة الصّحراويّة وتتشمل مادون الذي ذكر آنفا[27].

ولابدّ في هذا المقام أن نسأل: **ما علاقة تفرّع اللّهجات بالعامل الجغرافي؟**

يشير الدّكتور **علي عبد الواحد وافي** (1901-1991م) إلى هذه العلاقة في قوله: "فالعوامل الجغرافيّة تتمثّل في ما بين سكّان المناطق المختلفة من فروق في الجوّ والبيئة وفيما يفصل كلّ منطقة منها عن غيرها من جبال، وأنهار، وبحار وهلمّ جرا"[28]، فلكلّ بيئة خصائصها الجغرافيّة التي تميّزها والتي تؤثّر -مع مرور الزّمن- في تطوّر اللّهجة واختلافها من منطقة إلى أخرى حتّى تتميّز بـ**لكنة** Accent خاصّة عن غيرها من باقي اللّهجات، حتّى أنّ القدماء قد أولوا للرّقعة الجغرافيّة من الأهميّة في ضبط لغتهم من اللّحن من خلال الرّجوع إلى لغة أهل الباديّة، لا بل تحديد جغرافيّة اللّغة الفصيحة "فالدّارسون العرب الأقدمون عندما همّوا بوضع قواعد تتحكّم في الاستعمال اللّغوي أقاموا تحريّاتهم اللّغويّة على العامل الجغرافي، ولذلك سعى الدّارسون اللّسانيون المعاصرون لضبط الأنماط اللغويّة المختلفة بكلّ مستوياتها الصّوتيّة، التّركيبيّة والدّلاليّة، وتصنيفها حسب التّوزيع الجغرافي للمصدر الجغرافي المستعمل للّغة المعيّنة"[29].

- **عوامل اجتماعيّة:** فالمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإنسانيّة يخضع للطّبقيّة التي تؤثّر بطريقة أو بأخرى في لغة الفرد، وبالتّحديد في تواصله مع بني جنسه الذين يتقاسم معهم نفس الظّروف المعيشيّة واللّغويّة؛ إذ "يمكن للمرء بشيء من التّأمل أن يقول بالفرق في طريقة الكلام تبعا للوضع الاجتماعي للمتكلّم"[30] الذي يحدّده انتماؤه لطبقة اجتماعيّة ما، فـ"في كثير من التّصورات يتوقّف وصف التّوزيع الاجتماعي للتّنوع اللّغوي على أنواع الانتماء للمجموعات، والعلاقات التّفاعليّة والأيديولوجيّات السّوسيواقتصاديّة الفاعلة في مجتمع ما"[31].

لذلك تتميّز لهجة كلّ طبقة عن الأخرى حسب خصائص وسمات هذه الطّبقة الاجتماعيّة أو تلك، وحسب أساليب وسبل العيش والامتيازات التي تصنّف هذه الطّبقة عن غيرها من الطّبقات الأخرى، وحسب ثقافتها وطريقة تفكيرها وفق نحو معيّن، وما يتبع ذلك من اختلاف في العادات والتّقاليد؛ فمن الواضح أنّ هذه العوامل أضحت تشكّل

العديد من نقاط الاختلاف يمكن إجمالها في "فروق في النّظم الاجتماعيّة والعرف والتّقاليد والعادات ومبلغ الثّقافة، ومناحي التّفكير والوجدان تؤثّر في أداة التّعبير"[32] التي يستخدمها المنتمون إلى طبقة دون غيرها؛ إذ "من الممكن أن يولّد التّفاوت الاجتماعي بين الطّبقات تفاوتا في استخدام اللّغة إلى حدّ ما"[33]، وعلى سبيل المثال نرى في لغة الطّبقة الثّريّة شيئا من الابتذال أثناء الحديث، فهي "تستعمل اللّغة بطريقة خاصّة يغلب عليها التّكلف والتّصنع، وتكثر هذه المظاهر عند بعض النّاس لأنّ هذا المظهر من مظاهر التّرف عندهم"[34]، وهنا يمكن القول أنّ "الانتماء الجماعي، الشّبكات التّواصليّة الهويّة الاجتماعيّة والسّياق الاجتماعي تلعب دورا في تحديد المتغير اللّهجي بالمجتمع"[35]، وهذه ظاهرة موجودة فعلا في المجتمع الجزائري ونراها جليّا في الاستعمال اللّغوي لدى العائلات الثّريّة حتى أنّنا نستطيع تمييز هذه الطّبقة في نطقها للأصوات؛ "فتختلف الأصوات (الحروف) التي تتألّف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النّطق بها، وحتى دلالة المفردات تختلف باختلاف الجماعات النّاطقة بها"[36] وأمّا الطّبقة المتوسّطة فلها عاميّتها البسيطة السّلسة البعيدة عن التّكلّف إلى حدّ ما تتجاوزه عاميّة الطّبقة الفقيرة التي توظّف عاميّة غايّة في البساطة وفي كلّ مستويات الخطاب اليومي.

ولا ننسى في هذا المقام أن نذكر عاميّات المهن والحرف؛ فـ "لكلّ مهنة أو حرفة خصائصها اللّغويّة، وتلك اللّغات الجزئيّة لا تختلف عادة عن لغة الإقليم عامّة إلّا في مفرداتها"[37]، أليس من الواضح اختلاف عاميّة الطّبيب عن عاميّة الفلّاح؟، بلى؛ هناك اختلاف لاختلاف المعجم اللّغوي الخاصّ بكلّ مهنة ويظهر استعمال هذا المعجم في لغة كلّ ذي مهنة بشكل متفاوت؛ فالطّبيب الجزائري تظهر عاميّته متمازجة باللّغة الفرنسيّة والمصطلحات الطّبيّة، والفلّاح له عاميّته التي تتّصف بالبساطة والعفويّة وإن تضمّنت اللّغة الفرنسيّة ألفيتها فرنسيّة مكسّرة الأضلع، ونرى تفاوتا حتّى بين عاميّات الحرف فيما بينها يظهر في لغتهم التي يستخدمون فيها مفردات وكلمات تخصّ حرفة دون أخرى كـ**لهجة صيادي الأسماك مثلا.**

➢ **عوامل فرديّة:** من بين العوامل التي تؤدّي إلى تشعّب العاميّات أو تطوّرها الأداء الفردي فيها فكيف يتمّ ذلك؟

إن المتتبّع لتطوّر العاميّة الجزائريّة يلاحظ وجود فوارق معيّنة ولو كانت طفيفة وهي فوارق يسهم الأداء الفردي في صنعها بتوظيف المفردات الدّخيلة، أو اقتراض مفردات أجنبيّة ودمجها في ثنايا الحديث في هذا الموضوع أو ذلك؛ إذ يوجد "نمط من الاستعمال اللّهجي يتعلّق بالجوانب الشّخصيّة لدى الفرد المتكلّم أثناء إنجازه الفعلي للخطاب، فلكلّ شخص خصائصه النّطقيّة والتّعبيريّة التي يمتاز بها عن سواه من المتكلّمين"[38]، واستعمال هذه المفردات يترسّخ بمرور الزّمن في العاميّة ويغيرها ويؤدّي بالضّرورة إلى تمايزها واختلافها فيما بينها؛ إذ "يمكن للتّغيرات اللّغويّة أن تبتدئ في مستوى فردي، أو من طرف مجموعة صغيرة، ثم يقع التّقليد بعد ذلك من طرف آخرين يسندون إليه قيمة اجتماعيّة"[39] تجعلها متداولة واسعة الانتشار.

ومنه، فعوامل نشأة اللّهجات أو تفرّع اللّغة إلى عامّيات أساسها ظواهر تاريخيّة أو جغرافيّة؛ فانتشار اللّغة وصراعها مع غيرها وانتصارها أو هزيمتها واحتلالها مناطق كانت تابعة لغيرها أو تخلّيها لغيرها عن جميع مناطق نفوذها أو عن بعضها وانقسامها إلى لهجات وتفرّع عامّيات منها وانتشار الدّخيل بين ألفاظها واستعارتها كلمات من غيرها وتأثّرها بقواعد غيرها من اللّغات أو بأساليبها....كلّ ذلك ترجع طائفة من أسبابه إلى ظواهر تاريخيّة وجغرافيّة كالغزو وتغلّب أمّة على أخرى والهجرة واندماج أمم في بعض...وكالموقع الجغرافي للبلد وطبيعة الأرض وما تشمله من تضاريس وجبال وفجوات وخلجان، والحدود الطّبيعيّة التي تفصل أجزاء الأمّة الواحدة أو تفصل المناطق النّاطقة بلغة واحدة بعضها عن بعض[40].

إنّ هذه العوامل كلها متمثلة في:

1. عوامل جغرافيّة حدّدتها الطّبيعة الجغرافيّة المتنوّعة؛
2. عوامل اجتماعيّة قد حدّدتها البيئة الاجتماعيّة ونسيج الطّبقات فيها؛
3. عوامل فرديّة صاغتها الفروق الفرديّة في الأداء اللّهجي.

قد رسمت في الجزائر بتاريخها الحافل وجغرافيّتها الشّاسعة المتنوّعة اللّهجات التي تحيا اليوم وتتطوّر وتساير العصر والأجيال، بل وصار لكلّ لهجة سماتها التي تستقل بها عن لهجة المنطقة التي تجاورها وقد أشرنا في مثال إلى عاميّة العاصمة كنموذج عن الشّمال وعاميّة تلمسان كنموذج عن الغرب الجزائري وأشرنا إلى عاميّة الجنوب التي تكتسي بطبيعة الباديّة الصّحراويّة وعاميّة الشّرق الجزائري التي تناسب تاريخها الأمازيغي الثّائر وطبيعتها الجغرافيّة التّليّة.

وبالرّغم من التعدّد اللّهجي في الجزائر إلّا أنّنا نلاحظ أنّ جميع اللّهجات تتّصل وتتشبّث بثوب العربيّة الفصيحة التي هي أصلها كلّها ومنها انبعثت إلى الحياة.

ب/-الثّنائيّة اللّغويّة في المجتمع الجزائري: كما تتميّز البيئة اللّغويّة في المجتمع الجزائري بشيوع الثّنائيّة اللّغويّة بين أغلب الجزائريّين حسب تمكّنهم من اللّغة الفرنسيّة التي تعدّ اللّغة الثّانيّة في الدّولة الجزائريّة لخلفيّات سياسيّة وتاريخيّة معروفة، وغالبا لا يمكن وصف معظم الجزائريّين بثنائيي اللّغة إذا كان مفهوم الثّنائيّة اللّغويّة كمايلي:

- الوضع اللّغوي لشخص ما أو لجماعة بشريّة معيّنة **تتقن لغتين**، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلاميّة مميّزة في لغة أكثر ممّا هي في اللّغة الأخرى.
- نقول إنّ الفرد ثنائي اللّغة حين يمتلك عدّة لغات تكون **مكتسبة كلّها كلغات أمّ**؛
- **استعمال** شخص أو مجموعة من الأشخاص لغتين أو أكثر (لغة، ثقافة، لهجة) في **شكلها المحكي بخاصّة، والمكتوب ثانيا**؛
- الحالة اللّغويّة التي تعنى بها المجتمعات اللّغويّة والأفراد الذين يسكنون مناطق أو بلدانا تستعمل فيها لغتان على **نحو متقن**؛
- استعمال لغتين على **نحو مماثل لاستعمال أبناء كل لغة** من اللّغتين[41].

والسّؤال الذي يُطرح في هذا المقام انطلاقا من التّعريفات والمفاهيم أعلاه:

هل المجتمع اللّغوي الجزائري عموما، والفرد الجزائري خاصّة ثنائيّ اللّغة؟

أو لنقل: **هل يستعمل المتكلّم الجزائري لغتين بنفس الدّرجة من الإتقان؟**

❖ لننطلق من نقطة البدايّة وهي **الأسرة الجزائريّة: عموم الأسر الجزائريّة** في كل ولايات الوطن من أقصى الشّمال إلى أقصى الجنوب ومن أقصى الشّرق إلى أقصى الغرب، لا تستعمل في حياتها اللّغويّة وأثناء تواصلها اليومي غير العاميّة بلكناتها المتشابهة والأمازيغيّة بلهجاتها المتقاربة، وفي حال صنفنا الأمازيغيّة لغة فالعاميّة ليست لغة بالتّأكيد، بل وجه من وجوه اللّغة العربيّة إذن فالبيئة اللّغويّة التي توفّرها الأسرة الجزائريّة للمتكلّم **ليست مناخا مناسبا يمارس فيه لغتين اثنتين** بنفس المستوى والدّرجة من **الإتقان** ويستعملهما على نحو متماثل في نفس السّياقات اللّغويّة.

إذا ما استثنينا طبقة **الأغنياء** من الأسر الجزائريّة، وطبقة **النّخبة** المثقّفة ثقافة عربيّة، أو المثقّفة ثقافة غير عربيّة، أو الأسر التي تزاوج بين الثّقافتين معا –" وهي عائلات ثنائيّة اللّغة يتعلّم فيها الأطفال لغة "أو لغات" العائلة التي يتحدّثون بها داخل المنزل بالإضافة إلى اللّغة " أو اللّغات" المستخدمة خارجه"[42]– والتي تحرص على تنشئة أبنائها تنشئة لغويّة متميّزة ثنائيّة اللّغة، أو متعدّدة اللّغة، لأهداف عديدة قد تصبّ كلّها في مصبّ واحد هو السّعي لبناء مستقبل أفضل لأبنائهم. وهذه الفئة لا تمثّل غالبيّة المجتمع الجزائري ولا يمكن –من خلالها– أن نصنّف المجتمع الجزائري على أنّه مجتمع ثنائي اللّغة يستعمل لغتين اثنتين بالتّناوب.

❖ ننتقل إلى نقطة أخرى هي **المحيط الجغرافي:** الحدود الجزائريّة مع الدّول الجارة والشّقيقة لا تسم المجتمع اللّغوي في الجزائر بأيّة سمة لغويّة، ولا تؤثّر فيه لأنّها دول مغاربيّة تتشارك مع الدّولة الجزائريّة في الهويّة والدّين ولغتها الرّسميّة واحدة هي اللّغة العربيّة، إذا ما استثنينا التّأثير اللهجي البسيط النّاتج عن الاحتكاك على الحدود الجزائريّة التّونسيّة، والحدود الجزائريّة المغربيّة، وذلك أمر طبيعي جدّا، وسيكون هناك تأثير لا محاله إذا كانت الحدود مع دولة يتكلّم سكّانها بلغة أجنبيّة حيث "تظهر الثّنائيّة اللّغويّة على طول الحدود، نظرا لحدوث التّواصل بين المجموعات"[43] في الطّرفين.

❖ نقطة أخرى هي **القيد التّاريخي مع الاحتلال الفرنسي الغاشم:** سابقا، كانت الكثير من البرامج التّلفزيونيّة إن تحدّثت في موضوع ما يخصّ الجزائر – شعبا، أو ثقافة، أو مجتمعا–، يُخَيِّلُ للمستمع أنّ المواطن الجزائريّ مواطن أوربّي وعلى وجه التّحديد (مواطن فرنسيّ)، وغالبا ما يعتقدون أنّه يتكلّم اللّغة الفرنسيّة كما يتكلّم لغة أمّه وذلك بسبب الاحتلال الفرنسي الذي سعى بكل جهد لفرنسة المجتمع الجزائري حتّى ترسّخت في أذهان المجتمعات الأخرى أنّنا شعب فرنسي فعلا لاستعمالنّا كلمات وعبارات فرنسيّة بكثرة في تواصلنا اللّغوي –بغضّ النّظر عن مدى سلامة الفرنسيّة التي نستخدمها–، لذلك كانت "الفرنسيّة أكثر اللّغات الأجنبيّة بقاء وتأثيرا في الاستعمالات الأمر الذي جعلها تظفر بمنزلة متميّزة في المجتمع"[44] الجزائري.

❖ نقطة أخيرة هي: **المدرسة الجزائريّة:** ونخصّ بالحديث في هذه الزّاويّة المدرسة الابتدائيّة لأنّها أوّل ما يلجه الطّفل الجزائري وأوّل بوّابة يعبر من خلالها إلى العالم خارج بيته الأسري، والحديث عن الثّنائيّة اللّغويّة لدى المتعلّم الجزائري في المرحلة الابتدائيّة يقتضي أن نتأكّد من انغماسه في "بيئة تجعله يتقن لغتين مختلفتين بدرجة واحدة"[45].

ج–التعدّد اللّغوي في المجتمع الجزائري: يمكن تحديد مفهوم عامّ لمصطلح التعدّد اللّغوي على أنّه: "المقابل العربي للّفظ الأجنبي: Multilinguisme، وهو يصدق على الوضعيّة اللّسانيّة المتميّزة بتعايش لغات وطنيّة متباينة في بلد واحد"[46]، شرط إتقان هذه اللّغات " فهي قدرة الفرد على استخدام أكثر من لغتين"[47] ولا يظهر هذا الاستخدام إلاّ من خلال التّواصل، أي التّواصل باللّغات جميعها بنفس درجة الإتقان والإجادة؛ كأن يتقن الفرد اللّغة العربيّة، اللّغة الفرنسيّة، واللّغة الإنجليزيّة ويتواصل بها بسلاسة ويسر وفي المجتمع الجزائري يظهر التعدّد اللّغوي لدى الفرد من خلال استعماله: الأمازيغيّة بلهجاتها، العربيّة بلهجاتها والفرنسيّة.

انطلاقا من ذلك يمكن رسم مربع لغوي يتكوّن من أربعة أضلاع تتمثّل في اللّغات الموجودة في السّاحة اللّغويّة للمجتمع الجزائري هي:

1. **اللّغة العربيّة:** اللّغة الرّسميّة للبلاد، لغة الهويّة والدّين، وقـد جـاء فـي مـتن الدّستور الجزائري ما ينصّ على ذلك؛ حيث "تنصّ المادّة الثّالثّة من دستور الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة الصّادر عام 1989م أنّ اللّغة العربيّة هي اللّغة الوطنيّـة والرّسميّة للبلاد"[48]، ثمّ ظهر لاحقا قانون لتعميم استعمالها عام 1991م وانطلاقـا مـن دستور 1989م ظهر قانون تعميم استعمال اللّغة العربيّة فـي 1991/1/16م معتمـدا على قوانين سابقة تعود إلى عام 1966م وأوامر منها:

- الأمر المؤرّخ بتاريخ 1968/4/26م المتضمّن إجباريّة معرفة اللّغـة العربيّـة على الموظّفين؛
- الأمر المؤرّخ بتاريخ 1970/2/19م المتضمّن وجوب استعمال اللّغة العربيّـة في تحرير وثائق الأحوال المدنيّة؛
- الأمر المؤرّخ بتاريخ 1973/1/10م المتضمّن تعريب الأختام الوطنيّة؛
- القانون المؤرّخ بتاريخ 1984/1/7م المتضمّن تخطيط مجموعة الدّارسين فـي المنظومة التّربويّة؛
- القانون الصّادر بتاريخ 8/19/ 1986م المتضمّن إنشاء المجمع الجزائري للّغـة العربيّة[49].

2. **الأمازيغيّة:** الأمازيغيّة هي لغة السّكّان الأصليّين لشمال القارّة الإفريقيّة، أي هي لغة محلّيّة لا يمكن تجاهلها لأنّها تركة حضاريّة وهوياتيّة جزائريّـة، وهـي "امتـداد للتّنوّعات اللّغويّة القديمة التي عرفها المغرب، أو بالأحرى في الرّقعة النّاطقة بالبربريّة التي تمتدّ من مصر إلى المغرب الأقصى الحاليّين، ومن الجزائر إلى النّيجـر، وهـي تمثّل أقدم اللّغات الأصليّة، ولذلك تشكّل في الجزائر لغة الأمّ لجزء من السّكّان"[50]، وقـد فرضت وجودها من خلال تعديل سياسي أجري مؤخّرا انسياقا لرغبة الشّعب، وتظهـر في الخريطة اللّغويّة للمجتمع الجزائري في مناطق محدّدة مـن الـوطن كـالأوراس والقبائل، وجنوب الوطن، ولا تكاد تتجاوز خطّ المشافهة، وإن تجاوزته إلـى التّحريـر اصطدمت بقلّة تداول حروف التيفناغ التي تكتب بها، فـ "رغم كونها مسـتودع تقاليـد

وتراث حي وقديم جدّا، إلّا أنّ هذه اللّهجات البربريّة القليلة من حيث عدد النّاطقين بهـــا والمحصورة في دائرة المشافهة لم تحظ بالتّقعيد والتّوحيد بل ظلّت دوما عرضة للهيمنة والتّهميش الصّارخ الذي تعاظم في السّنوات الأخيرة عن طريق التّمدرس"[51]، وهي لغة خاصّة يتشاركها الأمازيغ في مختلف المناطق.

لكن يتبادر من خلال السّياق سؤال مفاده:

- **هل الأمازيغيّة فعلا لغة؟ هل تتوفّر فيها سمات ومميّـــزات اللّغـــة؟ أصـــواتها صرفها نحوها ؟**
- **أيّة أمازيغيّة نتحدّث عنها؟ وأيّة أمازيغيّة ندرّسها لأبنائنا؟**
- **ماذا عن الكتابة والتّدوين؟ لماذا يتم تهميش حـــروف التيفنـــاغ؟ وبالمقابـــل تتعالى أصوات تنادي بكتابة الأمازيغيّة بحروف لاتينيّة؟ أين شـــعارات الهويّـــة التـــي كانت جسرا عبر عليها قرار ترسيم الأمازيغيّة كلغة ندّ للّغة العربيّة؟**

من الباحثين من يرى أنّ الأمازيغيّة لغة قديمة جدا؛ "فهي من أقدم اللّغات الإنســـانيّة وحروفها الأصليّة تسمى التيفناغ، ولكنّها لم تستعمل في الإدارة الدّيبلوماسيّة حتّى فـــي عهد مملكة ماسينيسا البربريّة لهذا ظلّت لغة شفهيّة"[52] بعيدة عن التّدوين والحفظ.

ولا تخفى المرامي السّياسيّة المتنكّرة بقناع مدّ بساط التّراث والعراقة من الماضـــي إلى الحاضر، والتي تظهر بين الفينة والأخرى في زوايا وسراديب الغـــرف السّياســـيّة هنا وهناك ولا يخفى عنّا ماحدث عام 1980م عندما انفجرت المسألة الأمازيغيّة بشكل حادّ في منطقة القبائل وعاصمتها مدينة تيزي وزو، أدّت إلى مظاهرات ضـــدّ النّظـــام تطالب بالاعتراف بوطنيّة اللّغة الأمازيغيّة، وفي عام 1992م عندما انفجرت الحـــرب الأهليّة بعد فوز التيار الإسلامي في الانتخابات البرلمانيّة عـــادت مشـــكلة الأمازيغيّـــة ومشكلة التّعريب إلى التّحول إلى قضايا ثانويّة، وفي عـــام 1998م انفجـــرت مســـألة التّعريب ومسألة الأمازيغيّة من جديد للتّغطيّة على عجز النّظام عن مقاومة الإرهـــاب المسلّح وإيقاف المذابح في الجزائر[53]، وقد تسلّلت كل هذه المعطيات والخبايا السّياســـيّة

إلى المنظومة التّعليميّة دون ترشيد أو حكمة، بل ألقيت جزافا في الهواء لتتلقفها مدارس دون أخرى ودون أن يُعرف الغرض من ذلك.

وفي خضمّ كلّ الجهود والمساعي لعصرنة الأمازيغيّة من خلال "محاولات لتأهيل اللّهجات والثّقافة البربريّة وترقيتهما من أجل المطالبة بالخصوصيّة البربريّة"[54]، إلاّ أنّها لم تصل بعد إلى الغايّة المنشودة، لأنّ ذلك يتطلّب هيكلة مشاريع لغويّة ضخمة جدّا يستوجب قيامها تجنيد العشرات من الباحثين الأكاديميّين، ومن ذوي الاختصاص وأساتذة اللّغات والتّاريخ للتّنقيب جيّدا في كينونة الأمازيغيّة حتى تنال حقّها الحضاري المستحقّ شرط تجاوز الطّرح الأجوف الذي يضعها ندّا للّغة العربيّة ويستثني بتجاهل هيمنة اللّغة الفرنسيّة على الواقع اللّغوي؛ "فالأمازيغيّة تطرح تارة في مقابل العربيّة الفصحى فقط التي تهدّدها بالاضمحلال، وتطرح تارة أخرى باعتبارها سدّا أمام الإيديولوجيّة العروبيّة (القوميّة)، وتقدم تارة ثالثّة على أساس أنّها لغة الجزائر الأصليّة فهي الأصالة وماسواها –والمقصود العربيّة الفصحى دائما– دخيل، ولكن وصف الدّخيل لا يشمل اللّغة الفرنسيّة المتداولة في معظم الهيئات والدّوائر"[55] ونراها أينما نولي وجوهنا.

3. **اللّغة الفرنسيّة:** واقع اللّغة الفرنسيّة اليوم في الجزائر يمتدّ من تغلغلها القديم أيام الاحتلال الذي رمت سياسته إلى ترسيخ الفرنسيّة لغة لها كلّ الأولويّة حتّى لا تندثر من مستعمرتها، وفرضت على الشّعب الجزائري قسرا أحيانا، وعن طريق الحيلة أحيانا أخرى، وامتدّ وجودها حتّى بعد الاستقلال؛ إذ "ظلّت الفرنسيّة هي المهيمنة وازداد نفوذها بعد الاستقلال في مقابل صراع العربيّة والأمازيغيّة، ولم تكن الدّولة الجزائريّة جدّيّة في قرارها بتحويل اللّغة الفرنسيّة من لغة محتلّ تشكّل عائقا أمام العربيّة والأمازيغيّة، إلى لغة معرفة إنسانيّة يمكن أن تكون لها شرعيّة اللّغة الأجنبيّة الضّروريّة للمعارف الحديثة"[56]، وبعد الاحتلال وسنوات الاستقلال الأولى ظهرت الفرنكفونيّة للحفاظ على المصالح اللّغويّة للفرنسيّة، "وتعود فكرة الفرنكفونيّة إلى الجغرافي الفرنسي **أونيسم ريكلو** الذي توخى منها سنة 1889م تأسيس (فكرة لسانيّة

وعلاقة جغرافيّة)، وأرادها لتنحيّة اللّغة العربيّة والدّيانة الإسلاميّة معــا"[57]، ولا تــزال الفرنسيّة حاليا مفروضة لغايات سياسيّة بحتة.

4. **اللّغة الإنجليزيّة:** وجودها ضرورة حتميّة تفرضه العولمة والانفتاح على الآخر كونها لّغة عالميّة؛ فقد "سيطرت اللّغة الإنجليزيّة بوصفها اللّغة الوسيطة الأساسيّة فــي التّعليم والثّقافة، وأصبحت في عديد من الدّول لغة تدريس وليست مادّة تدرّس فقط"[58].

2-الأسباب الثّقافيّة وأثرها في تغيير ملامح التّركيبة اللغويّة للمجتمع الجزائــري:

اللّغة والثّقافة لا يمكن إلّا أن تكونا مرآتين يُرى من خلالهما واقع المجتمع ولا يمكن أن تزدهر اللّغة إذا كانت الثّقافة في الحضيض، كما لا يمكن أن يعلو شأن الثّقافة إذا هــوى شأن اللّغة إلى أسفل سافلين، فــ"فصل اللّغة عن الثّقافة ليس بالأمر الهيّن، بل قد يكــون مستحيلا"[59] لأنهما تكمّلان بعضهما البعض.

إنّ الثّقافة كمصطلح واسع الانتشار صار مرجعا يربط كل مــا يتعلّــق بالشّــعوب بهويّتها، بحضارتها، بتقاليدها، بعاداتها، بنمط حياتها، وبانتمائها الدّيني، أي هي كلّ مــا يميّز أمّة عن غيرها من الأمم؛ فهي "الخصوصيّة التي تميّز شعبا وأمّــة وقوميّــة ذات سيادة"[60] وهذا التّميّز لا بدّ أن يرتبط كذلك بلغة هذه الأمّة ويرتبط بشعبها أيضا.

لكن كيف تظهر ثقافة الفرد الجزائري -أو المجتمع ككلّ-وتتماهى في لغته؟

الفرد الجزائري ذو ثقافة هجينة تتمازج فيها كلّ مكونات المجتمع الجزائري بما في ذلك الاختلافات العرقيّة واختلافات العادات والتّقاليد، وممارســاته للّغــة فــي حياتــه باتجاهيها الرّسميّة، والعاديّة، وكذا نواتج التّاريخ الجزائري والوجود الثّقــافي الفرنســي الذي عاش طويلا ولا يزال؛ "فالجيل الذي تمّ تكوينه في الحقبة الاستعماريّة مازال يعبّر بالفرنسيّة، وهناك ميل كبير لاعتبار الفرنسيّة حقيقة مكتسبة"[61]، والأدهى من ذلــك أنّ هذا الاعتقاد ينتشر ويسود بين أبناء الجيل الحالي الذي نشأ وتكوّن على اللّغة العربيّة.

إنّ حقيقة تعلّم اللّغة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة يصــطدم بإشــكالات واقعيّــة عديدة سببها السّياسة المنتهجة، لذلك يظهر تعليم اللّغات -العربيّــة والأجنبيّــة- غيــر منسجم، بل ونرى تعليم العربيّة مهملا، وذلك لا محالة يؤدّي إلى طغيان اللّغة الأجنبيّــة

–المقصود في هذا المقام اللّغة الفرنسيّة–؛ "فالتّدهور العام في تعليم اللّغة يثير القلق ذلك أن جيلا بكامله لن يتكلّم لا العربيّة ولا الفرنسيّة بطريقة مقبولة"[62] وهو ما نراه ونعيشه فعلا الآن، وهذا التّشتّت في اللّغة مرتبط بالتّشتّت الثّقافي، أي يقود نحو اللّاوعي الثّقافي وبالتّالي التّبعيّة الثّقافيّة؛ فـ "الأمّة التي تهمل لغتها هي أمّة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التّبعيّة الثّقافيّة"[63]، لأنّ هذا الإهمال يقود إلى تداخل الثّقافتين ممّا يؤدّي إلى تداخل اللّغتين اللّتين تستخدمهما كلّ ثقافة، وقد يحدث أن تنتصر لغة لثقافتها دون اللّغة الأخرى في عديد من السّياقات والمواقف الثّقافيّة واللّغويّة وكلّ ذلك يعود أساسا إلى الرّكيزة الأولى التي يعتمد عليها الفرد في نسج انتمائه الثّقافي وهو تعلّم اللّغة إذا ما صنّفنا اللّغة بوّابة نلج من خلالها إلى ثقافة مجتمع ما.

ختاما: إنّ ظاهرة التّداخل اللّغوي في المجتمع الجزائري هي ظاهرة لغويّة أسهمت في انتشارها عوامل عديدة خاصّة بالبيئة اللّغويّة الجزائريّة، وأثرت في تغيير ملامح التّركيبة اللغويّة بشكل سلبي.

قائمة المصادر والمراجع:

1–أحمد حساني، ، دراسات في اللسانيات التّطبيقيّة، حقل تعليميّة اللغات ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون (الجزائر)، ط02، 2009م.

2–إبراهيم بوترعة، التّربيّة والتّعليم بين الأمس واليوم، خصائص التّعليم في الجزائر وتطور الفكر التّربوي، دار الخلدونيّة للنشر والتّوزيع، القبة القديمة (الجزائر)، (د ط) 2014م.

3–إميل بديع يعقوب، معجم الخطأ والصّواب في اللغة، دار العلم للملايين بيروت (لبنان) ط01، 1983م.

4–ايفون تيران، المواجهات الثّقافيّة في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطّبيّة والدّين (1830–1880) ترجمة: محمّد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر (د ط)، 2007م.

5–بيتر نيو مارك، عن التّرجمة، تر: خالدّ توفيق، المركز القومي للترجمة القاهرة (مصر)، ط01، 2016م.

6-خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، "عناصر من أجل مقاربة اجتماعيّة لغويّة للمجتمع الجزائري"، ترجمة: محمّد يحياتن، دار الحكمة الجزائر، (طبعة خاصّة)، 2007م.

7-سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتهما في استعمالات النّاطقين الجزائريين مؤسّسة كنوز الحكمة للنشر والتّوزيع، الجزائر، (د ط) 2011م.

8-عبد الرّحمن بن محمّد القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، السّعوديّة، ط01، 1997م.

9-عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، موفم للنشر الجزائر، (د ط)، 2007م، ج01.

10-عز الدّين المناصرة، الهويات والتعدّديّة اللغويّة، قراءات في ضوء النّقد الثّقافي المقارن، الصّايل للنشر والتّوزيع، عمان (الأردن)، (د ط)، 2014م.

11-علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع مصر ط09، 2004م.

12-علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الطّفل والإنسان، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (مصر)، (د ط)، 2003م.

13-فرونسوا جروجون، ثنائو اللغة، تر: زينب عاطف، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثّقافة القاهرة (مصر)، ط01، 2017م.

14-لانسون\ مابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، تر: محمّد مندور، المركز القومي للترجمة، القاهرة (مصر)، (د ط)، 2015م.

15-لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمّد يحياتن، دار القصبة للنشر الجزائر، (د ط)، 2006م.

16-لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، تر: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت (لبنان)، ط01، 2008م.

17-مجمع اللغة العربيّة، معجم علم النّفس والتّربيّة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة (مصر)، (د ط)، 2003م، ج01.

18-مجمع اللغة العربيّة، **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنّشـر والتّوزيـع القاهرة (مصر)، ط03، 1985م، ج01.

19-محمّد الأوراغي، التعدّد اللغوي، انعكاساته على النّسيج الاجتماعي منشـورات كليّـة الآداب بالرّباط، المغرب، ط01، 2002م.

20-محمّد سليم قلالة، الاختراق في الثّقافة الجزائريّة، دار هومة للطباعة والنّشر الجزائر ط01، 2003م.

21-محمّد الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنـان، بيـروت (لبنـان) ط 01 1987م.

22-محمّد عابد الجابري، التّعليم في المغرب العربي؛ دراسة تحليليّة نقديّة لسياسة التّعلـيم في المغرب وتونس والجزائر، دار النّشر المغربيّة، الدّار البيضاء (المغرب)، (د ط) 1989م.

23-محمّد نافع العشيري، مفاهيم وقضايا سوسيولسـانيّة، دار كنـوز المعرفـة للنشـر والتّوزيع، عمان (الأردن)، ط01، 2016م.

24-ميشال زكريا، قضايا السّنيّة تطبيقيّة (دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسـيّة مـع مقارنـة تراثيّة)، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط01، 1993م.

25-نهاد الموسى، اللغة العربيّة في العصر الحديث، قـيم الثّبـوت وقـوى التّحـول دار الشّروق، عمان (الأردن)، ط01، 2007م.

26-والتّ وولفرام، اللهجة في المجتمع، دليل السّوسيولسانيات، تحرير: فلوريان كولمـاس تر: خالدّ الأشهب، ماجدولين النّهيبي، المنظمة العربيّة للترجمـة، القـاهرة (مصـر)، ط01 2009م.

27-وليام برايت، العوامل الاجتماعيّة في التّغير اللغوي، دليل السّوسيولسـانيات تحريـر: فلوريان كولماس.

28-يوهان فك، العربيّة، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تـر: رمضـان عبـد التّواب، مكتبة الخانجي (مصر)، (د ط)، 1980م.

الهوامش:

[1]– محمّد الشّريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت (لبنان)، ط 01، 1987م ص 56.

[2]– مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلاميّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (مصر)، ط03، 1985م، ج01، ص 275.

[3]– إميل بديع يعقوب، معجم الخطأ والصّواب في اللغة، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان) ط01 1983م، ص 13، 14.

[4]– لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمّد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر (د ط)، 2006م، ص 34.

[5]– بيتر نيو مارك، **عن التّرجمة**، تر: خالدّ توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة (مصر) ط01، 2016م، ص 157.

[6] - Voir : William Makey, Bilinguisme et contact des langues, Ed, Klink Ksiect, Paris 1976, p401.

[7]– عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، موفم للنشر، الجزائر (د ط)، 2007م، ج01، ص 387.

[8]– المرجع نفسه، ص 388.

[9]– ايفون تيران، المواجهات الثّقافيّة في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطّبّيّة والدّين (1830–1880)، ص 118، 119.

[10]– إبراهيم بوترعة، التّربيّة والتّعليم بين الأمس واليوم، خصائص التّعليم في الجزائر وتطور الفكر التّربوي، دار الخلدونيّة للنشر والتّوزيع، القبة القديمة (الجزائر)، (د ط)، 2014م، ص 203.

[11]– محمّد عابد الجابري، التّعليم في المغرب العربي؛ دراسة تحليليّة نقديّة لسياسة التّعليم في المغرب وتونس والجزائر، دار النّشر المغربيّة، الدّار البيضاء (المغرب)، (د ط)، 1989م ص 109.

[12]– خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، "عناصر من أجل مقاربة اجتماعيّة لغويّة للمجتمع الجزائري"، ترجمة: محمّد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، (طبعة خاصّة) 2007م ص 13.

[13]– لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، تر: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت (لبنان)، ط01، 2008م، ص 89.

[14] - Voir : Georges Mounin, Les problèmes théoriques de la traduction, Editions Gallimard, France, 1963, p06.

[15]– علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الطّفل والإنسان، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة (مصر)، (د ط)، 2003م، ص 124.

[16] –Voir :Jean Dubois, Dictionnaire Larousse, Librairie Larousse, Paris, France, 1973, p 149.

[17]– نهاد الموسى، اللغة العربيّة في العصر الحديث، قيم الثّبوت وقوى التّحول، دار الشّروق عمان (الأردن)، ط01، 2007م، ص 137.

[18]– محمّد نافع العشيري، مفاهيم وقضايا سوسيولسانيّة، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع عمان (الأردن)، ط01، 2016م، ص 85.

[19]– Oxforddictionaries.com/definition/ diglossia.

[20]– عبد الرّحمن بن محمّد القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، مكتبة الملك فهد الوطنيّة السّعوديّة، ط01، 1997م، ص 11.

[21]– محمّد نافع العشيري، مفاهيم وقضايا سوسيولسانيّة، ص 86.

[22]– عبد الرّحمن بن محمّد القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، ص 23.

[23]– لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ص 396.

[24]– عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ص68.

[25]– سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتهما في استعمالات النّاطقين الجزائريين، مؤسّسة كنوز الحكمة للنشر والتّوزيع، الجزائر، (د ط)، 2011م، ص32.

[26]– علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطّفل، ص 110.

[27]– ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، ص 19.

[28]– علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطّفل، ص 120.

[29]– أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التّطبيقيّة، حقل تعليميّة اللغـــات، ديـــوان المطبوعـــات الجامعيّة، بن عكنون (الجزائر)، ط02، 2009م، ص 34، 35.

[30]– يوهان فك، العربيّة، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: رمضان عبد التّواب مكتبـــة الخانجي (مصر)، (د ط)، 1980م، ص 09.

[31]– والتّ وولفرام، اللهجة في المجتمع، دليل السّوسيولسانيات، تحرير: فلوريان كولماس تر: خالدّ الأشهب، ماجدولين النّهيبي، المنظمة العربيّة للترجمة، القاهرة (مصر)، ط01، 2009م ص 244.

[32]– علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الطّفل والإنسان، ص 119، 120.

[33]– لانسون\ مابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، تر: محمّد مندور، المركز القـــومي للترجمـــة القاهرة (مصر)، (د ط)، 2015م، ص 82.

[34]– سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتهما في استعمالات النّاطقين الجزائريين، ص 40.

[35]–والتّ وولفرام، اللهجة في المجتمع، دليل السّوسيولسانيات، تحرير: فلوريـــان كولمـــاس، ص 247.

[36]– علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطّفل، ص 121.

[37]– لانسون\ مابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، ص 82.

[38]– أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التّطبيقيّة، حقل تعليميّة اللغات، ص 36.

[39]– وليام برايت، العوامل الاجتماعيّة في التّغير اللغوي، دليل السّوسيولسانيات، تحرير: فلوريان كولماس، ص 176.

[40]– ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنّشـــر والتّوزيـــع، مصـــر ط09، 2004م، ص 32.

[41]– ينظر: ميشال زكريا، قضايا السّنيّة تطبيقيّة (دراسات لغويّة اجتماعيّة نفســيّة مـــع مقارنـــة تراثيّة)، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط01، 1993م، ص 35، 36.

[42]– فرونسوا جروجون، ثنائو اللغة، تر: زينب عاطف، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثّقافة، القـــاهرة (مصر)، ط01، 2017م، ص 26.

[43]– فرونسوا جروجون، ثنائو اللغة، ص 22.

[44]– خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، ص 27.

[45]– مجمع اللغة العربيّة، معجم علم النّفس والتّربيّة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة القاهرة (مصر)، (د ط)، 2003م، ج01، ص 20.

[46]- محمّد الأوراغي، التعدّد اللغوي، انعكاساته على النّسيج الاجتماعي، منشورات كليّة الآداب بالرّباط، المغرب، ط01، 2002م، ص 11.
[47]- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ص 397.
[48]- عز الدّين المناصرة، الهويات والتعدّديّة اللغويّة، قراءات في ضوء النّقد الثّقافي المقارن الصّايل للنشر والتّوزيع، عمان (الأردن)، (د ط)، 2014م، ص 151.
[49]- المرجع نفسه، ص 152، 153.
[50]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، ص 25.
[51]- المرجع نفسه، ص 26.
[52]- عز الدّين المناصرة، الهويات والتعدّديّة اللغويّة (قراءات في ضوء النّقد الثّقافي المقارن) ص 181.
[53]- ينظر: عز الدّين المناصرة، المسألة الأمازيغيّة في الجزائر والمغرب "إشكاليّة التعدّديّة اللغويّة"، ص 23، 24.
[54]- خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغويّة، ص 26.
[55]- محمّد العربي ولد خليفة، المسألة الثّقافيّة وقضايا اللسان والهويّة، ص 169.
[56]- عز الدّين المناصرة، الهويات والتعدّديّة اللغويّة، قراءات في ضوء النّقد الثّقافي المقارن ص 164.
[57]- إلياس بلكا، محمّد حراز، إشكاليّة الهويّة والتعدّد اللغوي في المغرب العربي –المغرب نموذجا–، ص 80.
[58]- فرونسوا جروجون، ثنائيو اللغة، ص 25.
[59]- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التّطبيقيّة،حقل تعليميّة اللغات، ص 33.
[60]- المرجع نفسه، ص 24.
[61]- محمّد سليم قلالة، الاختراق في الثّقافة الجزائريّة، دار هومة للطباعة والنّشر، الجزائر ط01 2003م، ص 95.
[62]- المرجع نفسه، ص 96.
[63]- حاتم صالح الضّامن، فقه اللغة، ص 108.

دور التسامُح اللُّغويّ في تحقيق الأمن الثقافي وتعزيز ثقافة السّلم ـنماذج من التلاحم والتداخل في المجتمع الجزائريـ

الدّكتور محمّد سيف الإسلام بوفلاقــــة
جامعة عنابة، الجزائر

توطئة: يجتهد هذا البحث الموسوم ب: « دور التّسامُح اللُّغويّ في تحقيــق الأمــن الثّقافي وتعزيز ثقافة السّلم–نماذج من التّلاحم والتّداخل في المجتمع الجزائري–»، فــي رصد مجموعة من الأدوار التي يؤدّيها التّسامُح اللُّغويّ فــي تحقيــق الأمــن الثّقــافي وتعزيز ثقافة السّلم، وترسيخ قيّم التّعايش السّلمي والحضاري، كما يُقدّم مجموعة مــن النّماذج التي تُبيِّن التّلاحم والتّداخل اللُّغوي في المجتمع الجزائري، ويُنبــه إلــى عــدّة قضايا تتّصل بالتّعايش اللغوي، ومن أبرزها مظاهر التّرابط والانسجام بــين العربيّــة والأمازيغيّة، وذلك من خلال جملة من السّمات المشتركة بين الأمازيغيّة بشتّى لهجاتها الكبرى، واللغة العربيّة. ويُبرز البحث بعض الصّور النّاصعة التــي تؤكّــد التّجــانس الاجتماعي، والانسجام الجمعي والتّماهي مــع مُكونــات الهُويّــة الثّقافيّــة للمجتمــع الجزائري، والتّماسك من أجل تعزيز المُساهمة الفاعلة والفعّالة فــي مختلــف جوانــب التّنميّة، حيث إن اللغة بوصفها حدثاً تواصلياً تؤسّــس النّشــاط الإنســاني الاجتمــاعي وتتوسّطه، وتُعرّف المواطنة التي لها صلة وشيجة جداً بشتى قضايا التّســامح اللغــوي والتّعايش السّلمي، بأنّها مساواة ولقاء بين شتّى الأشخاص من مختلف الأعــراق، فهــم ليسوا مجرّد أجزاء من مجموعات معيّنة، مهما ركّزوا على قضايا انتمائهم إليها، ومــن قوته، ومشروعيته، فاللقاء بين المواطنين الأشخاص(الأفراد)، هو الذي يبعث من جديــد العيش المشترك، ويُعزّز التّعايش فالعيش المشترك–كما يرى طارق متــري–بوصــفه لقاء بين مواطنين يقوم على «إحياء الرّغبة في البقاء معاً، ويفترض اختلاطــاً وتبــادلاً وتفاعُلاً في الاقتصاد والاجتماع، والثّقافة، ويقتضي أيضاً شراكة في القــيّم فممارســة

الدّيمقراطيّة-مثلاً-تُعزّز المواطنة، والعيش المشترك، لا لأنّها تحترم قواعد التّمثيل السّياسي فحسب، بل لأنّها تتجاوب مع النّزعة الإنسانيّة إلى المساواة، والعدالة والنّزعة هذه تجعلها ممكنة».

أوّلاً: التّسامُح اللُّغويّ والأمن الثّقافي: أضواء وملاحظات: ينبثق التّسامح اللغوي من الإيمان بثقافة التّنوع في مجتمعنا الجزائري، والتّنوّع سمة من سمات القوّة والرّحمة، وعلامة من علامات العدالة والانضباط، ولا ريب في أنّ الحفاظ على التّنوع، يُعدّ سر التّسامح والحوار وأساس ديمومتهما، ذلك أنّ التّسامح ينهض في أصل وُجوده ويقوم على التّنوع، فكلمة التّسامح تتردّد في مستويات متعدّدة، ومناسبات كثيرة وهي تتميّز باتساع مدلولاتها وشموليتها، وهي تُطلق على جوانب متنوّعة، فالتّسامح ينطبق على التّسامح الرّوحي والصّوفي والتّسامح الدّيني والتّسامح الطّائفي العرقي والتّسامح الفردي الشّخصي، والتّسامح الأبوي العائلي والتّسامح اللُّغوي، ففعل التّسامح يكتسي طابعاً أخلاقياً وتربوياً وثقافياً وأبرز ما يقوم عليه التّسامح القناعة الشّخصيّة والإيمان الذّاتي بجدواه ومنافعه، وهو لا يعني أبداً الاستسلام والتّنازل عن المبادئ الأصيلة، والتّسامح في دلالتّه اللُّغويّة يقترب من التّساهل، كما نجد هذا المدلول في(لسان العرب)على سبيل المثال، وهو(التّسامح) أحد أبرز مضامين الثّقافة التّربويّة التي يجب أن تُركز عليه بشكل أساس ورئيس كونه يرتبط بالخيّر والوسطيّة، والابتعاد عن الغلو، والإجحاف والتّجني، وهو ضروري جداً في جميع المجتمعات، لأنّنا عندما نتبصر في أهم أسباب تدهور الأمم وتراجعها وانقسامها، نجد أن غياب التّسامح بصفته ثقافة ومسلكاً، هو أوّل هذه الأسباب، فقلّة المغايرة وانعدام التعدّد والاختلاف وسيطرة الفكر والثّقافة الأحاديّة، جميع هذه العناصر تؤدّي إلى المواجهة والعُنف، ومن المفيد أن ننبّه إلى أنّ التّسامح ليس الخاتم السّحري، ولا هو مفتاح لكلّ مستغلق، ولكنه البدايّة والخطوة الأولى نحو مجتمع السّلم والتّعايش، وإذا صح القول إنّ للتسامح عدّة مضامين ومحتويات مختلفة ومعالم غير محدّدة، فإنّه من الصّحيح كذلك التّأكيد على أنّ قيماً أساسيّة وثقافة معيّنة هي الأساس الذي يرتكز عليه التّسامح، ومن بين هذه القيّم النّظرة

العقليّة النّقديّة والحريّة واحترام الاختلاف، وجميع هذه العناصر من القــيّم الجوهريّـــة للتسامح ولذلك فهو بهذه الدّلالة يعتبر خط السّير ووجهة السّلوك التي تســتوجب تــرك الآخر يُعبّر بحريّة عن معتقداته وقناعته وأفكاره من دون شرط مُسبق يفرض أن تكون موافقة ومساندة لأفكارنا وقناعتنا ومُعتقداتنا، وبشكل أخص التّمكين له من العــيش فــي أمن وسلام ووئام وفقاً لمبادئه التي لا نقاسمها[1]، ومن أبرز القيّم التي تعــزّز التّســامح وتدعمه الحوار الحضاري، الذي قوامه الإقرار العملي والنّظري بالاختلاف كظــاهرة إنسانيّة، يشهد بوجودها الواقع المعيش، من هذا المنطلق عدّ من العبــث الــدّعوة إلــى الحوار في كنف الأحاديّة الفكريّة، التي يُراد فرضها على المستضــعفين...، ويهــدف الحوار إلى تحقيق الفهم المتبادل، وذلك من خلال قراءة المختلف عن طريق مصـــادره وبذلك نقطع الطّريق على الوساطة في التّبليغ، ونمنع التّوظيف الإيــديولوجي للأفكـــار من قبل المعاندين، كما يفترض أن تكون المقارنة بين القضايا المُتجانسة، فــلا يجــوز موضوعياً أن نقارن أصلاً في مجموعة حضاريّة بفرع عند مجموعة أخرى، ذلــك أنّ الموضوعيّة تفرض أن يقابل الأصل بالأصل، والفرع بـــالفرع، وأن تكــون القضـــايا المتحاور حولها متجانسة، من حيث الطّبيعة، فلا يقارن أمر نظري بـــآخر عملـــي، أو العكس [2]، وتتجلّى أهميّة التّسامح من خلال الأهداف التي يرمي إليها، ومن بينهـــا أن يغدو التّسامح هدفاً دائماً بين أفراد الإنسانيّة، كأنّه مسار الحركة الثّقافيّة للبشر وطريقـــة ذلك التّبادل الثّقافي الحر بين شتى الأطراف، وتبادل الزّيارة بـــين المثقّفـــين وعـــرض أفكارهم كما هي في واقع الأمر، و تشجيع العمـــل الثّقـــافي المشـــترك بـــين جميـــع المتحاورين، وتأليف الكتب بلسان كل أطراف الحوار، والسّـــعي المتبـــادل لتصـــحيح صورة المختلف عنا في بيئة كلّ طرف، ويُســـتثمر الحـــوار الهـــادف فـــي التّعـــاون الاجتماعي الفاعل وتحقيق الأمن الثّقافي، إذ لا يُمكن موضوعياً التّأسيس للحـــوار مـــن أجل الحوار، لأنّه هدر للطاقات، فالحوار يهدف في أصل وضعه إلى تغييـــر الصّـــور المُشوهة عن الآخر في فكرك، بحيث نؤسّس للفهم الموضوعي للآخر، وبذلك نُحـــرّر مساحة إضافيّة في عقول وقلوب المتحاورين للجهة الأخرى في العمليّة، ومـــن خـــلال

هذا المسعى نوطئ نفوس أتباع كلّ فكرة لقبول الـــرّؤى المختلفـــة، إن كانـــت تحمـــل عناصر البقاء والدّيمومة، والموضوعيّة، بما تتضمّنه من عناصر إنسانيّة في مشروعها الاجتماعي، والحضاري بصفة عامّة، وتتجلّى إنسانيّة المسعى في توطيد الأمن الثّقـــافي وتبادل الخبرات في الميادين الاجتماعيّة، مع مراعاة الخُصوصـــيّة الاجتماعيّـــة لكـــلّ مجموعة حضاريّة، وإقصاء النّظرة الاستعلائيّة، والتّمكين لفكرة التّنوع الاجتماعي فـــي المجتمعات البشريّة، فالاختلاف الحاصل على طبيعة الأشياء، ليس أمراً غريباً عنها(3).
وتتمثّل الوظيفة الثّقافيّة للحوار المُثمر الذي يُحقّق الأمن الثّقافي في تحقيق جملـــة مـــن الأهداف، التي تأخذ مجموعة من الدّلالات، والأبعاد الحضاريّة من بينها: التّعامل مـــع المعلومات عن طريق توصيل ما هو صحيح منها، أو تصحيح ما هو خاطئ منهـــا، أو تحليلها، واستخراج حقائق منها، وتبادل وجهات النّظر بين المتحاورين، كي يعرف كلّ محاور وجهة نظر الآخر، إمّا أن يتّفق معه، أو يخالفه الرّأي، فيطرح المحـــاور رأيـــاً ويسمع المحاور الآخر هذا الرّأي، فيتحاوران حول صوابه أو خطئه. فالحوار عمليّـــة مثيرة للتفكير العقلي باعتبارها العمليّة التي تتطلّب تبادل الآراء، والأفكار، والمعلومـــات والدّفاع عنها دفاعاً منطقياً مقبولاً، وتزويد المحـــاور بمهـــارات كلاميّـــة، ومعرفيّـــة والحصول على خبرات من المحاور الآخر الذي يملك خبرات، ومهـــارات، لا يملكهـــا المحاور الأوّل، فالحوار ليس ملكة عقليّة موروثة، وإنّما هو قدرات تكتســـب تـــدريجياً لتُصبح فيما بعد مهارات رصينة قائمة على خبرات متراكمة، وتؤدّي إلى الكشف عـــن الحق والحقيقة، فمن خلال الحوار نعرف طبيعة الموقف، وأين توجد الحقيقة، ومع مـــن الحق، وتدقيق مدى صواب أفكارنا: فالحوار فرصة من فرص الحياة لمراجعة الأفكـــار التي نعتنقها، ومدى فاعليتها، وقدرتها على الصّمود تجاه الأفكار المناقضة، فمن خلال الحوار نختبر حقيقة أفكارنا، وهل ما زالتّ قويّة، وصائبة، أم تحتاج إلى بعض التعدّيل أو التّطوير، أو التّخلي عنها، إذا أصبحت غير ملائمة، أو أثبتـــت الكشـــوف ضـــعفها. فالحوار المُثمر الذي يُحقّق الأمن الثّقافي مدرسة للمرونة العقليّة والاجتماعيّة، ويُوجـــد قواعد للتفاهم بين البشر، إذ لولا الحوار والتّسامح لساد العنف والعدوان فـــي العلاقـــات

الاجتماعيّة، فهو الذي يوطد الصّلات والمصالح الاجتماعيّة، كما أنّه وسيلة للمحبة بين بني البشر، فهو وسيلة لنشر ثقافة السّلام، وثقافة التّسامح، ومواجهة التّطرّف والتّعصّب والغلوّ والجهل ونشر الوعي بين البشر في جميع المجالات، كما أنّ التّسامح وسيلة للتقدّم العلمي والثّقافي والرّوحي والأخلاقي[4]. وإذا أنعمنا النّظر في مفهوم التّسامح ألفينا أنّ ترسيخه يقتضي في كلّ مكان توافر عدّة شروط من بينها إرادة الفرد في التّسامح، وارتباط هذه الإرادة الفرديّة بالإرادة السّياسيّة الجماعيّة على مستوى الدّولة ووجود دولة حق وقانون تضمن الحصانة المتساويّة لحريّة التّعبير في شتّى المواقع الفكريّة والعقائديّة دون استثناء، ووجود مجتمع مدني يتميز بالتّماسك والتّقدّم، ويكون مُشبّعاً بالثّقافة القانونيّة والدّينيّة المتسامحة، وذلك من أجل لعب دور أساسي مع الدّولة التي هي دولة القانون، والتّسامح يُعبّر عن مواقف حضاريّة ومدنيّة فعالة، فهو ليس موقفاً عفويّاً حيث إنّ الإنسان يميل بطبعه وطبيعته إلى رفض مخالفه ومغايره في اللون واللسان والعقيدة، لذا يتطلّب التّسامح تربيّة وتكويناً على العيش والتّوافق مع الذي يُخالفنا ويختلف معنا، ومن هنا فتعليم التّسامح وقيّمه في المنظومة التّربويّة يكتسي ضرورة قصوى، فالتّسامح ليس قيمة وموقفاً فحسب، بل إنّه يُمثّل منظوراً متكاملاً وهو ثقافة وقناعة، والعيش في مجتمع متسامح هو العيش في مجتمع يقبل النّقد، ويُوفّر الاحترام وأجواء الحوار، وكلّ فرد فيه بإمكانه أن يُعبّر بحريّة عن فكره دون أن يفرضه على الآخرين، وهو يفترض الحذر والفكر النّقدي، إذ لا يُمكن التّسامح مع العنصريّة والتّعصّب والعنف، فمنطق التّسامح هو السّلم والسّلام والأمن والاستقرار والمساواة [5] ويجب التّأكيد على أنّ من بين أهم الجوانب التي يجب أن يتمّ التّركيز عليها لترسيخ ثقافة التّسامح الجانب التّربوي، فالتّربيّة تظلّ دائماً المجال الرّئيس، الذي يُمكّن من تنشئة الإنسان وبناء شخصيّته القابلة للتسامح والحوار، ومن هذا المنطلق تأتي ضرورة التّربيّة على التّسامح، وقد بات من الضّروري إدراج التّربيّة على التّسامح في البرامج والمناهج المدرسيّة والجامعيّة، وفي الأنظمة التّعليميّة في الوطن العربي بغرض صياغة الأهداف التّربويّة وفق مطلب التّسامح، واتجاه المناهج التّربويّة

إلى كشف المسيرة التّاريخيّة لتطوّر الحضـــارات وتفاعلهـــا وتســـامحها، وتلاحمهـــا ومعالجة الأسباب التّاريخيّة المؤدّيّة للحروب والصّراعات، وهناك نماذج كثيرة مُشرقة في الحضارة الإسلاميّة، لعلّ أبرزها البلاد الأندلسيّة، والتّسامح اللُّغوي يُسهم في تحقيق الأمن الثّقافي، فلغة أيّ مجتمع من المجتمعات تمثّل الوعاء اللغوي لثقافة ذلك المجتمـــع وممّا لا يخامره أدنى شكّ أنّ اللغة تعدّ أقدم تجلّيات الهويّة، وذلك على اعتبار أنّ اللغـــة المشتركة من شأنها أن تجعل من كلّ فئة من النّاس(جماعة) واحدة ذات هويّـــة تتّســـم بالاستقلاليّة، ويزداد الاهتمام باللغة، والهويّة في الآن ذاته، عندما يشيع الحديث عنهمـــا في المفاصل التّاريخيّة في حياة الجماعات، وفي الغالب يتمُّ الرّبط بينهما، إذ يتماهيـــان إلى درجة أنّهما يكادان يصبحان شيئاً واحداً[6]، ومعلوم أنّ اللُّغـــة ظـــاهرة اجتماعيّـــة تعكس ما يُنجزه المجتمع، وبدونها لا يُمكن أن تكون هناك ثقافة بـــين البشـــر« فكـــلّ الحيوانات التي تحسّ تتواصل مع بعضها البعض مثل النّحل الذي يفعل ذلـــك بشـــكل منقطع النّظير، ولكنّ الإنسان فقط هو الذي يتمتّع بالقـــدرة علـــى التّعمـــيم والتّفســـير والتّجريد، وبالتّالي القدرة على نقل التّقاليد التي يُمكن تمييزها فيما بعد كثقافـــة إنســـانيّة وليس واضحاً بالنّسبة إلى الحيوانات سواء ما إذا كانت أنماطها الإشاريّة للتواصل يـــتمّ تعلّمها أم لا، فالإنسان يتعلّم لغته جنباً إلى جنب مع ثقافته فهو لا يولد بلغـــة، حيـــث إنّ اللغة نسق سيكولوجي وإنساني، يرتكز على الرّموز الصّـــوتيّة التـــي تُســـتخدم فـــي الوصف، والتّبويب، والتّصنيف للخبرات والمفاهيم والأشياء»[7]. ولقد ألفنا عند التّحدّث عن الثّقافة أن نُشير إلى أنّها كلُ متكامل، وهذا الكلّ يتّصف بالرّحابة والاتساع، فيغطّي اللُّغة والمعارف بأسرها من فنون وآداب وحرف، وعلوم وقوانين وديانـــات وأعـــراف فالثّقافة في أدنى مستوياتها هي مجموع الاستجابات والمواقف التي يُواجه بها شعب من الشّعوب-بحسب عبقريته- ضرورات وجوده الطّبيعي من مأكل وملبس وتناسل، أمَّـــا على المستوى الأرفع فإنَّ للثقافة أوجهًا ثلاثة هي: تنميّة الفكر وترقيّة الحـــس النّقـــدي وتكوين الحس الجمالي وإرهاف الذّوق والاستمساك بالقيّم وغرس الحس الأخلاقـــي[8] والتّسامح اللُّغوي من أبرز ما يؤدّي إلى تعزيز الهُويّة، وتحقيق الأمن الثّقافي، وهذا مـــا

يُلقي على الباحثين مسؤوليّة تعزيز الأمن الثّقافي واللُّغوي، فهنالك صراعات كثيرة بين أطروحات الخطابات الثّقافيّة لدى كلّ مجتمع يمتلك خصوصيّة ثقافيّة أصيلة، فالأصـيل المُحافظ، هو ذلك الذي يحمي لغته، ويُحصّنها، ففي زمننا المعاصر تتبدى، وتلوح فـي الأفق رغبة شرسة في غزو واجتياح مواقع اللغات الوطنيّة، وهذا ما يجعلنـا نتـوجّس خيفة من هذا الاجتياح الجارف على أمن وجود لغاتنا الوطنيّـة، لـذلك انبـرت عـدّة منظمات تُحصّن كيانها تحت مُسمّى: (الأمن اللغـوي)، والـذي لا يُمكـن أن يتجسـد بالوعي اللُّغوي فحسب، بل لابدّ من جهود جبّارة تتصدّى لهـذه الحمـلات الشّـعواء فتحصين اللُّغات الوطنيّة وحمايتها، أضحت ضـرورة حضـاريّة لصـدّ الاختراقـات وحاجة مدنيّة، ومصيريّة تتدرج في إطار حفظ الكرامة، وصـون السّـيادة، والهُويّـة والمعتقد، فالاستلاب اللُّغوي لا يتمايز في أيّ جانب من جوانبه عن الاستلاب الرّوحـي والنّفسي، والجسدي والثّقافي والاقتصادي، فنحن الآن أحوج ما نكون للدفاع عن لغاتنـا الوطنيّة، فاللُّغة هي تعبير عن المعنى الواقعي والحقيقي لوجـود الإنسـان، والجـدير بالإشارة أنّ كلّ لغة من اللغات لديها إمكانيّة تحصين نفسها، وتحقيق أمنها، فاللغة-كمـا يرى الباحث منير الحافظ- تحصّن نفسها من كلّ الاقتحامات، والخروق، كونها تحمـل في تلافيف نسيجها البنائي مناعات قادرة على دحر الدّخيل المُنـافي لطبيعـة تكوينهـا ولديها قدرة ردع، وقوّة ارتداديّة، وملكة احتواء، وميزة صهر، فلا تتماهى اللغـة مـع الذّات، وإنّما الذّات تتماهى في اللغة، ونحن الآن أحوج ما نكون إلى تأصيل لغتنا، كما أنّنا أكثر انفتاحاً على لغة الآخر في خضم التعدّديّة اللغويّة التي كثيـراً مـا طرحتهـا النّظريات الحداثيّة وفق ما تقتضيه ضرورات التّطوّر مـن أجـل الإثـراء الفكـري والمعرفي، والثّقافي والفنّي بيد أن الشّرط الرّئيس هو عدم الاندماج، والذّوبان، وإلغـاء اللغة الأمّ، فلا شكّ أنّ التّلاقح، والتّثاقف، وتنوّع ملكة الوعي اللغوي بين الأمم، سـيدفع نحو زيادة تألّق الذّاتيّة، وتحصّنها اللُّغوي، كما تلتقي دلالات لغة التّخاطب في واحديّـة المعنى، رغم تنوّع، وتعدّد البنى الإبداعيّة، والمعرفيّة، وتكشف عـن مختلـف القـيّم الجماليّة التي تؤدّي إلى فهم حقيقة الكونيّة، والدّفاع المحموم إزاء محاولات إلغاء اللغـة

وصهرها وتغريبها، أضحى ضرورة قصوى تُمليها حاجات البقــاء، ورفضــاً لتقاليــد التّبعيّة اللغويّة والثّقافيّة، والأيديولوجيّة، ومن جانــب آخــر، فهــي عامــل تحصــين وتأصيل، وحمايّة للتراث، والتّاريخ، إذ تكشف النّقاب عن حقيقة وجود الأمّــة، لــذلك فاللغة تغدو أهم فعل مقاوم يتوجّب الاهتمام به، كونها الرّمز الأكثر استهدافاً، فهي التي تمثّل الإرادة الحرّة وهي لا تختلف عن الوجدان، والذّاكرة، والعقيــدة المكوّنــة لهــذه الإرادة[9]، إنّ مُحاولة تفكيك أبعاد، ودلالات الأمن اللغوي والثّقافي بصورة أعــم، فــي ضوء المُتغيّرات العالميّة، وعن طريق المقاربات التّاريخيّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة، يجب أن تبدأ من كون اللغة هي أهم، وأبرز عنصر، وهي« العنصر الأكثر ارتباطاً بــالفرد والمجتمع والأمّة وبالتّاريخ، والمصير، فإذا كانت قناعة الأفراد كبيرة فــي أنّ مظــاهر الاستقرار في المجتمعات تتجلّى في الأمن بمختلف أنواعــه الاجتمــاعي والسّياســي والاقتصادي والعسكري، فلا يكون الاجتهاد كبيراً بإضافة الأمن اللغوي لهذه الأنــواع غير أنّ الاهتمام بهذا الأمن لا يظهر إلاّ إذا تعرض مجتمع ما إلى هزات عنيفة، تكون من أسبابها أسئلة الهويّة، والذّات الجمعيّة، ويرتفع النّقاش حولها إلى مســتويات تصــل إلى حدّ التّصادم، واستخدام القوّة في فرض الرّأي، وهــو مــا أطلــق عليــه(الهُويات القاتلة)» [10]. والحلّ لمُواجهة العولمة يكمن في تعزيز الهُويّة الثّقافيّة، والأمن اللُّغــوي والثّقافي الذي بدونه لا يُمكن تحقيق تنميّة ثقافيّة شاملة، وحمايّة اللُّغات الوطنيّة، والدّفاع عنها ممّا يُهدّدها، وكما يذهب المفكر الجزائري الفذ الدّكتور عبد المجيد مزيان–عليــه رحمة الله– فإنّ كلّ مفهوم للأمن « يقتضي شــعوراً بــالخطر، واستفســاراً، ودفاعــاً وهُجُوماً ويقتضي كذلك تصنيفاً للأعداء، ومعرفة لمخططاتهم، وأهــدافهم، وإحصــاءً لأسلحتهم المُختلفة، وليس الكلام عن الأمن الثّقافي العربي في ظروفنــا الحاليّــة بأقــل أهميّة من الأمن العسكري، ولعلّ المعركة في الثّقافة أكثر عمقاً، وامتداداً في الأزمنــة والميادين من كلّ المعارك الأخرى»[11]. والبُعد الثّقافي يظلّ دائماً هو الأهــم، نظــراً لتداخله في جوانب كثيرة، ولا بأس أن نُذكّر في هذا الصّدد بما ذكره مجموعــة مــن عُلماء الاجتماع، ومن بينهم المفكّر مالك بن نبي، الذي يذهب إلى أنّه لا يُمكن تصــوّر

التّاريخ بلا ثقافة، لأنّ المجتمع الذي فقد ثقافته، يكون حتماً قد فقد تاريخه، فكلّ جماعة لها ثقافتها الخاصّة، ووجود ثقافات فرعيّة ضمن إطار الثّقافة الوطنيّة يعود بفوائد جمّة ويجلب منافع كثيرة، ولا يؤثّر سلباً بالضّرورة، ولاسيما إذا أحسنّا توظيفه فإنّه يُثري الثّقافة الوطنيّة، ومن الطّبيعي أن تتباين المُجتمعات الإنسانيّة في ثقافتها وتراثها، وقيّمها وعقائدها، فمن المستحيل تنميط ثقافة المجتمعات على نموذج واحد.

ثانياً: نماذج من التّداخل اللّغوي والتّلاحم الثّقافي: يجب أن نُقرّ منذ البدايّة أنّ موضوع علاقة اللُّغة العربيّة بغيرها من اللُّغات الأخرى (الأقليات اللُّغويّة)، ومظاهر التّداخل والاشتراك بينها وبينهم، لم يحظ بعنايّة فائقة من لدن مختلف الباحثين والدّارسين، وهناك جُملة من الظّروف التي حالت دون تركيز الاهتمام عليه، من بينها ما ذكره الباحث سيلمان العسكري، لدى معالجته لهذا الموضوع، في دراسة موسومة ب:(العربيّة والأقليات اللُّغويّة-مُحاولة لتحديد النّطاق) إذ نجده يقول بكلّ صراحة: «أعترف أنّني تردّدتُ طويلاً أمام الحديث عن هذه الظّاهرة التي خلط فيها بعض الإخوة في عالمنا العربي بين السّياسي والثّقافي، ثمّ خلطوا بين الرّغبة في التّمرد على ما رأوه شروطاً سياسيّة تاريخيّة فرضت عليهم وبين مكوّنات في صلب وجدانهم ذاته فتوجهوا بتمرّدهم إلى اللغة العربيّة التي تتكلّمها ألسنتهم وتكتبها أياديهم، بل يتكلّمونها ويكتبونها أفضل ممّا يتكلّمون ويكتبون اللغات التي يُدعون إلى تسويدها. وهي ظاهرة ليست مقصورة على ما يحدث في عالمنا العربي الآن، ومن قبل، فهي متكرّرة الحدوث في أكثر من مكان في عالمنا المُعاصر، ولا أجد حافزاً لتحديد المواقع التي تكررت وتتكرّر فيها هذه الظّاهرة، لأنّها تبدو لي أبعد ما تكون عن الظّاهرة في عالمنا العربي وعن التّصاقها أو الصّاقها باللُّغة العربيّة على الأقل في البعد الزّمني. فمثال التّمرّد على اللُّغة الرّوسيّة بعد سقوط الاتّحاد السّوفييتي السّابق من قبل جمهوريات آسيا الوسطى الإسلاميّة أو الجمهوريات الأوروبيّة ذات اللغات المحليّة المختلفة، لا يُمكن مقارنته بما يُواجه اللغة العربيّة ذات الوجود المتجذر في المكان منذ آلاف السّنين والمتغلغل في الأرواح التي اختارت الإسلام ديناً قبل وبعد أي تداخل سياسي أو

جيوسياسي وإلى ما شاء الله»[12]. وهُناك بعض الدّراسات العربيّة التي كُتبت من وجهات نظر متعدّدة ومختلفة، لعلّ أبرزها رؤى اللّسانيات الاجتماعيّة، أو علم الاجتماع اللّغويّ، الذي ينهض على أساس مستخلصات العلوم اللّسانيّة واللغويّة من جانب، ويقوم على بعض أسس العلوم الاجتماعيّة من جانب آخر، والتي هي الدّراسة العلميّة للبنيّة الاجتماعيّة التي تتكوّن من المؤسّسات الاجتماعيّة، والجماعات، وهو يُعول على الالتّقاء بينهما فاللسانيات الاجتماعيّة تنطلق من التّأكيد على أنّ المشكلات اللُّغويّة تتّصل اتّصالاً وثيقا بالمشكلات الاجتماعيّة، ولذلك هناك من يضمّ علم اللُّغة إلى العلوم الاجتماعيّة فوجود اللُّغة من وجود المجتمع، فهي مؤسّسة اجتماعيّة، وتأسيسها يرجع إلى المجتمع والإنسان، ووظيفة اللُّغة التّخاطب والتّواصل، وإقامة الصّلات مع الجهات الاجتماعيّة، فهناك تداخل بين اللِّسانيات وعلم الاجتماع، لذلك تُركّز اللّسانيات الاجتماعيّة على تأثيرات اللّغة في المجتمع، وتأثيرات المجتمع في اللّغة من خلال جملة من القضايا، وثمّة دراسات كثيرة تندرج في إطار علم اللُّغة الاجتماعي، وتُسلّط الضّوء على الخصائص الكليّة للاتصال الإنساني، ومن ذلك: بنيّة الحديث والمحادثة، ودور اللُّغة في المجتمع الذي لم يعدّ يقتصر على علماء اللغة، وعلماء الاجتماع فقط، بل تناوله كذلك علماء النّفس، وقد أعطى علماء اللغة اللسانيات الاجتماعيّة الدّور الأكبر لاكتشاف جملة من القوانين الاجتماعيّة التي تنهض على تحديد سلوك المجموعات اللغويّة التي تستعمل لُغة محدّدة[13]. وقد كشفت تلك الدّراسات عن التّداخل اللّغويّ الوثيق بين العربيّة والأمازيغيّة، فكما هو معروف أنّ الأمازيغ يتحدّثون منذ القدم بلسان غير متجانس يضمّ عدّة لهجات، أهمّها سبع لهجات كبرى تنتشر في شمال إفريقيا هي: (تشلحيت)– (تاريفت) و(تمازيغت) في المغرب، (القبايليّة) و(الشّاويّة) و(المزابيّة) في الجزائر، و(التّراكيّة) في الصّحراء الكبرى من موريتانيا إلى السّودان، وتعدّ اللُّغة الأمازيغيّة أقدم لغة وُجدت على أرض المغرب، إذ يرجع تاريخ تدوين حضارتها إلى ما يزيد عن خمسين قرناً، وهي تنتشر على رقعة جغرافيّة تفوق مساحتها خمسة ملايين كيلومتر مربع، حيث تمتدّ من الحدود المصريّة–الليبيّة إلى مالي والنّيجر

بإفريقيا، علماً بأنّ أكبر مجموعة سكانيّة ناطقة بها توجد بالمغرب، وتفيد أبحاث (أركيولوجيّة) بأنّ هذه اللُّغة كانت تُدوَّن بحروف (تيفيناغ)، وبين جميع اللغات (الحاموساميّة) علاقة قريبة في النّظام النّحوي (القواعد)، والنّظام الصّوتي، ولكن لا توجد تشابهات كثيرة في المفردات ويذكر بعض العلماء أنّ هناك حوالي300 كلمة أمازيغيّة يُمكن إيجاد شبيه لها في باقي فروع الحاموساميّة ومنها العربيّة، وهذه العلاقة تعني أنّ هذه اللُّغات كانت لغة واحدة مشتركة في زمن بعيد جداً، فمن الطّبيعي أنّ هناك علاقة، ليس بين العربيّة والأمازيغيّة بالتّحديد، ولكن بين الأمازيغيّة والسّاميّة فالأمازيغيّة كما تذهب بعض الرّؤى ليست ابنة اللغة العربيّة، ولكن يُمكن اعتبارها لغة أختاً لها [14]، ونذكر من بين الدّراسات التي بيّنت الألفاظ العربيّة في الأمازيغيّة دراسة الباحث الدّكتور(لعبيدي بوعبد الله)، والتي اقتصرت على أشعار الشّاعر الأمازيغي(سي محند أو محند)، وقد أشار في مستهل دراسته أنّ إجراء مقارنة لغويّة بين لغتين أو لهجتين أو أكثر يتطلّب تعقّب ذلك في مختلف مستويات اللُّغة وأنظمتها المختلفة، ذلك أنّ المكوّنات الأساسيّة للبنيّة اللّغويّة كما يذهب نحو هذا التّوجه (أنطوان مييي) ثلاثة: نظام صوتيّ، ونظام صرفيّ، ونحويّ، ومعجم، ويُشكّل النّطق مع النّحو مجموعة من الأنظمة المغلقة[15] ومن أبرز الملاحظات التي خرج بها صاحب الدّراسة أنّ عدد الألفاظ العربيّة في الأمازيغيّة غير قليل، ولا يخفى أنّ هذا العدد من العيّنة (أشعار الشّاعر الأمازيغي سي محند أو محند) المدروسة، ولو كانت العيّنة المدروسة أوسع لكان عدد المفردات ربّما أكثر، لذلك لا يُمكن استيعاب مفردات الأمازيغيّة جميعها، فهي من السّعة-ككلّ لغة-بحيث لا تستوعبها إلاّ الحياة نفسها، فلعلّ زيادة العيّنة المدروسة تترتّب عنها زيادة مطّردة في الألفاظ العربيّة، ولاسيما عندما ننتقل إلى أفعال لغويّة ومستويات تعبيريّة وحقول دلاليّة أوسع وأشمل، ممّا قد يصهر الأمازيغيّة في العربيّة، كما لاحظ أنّ الكلمات العربيّة المُستعملة لا تخضع لقوانين (تمزيغ) واضحة، ومن خلال النّتائج تبدى له أنّ الأمازيغيّة لم تحسم، بل لم تتّخذ موقفها بالتّراجع أمام العربيّة-كما قد يتوهّم بعضهم- إنّما اعتبرتها امتداداً لها، فلقد

استعمل النّاطقون بالأمازيغيّة الكلمات العربيّة في حقول دلاليّة مختلفة طوعاً لا كرهاً عن اختيار وقناعة، بل لا توجد مبالغة في القول إنّها أُحيطت من قبلهم بقداسة كبيرة منقطعة النّظير[16]. ولا نتعجّب من هذا الأمر، فنحن نجد عدّة دراسات علميّة دقيقة تؤكّد على أنّ البربر والأمازيغ هم عرب قدامى، ومن بين هذه الدّراسات دراسة الباحث محمّد المختار العرباري المعنونة ب: (البربر عرب قُدامى)، والأدلة اللُّغويّة من أفضل الأساليب وأوضحها لإثبات ما بين الشّعوب من علاقات ثقافيّة وصلات نسب، ولذا فقد خاض المؤلّف في هذا الموضوع مُعتمدا على مُنجزات علم اللُّغة المقارن، وعلى ما توصل إليه من معلومات وحقائق لغويّة في مجال الدّراسات البربريّة وعلاقتها باللغة العربيّة القديمة ومن أبرز الجوانب التي تناولها المصنف في هذه الدّراسة: تصنيف البربريّة والفكر الإقليمي الطّائفي، والبربريّة واقع لغوي قديم والسّمات المشتركة بين البربريّة والأكديّة والحالة الصّوتيّة، والمقارنة مع الأكديّة ولغات عربيّة قديمة أخرى، والتّصريف وصيغة الفعل، والتّعريف والتّنكير، والنّاحيّة المعجميّة، وهكذا فإنّ الأدلة التي قدمها في دراسته من خلال الاطلاع على البربريّة واللُّغات العربيّة القديمة، يزيدنا درايّة بمعرفة كثير من الأصول والظّواهر اللغويّة في عربيّة القرآن باعتبارها خلاصة لتطوّر لغوي واسع قديم ومتنوّع، وتحدّث عن السّمات المشتركة بين البربريّة والعربيّة، فنبّه إلى أنّ المُطلع على البربريّة بِمختلف لهجاتِها يُدرك تَمَامًا مدى تأثرها الواسع والعميق بالعربيّة إلى درجة أنّ هذا التّأثير غيّر كثيرا من سماتِها، وجعلها تختلف بدرجة أو بأخرى، عمّا كانت عليه في العهود القديمة، وقد أكّد هذه المسألة كثير من الباحثين على اختلاف مشاربِهم، وقدّم الباحث أمثلة كثيرة من أوجه التّشابه اللُّغوي، وكذلك التّشابه الاجتماعي، والتّشابه في فنّ العمارة، وأكّد الباحث على أنّ البربريّة والعربيّة متشابهتان في النّظام اللغوي العام، وهذا ما جعل (ميشوبيلار) في محاضراته يقول إنّ قواعد النّحو البربري قريبة من القواعد العربيّة أمّا السّوسي فقد تحدّث عن هذا التّأثير في مجال المُفردات، وعمّا بين العربيّة والشّلحيّة من تشابه في مخارج الحروف، ومن بين الأمثلة التي تمكّن الباحث من حصرها، وهي

تشمل أوجه التّشابه اللغوي، الجمع، إذ يوجد في العربيّة الفصحى ثلاثة جموع هي: جمع التّكسير وجمع المؤنّث السّالم وجمع المذكر السّالم، وقد عُرفت هذه الجموع في اللُّغات العربيّة القديمة، وكشف البحث اللُّغوي المُقارن عن وجودها في اللُّغات العربيّة الجنوبيّة القديمة، وفي اللُّغات الحبشيّة، أمّا اللّغات العربيّة الشّماليّة القديمة، فقد ذكرت بعض الدّراسات وجود جمع السّالم فيها، وعموماً ظاهرة جموع التّكسير وجموع السّلامة تعدّ من الخاصيّات اللُّغويّة التي امتازت بها اللُّغات العربيّة القديمة والعربيّة الفصحى عن سائر اللُّغات الأخرى، وبالاطلاع على البربريّة من هذه النّاحيّة وجد الباحث محمّد المختار العرباري أنّها تمتلك هذه الجموع، فعلى سبيل المثال جمع التّكسير هو أوفر الجموع وأكثرها أصالة، نجد هذا الجمع في البربريّة يفوق في كثرته العربيّة لكونه الجمع الأساسي، ومن بين الأمثلة التي قدّمها الباحث: (ثززوى) و(اجدار)، و(انزار) و(امدكل)، و(اغيال)، و(اجحاح)، أمّا جمع المؤنّث السّالم الذي هو جمع قياسي فهناك نماذج منه في البربريّة، قدّم المؤلّف الكثير منها مثل: (رمات) و(هديات) (بجورات)، و(تمقات)، أمّا جمع المذكر السّالم، وهو أيضاً جمع قياسي، فله في العربيّة صيغتان تنتهي بالواو والنّون في حالة الرّفع، وصيغة تنتهي بالياء والنّون في حالتي النّصب والجر، ويكون أساساً للعاقل، وفي البربريّة لم يكن بهذه الصّورة القياسيّة المتطوّرة، ومن بين الأمثلة التي قدّمها الباحث: (ارقازن)، و(انزادن) و(اغيلاسن)، و(افُولوسن)، و(ايزماون)، و(ايخفاون)، و(امنغيون) [17]، وقد نبّهت عدّة دراسات علميّة وأكاديميّة دقيقة إلى التّرابط الوثيق، والصّلة الوشيجة بين العربيّة والأمازيغيّة في جوانب شتّى، ونذكر على سبيل المثال رسالة الماجستير التي أنجزتها الباحثة (أنيسة بن تريدي)، بعنوان: (الأمازيغيّة لغة ساميّة في بنيتها–دراسة مقارنة لأهم الظّواهر المشتركة بين الأمازيغيّة–اللهجة القبائليّة– والعربيّة في الصّرف والصّوت والتّركيب)، حيث خلصت في هذه الدّراسة إلى أنّ اللُّغة الأمازيغيّة المُجسّدة في الواقع المنطوق بمئات اللهجات الشّفويّة تُشبه إلى حدّ لافت للانتباه النّظام البنيوي للغة العربيّة، من حيث نظامها الصّوتي والصّرفي والتّركيبي[18]. وقد نبّهت الباحثة

أنيسة بن تريدي المتخصّصة في هذا الميدان العلمي إلى أنّ الخطّ العربيّ هو أوّل خط تُكتب به الأمازيغيّة، فقد اتّخذ الأمازيغي الخطّ العربيّ وسيلة لكتابة لغته، ولأوّل مرّة في تاريخ هذه المنطقة، بل في تاريخ لغتها وحضارتها خُطّت مؤلّفات في اللُّغة الأمازيغيّة بالخطّ العربي، وقد كانت في معظمها مؤلّفات دينيّة، فالعبرة التي استوقفت مجموعة من الدّارسين هي استعارة الخطّ العربي والتّأليف فيه، الشّيء الذي لم يحصل مع الحضارات السّابقة وكتاباتها، كما نبّه إلى ذلك (أندري باسي) وغيره، حيث أكّد على أنّ الحضارة البربريّة حضارة شفويّة، ولكن–مع ذلك–توجد بعض المخطوطات لمؤلّفات خاصّة بنشر الإسلام في الأوساط التي لا تتكلّم العربيّة، حيث إنّ هذه المخطوطات كلّها بالخط العربي، كما أكّد كذلك على أنّ الأبجديّة العربيّة توافق أصوات اللّغة الأمازيغيّة[19]. وقد ذكر الباحث صالح بلعيد في دراسته الموسومة ب: (في المسألة الأمازيغيّة) أنّ الأمازيغيّة في الجزائر عاشت على شكل لغات (لهجات) ثقافيّة وشفويّة، وقد حدث بون شاسع بينها وبين الثّقافة الرّسميّة، وذلك ما جعلها تغدو لغة فئات من الجزائريّين، وأصبحت لا تُعبّر عن ثقافة كلّ الجزائريين، كما ابتعدّ هذا الإرث عن كلّ مجالات الحياة، فانحصر في الجبال وفي الصّحاري حتى أصبح رصيداً فئوياً، وساعد على ذلك الطّروحات الوحدويّة الإقصائيّة التي أسهمت في تغييبها، كما عملت المركزيّة الوطنيّة على رفض كلّ طرح لا يتجسّد في الصّورة المرغوبة (عربي إسلامي)، ولاسيما بعد الاستقلال الذي وقع فيه اختيار الحلّ اللغوي الدّاخلي، وهو ترسيم العربيّة لغة رسميّة دون النّظر في الأقليات اللغويّة[20]، ويُنبّه إلى عدّة أمثلة تبرز الاحتكاك اللغوي باللغة العربيّة، من بينها أمثلة من قريّة (الشّماس) بولايّة البويرة، حيث توظف استعمالات كثيرة، دونما شعور على أنّها عربيّة، ومن بين الأمثلة التي قدّمها الباحث صالح بلعيد: (اضربوا على التّبن ينسى الشّعير)،(برج امنايل أمزوق من برا واش حالتو من الدّاخل)،(أكحل الرّاس أكويه لا تداويه)، (اللي ما وسعوا بيتو ما يوسعوا بيت الجيران)، (الباب مفتوح والرّزق على الله)، (واش أداك لهذا الشّغل) [21]، ومن المفيد أن نشير إلى منظور الباحث عثمان سعدي، الذي يُنبّه إلى

التّلاحم الوثيق والوطيد جداً بين العرب والأمازيغ في كتابه: (عروبة الجزائر عبر التّاريخ)، حيث يقول: « من الغريب أن الباحثين الفرنسيّين منظري الاستعمار، بذلوا جهوداً مضنيّة لمحاولة اكتشاف علاقة ما-ولو كانت ضئيلة-بين اللغة البربريّة من جهة وبين اللغات الأوروبيّة القديمة من جهة أخرى لكن جهودهم باءت جميعها بالفشل الذّريع... ويقرّ الأستاذ العلاّمة(وليم لانغر) بأنّ اللغة العربيّة واللغة البربريّة واللغات السّاميّة تنحدر جميعاً من أصل واحد، وتتّصل اللغة المصريّة القديمة باللغات السّاميّة ولغات البربر بأصل واحد، ويقدّر(باسيه) بأنّ عدد اللهجات البربريّة خمسة آلاف لهجة، ومن بين ما جاء في دائرة يونيفرساليس أنّ جميع اللهجات البربريّة مطبوعة بطابع اللغة العربيّة، وفي دائرة المعارف ورد بأنّ اللغة البربريّة في استعمالها الحالي هي امتداد لصيغ اللغة العربيّة»[22]. ويؤكّد المؤرّخ (أبو القاسم سعد الله) على أنّ من المخطّطات الاستعماريّة الدّعوة إلى كتابة العربيّة ومن ثمّة البربريّة، بالحروف اللاتينيّة استعدّاداً للاندماج اللغوي، وهي الدّعوة التي أطلقها عدد من المستشرقين الفرنسيّين ومن بينهم (لويس ماسينيون) الشّهير، حيث تحدّث عن البربر، وقال في إحدى المناسبات إنّ اللغة العربيّة لغة قوميّة أيضاً لفرنسا، وردّ عليه الشّيخ (أبو يعلى الزّواوي) فذكرَّه بما كتبه ابن خلدون والميلي والمدني ومحمّد المهدي بن ناصر(تونس)، عن أنّ صنهاجة وكتامة عرب من حمير ومنهم قبائل زواوة، وقال الزّواوي (إنّ حروف المسند الحميري هي حروف لسان البربر)، واستنكر دعوة ماسينيون إلى استعمال الحروف اللاتينيّة على غرار ما فعل الأتراك[23]. ولقد أثبت الباحث (سعيد بن عبد الله الدّارودي) في بحث علمي أكاديمي ثمين، عنونه ب: (حول عُروبة البربر-مدخل إلى عروبة الأمازيغيّن من خلال اللّسان-)، أنّ عدداً ضخماً جداً من الألفاظ في اللغة البربريّة، هي ألفاظ عربيّة خالصة، ونبّه كذلك إلى الرّؤى والمخطّطات الاستعماريّة التي ذكرها عدد كبير من الباحثين الجزائريّين، لعلّ أبرزهم الدّكتور(عثمان سعدي)، والدّكتور(أبو القاسم سعد الله)، فنلفي الباحث (سعيد بن عبد الله الدّارودي)، يُشير إلى هذا الأمر، فيقول: «...إنّ ضخامة ما في البربريّة من ألفاظ

عربيّة أقلق أولئك القائلين بعدم عربيّتها ممّا حـدا بواضـعي المعـاجم مـن الحركـة الأمازيغيّة-رفعاً للحرج-أن يخرجوا قسماً كبيراً من ألفاظ البربريّة وجعلوه من الـدّخيل العربي، وهذه المفردات لا يخفى على أحد عربيّتها فهي شائعة متداولة فـي الصّـحافة والتّعليم والإعلام، كذلك حينما تيقن هؤلاء أنّ قسـماً بربريـاً موجـود فـي العربيّـة المهجورة أدركوا أنّه من الصّعب أن يُعدّونه من الدّخيل ولذلك اصطنعوا-رفعاً للحـرج أيضاً- تخريجاً عجيباً أسموه المشترك فاللسانان منفصلان مختلفان-عند هـؤلاء-لكـن لديهما مشتركات كثيرة ثمّ وجدوا مجموعة ثالثّة من الألفاظ مستغلقة، فجعلوهـا قسـماً ثالثاً ووصفوه بالأمازيغي الصّرف...» [24]. ومن بين الأمثلة التي تثبت الصّلة الوثيقة بين البربريّة والحيميريّة، ما قدّمه العلاّمة (أبو القاسم سعد الله)، من إشارة إلى(الأفعول في الحميريّة والبربريّة)، حيث أشاد بجهود العالم اليمني إسماعيل الأكـوع، وذكـر أن من الذين نبهوا إلى العلاقة بين الحميريّة والبربريّة الشّيخ (أبو يعلى الـزّواوي) الـذي ذكر في كتابه (تاريخ الزّواوة) أنّ البربريّة حيميريّة الأصل، وقدّم عـدّة استشـهادات لغويّة وتاريخيّة[25]، وفي دراسة أخـرى وسـمّاها ب:(الحـوض كتـاب بالبربريّـة والحُروف العربيّة) [26]، رأى شيخ المؤرّخين الجزائريّين أنّ الفتح الإسلامي وانتشـار لغة القرآن الكريم، دفع بالبربر إلى اعتناق الدّين الجديد وتبني لغته، حيـث أصـبحت العربيّة هي وسيلة التّعبير الكتابي عندهم، فلغة الكتابة عندهم هي العربيّة، ولكنّهم ظلّـوا يتكلّمون لهجاتهم البربريّة، ورغم انتشار اللغة العربيّة بـين البربـر وتقديسـهم لهـا باعتبارها لغة دينهم، فإنّ بعضهم قد عبر عن خواطره أحياناً بالبربريّة، ولكنّ بحـروف عربيّة.

خاتمة: إنّ كلّ لغة في العالم تشهد ضـروباً متنوّعـة مـن الاتصـال والتّفاعـل والصّراع، ممّا يؤدّي إلى ظهور عدّة انعكاسات على الأوضاع الخارجيّـة والدّاخليّـة والتّسامُح اللُّغوي يؤدّي دوراً متميّزاً جداً في تحقيق الأمن الثّقافي، وخلـق حالـة مـن الانسجام والتّلاحم بين مختلف أطياف المجتمع الجزائـريّ، وقـد أثبتـت الدّراسـات التّاريخيّة[27]، وأبحاث علم اللُّغة المُقارن أنّ العربيّة والأمازيغيّة تعايشتا واستعارتا مـن

بعضهما، وتقاسمتا حياة الازدهار والانحطاط، وقد أرجع بعضهم هذا الأمر إلى أصولهما الواحدة، ورده فريق آخر إلى دور الإسلام، وقد دفعت هذه الآراء مجموعة من العلماء إلى البحث عن تفسير علمي لسرعة استجابة الأمازيغ للإسلام واتخاذ العربيّة لساناً لهم في محطّات كثيرة، فالعربيّة والأمازيغيّة تكمّل إحداهما الأخرى في شتّى العهود، وهذا ما أدّى وسيؤدّي إلى خلق حالة من الانسجام، فالتّسامح اللُغوي يُحقّق مجموعة من الوظائف الثّقافيّة، ويؤدّي إلى خلق حالة من الحوار عن طريق التّعامل مع المعارف والمعلومات المتّصلة بهذا الموضوع بشكل صحيح، وتصحيح ما هو خاطئ منها، وتحليلها واستخراج حقائق جديدة، ممّا يخلق حالة من الأمن الثّقافي داخل المجتمع، فالتّعاون الثّقافي يخلق حالة من التّواؤم، ويُعزّز التّلاحم في ميادين التّربيّة والعلم والثّقافة، ويؤدّي إلى الوصول إلى أهداف السّلم والازدهار التي حدّدتها مُختلف المواثيق والقوانين العالميّة، ومن بين هذه المبادئ، ما جاء في المؤتمر العام لليونسكو في دورته الأربعين بتاريخ: 4تشرين الثّاني/نوفمبر1966م، من أنّ لكلّ ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما، ومن حقّ كلّ شعب ومن واجبه أن يُنمّي ثقافته، وتشكّل جميع الثّقافات بما فيها من تنوّع خصب، وبما بينها من تباين وتأثير متبادل، جزءاً من التّراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعاً، والتّعاون الثّقافي الذي يُحقّق الأمن حقّ لجميع الشّعوب والأمم وواجب عليها، وعليها أن تتقاسم ما لديها من علم ومعرفة.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

أ-الكتب:

1-الإبراهيمي (أحمد طالب): حوار الحضارات، دراسة منشورة ضمن كتاب: الإسلام والغرب كتاب العربي، العدد:49، منشورات وزارة الإعلام بدولة الكويت، يوليو،2002م.

2-بلعيد(صالح): في المسألة الأمازيغيّة، منشورات دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع ط:02، الجزائر،1999م.

3-الدّارودي (سعيد بن عبد الله): حول عروبة البربر-مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللّسان-، منشورات دار النّعمان للطباعة والنّشر، الجزائر،2018م.

4-الدّباس (صادق يوسف): دراسات في علم اللغة الحديث، منشورات دار أسامة للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط:01، 2012م.

5-سعد الله (أبو القاسم): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الرّابع والخامس منشورات دار البصائر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر،2007م.

6-سعد الله (أبو القاسم): في الجدل الثّقافي، منشورات عالم المعرفة، الجزائر،2011م.

7-سعدي(عثمان): عروبة الجزائر عبر التّاريخ، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر،1985م.

8-شاهين (عبد العزيز راغب): أنثروبولوجيا اللغة-دراسة أنثروبولوجيّة في تحليل المضمون الثّقافي للغة-، منشورات الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر،2018م.

9-الشّيخلي (عبد القادر): ثقافة الحوار في الإسلام، منشورات كتاب الرّياض الرّياض المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:01، 1424هـ/2003م.

10-طليمات (غازي مختار): في علم اللغة، منشورات مكتبة دار طلاس، دمشق سوريا 1997م.

11-العرباري (محمّد المختار): البربر عرب قُدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربيّة، الرّباط، المغرب الأقصى، ط:01، 1993م.

ب-الدّوريات وأعمال المؤتمرات:

1-بغورة(الزّواوي): التّسامح وثقافة السّلم عند ابن باديس، مجلّة رواق عربي، القاهرة مصر، العدد:19، السّنة الخامسة،2000 م.

2-بن تريدي(أنيسة): اللّغة الأمازيغيّة ومشكل الأبجديّة، مجلّة التّبيين، مجلّة ثقافيّة جامعة محكمة تصدر عن الجمعيّة الثّقافيّة الجاحظيّة بالجزائر، العدد:20، 2003 م.

3-جيدل(عمار): متطلبات الحوار الحضاري، أعمال مؤتمر كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، ج:01، 1423هـ/2002م.

4-الحافظ(منير): الأمن اللغوي وتحديات الحداثة، مجلّة الموقف الأدبي، مجلّة أدبيّة شهريّة يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سوريّة، السّنة:36، العدد:433، أيار2007م.

5-بو عبد الله(لعبيدي): الألفاظ العربيّة في الأمازيغيّة من خلال أشعار سي محند أو محند، مجلّة التّبيين، مجلّة ثقافيّة جامعة محكمة تصدر عن الجمعيّة الثّقافيّة الجاحظيّة بالجزائر، العدد:37،2012 م.

6-العسكري (سليمان إبراهيم): العربيّة والأقليات اللُّغويّة-مُحاولة لتحديد النّطاق- مجلّة العربي، مجلّة ثقافيّة شهريّة تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت العدد:564 نوفمبر،2005م.

7-العسكري (سليمان إبراهيم): لغتنا وتحديات الثّقافة المعاصرة، مجلّة العربي، مجلّة ثقافيّة شهريّة تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:656 شعبان1443هـ /يوليو2013م.

8-مزيان (عبد المجيد): مفهوم الأمن الثّقافي العربي بين الواقع والتّصور، مجلّة الثّقافة مجلّة تصدرها وزارة الثّقافة بالجزائر، العدد:76، رمضان-شوال1403هـ/يوليو-أغسطس1983م.

9-مهيوبي (عز الدّين): في سؤال الأمن اللغوي، مجلّة اللغة العربيّة، مجلّة نصف سنويّة مُحكمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للغة العربيّة تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر، العدد: 31، 2014م.

الهوامش والمراجع:

(1) د. الزّواوي بغورة: التّسامح وثقافة السّلم عند ابن باديس، مجلّة رواق عربي، القاهرة مصر العدد:19، السّنة الخامسة، 2000م، ص:36.

(2) د.عمار جيدل: متطلبات الحوار الحضاري، أعمال مؤتمر كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، ج:01، 1423هـ/2002م، ص:138.

(3) د.عمار جيدل: متطلبات الحوار الحضاري، المرجع نفسه، ص:140.

(4) د. عبد القادر الشّيخلي: ثقافة الحوار في الإسلام، منشورات كتاب الرّياض، الرّياض المملكة العربيّة السّعوديّة، ط:01، 1424هـ/2003م، ص:128 وما بعدها.

(5) د. الزّواوي بغورة: التّسامح وثقافة السّلم عند ابن باديس، المرجع السّابق، ص:36.

(6) د. سليمان إبراهيم العسكري: لغتنا وتحديات الثّقافة المعاصرة، مجلّة العربي، مجلّة ثقافيّة شهريّة تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:656 شعبان1443هـ/يوليو2013م ص:12.

(7) د. عبد العزيز راغب شاهين: أنثروبولوجيا اللغة-دراسة أنثروبولوجيّة في تحليل المضمون الثّقافي للغة-منشورات الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر،2018 م ص:17.

(8) د.أحمد طالب الإبراهيمي: حوار الحضارات، دراسة منشورة ضمن كتاب: الإسلام والغرب كتاب العربي العدد:49، منشورات وزارة الإعلام بدولة الكويت يوليو2002م ص: 116.

(9) منير الحافظ: الأمن اللغوي وتحديات الحداثة، مجلّة الموقف الأدبي، مجلّة أدبيّة شهريّة يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سوريّة، السّنة:36، العدد:433،أيار2007م،ص:52 وما بعدها.

(10) عز الدّين ميهوبي: في سؤال الأمن اللغوي، مجلّة اللغة العربيّة، مجلّة نصف سنويّة مُحكمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للغة العربيّة تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر العدد: 31، 2014م، ص:16.

(11) د. عبد المجيد مزيان: مفهوم الأمن الثّقافي العربي بين الواقع والتّصور، مجلّة الثّقافة مجلّة تصدرها وزارة الثّقافة بالجزائر، العدد: 76، رمضان-شوال1403هـ/يوليو-أغسطس1983م، ص:12.

(12) د. سليمان إبراهيم العسكري: العربيّة والأقليات اللُّغويّة-مُحاولة لتحديد النّطاق-مجلّة العربي مجلّة ثقافيّة شهريّة تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:564 نوفمبر،2005م، ص:8.

[13] ينظر على سبيل المثال: د. صادق يوسف الدّباس: دراسات في علم اللغة الحديث منشورات دار أسامة للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط:01، 2012م،ص:157-158. ود. غازي مختار طليمات: في علم اللغة، منشورات مكتبة دار طلاس، دمشق سوريا،1997 م ص: 23.

[14] د. سليمان إبراهيم العسكري: العربيّة والأقليات اللُّغويّة-مُحاولة لتحديد النّطاق-المرجع السّابق، ص:10.

[15] د.لعبيدي بو عبد الله: الألفاظ العربيّة في الأمازيغيّة من خلال أشعار سي محند أو محند مجلّة التّبيين، مجلّة ثقافيّة جامعة محكمة تصدر عن الجمعيّة الثّقافيّة الجاحظيّة بالجزائر العدد:37،2012 م، ص:97.

[16] د.لعبيدي بو عبد الله: الألفاظ العربيّة في الأمازيغيّة من خلال أشعار سي محند أو محند المرجع نفسه، ص:100.

[17] د. محمّد المختار العرباري: البربر عرب قُدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربيّة الرّباط، المغرب الأقصى، ط:01، 1993م، ص:187 وما بعدها.

[18]لمزيد من التّعمّق في هذه النّقطة، يُنظر: أنيسة بن تريدي: الأمازيغيّة لغة ساميّة في بنيتها- دراسة مقارنة لأهم الظّواهر المشتركة بين الأمازيغيّة (اللهجة القبائليّة) والعربيّة في الصّوت والصّرف والتّركيب، رسالة ماجستير، إشراف: د. خولة طالب الإبراهيمي جامعة الجزائر،1999/2000م.

[19] أنيسة بن تريدي: اللّغة الأمازيغيّة ومشكل الأبجديّة، مجلّة التّبيين، مجلّة ثقافيّة جامعة محكمة تصدر عن الجمعيّة الثّقافيّة الجاحظيّة بالجزائر، العدد:20، 2003 م، ص:53.

[20] د.صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغيّة، منشورات دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع ط:02 الجزائر،1999م، ص:45.

[21] د. صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغيّة، ص:47.

[22] د. عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التّاريخ، منشورات المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر،1985م، ص:40.

[23] د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، منشورات دار البصائر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر،2007م، ص:224.

[24] سعيد بن عبد الله الدّارودي: حول عروبة البربر-مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللّسان-، منشورات دار النّعمان للطباعة والنّشر، الجزائر،2018م، ص:8.

[25] د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائـــر، الجـــزء الرّابـــع، منشـــورات دار البصائر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر،2007م، ص:204.

[26] د.أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص:206.

[27] د.أبو القاسم سعد الله: في الجدل الثّقافي، منشورات عالم المعرفة، الجزائر،2011م ص:146.

التداخل اللغويّ
مفهومه ومظاهره في المجتمع الجزائريّ

الدّكتور: محمّد مدور-
جامعة غردايّة. الجزائر

الملخّص: الجزائر مجتمع متعدّد اللغات ومتنوّع الثّقافات، وموضوع اللغة موضوع قديم متجدّد، ومن الأهميّة بمكان أن تنهض الهيئات المعنيّة بالشّأن اللغـوي، بوصـف واقعه ورصد تطوّراته، وفحص ظواهره وتطـوير اسـتعمالاته، لضـمان التّعـايش والشّعور بالأمن والطّمأنينة لدى مستعمل اللغة.

وتتناول هذه الدّراسة التّعريف بظاهرة التّداخل اللغوي وضبط المفهوم، ومظـاهره في المجتمع الجزائري وبيان مدى إسهامه في التّسامح اللغوي والعـيش معـاً بسـلام. ويعرف اللسانيّون التّداخل اللغوي بأنّه: تأثير لغة على أخرى، كتأثير اللهجـة العاميّـة على اللغة الفصحى بتطبيق نظام لغوي للغة معيّنة أثناء استخدام لغة أخرى.

ومن ثمّ فإنّ التّداخل هو ظاهرة سوسيولسـانيّة، تكـون نتيجـة احتكـاك اللغـات وازدواجيتها وتعدديتها، وهي ظاهرة عامة توجد في كل اللغات لدى جميع الشّعوب.

والتّداخل اللغوي يشمل مستويات اللغة كلّها بأن يستخدم المتكلّم عناصـر وملامـح صوتيّة وصرفيّة ومعجميّة وتركيبيّة خاصّة بلغة أخرى، وقـد يتعـدّى التّـداخل إلـى توظيف خصائص اللغات الأجنبيّة في استعمال اللغة المحلّيّة ومن ثمّ يؤثّر فـي تعلـيم اللغة وفي تطوّرها، ويسهم في صنع المفارقات الفكريّة والمعرفيّـة داخـل المجتمـع الواحد.

تنطلق هذه الدّراسة من إشكاليّة أساسيّة:

– ما المفهوم الحقيقي للتداخل اللغوي في ظلّ تعدّد أشكاله؟ – وما هي مظاهره في المجتمع الجزائريّ؟

وإلى أيّ مدى يمكن أن يؤثّر في التّسامح اللغوي والعيش معاً بسلام؟

مدخل: إنّ مسألة التّداخل اللغوي أو ما يمكن الاصطلاح عليه بمنظور لساني معاصر بمسار بناء ظاهرة الازدواجيّة اللغويّة قائم في العربيّة منذ القديم، ولا مناص أن يتّجه البحث اللساني إلى معالجة التّداخل اللغويّ قصد فهم الواقع اللغويّ، وحلّ معضلة التّواصل وتأثيراتها فيه خاصّة في البيئات المتتاخمة والمتداخلة في اللغات وهو وإن عدّ قديما وحديثا ظاهرة لسانيّة خلافيّة باعتباره يخرق نظام اللغة المتقبلة بما يستحدثه فيها من دوال ومدلولات أجنبيّة قد تؤدّي إلى تجاهل رصيدها الأصيل ، فإنّه من ناحيّة أخرى يعدّ من علامات تطوّر اللغات وحيويتها؛ لأنّ اقتصار لغة ما على رصيدها الخاصّ يحرمها من الاستفادة من تجارب الآخرين ويفقدها القدرة على مجاراة نسق الحضارة والمشاركة فيها.[1] "والحقيقة أنّ اللغة مثلما تكتسب تطوّرها بعامل التّوليد الدّاخلي، فإنّها تحصل على عناصر جدتها بالاقتراض الخارجي أيضا وإذا كان العامل الأوّل مظهرا من مظاهر المقدرة اللغويّة تحقّقه أنظمتها وبناها الدّاخليّة، فإنّ العامل الثّاني لا يقلّ أهميّة لأنّ المقترضات تتحوّل إلى جزء أصيل من رصيد اللغة، يتّخذ له حيّزا في نظامها اللغوي"[2].

والتّداخل اللغوي ظاهرة قديمة عرفتها اللغة العربيّة، فلمّا توحّدت القبائل العربيّة قديما في لغة واحدة هي: لهجة قريش لما امتازت به من فصاحة ألفاظ، وغزارة مادّة وسلامة تركيب، وتفوق على اللهجات الأخرى. كانت خلاصة اللغة الأدبيّة الممتازة اللغة الفصحى النّموذجيّة التي نزل بها القرآن الكريم. قال الفراء: "كانت العرب تحضرّ الموسم في كلّ عام، وتحجّ البيت في الجاهليّة، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلّموا به، فصاروا أفصح العرب."[3] وبهذا سلمت لغة قريش وأصبحت أفضل لغة وأصحّها وأسلسها، وبها تكلّم العرب في شتّى مناسبات تلاقيهم ومن هنا كانت اللغة الرّسميّة للجميع، وكانت لغة الكتابة والتّدوين[4]، واختلفت لهجات المحادثة باختلاف القبائل العربيّة، وقد وصلت إلينا بعض مظاهر هذا الاختلاف عن طريق كتب اللهجات وعن طريق القراءات القرآنيّة.

بل إنّ التّاريخ يشهد أنّ كثيرا من الفقهاء والأئمة كانوا يجتهدون ويتفرّغــون لــتعلّم اللغة المازيغيّة أو الشّلحيّة أو غيرها ليتمكّنوا من التّواصل مع السّكان وتعليمهم مبــادئ الإسلام وقواعده، ويحدّثنا التّاريخ كذلك أنّ عبد المؤمن بن علي في (عصر الموحّدين) قد أمر بتدريس علوم الدّين بالمازيغيّة لمن لا يفهم العربيّة، وفي ظلّ تلك الظّروف كان التّداخل بين العربيّة والمازيغيّة الذي استمرّ قرونا ولا يزال إلى يومنا هذا[5].

أمّا استعمال العرب للمازيغيّة فهو مجال التّداخل الاستعمالي العفوي التي يعرفــون دلالتّها عن طريق اختيار صيغ أمازيغيّة واستخدامها في مختلــف المواقــف، والتـــي تحوّلت لكثرة الاستعمال إلى ألفاظ مشتركة ذات حمولة دلاليّة متعــارف عليهــا، وقــد يكون اللفظ المستخدم صنف من أصناف التّداخل اللغوي المركب من جــذر ولواصــق ولواحق.

وينتج عن التّداخل تحوّل يشمل جميع أنظمة اللغة، " فإنّ الضّيم الذي يــدخل علـــى اللغات إذا التّقت في نفس اللسان، إنّما تكون نتيجة مظــاهر مــن التّــداخل."[6] وعــالج الجاحظ ما تولّد من هذا التّداخل من عامّي، ولم يعدّه خطأ يستوجب المنع بل عالجه في الغالب باعتباره انفتاحا لغويّاً على التّطوّر الاجتماعي والحضاري.

التّداخل اللغوي، مفهومه ومظاهره في المجتمع الجزائري:

مفهوم التّداخل اللغوي: التّداخل هو: تأثير لغة على لغة أخــرى كتــأثير اللهجــة العامّيّة على اللغة الفصحى بتطبيق نظام لغوي للغة معيّنة أثناء استخدام لغة أخرى، هو ظاهرة سوسيولسانيّة تكون نتيجة احتكاك اللغات وازدواجيتها وتعدّديتها، وهي ظــاهرة عامّة توجد في كلّ اللغات لدى جميع الشّعوب.

والتّداخل يشمل مستويات اللغة كلّها بأن يستخدم المتكلّم عناصر وملامــح صــوتيّة وصرفيّة ومعجميّة وتركيبيّة خاصّة بلغة أخرى، وقد يتعدّى التّــداخل إلـــى توظيــف خصائص اللغات الأجنبيّة في اللغة المحلّيّة ومن ثمّ يؤثّر في تعلــيم اللغــة وتطوّرهــا ويسهم التّداخل في صنع المفارقات الفكريّة والمعرفيّة داخل المجتمع الواحد، كما يســهم في ثراء اللغة وانفتاحها وتعايشها مع اللغات.

التّداخل اللغوي في المصادر القديمة: شاع في المصادر العربيّة القديمة مصطلح مشابه بمصطلح (الازدواج اللغوي) وهو مصطلح (التّداخل اللغوي) فعالجه اللغويّون القدامى من زوايا ومواقف مختلفة، فقد استعمل السّيّوطي المصطلح نفسه[7]، وأحال على ابن جنّي الذي عرف التّداخل اللغويّ بقوله: " إذا اجتمع الكلام الفصيح لغتان فصاعدا."[8] على أنّ اجتماع لغتين في اللسان الواحد يؤدّي على حدّ قول الجاحظ إلى أن تدخل كلّ واحدة منهما الضّيم على صاحبتها[9] وهذا هو معنى التّداخل، وهو دليل على وجود تعدّد اللغات في جميع الألسنة وفي العربيّة تحديدا ؛ لأنّها لغة حضاريّة عايشت الاحتكاك الثّقافي والحضاري.

اللغة العاميّة في الواقع الجزائريّ:

العاميّة الجزائريّة ليست بعيدة عن الفصحى. وقد ذكر عبد المالك مرتاض: "أنّ العاميّة الجزائريّة أنقى العاميّات العربيّة على الإطلاق."[10] وبخاصّة في الرّيف الذي بقي بعيدا عن التّأثير الفرنكوفوني، ويقول أيضا: "إنّ معظم الألفاظ العاميّة الجزائريّة فصيحة، وإنّما أفسدتها العامّة بالسّنتها."[11] ومن أمثلتها قولهم: ينقّز، تنقّاز: وهي عند العامّة بمعنى القفز (يقفز– قفزا)، نقل رمضان عبد التّواب عن الأزهري قوله: وسماعي من العرب الكتفان أنّ الجراد التي ظهرت أجنحتها ولما تطر بعد، فهي تنقّز من الأرض نقّزات[12]، فأصل الكلمة فصيح مع تحريف صوتي في (القاف) وتحريف صرفي في صياغة المفعول المطلق.

ويقول الدّكتور عثمان سعدي في معرض المقارنة بين العاميّة الجزائريّة قبل الاستقلال وبعده: "كانت العاميّة قبل الاستقلال راقيّة غير مشوّهة، قريبة جدا من الفصحى، ولم يتسرّب لها التّشويه إلاّ في عهد الاستقلال، بحيث صارت لهجة مسخا خليطا من الكلمات العربيّة والكلمات الفرنسيّة، وطالب البعض بترسيمها بدل الفصحى."[13]

إنّ العاميّة في الإعلام تلقي رواجا وإقبالا واسعا عند الشّباب خاصّة، فهي لغة ركيكة من خلال استقراء المدونات الشّفاهيّة، فهي متلعثمة، مليئة بالأخطاء، يطغى

عليها الدّخيل، وتتميّز بالانحراف عن الأصول، وهم يفضّلون ترويج الكلمات الأجنبيّة مثل: (باي باي، bey bey– مرسي، Merci– أوكي ، Okay)، وافتقارهم للنطق السّليم "كالإكثار من السّكتات والوقفات الخاطئة، والخطأ في تنغيم الجملة، وسوء تقسيمها، وتجاهل الوسائل الصّوتيّة المصاحبة كالنّبر والتّنغيم، ودرجة الصّوت، ومعدّل سرعته ونوعيّته، ومدى ارتفاعه... وهذا الإهمال للجانب الصّوتي يؤدّي غالبا إلى تشويه الرّسالة الإعلاميّة، وتأتي أهمّيّة هذه الوسائل الصّوتيّة من أنّها تنتج نحوا من 35 % من الرّسالة اللغويّة، كما أنّها قد تكون ذات تأثير سلبي حين يساء استخدامها."[14]

خصائص العاميّة الجزائريّة: استطاع المستعمر نشر اللسان الفرنسي، فاتّصل الشّعب بالأدب الفرنسي حتى صار يؤلّف أدبه وينشر صحفه بالفرنسيّة، وبعد الاحتلال بسنوات قليلة، أصدرت سلطات الاحتلال مرسوم 1838م الذي يجعل اللغة العربيّة لغة أجنبيّة، والفرنسيّة لغة رسميّة منفردة، ويعتبر العاميّة لغة حيّة، كما سعت السّياسة اللغويّة الاستعماريّة إلى جعل الفرنسيّة لغة مشتركة، يحتكّم إليها المتكلّمون ويتفاهم بها أصحاب اللهجات، ثمّ ما لبثت أن منعت استخدام اللغة العربيّة، وصادرت صحفها، فاتّجه المجتمع إلى اللهجات المحلّيّة، وأدمج فيها الألفاظ الأجنبيّة، مستغلّين مرونة العربيّة، وقابليتها التّصريفيّة والتّركيبيّة لإدخال تلك الألفاظ، وتعجيمها وفق نظام العربيّة، إضافة إلى استخدام التّوليد، والنّحت، والقياس ممّا أسهم في نموّ ظاهرة الازدواجيّة والتّداخل اللغويّ وظهر ذلك في الإنتاج الأدبيّ، والخطاب الإعلامي والتّخاطب اليومي، والتّواصل في الحياة العامّة، وشاعت تراكيب معاصرة نتيجة التّداخل بين العاميّة والفرنسيّة مثل قولهم: راك ستيل: بمعنى: أنت مواكب للموضة وقولهم: شحال جا عليك هذا اللوك: بمعنى كم يناسبك هذا اللباس.

ظاهرة التّداخل باللغات الأخرى: واقعنا اللغوي في الجزائر واقع متعدّد اللغات فإلى جانب اللغة العربيّة الفصيحة نجد اللهجات الأمازيغيّة واللغة الفرنسيّة، فهو واقع متعدّد يتسم بالثّنائيّة بين العربيّة الفصحى والعاميّة، والتّداخل حصل منذ القديم، منذ أن

التّقت العربيّة بالمازيغيّة في شمال افريقيا بعد الفتح الإسلامي، وما حصل بينهما من تداخل، قال ابن خلدون: " أمّا إفريقيا والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم ... فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي، الذي كان لهم وصارت لغة أخرى ممتزجة"[15]

ظاهرة التّداخل بين العاميّة والفصحى في المنطوق: عرف الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح اللغة في قوله: "اللغة مجموعة منسجمة من الدّوال والمدلولات ذات بنيّة عامّة، ثمّ بنى جزئيّة تتدرج فيها وهذا هو الواضح ...أمّا الاستعمال فهو كيفيّة إجراء النّاطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب."[16]

ونلاحظ في اللغة وجود تداخل بين المستويات في المنطوق، ويظهر ذلك في مزج المتكلّم للعاميّة في مستوى الفصيح حتى وإن كان في مقام رسمي، وهذا الذي عبّر عنه عبد الرّحمن الحاج صالح في قوله: "اللغة مستويات مختلفة من حيث تأديتها، فقد رأينا أنّ الاستعمال اليومي للغة يختلف بعفويته، وعدم تكلفه عن الاستعمال المحصور في بعض الحالات، تلك التي تقتضي نوعا من الانقباض النّفسي والفسيولوجي، وأنّ اللغة المنطوقة أكثر عفويّة من لغة التّحري، وقد انتبه علماء البلاغة قديما إلى هذا فقسّموا الألفاظ إلى لفظ حوشي وغريب وجزل ومبتذل ووسط بينهما وسخيف وسوقي فهذه مراتب تمثّل أنواع التّأديّة اللغويّة ولكلّ منها مقام، أمّا مستوى الكلام العفوي فيدخل فيه الرّابع حتى الثّامن، وقد يتكلّف المتكلّم عند اقتضاء الحاجة فيستعمل المراتب الأخرى"[17] انطلاقا من هذا التّعريف يتجلّى لنا أنّ اللغة المنطوقة أكثر عفويّة من اللغة المكتوبة لهذا نجد تداخلا على المستوى المنطوق بين العاميّة والفصحى.

إنّ العاميّة ليست مشتركة، فهي باب يؤدّي إلى انقسام الأمّة، لذلك يسعى خصوم الوحدة العربيّة إلى جعل العاميّة بديلا عن الفصحى المشتركة. والمتكلّم العربي لا يطمئن إلى العاميّة ولا يثق فيها لضيقها ومحدوديتها، واضطراب نظامها التّركيبي. ومن ثمّ فهي لا تقوى على التّعبير عن المعاني الدّقيقة، ولا عن حقائق العلوم، والفكر والإنتاج الأدبي، ومن ثمّ فهو يسعى إلى تدعيمها بألفاظ فصيحة.

قال رمضان عبد التّواب في ردّه على دعاة إدماج العاميّة في الفصحى: "إنّه من الغريب حقاً أن يبحث بعض النّاس عن لغة أخرى غير الفصحى، لتحلّ محلّها – على زعمهم–في توحيد شعوب الأمّة العربيّة، ويرون في هذه العاميّة أملهم في أن تحمل لواء الأدب وتتّسع لمستحدثات الحضارة، فأيّة عاميّة تلك التي يريدّونها؟ أهي عاميّة مصر أم عاميّة الجزيرة العربيّة أم عاميّة العراق أم عاميّة سوريا أم عاميّة المغرب ...وليعرف أبناء اللغة العربيّة أنّ محاولة رفع مكانة العاميّات لتحلّ محلّ اللغة الأدبيّة إنّما هو شعار مدرسة ضالة في أمريكا لم يرض عنها جمهرة علماء اللغة في العالم."[18]

"ولقد بلغ من خبث بعض دعاة العاميّة في الوطن العربي أحيانا، أن زعموا أنّ العاميّة شكل صحيح من أشكال الفصحى عنها تطوّر ومنها أخذ، وأنّ استخدام العاميّة لن يقطع الصّلة بيننا وبين الفصحى، ولقد كذّبوا في هذا وزيّفوا وضلّلوا، فهم يعرفون تماما أنّ اللاتينيّة مثلا كانت هي اللغة الأدبيّة في إيطاليا وفرنسا واسبانيا في العصور الوسطى، وكانت العاميّات المنتشرة في هذه البلاد هي اللهجات الإيطاليّة والفرنسيّة والاسبانيّة وهي عاميّات لاتينيّة تشبه العاميّات العربيّة في صلتها بالفصحى، وقد أدّى استخدام الأدباء والشّعراء لهذه العاميّات بعد ذلك وتركهم اللغة اللاتينيّة الأدبيّة الأمّ إلى موت هذه اللغة وانسلاخ العاميّات عنها"[19]، ويختم بقوله: "وخلاصة القول أنّه لا يحقّ لنا أن نخلط الفصحى بالعاميّة بدعوى أنّها تمتّ لها بصلة، فإنّ هذه لغة وتلك لغة فمن ضاق بالفصحى من هؤلاء الأفاقين فلا عليه أن يستخدم عاميّته في أحاديثه وكتاباته غير أنّه لن ينتزع منّا شهادة بأنّ هذه العاميّة والفصحى سواء."[20] إنّ تداخل مستويات اللغة في الاستعمال يشكّل خطرا على اللغة الفصحى، فهي لغة واحدة ذات مستوى واحد، أمّا العاميّات فهي متعدّدة ومختلفة يمكن أن يصيبها التّداخل." وأنّ اللغة لا تفسد بالدّخيل بل حياتها في هضم هذا الدّخيل، لأنّ مقدرة لغة ما على تمثّل الكلام الأجنبي تعدّ مزيّة وخصيصة لها، إن هي صاغته على أوزانها وصبته في قوالبها ونفخت فيه من روحها"[21].

إنّ نشأة العاميّة في الجزائر وليدة أسباب عديدة منها: الأسباب الجغرافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والفرديّة. ولذلك لا توجد عاميّة واحدة في كلّ القطر الجزائريّ بل عاميّات متفرّعة إلى لهجات. وتعتمد العاميّة الجزائريّة على نفس بنيّة العربيّة الفصحى، بحيث تلتزم جملتها بمفهومي المسند والمسند إليه، ثمّ مفهوم العامل والفضلات، وتستعين كذلك بالنّحت في صياغة الأساليب مثل: كلمة (علاش) = على + أي + شيء وهنا تداخل بين العاميّة والفصحى. بالإضافة إلى استعمالها تراكيب جامدة، واستعمالات تركيبيّة أخرى، وإلى غير ذلك من الخصائص التي تضمن لها السّهولة والخفّة.

إنّ التّداخل اللغوي بين الفصيحة والعاميّات العربيّة ظاهرة لغويّة بديهيّة، وإنّما الإشكال خاص بالعاميّة إذ أنّ الخوف العربي من العاميّة الحاملة إرث الأعاجم لأنّها ابتعدت كثيرا عن الفصيحة، وغرقت في البيئة المحلّيّة، ممّا ساعد على نشوء عاميّات يصعب تواصل العرب بواسطتها، وهذا ما دفع العرب إلى الإيمان بأنّ استعمال اللغة الفصيحة، يساعد على التّواصل اللغوي بين العرب من المحيط إلى الخليج [22]. فكيف بحالنا اليوم؟

مستويات التّداخل اللغويّ: يشمل التّداخل اللغويّ مستويات اللغة كلّها صوتا وصرفا ونحوا ودلالة ومعجما وللمستوى المعجمي حضورا واسعا في التّداخل، لأنّه لا يمتلك نظاما يحصّنه من الانتقال، ممّا يسهّل اقتراض الألفاظ بين اللغات.

1- **المستوى الصّوتي**: وهو أوّل مستويات التّداخل ممّا يسهّل ظهور ملامح صوتيّة أجنبيّة في كلام الأفراد، وظهور لهجة أجنبيّة من خلال النّبر والتّنغيم وأصوات الكلام وسائر الظّواهر السّياقيّة، وتتمّ العمليّة عن طريق جلب النّظام الصّوتي للغة أجنبيّة، بحيث تكون أصوات خاصّة بلغة دون أخرى مثل: (ع – ح – ق –هـ – خ – ض) فهذه غير موجودة في اللغة الفرنسيّة فيتمّ استبدالها بحروف قريبة منها مثل: استبدال (ق بـ ك) و (الحاء بالهاء والخاء والكاف، والعين بالأ، وفي المقابل نجد أصواتاً أخرى في الفرنسيّة (P – V) ليس لهما مقابل في العربيّة فيتمّ استبدالهما

بحرف (ف – ب) ، وفي الفرنسيّة يقلبون (الرّاء غينا) Camarade كَمَغاَد. إلى غير ذلك من أشكال التّداخل الصّوتي؛

2-**المستوى المعجمي:** وهو اقتراض كلمات من اللغة الأمّ وإدخالها في اللغة الثّانيّة عند الكلام، وإذا كانت الكلمة مستخدمة في اللغتين ولكن بمعنين مختلفين فقد يستخدمها المتعلّم بمعناها في لغته الأمّ، وهو يتحدّث باللغة الثّانيّة، وهذا المستوى هو أكثر المستويات عرضة للتداخل لأنّ المعجم ليس له نظام لغوي مثل النّظام النّحوي والصّرفي وإنّما هو قائمة مفتوحة، وكلّ لفظة قابلة للتصرف والإضافة بمختلف اللواصق واللواحق ممّا يسهّل عمليّة التّداخل المعجمي، حيث يقترض المتكلّم كلمة من اللغة ودمجها في اللغة الثّانيّة، ويستعملها بمعناها في اللغة الأمّ لأنّه يشعر أنّ تلك الكلمة تؤدّي الوظيفة التّبليغيّة أكثر من كلمات لغته، مثل: الميزيريّة La misére والفعل تميزرت، للدلالة على البؤس والشّقاء، والصّقت به تاء الفاعل، وكلمة أبراسيون opération أوبيريت (فعل) عمليّة جراحيّة، وقد صيغ الفعل من الاسم، والصّقت به تاء الفاعل وقد يكون عامل الاختصار سببا في اختيار هذا اللفظ بدل (العمليّة الجراحيّة).

3- ففي مجتمعنا لا أحد من العوام يقول فلانا البناء، وإنّما يقولون (الماصو) maçon وهي لفظة فرنسيّة، وكلمة بلاصتي Place : جعلوا الباء المجهورة پاء مهموسة (p) والأولى موجودة في العربيّة يتمّ نطقها بانفجار الهواء بين الشّفتين مع ذبذبة للأوتار الصّوتيّة في الحنجرة، بعكس الباء المهموسة (p) فإنّها تنطق بانفجار الهواء بين الشّفتين دون ذبذبة للأوتار الصّوتيّة، والصّقت باللفظ الأعجمي تاء التّأنيث وياء المضاف إليه. وكلمة فيڤورة Figure: فواڤر (جمع) ويراد به الوجه أوصورة الوجه، وهي من أصل فرنسي ويخضعها العامّة لنظام اللغة فيقولون (فيڤورتك). واستعمالها يحمل دلالة خاصّة وتستعمل أيضا في الكنايّة عن الصّورة القبيحة.

4-**المستوى الصّرفي:** ويتناول مستوى الصّيغ وبناء الكلمة مثل كلمة: كاستعمال العامّة كلمات مثل خبزيست وحيطيست فقد أصابها التّداخل المعجمي مع اللاحقة الفرنسيّة المعبرة عن النّسبة، هي كلمة عربيّة أضيفت لها تأثّرا بالصّيغة الفرنسيّة مثل:

سيناريست وتيروريست وأرتيست، ولما كثر استعمالها صيغت الكلمات العربيّة على الوزن الفرنسي، ولقد كان طه حسين في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة يكره أن تشيع في العربيّة ظاهرة أجنبيّة لها نظير في اللغة الفصحى. فالعربيّة فيها ياء النّسب فلا يصحّ أن تدخل إلى العربيّة نهايّة النّسب الإنجليزي، يقول أعضاء المجمع: حين تقولون (حمض الخليك) تأخذون نسبة أجنبيّة وتدخلونها في العربيّة وهذا غير جائز ولك أن تقول: (الحمض الخلي).

5- **المستوى النّحوي:** ويؤدّي إلى المخالفة النّحويّة لاستخدام الضّمائر وتوظيف المحدّدات مثل أل التّعريف، وأزمنة الأفعال، ومعاني الأساليب مثل النّفي والإثبات والاستفهام والتّعجب، ويتمثّل هذا المستوى أيضا في أنماط الجمل وترتيب عناصر الجملة، ففي اللغة العربيّة يتقدّم العامل على المعمول (الفعل + الفاعل + المفعول) وأمّا الجملة في الفرنسيّة فتقوم على العكس من ذلك، بحيث يتقدّم الاسم ثمّ الفعل وحين يكون التّداخل يقوم المتكلّم بالبدء بالاسم قبل الفعل، وللترجمة دور بارز في التّداخل اللغوي فيحافظ المترجم على بنيّة الجملة في النّص الأصلي كقول أحدهم: أأنت أكيد vous étes sur. وهي عبارة مترجمة من اللغة الفرنسيّة. وهذا مثل بسيط لما لحق العربيّة من تحريف وتلويث، عن طريق التّرجمة الحرفيّة غير الهادفة، والتي لا تراعي خصائص اللغة المترجم إليها. ونجد أيضا الأخطاء التّعبيريّة مثلا: ضحكوا عليك والصّواب ضحكوا منك. وقد ورد في القرآن الكريم: (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) [المطففين الآيّة 34]. وفي إحدى نشرات الأخبار نسمع عبارة: (الله يدَوَّم ڤوسطوكم). بمعنى الدّعاء بدوام السّعادة واستقرار المزاج، مأخوذ من الفرنسيّة **Gousteau**، واستعمل مضافا إلى الضّمير (كم).

أثر التّداخل في العيش بسلام: إنّ التّداخل اللغوي عن طريق الاحتكاك والاقتراض والمزج يسهم في اتساع متن اللغة، وقد أسهمت التّرجمة في تنوّع ألفاظ اللغة وتراكيبها، وهذا يسهم في انفتاح اللغة على لغات العالم، وحركة معجمها ومرونة تراكيبها، ممّا يساعد على توسيع دائرة الفضاءات الثّقافيّة وإثراء اللغة الأمّ، بشرط ألاّ

يسمح بطغيان الدّخيل المؤدّي إلى تلاشي اللغة الأصليّة، وكذلك نلاحظ إسهام التّكنولوجيا والرّقمنة في تداخل اللغات نظرا لسهولة الاحتكاك، ممّا يفسح المجال لاتساع متون اللغة، فقد أسهمت وسائل التّواصل الاجتماعي الالكتروني في استحداث لغة جديدة، وظهور الألفاظ الهجينة والاستعمالات التي لا تعرفها اللغة الأمّ، وكان لهذه الوسائط والتّرجمة اطلاع على خصائص اللغات الأخرى، ومعرفة أنظمة اللغات المجاورة ممّا يفتح المجال لسهولة تعلّم اللغات، الذي يساعد على تنميّة الملكة اللغويّة والإبداعيّة، وإنّ هيمنة العولمة الثّقافيّة والاقتصاديّة والتّكنولوجيّة انعكست آثارها على اللغات من خلال التّداخل اللغوي، وانتقال الألفاظ وهذا كلّه يفتح المجال أمام التّداخل بمختلف مستوياته.

إنّ الواقع اللغويّ الجزائريّ يتميّز بسمة التّعدّد والتّنوّع والثّراء، فالمشهد اللغويّ تتعايش فيه مجموعة من اللغات واللهجات تقوم على رأسها اللغة العربيّة بفروعها الثّلاثة والثّانيّة هي اللغة الأمازيغيّة بمختلف لهجاتها المنتشرة في ربوع الوطن كالقبائليّة والشّاويّة والمزابيّة والتّارقيّة والشّلحيّة والرّيغيّة، والثّالثة هي اللغة الفرنسيّة.

أمّا العربيّة فلها ثلاثة مستويات: المستوى العامّي، والمستوى القريب من الفصيح والمستوى الفصيح، ويتمّ التّفاعل بين هذه اللغات بشكل متفاوت باعتبارات ثقافيّة أو طبقيّة أو اجتماعيّة، ووفق هذا التّوزيع تكون الأصناف اللغويّة من ثنائيّة بين الفصحى والعامّيّة، أو ازدواجيّة بين العربيّة والفرنسيّة، أو بين العربيّة والمازيغيّة والتّداخل اللغوي الذي يستعمله المتكلّم بطريقة تصيب اللغة بالتّحريف البنيوي، والمزج الجزئي أو الكلّي للكلمات.

التّداخل اللغوي غير القصدي: هو ذلك النّوع اللغوي الذي يستعمله الفرد أو المجتمع بطريقة غير شعوريّة، دون أن يدرك كلّ واحد منهما مدى ترابط درجة التّفاعل بين اللغات المتداخلة في المجتمع الواحد في الآن ذاته، ويعود وجود هذا التّداخل اللغوي إلى أسباب تاريخيّة واستعماريّة وثقافيّة وإثنيّة، أو إلى انتماء تلك اللغات

واللهجات إلى فصيلة لغويّة واحدة ونأخذ على سبيل المثال اللغة العربيّة التي امتزجت مع اللغة المازيغيّة.

ومن ثمّ فإنّ اللغة العربيّة واللغة المازيغيّة شقيقتان متعايشتان ومتجاورتان كما يقول محمّد الفاسي في مقال عنوانه: (البربريّة شقيقة العربيّة)، وكان ذلك على أساس انتماء اللغتين إلى نفس الفصيلة اللغويّة وهي السّاميّة، فيؤكّد ذلك في قوله:" وإنّي اشتغل منذ سنين بأثر اللغة العربيّة على هذه اللغات، وهي لغات الأمم الأعجميّة التي بقيت مستعملة في البلاد التي اعتنقت الإسلام ولكنّها حافظت على لغتهم في المخاطبة وفي نظم الشّعر مع استعمال اللغة العربيّة في التّآليف الخاصّة بالعلوم النّقليّة والعقليّة"[23]

وتقترب اللغة العربيّة باللغة المازيغيّة من حيث اشتراكهما في الخصائص اللغويّة ومن حيث الأحداث التّاريخيّة، والعادات الاجتماعيّة، والمعتقدات الدّينيّة.

التّداخل اللغويّ القصدي: وهو ذلك النّوع اللغويّ الذي يحدث بطريقة إراديّة، ويتمّ باحتكاك اللغات المتداخلة في مجتمع معيّن أو تقوم الفئات المثقّفة بإدخال الألفاظ والتّعابير الأجنبيّة إلى لغة الأمّ.

المجالات التي يكون فيها التّعايش اللغويّ بين العربيّة والمازيغيّة:

1-مجال الاستعمال: يكون التّداخل في مجال الاستعمال اليومي من خلال توظيف كلمات أو تعابير هجينة (عربي + أمازيغي) أو كلمات أمازيغيّة خالصة يتلفظ بها النّاطقون بالعربيّة لما فيها من حمولة دلاليّة كثيفة ومن أبرز الألفاظ المستعملة قولهم مثلا: تيهوديت – تحريميت – بن عميس – متى لحوال.

وقد يكون التّداخل باستعمال الألفاظ الأمازيغيّة الخالصة مثل:

أسا نزها – الهوى أن وذرار – أولاش – أرقاز – تغنانت– أزول فلاون.

التّكثيف الدّلالي للألفاظ الأمازيغيّة المستعملة: من بين الأسباب في اختيار بعض الكلمات الأمازيغيّة للاستعمال المشترك ما تتميّز به من كثافة دلاليّة حيث تضمّ مجموعة من المعاني، فكلمة تيهوديت مثلا: ليست ذمّا للأصول العرقيّة اليهوديّة ولكنّها ذمّ واستهجان لقيم أخلاقيّة اتّصف بها اليهود فنسبت إليهم، وتورد من باب

الكنايّة والتّمثيل عن كلّ موقف أو سلوك احتيالي مماثل فهذه المعاني وغيرها تجتمع كلّها في كلمة واحدة بهذه الصّيغة المذكورة وأمثالها.

المكوّنات البنيويّة للألفاظ المستعملة: إنّ الألفاظ الهجينة المستعملة في الواقع تتكوّن من مزيج من اللغات فيؤخذ من كلّ لغة جزء من التّركيب.

فكلمة (**تيهوديت**) تتكون من: **تيهوديت** = **ت** + **يهودي** + **ت**

- مورفيم معجمي عربي أو عبري هو (**يهودي**)
- اتّصلت به سابقة أمازيغيّة هي (**تاء التّأنيث**).
- وختم بلاحقة أمازيغيّة هي (تاء **المصدر**).

أرقاز = رجل شجاع تقال في مواقف البطولة والقوة والشّجاعة، لما تحمله من سمات دلاليّة إضافيّة.

وفي كلمة (بن **عمّيس**) يوجد هجين لغوي مركب من أجزاء عربيّة وأمازيغيّة.

بن عمّي: كلمة عربيّة.

واللاحقة **س:** أمازيغيّة، وهي (**س الإضافة**) أضيف إلى ابن عمّه.

حيث يتمّ إخراج اللفظ من صيغته العربيّة إلى الصّيغة الأمازيغيّة، لما فيها من وضوح وتكثيف دلالي وإيجاز وطلبا للخفة، فهذه اللفظة تعبر عن مفهوم المحاباة والقرابة ومفهوم (المعرفية) الشّائعة في الثّقافة الجزائريّة والذي يحمل دلالة خاصّة والاختيار هنا مقصود للتعبير عن هذه الدّلالات التي تختزل في هذه الكلمة.

وقد تناول الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح قضيّة الاستعمال العامّي وميل المتكلّمين إلى اختيار الألفاظ العاميّة لخفتها ومزجها بالألفاظ الأمازيغيّة، ويرجع سبب هذا الاختيار إلى خضوع اللغة لقانون الاقتصاد اللغويّ، وما ينتج عنه من اضطرار "المستعمل إلى تخفيف الجهود العضليّة والجهود الذّاكريّة، وهذا هو السّبب في تحويل اللغة من نظام إلى نظام آخر، ولابدّ من التّنبيه على أنّ التّحول النّاتج من هذا الميل الطّبيعي إلى الاقتصاد ينطبق خصوصا على لغة التّخاطب اليومي العادي لعفويته"[24]

فالدّافع لاستعمال المتكلّمين الصّيغة العاميّة الشّعبيّة الممزوجة بالأمازيغيّة مثل: (بن عمّيس) هو ما نتج عن قانون الاقتصاد اللغويّ من تخفيف الجهود العضليّة والفكريّة كما قال عبد الرّحمن الحاج صالح.

ويسهم قرار ترسيم الأمازيغيّة في إعطاء الصّبغة الرّسميّة والدّستوريّة للغة الأمازيغيّة وهذا ما يجعلها تتبوأ منزلة الاحترام لدى الشّعب الجزائريّ ويكسبها المزيد من التّقبل ممّا يؤهّلها للتداخل مع اللغة العربيّة والمصالحة مع الأمازيغيّة، والذي هو مظهر من مظاهر التّداخل مع التّنوّع الثّقافي، وذلك بخلق أجواء من حريّة الاستعمال وعدم التّحرّج من التّلفّظ بها.

ويسهم هذا التّرسيم في استمرار التّداخل بين اللغتين من خلال "تعليم المازيغيّة والحفاظ عليها، باستعمال الحرف العربي في كتابتها، والذي كان دائما حافظا لتراثها الشّفوي، فالبربريّة لغة الضّاد، فالبربر ينطقون الضّاد ويفرقون بينه وبين الظّاء، بل إنّ كتابة التيفيناغ مستمدّة من حرف المسند العربي القديم الذي كانت تكتب به لهجات العربيّة في جنوب الجزيرة العربيّة، والذي انحدر منه الخط الكنعاني الفينيقي بحيث اشتقّ منه التيفيناغ، أمّا كتابة الأمازيغيّة بالأبجديّة الفرنسيّة فهذا يخدم الفرنسيّة أكثر من خدمتها للأمازيغيّة"[25] .

التّداخل اللغويّ على مستوى الألفاظ الدّخيل والمعرّب:

الدّخيل: هو كلمة دخلت للغة معيّنة وليست منها فهي أجنبيّة عنها ثمّ استخدمت وفقا لقواعد اللغة، فالدّخيل ما هو إلاّ نافذة نطلّ بواسطتها على اللغات الأخرى، أمّا اللفظ **المعرّب** فهو الذي جعل عربيا بأن يتلفّظ به على منهاجها **والمولد** يكون على ضربين **الأوّل:** هو صياغة ألفاظ جديدة لا عهد للعربيّة الفصحى بها كلفظة اللامركزيّة الحيثيّة الماهيّة، **والثّاني:** هو تغيير معنى جديد لكلمة قديمة لم توضع لهذا المعنى مثل القاطرة والمحرّك والجريدة والهاتف.

الخاتمة: في الجزائر تتعايش عدّة لغات ولهجات من فصحى وأمازيغيّة وعاميّة وهو سلاح ذو حدّين يكون إيجابيّاً أو سلبيّاً، فهو إيجابي إذا اتّخذ وسيلة لنقل المعارف وتحقيق التّواصل بين الشّعوب، والمواطن يمتلك عدّة لغات تمكّنه من التّواصل السّهل مع محيطه فهو يتواصل بالفصحى في المجال الرّسمي والأدبي والدّيني، ويتواصل بالعربيّة الدّارجة مع محيطه الاجتماعي والبيئة الأسريّة والسّوق والشّارع، ويتواصل بمزيج من الفرنسيّة واللهجات مع أقرانه ظنّاً منه أنّها لغة راقية ولغة الحضارة والعصرنة، أمّا العربيّة والمازيغيّة فهو يستعملها ظنّاً منه أنّها تحقّق له هويّته وأصالتّه وهكذا تتعدّد الحاجات المحفزة على الاستعمال. ولقد تناولت هذه الدّراسة نبذة عن ظاهرة التّداخل اللغويّ عموما، وفي المجتمع الجزائريّ على وجه الخصوص والتّداخل ظاهرة طبيعيّة في اللغات خاصّة في اللغات المتاخمة واللغات التي تتعرّض للغزو.

والتّداخل له مستويات مختلفة صوتيّة وصرفيّة ومعجميّة وتركيبيّة ودلاليّة وهناك أيضا تداخل على مستوى اللهجات والفصحى. وانتهت الدّراسة إلى أنّ للتداخل آثاراً إيجابيّة وآثار سلبيّة، فهو يسهم في تحقيق التّعايش بين أبناء اللغة وسائر النّاطقين بمختلف اللهجات، أمّا الآثار السّلبيّة فهي تتحقّق إذا تجاوزت نسبة التّداخل المستوى المسموح به.

وخلصت الدّراسة إلى مجموعة من النّتائج نذكر منها:

1- يسهم التّداخل اللغوي في التّعايش بسلام بين الشّعوب؛
2- التّداول الاستعمالي يؤثّر في التّسامح اللغويّ؛
3- وسائل التّواصل التّكنولوجي أسهمت في الاحتكاك بين اللغات؛
4- تسهّل شبكات التّواصل سرعة انتقال الألفاظ وهجرتها؛
5- انغلاق اللغة على رصيدها اللغوي الخاصّ يحرمها من تجارب الآخرين.

المراجع:

1- ابن جنّي. الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي. ط2/ 2003م دار الكتب العلميّة. بيروت

2- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيان، تح: عبد السّلام هارون دار الجيل بيروت لبنان

3- جلال الدّين السّيّوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمّد أبو الفضل وآخرين القاهرة 1958.

4- الحبيب النّصراوي، العربيّة الحديثة في تونس، مركز النّشر الجامعي، تونس، 2014 م

5- رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي. القاهرة. ط2 / 1988

6- رمضان عبد التّواب. دراسات وتعليقات. ط1 / 1994 مكتبة الخانجي القاهرة

7- ابن خلدون (عبد الرّحمن). المقدّمة تاريخ العلاّمة ابن خلدون، ط1984/1م.الدّار التّونسيّة للنشر.

8- عبد الرّحمن الحاج صالح. العامّيات العربيّة ولغة التّخاطب الفصيحة. ملتقّى الفصحى وعامّياتها في الجزائر المجلس الأعلى للغة العربيّة.

9- عبد المالك مرتاض. العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى. ديوان المطبوعات الجامعيّة. 2012. الجزائر.

10- عبد المالك مرتاض. فصيح العاميّة الجزائريّة. ضمن منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة.

11- عثمان سعدي. اللغة العربيّة والتّعدد اللساني بالمغرب العربي. ملتقى التّعدد اللساني واللغة الجامعة ج1 / 2014 م.

12- سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتهما في استعمالات النّاطقين الجزائريين،2011 كنوز الحكمة الجزائر.

13- سمر روحي الفيصل. المشكلة اللغويّة العربيّة. ط 1 / 1992. جروس برس. طرابلس لبنان.

14- محمد عبد الله عطوات. اللغة الفصحى والعاميّة. ط 2003/1، دار النّهضة العربيّة. بيروت. لبنان.

15- محمّد الفاسي. الألفاظ العربيّة في اللغة البربريّة. بحوث مؤتمر الدّورة 55. مجلة مجمع اللغة العربيّة القاهري. 1988.

الهوامش:

[1]- ينظر: الحبيب النّصراوي، العربيّة الحديثة في تونس، 2014 م، مركز النّشر الجامعي تونس ص 115.

[2]- الحبيب النّصراوي، العربيّة الحديثة المرجع نفسه، ص 115.

[3]- جلال الدّين السّيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: محمّد أبو الفضل وآخرين 1958، القاهرة. 221/1

[4]- ينظر: محمّد عبد الله عطوات. اللغة الفصحى والعاميّة. ط 2003/1، دار النّهضة العربيّة. بيروت. لبنان. ص 54

[5]- ينظر: محمّد عبد الله عطوات، اللغة الفصحى والعاميّة، المرجع نفسه. ص 255.

[6]- الحبيب النّصراوي، العربيّة الحديثة، مرجع سابق، ص 119.

[7]- ينظر: جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علو اللغة مرجع سابق، الباب 17 معرفة تداخل اللغات، ص 262.

[8]- ابن جني. الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي. ط2/ 2003م دار الكتب العلميّة. بيروت 1/ 372.

[9]- ينظر: أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتّبيان، تح:عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، 1 /284 .

[10]- عبد المالك مرتاض. فصيح العاميّة الجزائريّة. ضمن منشورات المجلس الأعلى. مرجع سابق. ص 402.

[11]- عبد المالك مرتاض. العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى. ديوان المطبوعات الجامعيّة. 2012. الجزائر. ص 6.

[12]-رمضان عبد التّواب. دراسات وتعليقات. ط1 / 1994 مكتبة الخانجي القاهرة، ص 195.

[13]- عثمان سعدي، اللغة العربيّة والتّعدد اللساني بالمغرب العربي، ملتقى التّعدد اللساني واللغة الجامعة ج1 / 2014 م. ضمن منشورات المجلس الأعلى. ص 111.

[14]- أحمد مختار عمر. أنا واللغة والمجتمع. ص 94.

[15]- ابن خلدون (عبد الرّحمن). المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ط1984/1م.الدّار التّونسيّة للنشر. ص 58.

[16]- عبد الرّحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، ص 30

[17]– سهام مادن، الفصحى والعاميّة وعلاقتهما في استعمالات النّاطقين الجزائريين،2011 كنوز الحكمة الجزائر، ص 96.

[18]– رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللغة، ط2 / 1988، مكتبة الخانجي. القاهرة. ص 174.

[19]– رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات، المرجع نفسه، ص 175.

[20]– رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات، المرجع نفسه، ص 175.

[21]– رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات، المرجع نفسه، ص 175.

[22]– ينظر: سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغويّة العربيّة، ط 1992/1، جروس برس، طرابلس لبنان، ص 130.

[23]– محمّد الفاسي. الألفاظ العربيّة في اللغة البربريّة. بحوث مؤتمر الدّورة 55. مجلّة مجمع اللغة العربيّة القاهري. 1988 الجزء 64. ص 187.

[24]– عبد الرّحمن الحاج صالح. العاميات العربيّة ولغة التّخاطب الفصيحة. ملتقى الفصحى وعامياتها في الجزائر المجلس الأعلى للغة العربيّة.

[25]– عثمان سعدي. اللغة العربيّة والتّعدد اللساني بالمغرب العربي. ملتقى التّعدد اللساني واللغة الجامعة مرجع سابق.

موقف طلبة اللغة العربيّة من تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة (جامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان نموذجا)

مفلاح بن عبد الله
أستاذ تعليم عالي
المركز الجامعي بغليزان

تمهيد: تعدّ اللغة مكوّنا أساس للهويّة الوطنيّة؛ "فاللغة عامل أساس في بناء الأوطان وفي توحيد الأفراد، وفي التّزام المجموعات بالوطن، تقوّي الشّعور بالانتماء، وتنمّي الحاجة إلى التّعاون بين المواطنين، تربط الفرد بجدوده وبتراثه وبتقاليده، وتساعد في تطوير النّظام التّعليمي بحيث تتاح للجميع فرص التّعلم"[1]؛ جاء في ديباجة وثيقة الحقوق اللغويّة: فاللغة ليست أداة للاتصال واكتساب المعرفة فقط، بل هي أيضا ــ كما جاء في ديباجة وثيقة الحقوق اللغويّة ــ مظهر أساس للهويّة الثّقافيّة ووسيلة تعزيزها إنّ للفرد أو المجتمع.

وقد يحدث أن يكون في المجتمع الواحد أكثر من لغة يتحدّث بها أبناؤه، وهو ما يسمّى بالتّعدّد اللغوي[2] الذي يصدق على الوضعيّة اللسانيّة المتميّزة بتعايش لغات وطنيّة متباينة في بلد واحد، إمّا على سبيل التّساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة ... وإمّا على سبيل التّفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربيّة بجانب لغات عاميّة..."[3] وهو ظاهرة منتشرة عند الكثير من شعوب العالم، ويتعاملون معها بشكل إيجابي وينظرون إليها بوصفها عامل غنى وتنوّع؛ إذ تسهم في تنوّع المعارف، وتعدّ رافدا أساسيّاً لعمل التّجارب الاجتماعيّة التي عرفتها مختلف شعوب العالم في إطار التّواصل اللساني بين أفراد هذه المجتمعات. [4]

وقد أدركت السّلطة السّياسيّة في الجزائر ــ متأخّرة ــ هذه الحقيقة، فاستدركت الأمر، واجتهدت في إعادة رسم السّياسة اللّغويّة، كانت من أهمّ نتائجها إعادة الاعتبار

للغة الأمازيغيّة وترسيمها بوصفها لغة ثانيّة. إلاّ أنّ هذا التّوجــه الإيجــابي عارضــه البعض صراحة عبر رفضهم قرار تعميم تعلــيم الأمازيغيّــة فــي بعــض المــدارس الجزائريّة، فيما توجس آخرون من القرار، فلمحوا ولم يصــرحوا، وكــلا المــوقفين يعكسان غياب الرّؤيّة الصّحيحة وبعد النّظر في التّعامل مع هذا التّوجه الجديد المتــأخّر للسلطة الجزائريّة مع لغة يتحدث بها مكون هــام وأســاس مــن مكونــات الشّــعب الجزائري؛ إذ إن هذا التّوجه حقّ تضمنه ما يسمّى بالمواطنة اللغويّة[5] التي تحتاج إلــى تجسيد فعلي في حقّ التّلميذ في تعلّم لغته، وحقّه في اســتكمال لغتــه وادخالهــا إلــى منظومات اللغات الحيّة، وحقّه في أن تدافع مؤسّسات الدّولة عن نيــل المرتبــة التــي تستحقّها كلغة رسميّة/وطنيّة، وتسن القوانين العاملة على احترامها[6]، هــذا مــن جهــة ومن جهة ثانيّة يعدّ هذا التّرسيم والتّعميم ضرورة يقتضيها الأمن اللغويّ الــذي يحمــل بين طيّاته تحدّيات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة؛ ذلك أنّ الأمن اللغويّ يماثل من حيث الأهمّيّة الأمن الغذائي والأمن الاجتماعي وأمن الحدود، وهو ما يعبّر عنــه بمصــطلح الأمن القومي. لذا يتحتّم على الأمّة أن تدرك أهمّيّة هذا الأمن وأولويته وأثره في كــلّ أمن من خلال تكاثف الجهود التّربويّة والسّياسيّة والثّقافيّة لتحقيقه.[7]

واللافت للنظر أنّ تلك المواقف المسبقة من هذا التّوجّه تبنته فئات مثقّفة كان يعــوّل عليها في تفهم هذا التّوجّه وتسويقه لبقيّة فئات المجتمع، وهو ــ في نظرنا ــــ موقــف صادم أسس لسلوكات مشينة تجاه قراري التّرسيم والتّعميم.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثيّة لتقف على موقف طلبة الجامعة من قضيّة تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة.

الإطار المنهجي للدراسة:

مشكلة الدّراسة وأسئلتها: على الرّغم من قانون تعميم تدريس اللغــة الأمازيغيّــة بالمدارس، وعلى الرّغم من الاجراءات التي اتّخذتها الوزارة الوصــيّة لتطبيــق هــذا القانون إلاّ أنّه من خلال النّقاشات المطروحة في وسائل الإعلام وفي مواقع اتواصــل الاجتماعي لوحظ عدم تحمّس الكثير من الجزائريّين النّاطقين بالعربيّة لهذا القرار، كمــا

لمسنا هذه الموقف أيضا في الوسط الجامعي الذي كان من المفروض أن يتقبّل هذا التّوجّه انطلاقاً من أكاديميته وعلميّته في النّظر إلى القضايا.

ومن ثمّ، جاءت هذه الدّراسة الميدانيّة لتقف على موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من قضيّة تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة، والتّعرّف على حججهم المؤيّدة أو الرّافضة، من خلال وضع جملة من التّساؤلات التي تحدّد مسار البحث وهي كالتّالي:

1. ما موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من التّعدّد اللغويّ في الجزائر؟

2. ما موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من اللغة الأمازيغيّة؟

3. ما موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من قانون تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة بالمدارس؟

الفرضيّات: تعدّ الفرضيّة عنصرا هامّاً في عمليّة البحث، حيث أنّها تخمين أو استنتاج ذكيّ يصوغه ويتبنّاه البحث مؤقّتاً لشرح بعض ما يلاحظ من الحقائق والظّواهر... لتكون كمرشد له في البحث والدّراسة التي يقوم بها.[8] وهي إجابة مبدئيّة عن سؤال البحث، أيّ تخمين معقول للحلّ المتوقّع، ويتمّ إثبات صحّته أو خطئه عن طريق اختباره بالبيانات المجمعة.[9]

وقد حاولت الدّراسة التّحقّق من الفرضيتين الآتيتين:

1. طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان يرون أنّ اللغة الأمازيغيّة مكوّن من مكوّنات الهويّة الوطنيّة.

2. طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان غير متحمّسين لقانون تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة.

أهمّيّة الدّراسة: تهدف هذه الدّارسة إلى معرفة موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من قضيّة تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة بالمدارس. وتتبع أهمّيتها من الآتي:

1. تسهم في التّعرف على وجهات نظر طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان فيما يخصّ الأمازيغيّة بوصفها لغة يمكن تعلّمها والتّعلّم بها.
2. تسهم في التّعرف على أسباب عدم تحمّس هذه الفئة لتدريس اللغة الأمازيغيّة.

منهج الدّراسة: وظّفت الدّراسة المنهج الوصفي التّحليلي الذي يصف الظّاهرة المدروسة من خلال جمع المعلومات وتحليلها وكشف العلاقة بين أبعادها المختلفة من أجل تفسيرها والوصول إلى استنتاجات عامّة تسهم في تشخيص الظّاهرة وأسبابها.

عيّنة الدّراسة: تكوّنت عيّنة الدّراسة من (61) طالبا في طور الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان.

أداة الدّراسة: عولت الدّراسة أساسا في التّوصل إلى المعلومات الضّروريّة من عيّنة الدّراسة على الاستبيان الذي يعدّ من أفضل الأدوات التي يعتمد عليها في الدّراسات الميدانيّة التي تنشد الولوج إلى وعي العيّنة وتدفعها إلى الإدلاء بآرائها وأفكارها وتصوّراتها حول موضوع الدّراسة في جوّ من الثّقة والحرّيّة والسّرّيّة .

وقد تضمّنت الاستبيان محورين يتمشّياً وفرضيّات الدّراسة، ويتفرّع عن كلّ محور من مجموعة من الأسئلة التّفصيليّة تدور في فلكه. والمحوران هما:

المحور الأوّل: خصّص لجمع البيانات الشّخصيّة الخاصّة بالعيّنة.

المحور الثّاني: الموقف من تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة.

الإطار العملي:

تحليل نتائج الاستبيان:

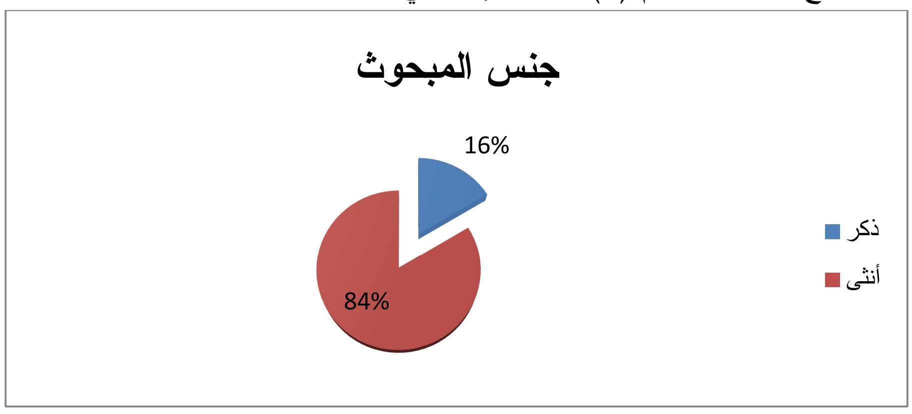
المحور الأوّل: البيانات الشّخصيّة

1. **جنس المبحوث:**

جدول رقم (1)

الخيارات	التّكرار	النّسبة
ذكر	10	16.39
أنثى	51	83.60
المجموع	61	٪ 100

يوضّح لنا الجدول رقم (1) أنّ فئة الإناث في العيّنة المختارة تفوق فئة الذّكور.

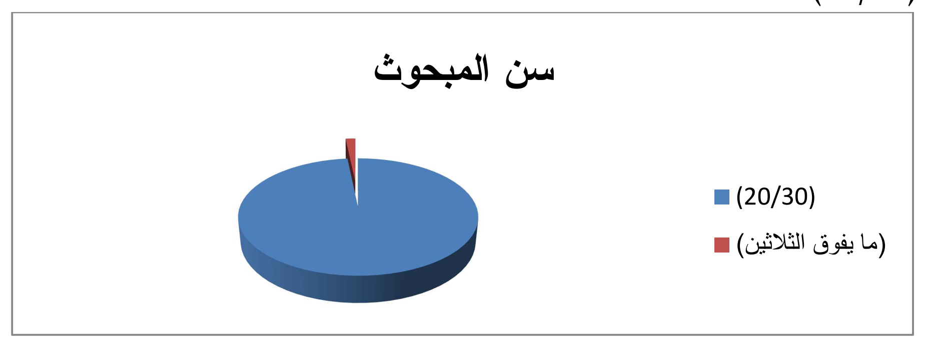


2. **سن المبحوث:**

جدول رقم (2)

الخيارات	التّكرار	النّسبة
(30/20)	60	98.36
(ما يفوق الثّلاثين)	01	1.63
المجموع	61	٪ 100

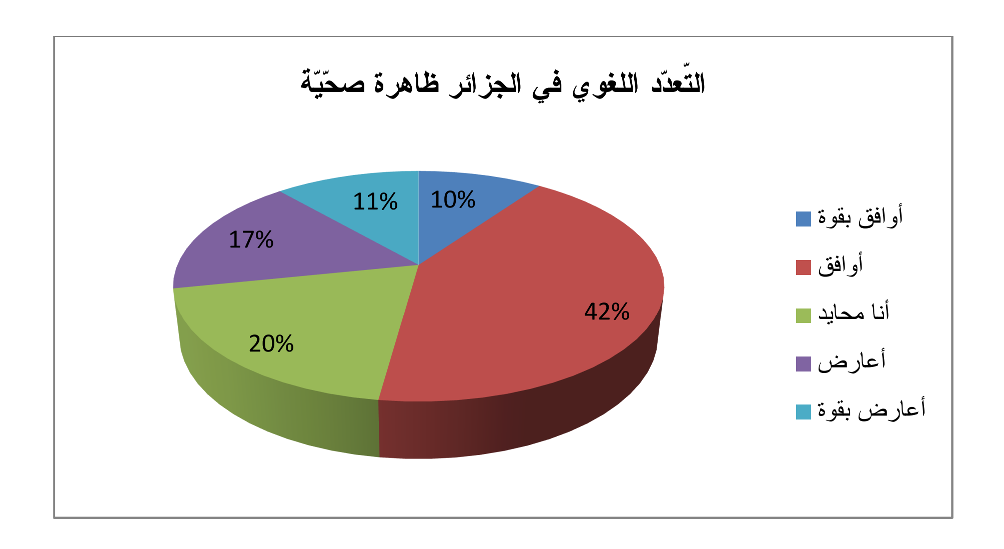
يوضّح لنا الجدول رقم **(2)** أنّ السّن الغالب على العيّنة المختارة ينحصر مـــا بـــين **(30/20)** سنة.



<u>المحور الثّاني</u>: الموقف من تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة

<u>جدول رقم (3)</u>

التّعدّد اللغويّ في الجزائر ظاهرة صحيّة		
الخيارات	التّكرار	النّسبة
أوافق بقوّة	06	9.83
أوافق	26	42.62
أنا محايد	12	19.67
أعارض	10	16.39
أعارض بقوّة	07	11.47
المجموع	61	٪ 100

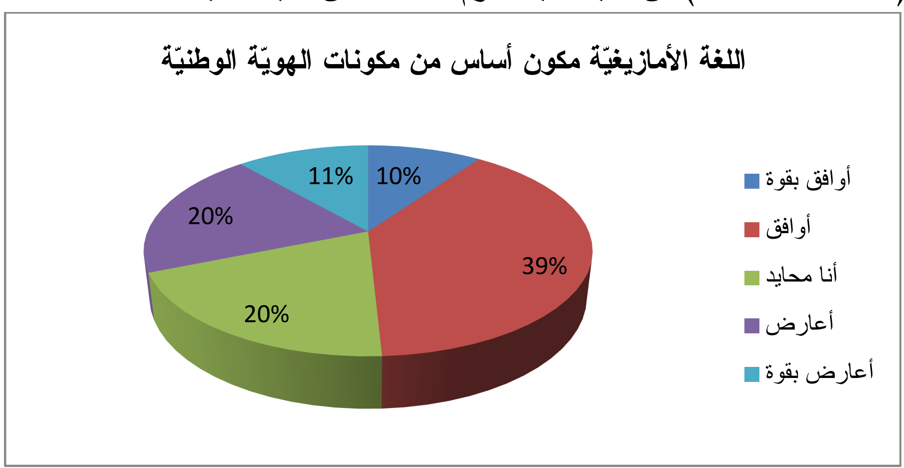


يخبرنا الجدول رقم (3) أنّ نسبة معتبرة من العيّنة تصل إلى **52.45** ٪ **(9.83+ 42.62)** تصف التّعدّد اللغويّ في الجزائر بأنّــه ظــاهرة صــحيّة، بينمــا عــارض **27.86**٪ **(16.39+ 11.47)** من العيّنة، فيما التّزم **19.67** من العيّنة الحياد.

<u>جدول رقم (4)</u>

اللغة الأمازيغيّة مكون أساس من مكونات الهويّة الوطنيّة		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**06**	**9.83**
أوافق	**24**	**39.34**
أنا محايد	**12**	**19.67**
أعارض	**12**	**19.67**
أعارض بقوّة	**07**	**11.47**
المجموع	**61**	**٪ 100**

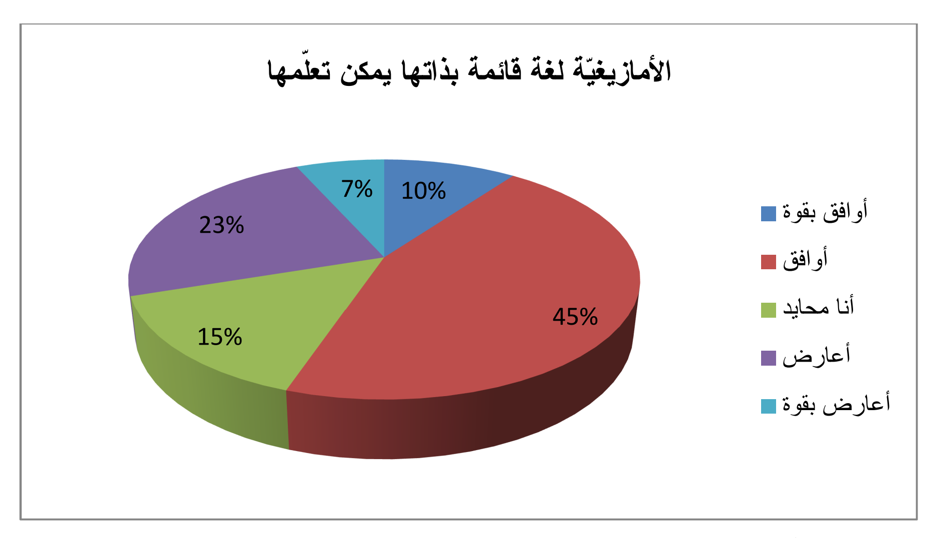
ينقل لنا الجدول رقم **(4)** أنّ نسبة **52.45** ٪ **(9.83+ 39.34)** من العيّنة تــرى أنّ **اللغــة** الأمازيغيّة مكوّن رئيس من مكوّنات الهويّة الوطنيّة، بينما عارض **31.14**٪ **(19.67+ 11.47)** من العيّنة، فيما التزم **19.67** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (5)

الأمازيغيّة لغة قائمة بذاتها يمكن تعلّمها		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**6**	**9.83**
أوافق	**27**	**44.26**
أنا محايد	**10**	**16.39**
أعارض	**14**	**22.95**
أعارض بقوّة	**4**	**6.55**
المجموع	**61**	٪ **100**

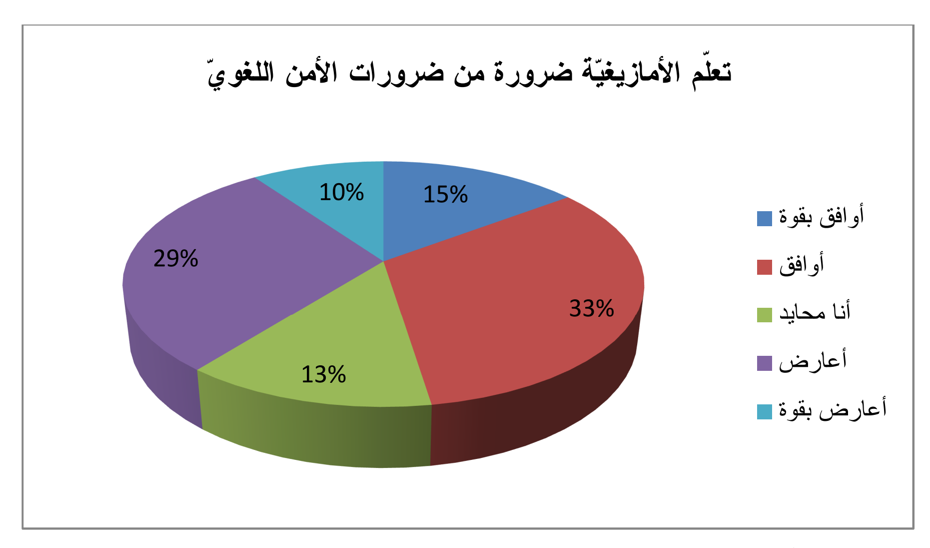
ينقل لنا الجدول رقم **(5)** أنّ نسبة **54.09** ٪ **(9.83+ 44.26)** من العيّنة تــرى أنّ الأمازيغيّة لغة قائمة بذاتها يمكن تعلّمها، بينما عارض **29.5**٪ **(22.95+ 6.55)** من العيّنة، فيما التزم **16.39** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (6)

تعلّم الأمازيغيّة ضرورة من ضرورات الأمن اللغويّ		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**9**	**14.75**
أوافق	**20**	**32.78**
أنا محايد	**8**	**13.11**
أعارض	**18**	**29.50**
أعارض بقوّة	**6**	**9.83**
المجموع	**61**	**٪ 100**

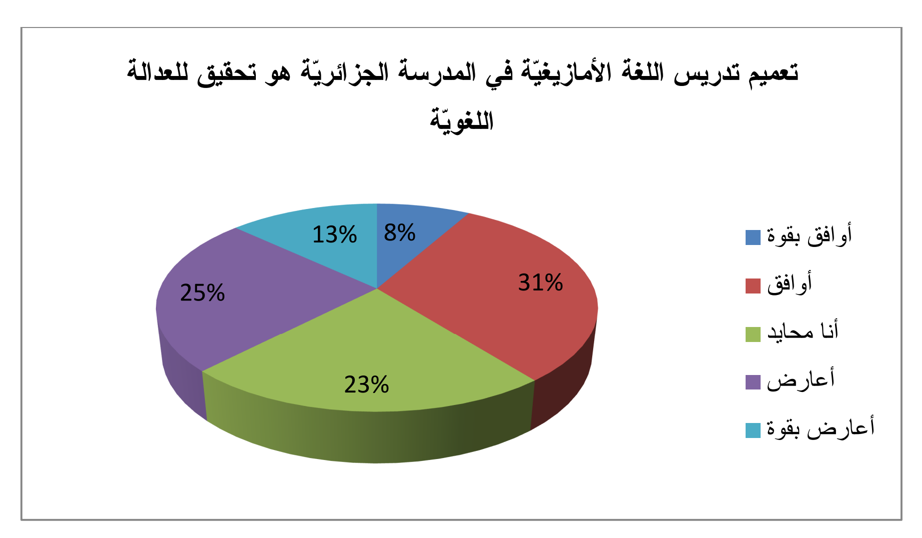
ينقل لنا الجدول رقم (6) أنّ نسبة **47.53 ٪ (14.75+ 32.78)** من العيّنة ترى أنّ تعلّم الأمازيغيّة ضرورة من ضرورات الأمن اللغويّ، بينما عارض **39.33٪ (29.50+ 9.83)** من العيّنة، فيما التزم **13.11** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (7)

تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة هو تحقيق للعدالة اللغويّة		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**5**	**8.19**
أوافق	**19**	**31.14**
أنا محايد	**14**	**22.95**
أعارض	**15**	**24.59**
أعارض بقوّة	**8**	**13.11**
المجموع	**61**	**٪ 100**

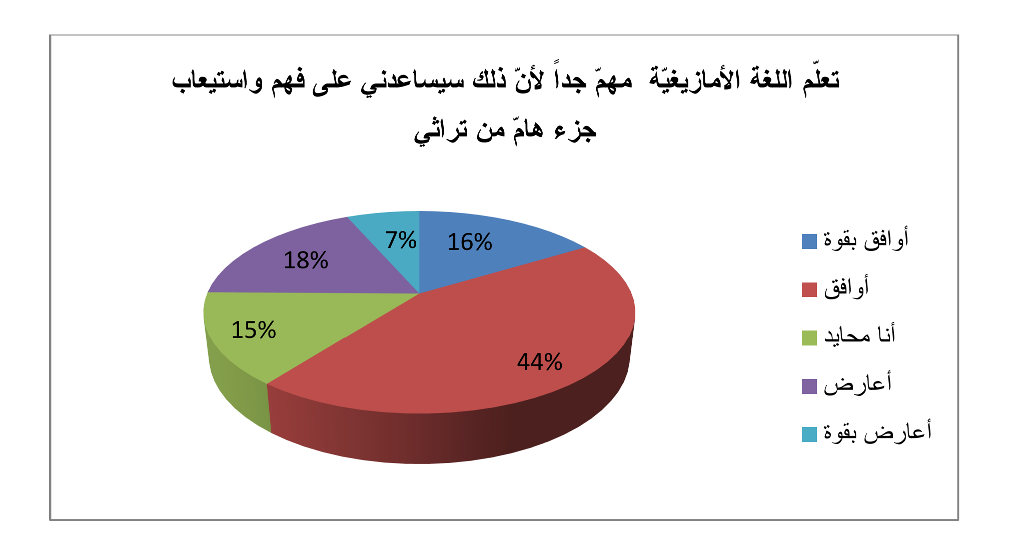
ينقل لنا الجدول رقم (7) أنّ نسبة **39.33 ٪ (8.19+ 31.14)** من العيّنة تــرى أنّ تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة هو تحقيــق للعدالــة اللغويّــة بينما عارض **37.7٪ (24.59+ 13.11)** من العيّنة، فيما التزم **22.95** من العيّنـــة الحياد.



جدول رقم (8)

تعلّم اللغة الأمازيغيّة مهمّ جداً لأنّ ذلك سيساعدني على فهم واستيعاب جزء هام من تراثي		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**10**	**16.39**
أوافق	**27**	**44.26**
أنا محايد	**9**	**14.75**
أعارض	**11**	**18.03**
أعارض بقوّة	**4**	**6.55**
المجموع	**61**	**٪ 100**

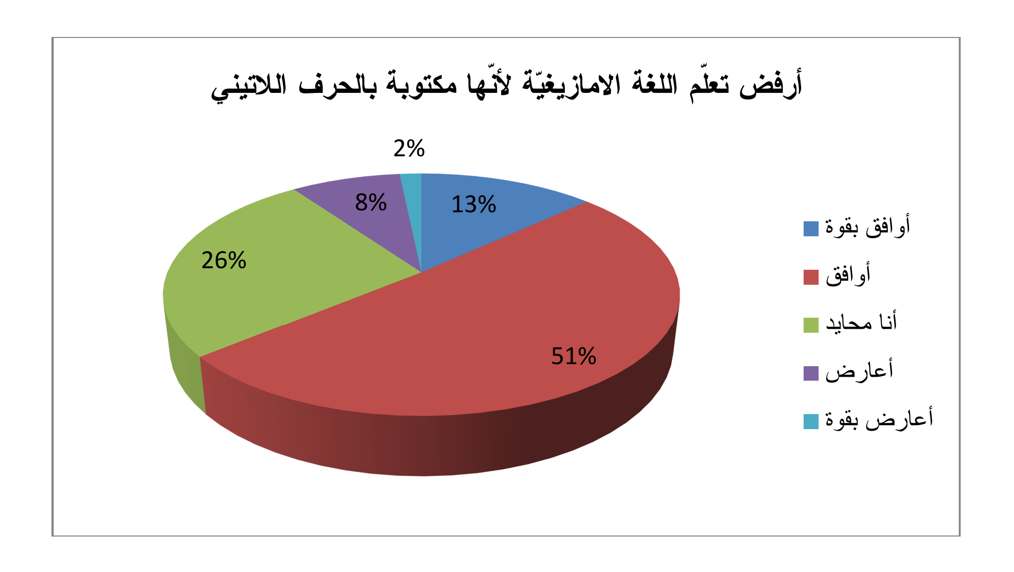
ينقل لنا الجدول رقم **(8)** أنّ نسبة **60.65 ٪ (16.39+ 44.26)** من العيّنة ترى أنّ تعلّم اللغة الأمازيغيّة مهمّ جداً لأنّ ذلك يساعد على فهم واستيعاب جزء هـــامّ مـــن التّراث، بينما عارض **24.58٪ (18.03+ 6.55)** من العيّنة، فيما التزم **14.75**من العيّنة الحياد.



جدول رقم (9)

أرفض تعلّم اللغة الامازيغيّة لأنّها مكتوبة بالحرف اللاتيني		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**8**	**13.11**
أوافق	**31**	**50.81**
أنا محايد	**16**	**26.22**
أعارض	**5**	**8.19**
أعارض بقوّة	**01**	**1.63**
المجموع	**61**	**٪ 100**

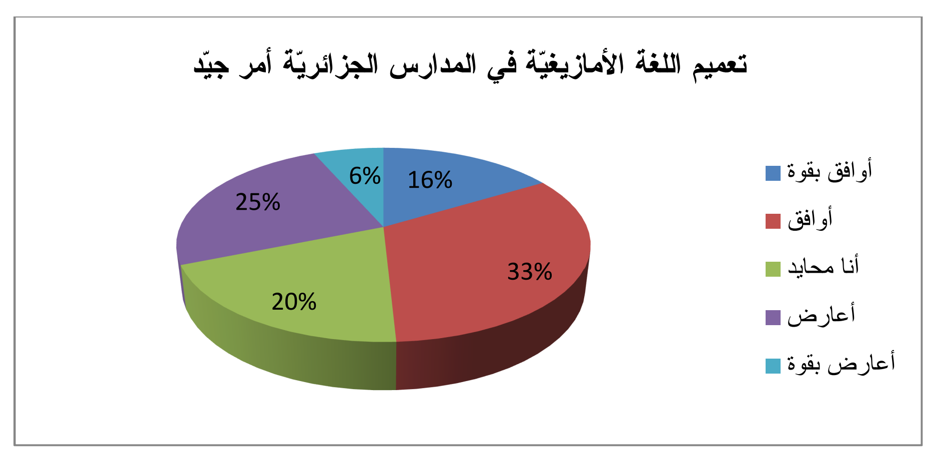
ينقل لنا الجدول رقم (9) أنّ نسبة **63.92 ٪ (13.11+ 50.81)** من العيّنة ترفض تعلّم اللغة الامازيغيّة لأنّها مكتوبة بالحرف اللاتيني، بينما عارض **9.82٪ (8.19+ 1.63)** من العيّنة، فيما التزم **26.22** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (10)

تعميم اللغة الأمازيغيّة في المدارس الجزائريّة أمر جيّد		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**10**	**16.39**
أوافق	**20**	**32.78**
أنا محايد	**12**	**19.67**
أعارض	**15**	**24.59**
أعارض بقوّة	**4**	**6.55**
المجموع	**61**	**100 ٪**

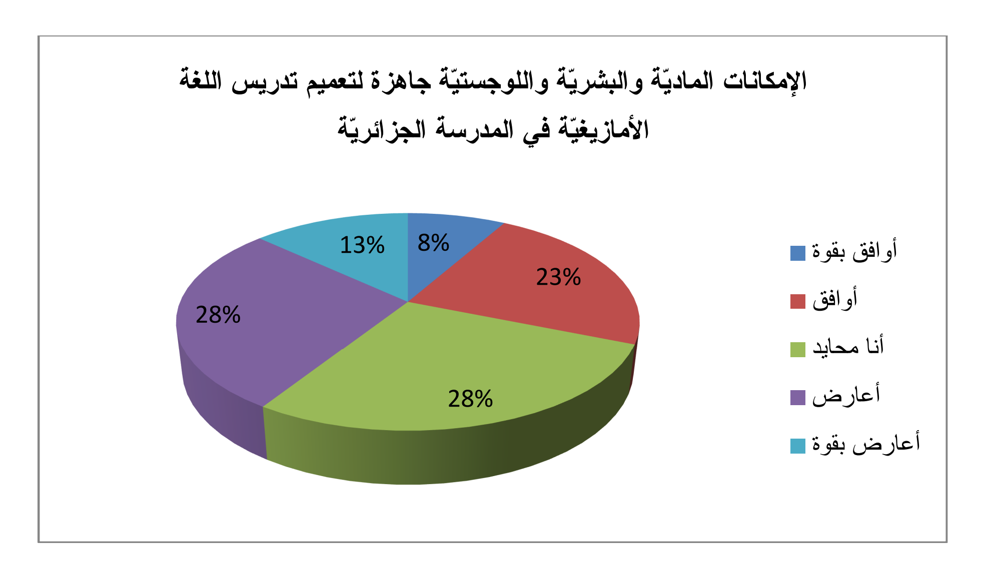
ينقل لنا الجدول رقم **(10)** أنّ نسبة **63.92 ٪ (16.39+ 32.78)** مــن العيّنـــة يرى أنّ تعميم اللغة الأمازيغيّة في المدارس الجزائريّة أمر جيّد، بينما عارض **9.82٪** **(24.59+ 6.55)** من العيّنة، فيما التزم **19.67** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (11)

الإمكانات الماديّة والبشريّة واللوجستيّة جاهزة لتعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**5**	**8.19**
أوافق	**14**	**22.95**
أنا محايد	**17**	**27.86**
أعارض	**17**	**27.86**
أعارض بقوّة	**8**	**13.11**
المجموع	**61**	**٪ 100**

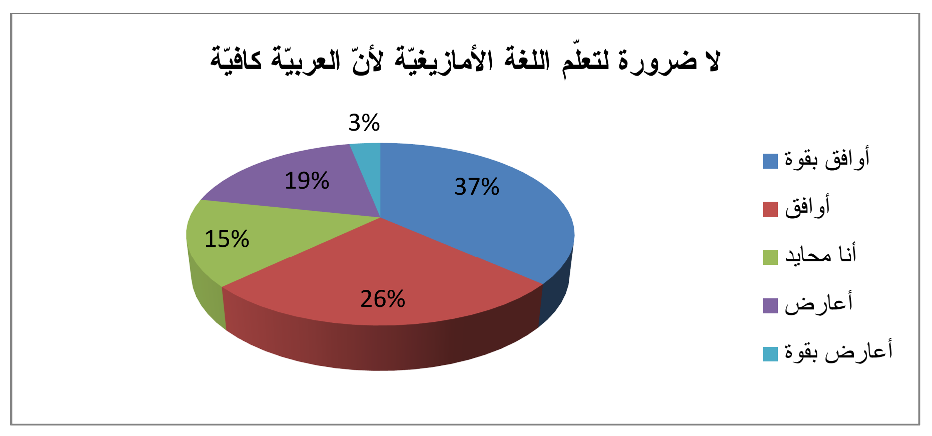
ينقل لنا الجدول رقم **(11)** أنّ نسبة **31.14 ٪ (8.19+ 22.95)** من العيّنة يرى أنّ الإمكانات الماديّة والبشريّة واللوجستيّة جاهزة لتعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة، بينما عارض **40.97٪ (27.86+ 13.11)** من العيّنة، فيما التزم **27.86** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (12)

لا ضرورة لتعلّم اللغة الأمازيغيّة لأنّ العربيّة كافيّة		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**20**	**32.78**
أوافق	**17**	**27.86**
أنا محايد	**10**	**16.39**
أعارض	**12**	**19.67**
أعارض بقوّة	**02**	**3.27**
المجموع	**61**	**٪ 100**

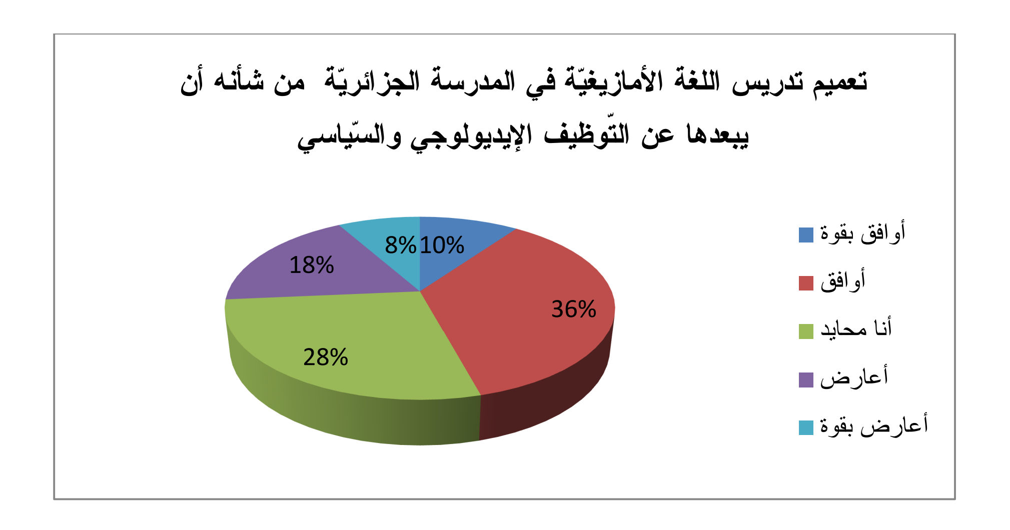
ينقل لنا الجدول رقم **(12)** أنّ نسبة **60.64 ٪ (32.78+ 27.86)** من العيّنة يرى أنّه لا ضرورة لتعلّم اللغة الأمازيغيّة لأنّ العربيّة كافيّة، بينما عارض **22.94٪ (19.67+ 3.27)** من العيّنة، فيما التزم **16.39** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (13)

تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة من شأنه أن يبعدها عن التّوظيف الإيديولوجي والسّياسي		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**06**	**9.86**
أوافق	**22**	**36.06**
أنا محايد	**17**	**27.86**
أعارض	**11**	**18.03**
أعارض بقوّة	**5**	**8.19**
المجموع	**61**	**٪ 100**

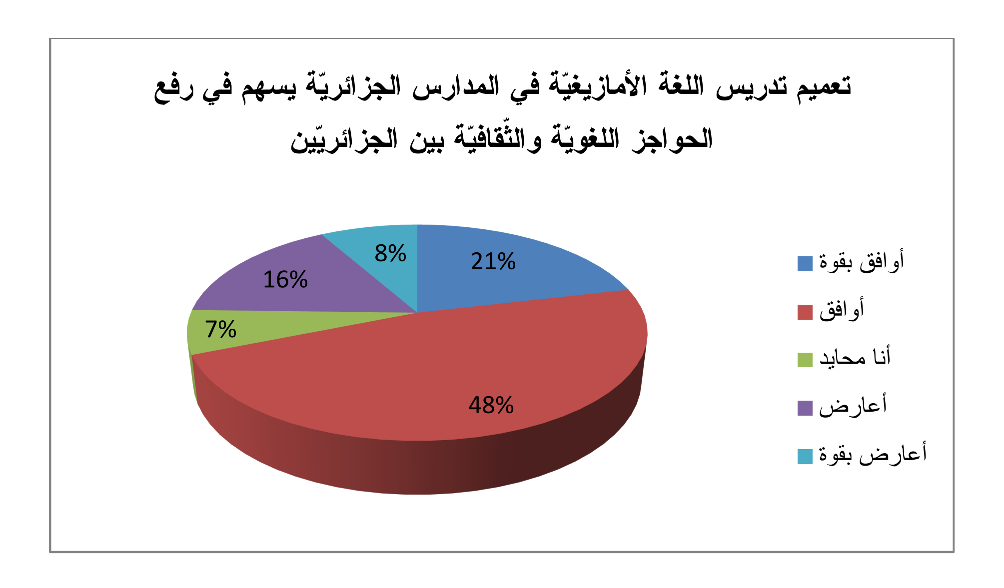
ينقل لنا الجدول رقم **(13)** أنّ نسبة **45.92 ٪ (9.86+ 36.06)** من العيّنة يرى أنّ تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة من شأنه أن يبعدها عن التّوظيف الإيديولوجي والسّياسي، بينما عارض **26.22٪ (18.03+ 8.19)** من العيّنة، فيما التزم **27.86** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (14)

تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدارس الجزائريّة يسهم في رفع الحواجز اللغويّة والثّقافيّة بين الجزائريّين		
الخيارات	التّكرار	النّسبة
أوافق بقوّة	13	21.31
أوافق	29	47.54
أنا محايد	04	6.55
أعارض	10	16.39
أعارض بقوّة	05	8.19
المجموع	61	٪ 100

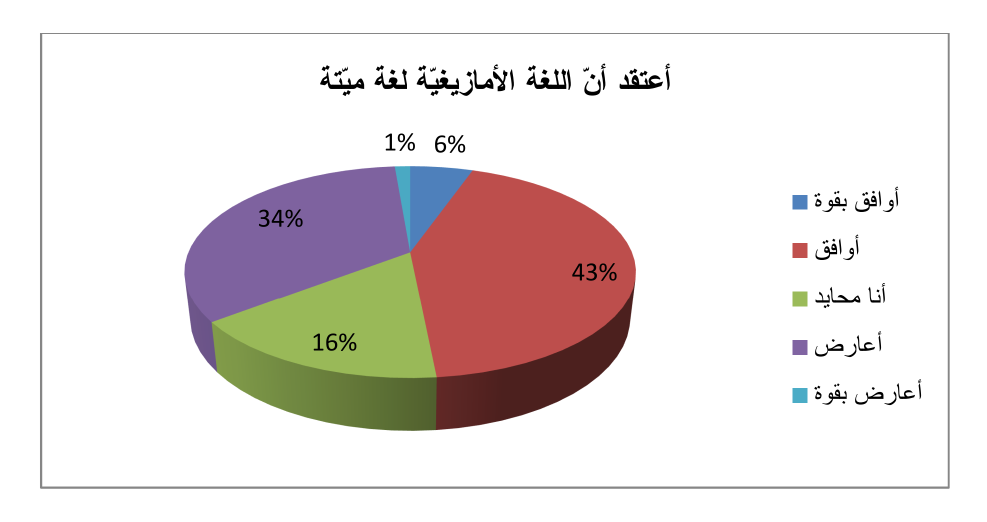
ينقل لنا الجدول رقم **(14)** أنّ نسبة **68.85 ٪ (21.31+ 47.54)** من العيّنة يرى أنّ تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدارس الجزائريّة يسهم في رفع الحواجز اللغويّة والثّقافيّة بين الجزائريّين، بينما عارض **24.58٪ (16.39+ 8.19)** من العيّنة، فيما التزم **6.55** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (15)

أعتقد أنّ اللغة الأمازيغيّة لغة ميّتة		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**03**	**4.91**
أوافق	**24**	**39.34**
أنا محايد	**09**	**14.75**
أعارض	**19**	**31.14**
أعارض بقوّة	**06**	**9.83**
المجموع	**61**	**٪ 100**

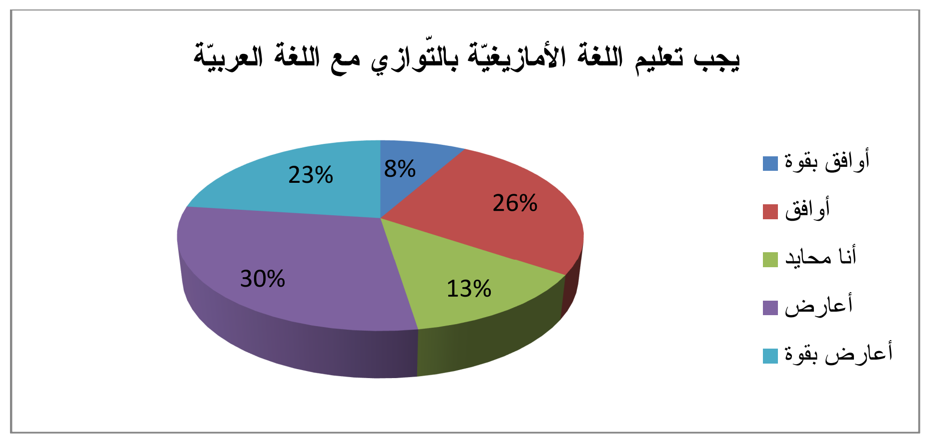
ينقل لنا الجدول رقم **(15)** أنّ نسبة **44.25 ٪ (4.91+ 39.34)** من العيّنة يعتقدون أن أعتقد أنّ اللغة الأمازيغيّة لغة ميّتة، بينما عارض **40.97٪ (31.14+ 9.83)** من العيّنة، فيما التّزم **14.75** من العيّنة الحياد.



جدول رقم (16)

يجب تعليم اللغة الأمازيغيّة بالتّوازي مع اللغة العربيّة		
الخيارات	**التّكرار**	**النّسبة**
أوافق بقوّة	**05**	**8.19**
أوافق	**16**	**26.22**
أنا محايد	**08**	**13.11**
أعارض	**18**	**29.50**
أعارض بقوّة	**14**	**22.95**
المجموع	**61**	**٪ 100**

ينقل لنا الجدول رقم **(16)** أنّ نسبة **34.41 ٪ (8.19+ 26.22)** من العيّنة يعتقدون أنّه يجب تعليم اللغة الأمازيغيّة بالتّوازي مع اللغة العربيّة، بينما عارض **52.45٪ (29.50+ 22.95)** من العيّنة، فيما التزم **13.11** من العيّنة الحياد.



نتائج الدّراسة:

النّتائج في ضوء الفرضيّات: لقد هدفت هذه الدّراسة التّعرف على موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسمي اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من قضيّة تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة، وقد تمّ فحص فرضيّات الدّراسة وفيما يلي النّتائج التي تمّ التّوصل إليها:

3. **نتيجة الفرضيّة الأولى:** (طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان يرون أنّ اللغة الأمازيغيّة مكوّناً من مكوّنات الهويّة الوطنيّة.)

تظهر نتيجة هذه الفرضيّة أنّ طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان تباينت مواقفهم اتّجاه اعتبار اللغة الأمازيغيّة مكوّنا من مكوّنات الهويّة الوطنيّة، فنتائج الاستبيان دلّت على أنّ **52.45** ٪ من عيّنة الدّراسة؛ أيّ أكثر من نصف العيّنة تراها مكوّنا من مكوّنات الهويّة الوطنيّة بينما نحو **31.14**٪ لا يعدونها كذلك، فيما التزم **19.67** من العيّنة الحياد.[10]

ويدعّم هذه النّتيجة، موقفهم من العبارة السّادسة من الاستبيان: (تعلّم اللغة الأمازيغيّة مهمّ جداً لأنّ ذلك سيساعدني على فهم واستيعاب جزء هامّ من تراثي)

حيث أبدت أنّ نسبة **60.65** ٪ من العيّنة موافقتها، فيما لم تتجـاوز نسـبة الـرّفض **24.58**٪ من المشاركين في الاستبيان.[11]

وخلاصة القول، إنّ أكثر من نصف العيّنة المشاركين في الاستبيان تتعامل مع اللغة الأمازيغيّة كجزء من الهويّة الوطنيّة.

4. **نتيجة الفرضيّة الثّانيّــة:** (طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان غير متحمّسين لقانون تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة.)

تظهر نتيجة هذه الفرضيّة تباينا كبيرا في إجابات العينة يذهب إلى حدّ التّنــاقض؛ إذ تظهر نتيجة الجدول **(5)** على سبيل المثال أنّ نسبة **54.09** ٪ من العيّنــة تــرى أنّ الأمازيغيّة لغة قائمة بذاتها يمكن تعلّمها، فيما يُظهر الجدول **(15)** نتيجة تناقض تمامــا نتيجة الجدول**(5)**؛ إذ ذهب **44.25** ٪ من العيّنة إلى أنّ اللغة الأمازيغيّة لغة ميّتة فيما عارض **40.97**٪.[12]

والأمر ذاته مع مسألة تعميم اللغة الأمازيغيّة في المــدارس الجزائريّــة؛ إذ يــرى **63.92** ٪ من العيّنة أنّها أمر جيد[13]، لكنّ نتيجة الجدول **(12)** أتــت معاكســة كليّــة لنتيجة الجدول **(10)**؛ **إذ ذهب 60.64** ٪ من العيّنة إلى أنّه لا ضرورة لــتعلّم اللغــة الأمازيغيّة لأنّ العربيّة كافيّة.[14]

وهذا التّناقض ظهر أيضاً في الجدول رقــم **(7)**؛ إذ أظهــرت نتيجتــه أنّ نســبة **39.33** ٪ من العيّنة ترى أنّ تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرســة الجزائريّــة هو تحقيق للعدالة اللغويّة، بينما عارض **37.7**٪ من العيّنة.[15]

ونخلص من هذا إلى أنّ العيّنة المشاركة في هــذا الاســتبيان لا تملــك رؤيّــة واضحة بشأن تعميم اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة.

النّتائج العامّة: في ضياء هذه النّتائج الجزئيّة التي تمّ الإشارة إليها آنفا، يمكننا تلخيص النّتائج العامّة للدّراسة في الآتي:

1. إنّ أغلبيّة طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان يعدون اللغة الأمازيغيّة مكوّنا من مكوّنات الهويّة الوطنيّة.

2. إنّ موقف طلبة الماستر تخصّص لسانيات تطبيقيّة بقسميّ اللغة العربيّة بجامعة مستغانم والمركز الجامعي بغليزان من مسألة تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة يتّسم بالتّناقض، وهذا يدلّ على غياب رؤيّة واضحة بشأن هذه المسألة، وهو أمر ـــ في اعتقاد الدّراسة ـــ يعود إلى غياب استراتيجيّة في عرض الموضوع من قبل السّلطة؛ إذ إنّها أهملت فتح نقاش ثقافي وتربوي موسّع وعميق حول المسألة، واكتفت بالمراسيم التي تعدّ رد فعل سياسي أكثر منها طرح للقضيّة بأبعادها المختلفة.

التّوصيّات: من خلال جملة النّتائج التي تمّ التّوصل إليها، توصي الدّراسة بالآتي:

1. فتح نقاش موسع يتناول مسألة تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة في أبعادها المختلفة.

2. الدّعوة إلى تخطيط لغوي وسياسة لغويّة واضحة من أجل تعميم تدريس اللغة الأمازيغيّة في المدرسة الجزائريّة.

3. برمجة فعاليّات ثقافيّة تعرف باللغة الأمازيغيّة على مستوى المؤسّسات الجامعيّة.

4. تشجيع وتحفيز الطّلبة والأساتذة الجامعيّين على تعلّم اللغة الأمازيغيّة من خلال إنشاء فصول في مراكز تكثيف اللغات.

5. ترسيخ المواطنة اللغويّة والثّقافيّة من خلال غرس في وعي النّشء أنّ الاعتراف بالأمازيغيّة يزيد من لحمة الشّعب الجزائري، وأنّه لا يشكّل خطراً على اللغة العربيّة.

مراجع الدّراسة:

1. بدر أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، (القاهرة: المكتبة الأكاديميّة، 1996).
2. بدر أحمد، مناهج البحث في علوم المكتبات والمعلومات، (الرّياض: دار المريخ 1998).
3. صالح بلعيد، المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، (الجزائر، دار هومة، 2008).
4. صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، مجلة الممارسة اللغويّة، تصدر عن مختبر الممارسة اللغويّة في الجزائر، جامعة تيزي وزو، عدد 2012/11.
5. لهويمل باديس وحسني نور الهدى، مظاهر التّعدد اللغوي وانعكاساته على تعليميّة اللغة العربيّة، مجلة الممارسات اللغوي، جامعة محمد خيضر، جامعة بسكرة، العدد 30/ 2014.
6. محاضرات النّدوة الدّوليّة من أجل سياسة لغويّة مؤسسة على التّعدديّة اللغويّة وتحقيق السّلم عبر اللغات، الجزائر، تلمسان، 2002.
7. محمد الأوزاعي، التّعدد اللغوي وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، ط1، (الدّار البيضاء، مطبعة النّجاح الجديدة، 2002).
8. محمود شاكر سعيد، الأمن اللغوي ودور جامعة نايف العربيّة للعلوم الأمنيّة في تعزيزه، الرّياض، 2014.http://www.alarabiahconference.org
9. ميشال زكريا، قضايا السّنيّة تطبيقيّة دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقارنة تراثيّة ط1، (بيروت، دار العلم للملايين، 1993).

الهوامش:

[1] ميشال زكريا، قضايا السّنيّة تطبيقيّة دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقارنة تراثيّة، ط1 (بيــروت دار العلم للملايين، 1993)، ص 14.

[2] يعرّف جون ديبوا التّعدد اللغوي في كتابه قاموس اللسانيات قائلا: "التّعدد اللغوي عندما تجتمع أكثــر لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التّواصل. لهويمل باديس و حسني نور الهدى، مظاهر التّعدد اللغوي وانعكاساته على تعليميّة اللغة العربيّة، مجلــة الممارســات اللغــوي جامعة محمد خيضر، جامعة بسكرة، العدد 30/ 2014 ص 103.

[3] محمد الأوزاعي، التّعدد اللغوي وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، ط1، (الــدّار البيضــاء مطبعــة النّجاح الجديدة، 2002)، ص 11.

[4] أنظر: محاضرات النّدوة الدّوليّة من أجل سياسة لغويّة مؤسسة على التّعدديّة اللغويّة وتحقيــق السّــلم عبر اللغات، الجزائر، تلمسان، 2002، ص 54.

[5] يعرّف صالح بلعيد المواطنة اللغويّة بأنها فضاء ممتد تأخذ فيه اللغة الرّسميّة النّصيب الأوفى انطلاقــا من أن تربيّة المواطنة تحصل أولا باللغة الرّسميّة، وعدم احتقار الوطنيّة، وتعزيز الثّقافة الوطنيّة بنقــل المفاهيم الوطنيّة للطفل. أنظر: صالح بلعيد، المواطنة اللغويّة وأشــياء أخــرى (الجزائــر، دار هومــة 2008)، ص 19.

[6] صالح بلعيد، المواطنة وأخواتها، مجلة الممارسة اللغويّة، تصدر عن مختبر الممارسة اللغويّــة فــي الجزائر، جامعة تيزي وزو، عدد 2012/11، ص 189.

[7] أنظر: محمود شاكر سعيد، الأمن اللغوي ودور جامعة نايف العربيّة للعلــوم الأمنيّــة فــي تعزيــزه الرّياض، 2014، ص 04. http://www.alarabiahconference.org

[8] بدر أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، (القاهرة: المكتبة الأكاديميّة، 1996)، ص97.

[9] بدر أحمد، مناهج البحث في علوم المكتبات والمعلومات، (الرّياض: دار المريخ، 1998) ص47.

[10] أنظر الجدول رقم 4.

[11] أنظر الجدول رقم 8.

[12] أنظر الجدولين رقم 5 و15.

[13] أنظر الجدول رقم10.

[14] أنظر الجدولين رقم 10 و12.

[15] أنظر الجدول رقم 7.

إشكاليّة الصّراع اللّغويّ
في الجزائر وتجليّاته في الممارسات اللّغويّة

أ. ناديّة زيد الخير
أ. عاد لعريبي
جامعة باتنة1-الحاج لخضر

ملخّص: تشهد اللّغات في هذا العصر تطوُّراً هائلاً على جميع الأصعدة خاصّة مع التّقدُّم العلميّ والتّكنولوجيّ، ممّا وسَّع من انتشارها وفتح المجال لاحتكاك اللّغات وتأثيرها وتأثُّرها داخل المجتمعات، وهو ما خلق صراعاً لغويًّا بينها؛ دفع المجتمعات لتعلُّم اللّغة المسيطرة علمياً، ليظهر بذلك ما يعرف "بالتّعدّد اللّغويّ" (Multilinguisme) داخل الجماعة اللّغويّة الواحدة على المستويين المنطوق والمكتوب، وقد اتّخذ شكلين بارزين هما "الثّنائيّة اللّغويّة"(Bilinguisme) و"الازدواجيّة اللّغويّة"(Diglossie).

وقد أدّى هذا التّفاعل بين اللّغات في الجماعة اللّغويّة الواحدة إلى خلق قضيّة لغويّة أخرى كنتيجة حتميّة لهذا التّعدُّد اللّغويّ هي " التّداخل اللّغويّ" Interférence) (linguistique الذي أصبح يعكسه الفرد في المجتمع الجزائري عموما –والمتعلّم على وجه التّحديد–في كلامه وتحريره، فتارة نراه يأخُذ كلمة عربيّة وأخرى فرنسيّة وثالثة عاميّة محلّيّة ورابعة أمازيغيّة...مكوّنا بذلك تركيبا لغويًّا هجينا غير صحيح ولا فصيح ليستعمله في ممارساته اللّغويّة اليوميّة؛ ما انعكس سلبا على تعلّمه واكتسابه للغته الأولى (اللغة العربيّة).

إنّ قضيّة التّداخل اللّغويّ لم تقف عند هذا الحدِّ وإنَّما تَعدَّته إلى المشهد اللّغويّ الرّائج في الفضاءات العامّة.

ولذلك نسعى من خلال هذه الورقة البحثيّة لمناقشة قضيّة الصّراع اللّغويّ والمسائل المرتبطة بها، انطلاقا من إشكاليّة مفادها:

*ماهي الاستراتيجيات الفعّالة الواجب تكريسها في الواقع الاجتماعيّ من خلال الممارسات اللّغويّة لخلق بيئة لغويّة متعايشة سلميا؟

*وكيف يمكننا استثمار المشهد اللّغويّ الرّائج في تكوين وخلق شخصيّة متكاملة لغويًّا في ظلّ التّمازج اللّغويّ الرّاهن؟

الكلمات المفاتيح: الصّراع اللغويّ، الممارسات اللغويّة، المشهد اللغويّ، التّعدّد اللغويّ.

مقدّمة: تعدّ اللغة عنصرا مهمّاً في الحياة الاجتماعيّة، لأنّها وسيلة للتعبير والتّواصل ورمزا للهويّة الفرديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، فهي مؤسّسة، اجتماعيّة لها سلطانها على النّاطقين بها، وهي المرآة العاكسة لصورهم الثّقافيّة والدّينيّة والاجتماعيّة...الخ.

وبما أنّ اللغة هي تزاوج بين الفكر واللسان، فمن الصّعب الفيصل بينهما فهما وجها لعملة واحدة، لأنّ تجريد المرء من لغته الأصليّة (الأمّ) يعني تجريده من فكره ومحاولة القضاء على وجوده، لأنّ الفكر اللغوي عمل فطري تعمل من خلاله اللغة الأمّ على بلورة كلّ المفاهيم المتّصلة بالعادات اللغويّة، وهذا ما عبّر عنه أحد الدّارسين بكون اللغة دالة الفكر.

ولأنّ وطننا الجزائر تعرض لكثير من الهزات والتّغيرات، فلا خير في أنّ اللغة الأمّ "اللغة العربيّة " تعيش وضعا لغويا متداخلا، وهو ما اصطلح على تسميته بالتّداخل اللغويّ. هذه الظّاهرة اللغويّة التي جعلت اللغة الأمّ تواجه اليوم امتحانا صعبا إزاء الجديد من الألفاظ الأجنبيّة، ولقد شكّلت في محيطها مثل هذه الاحتكاك بفعل العديد من العوامل والأسباب نذكر منها الاستعمار. كلّ هذا له دور هام في توسيع رقعة المشاكل التي تواجهها في المجتمع الجزائريّ ولربّما قد يكون التّدمير البطيء للمجتمع والأمّة.

فلا حريّة ولا سيادة ولا هويّة بدون لغة، لأنّ الشّعوب لا تتمايز بالمقامات والألوان والصّفات، بل باللغات وما يتّصل بها من مقوّمات ثقافيّة وروحيّة.

وعليه تسعى الدّراسة للإجابة على عدة إشكالات جوهريّة أبرزها: ما هي انعكاسات التّداخل اللغويّ على اللغة الأمّ؟ ما هي أسبابه ودوافعه؟ كيف يمكن معالجة مشكلة التّداخل اللغويّ؟ هل هنا استراتيجيّة للجزائر لإعادة الاعتبار للغة الأمّ وتكريسها في الواقع الاجتماعي بطريقة صحيحة؟

أوّلا: تحديد مفاهيم المصطلحات

1. مفهوم التّداخل لغة: لقد تفطّن اللغويّون العرب القدامى إلى ظاهرة التّداخل اللغوي، فتعدّدت تعريفاته في المعاجم اللغويّة القديمة، ولقد ورد في لسان العرب "...تداخل المفاصل وإدخالها؛ أيّ دخول بعضها في بعض، وتداخل الأمور تشابهها والتّباسها ودخول بعضها في بعض، والدّخلة في اللون يعني تخليط ألوان في لون"[1] كما يعني أيضا "الولوج، وفلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم، ودخيل الرّجل من يداخله في أموره"[2].

ولقد جاء في القاموس الإنجليزي العربي "نقل متداخل veransfer compositif تغير دلالي يطرأ على الكلمة، لتأثرها بكلمة أخرى تشبهها في المعنى أو الصّيغة أو كليهما من ذلك أنّ كلمة "Ascendent اكتسب معنى السّلف بتأثيرها من كلمة Passendent التي تشبهها في الصّيغة"[3].

من خلال هذه التّعاريف اللغويّة ندرك أنّ التّداخل بالمفهوم اللغوي يعني التّشابه والالتّباس في الأمور. ويكون نتيجة التّطابق والتّلاقح والاحتكاك ليتلبس على المرء الفصل بين هذه الأمور المتشابهة.

2. التّداخل اصطلاحا: إنّ التّداخل اللغوي يكون نتيجة الاحتكاك والاختلاط بين اللغات واللهجات، ولقد أطلق عليها قديما مصطلح اللحن الذي يعبّر عن الخطأ في اللغة العربيّة، ويشير مفهوم التّداخل في أدبيات البحث اللساني اليوم إلى وضعيات تواصليّة لغويّة مختلفة، تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعيّة والسّياق والغايات

والحاجات، فالتّداخل اللغوي بالمفهوم الاصطلاحي: "يدلّ على تحوير Remaniement للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبيّة في مجالات اللغة الأكثر بناءا"[4]، ويكون على المستوى الصّوتي والصّرفي والمفرداتي، ويكون بارزا بشكل كبير في المستوى التّركيبي، حيث يؤدّي إلى ظاهرة لغويّة غير بعيدة عنه هي الاقتراض اللغوي.

وبمفهوم آخر "أن يستخدم المتكلّم بلغته الأصليّة ملامح صوتيّة وتركيبيّة ومعجميّة وصرفيّة خاصّة بلغة أجنبيّة أخرى"[5]. ويعرفه اللسانيون الغربيون "تأثير اللغة الأمّ على اللغة التي يتعلّمها المرء أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأمّ بعنصر من عناصر اللغة الثّانيّة ويعني العنصر هنا صوتا أو كلمة أو تركيبا"[6]؛ ويعني هذا أنّ للتداخل اللغوي مجالات ومواضع يقع داخل اللغة قد يحصل في الأصوات والألفاظ والجمل وهذا ما أشار إليه صالح بلعيد بقوله: "وعلى العموم فإنّ مصطلح التّداخل في عمومه يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر من الأخرى، وهنا يظهر أثر اللغة الأجنبيّة في اللغة القوميّة"[7].

من خلال هذه التّعاريف الاصطلاحيّة ندرك أنّ التّداخل اللغويّ عبارة عن تطبيق نظام لغويّ للغة معيّنة أثناء استخدام لغة أخرى، وغالبا ما يكون في العاميّة المحكيّة ويكون على مستويات لغويّة عدّة "صوتيّة، صرفيّة، تركيبيّة، معجميّة"، ويحدث نتيجة تأثير اللغة الأمّ على اللغة الأولى.

ثمّ إنّ مصطلح التّداخل اللغويّ قد تضاربت إزاءه ترجمات عدّة ففي اللغة الفرنسيّة نجد ثلاثة مصطلحات[8] هي:

- التّداخل اللغوي Interferance linguistique
- التّأثير اللغوي Inpact linguistique
- العدوى اللغويّة Contamination linguistique

3. أقسامه:

ينقسم التّداخل اللغوي من حيث الفاعليّة "النّجاعة" إلى قسمين:

- **التّداخل السّلبي:** ويقع هذا النّوع من التّداخل للمتعلم وهو يحاول أن يتكلّم باللغة الأولى حينما يستبدل بصورة لا شعوريّة عناصر من اللغة الأمّ متأصّلة في نفسه بعناصر من اللغة الأولى، ويتسبّب هذا النّوع في كثير من الصّعوبات التي تواجه التّلميذ، وبالتّالي يعرقل عمليّة التّعلم من اللغة الأمّ لغة المنشأ إلى اللغة الهدف "لغة المرجع "والعكس صحيح.
- **التّداخل الإيجابي:** "ويقع هذا عندما يحاول التّلميذ فهم ما يسمع من الأولى وكلما ازداد التّشابه بين بين اللغة الأمّ واللغة الأولى التي يتعلّم بها أصبح فهم اللغة الأولى أيسر"[9].

وينقسم التّداخل اللغويّ من حيث التّأثير والتّأثّر بين لغة المنشأ واللغة الهدف إلى ضربين[10]:

1. **تداخل تقدّمي Interférence progressif:** حيث يؤثّر تعلّم اللغة العربيّة "اللغة الأمّ" في تعلّم اللغة الأجنبيّة؛
2. **تداخل تراجعي Interférence regressif:** حيث يؤثّر تعلّم اللغة الأجنبيّة على تعلّم اللغة العربيّة "اللغة الأمّ".

4. أنواعه: يحصل التّداخل اللغوي في كل مستويات اللغة وذلك على الشّاكلة الآتيّة:

* **التّداخل الصّوتي:** ويكون هذا النّوع من التّداخل في المستوى الصّوتي والمقصود به أن يتداخل صوت من اللغة الأمّ في صوت من اللغة الثّانيّة، ممّا يتعذّر التّمييز والفصل بينهما، فيترتّب عنه أخطاء إملائيّة كثيرة؛ مثل صوتيV/F في اللغة الفرنسيّة و"الفاء" في اللغة الأمّ "اللغة العربيّة ".

التّداخل الصّرفي: ويكون هذا التّداخل في هذا المستوى "تداخل صــرف اللغــة الأمّ في صرف اللغة الأولى، فإذا أخذنا كنظام الصّيغ ومعانيها خاصّة المزيــدة نجــد أنّهــا تمثّل عبئا كبيرا بالنّسبة للمعلّم والمتعلّم، مثل استعمال صيغ الجمع للدلالة على المفــرد في ذبح مْيَاتْ كبش عوض مئة كبش"[11]

* **التّداخل التّركيبي:** ويكون هذا التّداخل في المستوى التّركيبي حيث يــؤدّي تــأثير نحو اللغة الأمّ على نحو اللغة الثّانيّة إلى وقوع المتعلّم في أخطاء تتعلّق بنظم الكلام في استخدام الضّمائر، وفي استعمال عناصــر التّخصــيص مثــل التّعريــف والاســتفهام والتّعجب...

* **التّداخل المعجمي الدّلالي:** يؤدّي التّداخل اللغوي في هذا المستوى إلى اقتــراض كلمات من اللغة الأمّ ودمجها في اللغة الثّانيّة عنــد الكــلام بهــا، وإذا كانــت الكلمــة مستخدمة في اللغتين ولكن بمعنيين مختلفين "وقد يستخدمها المتعلّم بمعناها فــي اللغــة الأمّ وهو يتكلّم باللغة الثّانيّة ويكون عندما تضمّ اللغة الأولى واللغة الثّانيّة كلمة واحــدة ولكنّها استعملت بمعنيين مختلفين، فإنّ متعلّم اللغة الثّانيّة قد يميل إلى فهم تلــك الكلمــة بمعناها في اللغة الأمّ "[12]

5. عوامله: يرى **فنــدريس** أنّ تطور اللغة مستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعدّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقّق في أيّة لغة، بل على العكس من ذلك، فإنّ الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيرا ما يلعب دورا هاما في التّطوّر اللغويّ، ذلــك لأنّ احتكاك اللغات ضرورة تاريخيّة، واحتكاكها يؤدّي حتما إلــى تداخلــه[13]، ولهــذه الظّاهرة اللغويّة عواملها وأسبابها التي يتتبّعها الدّارسون عبر مسيرة الصّراع اللغــوي بين اللغات ومن بين هذه العوامل "ذكر عبد الصّبور شــاهين أنّ العامــل الحضــاري والثّقافي للغة هو الأهم في التّأثير والتّأثر بين اللغات، والعامل الثّاني هو كثرة النّــاطقين باللغة "[14]. ويمكن حصر تلك الأسباب والعوامل في النّقاط الآتيّة:

- الغلبة للصراع، والانتصار في الحرب والمقهور مولع بتقليد الغالب خاصّــة إذا كان للمنتصر حضارة وثقافة ورقي، وليس للمنهزم شــيء مــن ذلــك ونــتج عــن

الاستعمار"... يؤثّر أنماط اللغة الأمّ في أشكال الثّانيّة، ومن هنا يقع أخطـــاء المتحـــدّث باللغة الثّانيّة "[15]، وأصبحت اللغة الثّانيّة هي المسيطرة واللغة الأمّ هي المسيطر عليهـــا نتيجة التّداخل اللغوي.

- الهجرة القوميّة المكثفة "حيث تعتبر الهجرة سواء كانت داخـــل الـــبلاد أم بـــين البلدان المتجاورة أحد العوامل المسببة للتداخل، ويتّضح ذلك في انتقال مجموعة بشـــريّة معيّنة من مكان لآخر، واختلاط المجموعة الواحدة مع السكان الأصليّين كفيـــل بخلـــق علاقات لغويّة جديدة "[16]، قد تكون لأغـــراض دينيّـــة أو اقتصـــاديّة أو اجتماعيّـــة أو شخصيّة؛
- يعتبر الإعلام نقطة مهمّة جدا في حياة الإنسان، وله تأثير عجيـــب فـــي أفـــراد المجتمع، ونجد ذلك عند عبد الرّحمان الحاج صالح الذي يقـــول: "إنّ ارتقـــاء وســـائل الإعلام وانتشارها الواسع في عصرنا هذا جعلها من الوسائل العظيمـــة التّـــأثير علـــى عقول النّاس وسلوكهم ولغتهم"[17]، فالتّداخلات التي تظهر في وسائل الإعلام لا بـــدّ أن ينعكس أثرها في المجتمع.

ثانيا: <u>وضع اللغة الأمّ "اللغة العربيّة "في الجزائر</u>: إنّ المتأمّل في الواقـــع الثّقـــافي واللغوي في الجزائر يرى بوضوح كيف أنّ اللغة الإنجليزيّة والفرنسيّة تهاجمان اللغـــة الأمّ "اللغة العربيّة " في عقر دارها، والدّليل على ذلك انتشار مـــدارس تعلـــيم اللغـــات الأجنبيّة، واندثار المدارس الخاصّة باللغة العربيّة وذلك أدى إلى ازدواج الثّقافـــة بـــين المدارس الخاصّة لتعليم الأجنبيّة والحكوميّة التي تدرس بالعربيّة "المختلطة"، "بالإضافة إلى تقليص حصّة العربيّة الفصيحة لصالح العاميّة في وسائل الإعلام الوطنيّـــة بحجـــة تقريب المعرفة أو المعلومة إلى فهم عامة الشّعب"[18].

فعن طريق اللغة الأمّ "اللغة العربيّة"، يكون البناء الثّقافي للشعب الجزائري، وحـــين تتعدّد اللغة بسبب الاستعمار مثلا، فإنّ هذا حتما سيؤدّي إلى لون من الصّراع بين لغـــة المستعمر واللغة الوطنيّة، حيث يجد المواطن نفسه بين اتجاهين:

الاتجاه الأوّل: اللغة الوطنيّة التي تحمل تراثه وأصالتّه، بجذورها الضّاربة في التّاريخ وما تحمل من رصيد ثقافي وعادات وتقاليد تمثّل هويته وخصوصيته التي تميّزه عن غيره من الدّول.

الاتجاه الثّاني: "لغة المستعمر، وهي اللغة المستعملة في المصالح والمؤسّسات المختلفة ولا يستطيع المواطن أن يعزل نفسه عنها لأنّها لصيقة بمصالحه وشؤون حياته"[19]، وقد أشار في رصده لواقع اللغة الأمّ خاصّة بعد الاستقلال "حيث صارت لهجة مسخا، خليطا من الكلمات العربيّة والكلمات الفرنسيّة، سمّاها **اللوبي الفرنكفوني** المتحكّم في الدّولة الجزائريّة "العربيّة الجزائريّة"، وطالب بترسيمها بدل الفصحى"[20].

ثالثّا: أسباب التّداخل اللغوي في الجزائر وعوامله: من الأسباب التي أدت إلى التّداخل اللغوي وخاصة وطننا الجزائر باعتباره من الدّول الضّعيفة ما يلي:

الاستعمار الفرنسي للجزائر أين منع استعمال اللغة الأمّ "العربيّة "في المجالات الرّسميّة، ونفذ ذلك بدقّة، ونتج عن ذلك اعتبار المتعلم باللغة الأمّ "اللغة العربيّة" كالأمّي في نظر الإدارة الفرنسيّة "عدم السّماح للجزائريين بإنشاء مدارس لتعليم اللغة الأمّ"[21] فلقد أدرك الاستعمار بأنّ اللغة الأمّ "اللغة العربيّة "هي الوعاء الثّقافي للهويّة والانتماء الحضاري الذي حاربته بكلّ قوّة، عن طريق المؤسّسات لتدعيم الوجود اللغوي الفرنسي "وضعف اللغة الأمّ بضعف الأمّة والإنسان العربي يعيش اليوم أزمة هروب من الذّات وينغمس من حالة اغتراب عن أصالتّه ووجوده، فانعكست هذه الأزمة سلبا على الواقع اللغوي، ووصفت اللغة بالعجز والقصور عن مواكبة التّطور العلمي والحضاري، والعجز الحقيقي ليس في اللغة بل في أهلها النّاطقين بها والقائمين عليها"[22].

واللغة الأمّ هي أساس التّواصل الفكري والحضاري بين أبناء الجزائر وهي عروة العروبة ودعامتها القوميّة "فالأمّة التي تحافظ على شخصيّتها وملامح هويّتها لا تهمل نمط ثقافة شعوبها وأسلوب تفكيرهم، بل تسعى لترويض تلك الثّقافات الدّخيلة التي دفعتها إليها الحاجة لما فيها من معارف وعلوم"[23].

رابعا: التّداخل اللغوي في المشهد اللغوي:

1. **مفهوم المشهد اللغوي:** يشير مصطلح المشهد اللغويّ إلى "النّصوص متعدّدة الوسائط المعروضة في الأماكن العامّة، وهي تشمل مجالات متعدّدة من الاستعمال اللغوي في المجتمعات الكلاميّة"[24]، وبعبارة أخرى هو تلك اللغة المستعملة في اللوحات المعروضة في الشّوارع العامّة، والملصّقات الخاصّة بالإعلانات، واللافتات في المحلاّت التّجاريّة واللافتات العامّة، في البنايات الحكوميّة، فكلّها مجتمعة تشكل المشهد اللغويّ في أيّ منطقة جغرافيّة، وهو بذلك يشمل اللغة المستعملة "المتداولة" بصيغتها المنطوقة والمدوّنة في مجتمع معيّن.

2. **أصناف المشهد اللغوي وأشكاله:** لقد أسهمت التّكنولوجيا الحديثة في توليد صيغ وأشكال جديدة للمشهد اللغويّ منها:

- نصوص مكتوبة / مطبوعة
- نصوص مصوّرة / مرئيّة
- نصوص سمعيّة / شفهيّة
- نصوص إيمائيّة/ إشاريّة

كلّها أنواع تشكّل مشهداً لغويّاً متعدّد اللغات أو اللهجات، والوظائف في مختلف المواقف "السّياقات" الاجتماعيّة.

3. **أهمّيّة المشهد اللغويّ:** "تكمن أهمّيّة المشهد اللغوي في تقديم نماذج محسوسة من الاستعمال الفعلي للغة في مكان وزمان محددين كونه يتميّز بديناميكيّة وقدرة على تغيير الوضع اللغويّ في المجتمع"[25]، كما يحدّد هويّته وفي الوقت ذاته يصوّر التّنوع اللغويّ والثّقافيّ، ويعكس الأفكار والتّصوّرات الرّاهنة الخاصّة بالتّعدد اللغويّ، وهذا ما نلفيه في بعض اللافتات واللوحات العامّة في مختلف الأماكن والتي تقنّنها الحكومة ضمن سياستها اللغويّة المتعلّقة باللغة واللهجة.

4. **أهم القضايا البارزة في المشهد اللغــوي:** "إنّ من بين القضـــايا التـــي تعكـــس الوقائع اللغويّة/الاجتماعيّة تلك المتعلّقة والخاصّة بالتّعدديّة اللغويّـــة multilingualisme والمزج اللغوي lingual transmiscing التي تجسّدها الاســـتعمالات المتعـــدّدة لغويـــا الموجودة في الفضاءات العامّة والسّياقات المختلفة "مدنيّة وقرويّة".

وتعتبر التّعدديّة اللغويّة الاجتماعيّة من أهم مميّزات مجال المشـــهد اللغـــوي فـــي اللسانيات التّطبيقيّة"[26]؛ أمّا قضيّة المـــزج اللغـــوي language miscing فـــي الجانـــب اللغوي المنطوق، فلقد لقي رواجا في اللسانيات التّطبيقيّة، فلقد أضحت ظـــاهرة المـــزج اللغوي بشقها المكتوب من أهمّ القضايا في دراسات المشهد اللغوي؛ إذ بملاحظة الجمع بين اللغة العربيّة والفرنسيّة في اللافتات واللوحات مرآة عاكسة لنماذج مـــن التّـــداخل اللغوي بين اللغتين، حيث تؤدّي اللغة الفرنسيّة دور الإخبار من خـــلال نقـــل الرّســـالة المستهدفة في حين تلعب اللغة الأمّ دور تعزيز الهويّة وثقافة المجتمع[27].

خامسا: <u>استثمار المشهد اللغوي الرّائج في تعليم اللغة الأمّ:</u> يعتبر المشهد اللغـــوي أحد الأدوات والوسائل التّعليميّة في السّياقات المتعدّدة لغويا وثقافيا، باعتبـــاره مصـــدرا يكرس الإقرار بالسّياق الاجتماعي، ودوره في تعليم اللغـــة الأمّ وتعلّمهـــا واســـتعمالها فضلا عن ذلك أنّه ينمي قدرات المتعلّم اللغويّة، ويفعلها في شبكة التّواصل الاجتماعيّـــة ويزيد من دافعيّة المتعلّمـــين وحماســـهم ويعـــزّز الكفايّـــة التّواصـــليّة competance communicative لديهم، كما يسهم في زيادة الوعي اللغوي لدى المتعلّمين من خـــلال ملاحظاتهم وجداو غياب لغتهم الأمّ، ممّا يجعلهم أكثر يقظـــة تجـــاه اللغـــات الأجنبيّـــة الأخرى[28].

سادسا: <u>التّمازج اللغوي في الجزائر:</u> يتجلّى التّعدّد اللغوي في الجزائر بوضوح في استعمال المجتمع لجزائري لأربع لغات أو أكثر لكلّ منها نظامه الصّـــرفي والنّحـــوي فتارة يأخذ كلمة من العربيّة، وثانيّة من الفارسيّة، وثالثّة مـــن التّركيبـــة ورابعـــة مـــن الأمازيغيّة وخامسة من الفرنسيّة، فيشكّل بذلك تركيبا لغويا هجينا[29]، يتواصل بـــه مـــع

أفراد عشيرته ومن نماذج هذا التّمازج اللغوي المتداول في كلام المجتمع الجزائري ما يلي:

الفعل "يستقصي" في العاميّة الجزائريّة إلى "يسقصي"، و"كاييه" بالفرنسيّة أي كراس المجموعة "كييات" بمعنى "كراريس"، وكلمة "درغاز" للرجل الشّهم بالعاميّة وأصلها الأمازيغي "آرغاز"، "وناتج هذا الصّراع حالة من التّشويش في اللغة والخلط في المفردات والتّهجين في التّراكيب"[30].

ومن الانعكاسات السّلبيّة لهذا الخلط اللغوي خلق تشويش للواقع اللغوي لدى المتعلّم الجزائري، الذي أصبح يعيش في وضع لغوي انتقالي غير قار، في المقابل نجد بعض الباحثين الذين نظروا إلى قضيّة التّداخل اللغوي" على أنّه صراع إيجابي وليس سلبي وإنّما هو ضرورة ملحّة اقتضاها الواقع اللغوي الرّاهن لمواكبة تحديّات العصر بما يتلاءم والنّخبويّة.

سابعا: نماذج من التّداخل اللغوي في الجزائر: لقد حدث بعد ثورة التّحرير، وبعد فترة قصيرة من الاستقلال انقلاب بدأ يعطي ثماره على مستوى الخطاب العام وصارت اللغة هجينة لا شرقيّة ولا غربيّة أو هي شرقيّة غربيّة "جزء من الجملة عربي وآخر فرنسي"، ومن الكلمات المأثورة "إذا رأيت خطابا لحمته عربيّة وسداه فرنسي فاعلم أنّ صاحبه جزائري "،أمّا أن يمزج لغته بلغة أجنبيّة في الجملة الواحدة لكسل فكري أو لعادة استفحلت فانقلبت فطرة لنقص في التّكوين أو في اللغة، أو في الأداء أو لتباه بلغة فرضت وجودها فذلك البلاء المبين لأنّ ما جهل بعضه لم يدرك كلّه و لأنّ العيب يبقى عيبا.

ولعلّ من أمثلة التّداخل اللغوي بعض الألفاظ الموجودة في العربيّة والمنقولة من اللغات الأجنبيّة، ركبت الطّاكسي "سيارة أجرة"، عندي "كونترول" "امتحان"، "هات المانيفيل" "ركب لي البياسة"، "زيد لي لكريك" واعطلي التّورنيفيس"، وهكذا دواليك: لمة عربيّة وأخرى فرنسيّة، مع أنّ الألفاظ المذكورة يوجد لها مقابل في العربيّة أو وجدوا لها مقابلا مقترضا أو معربا بما يوافق معايير اللغة.

إنّ هذا التّداخل اللغوي هو نتيجة الاحتكاك الاجتماعي الذي مس بعض فئات المجتمع في الهجرة، الاستعمار، الرّحلات، ولذلك ما يجده بعض المتعلّمين من صعوبة لتعلّم اللغة الأمّ في بعض المناطق الجزائريّة نتيجة عوائق لغويّة على رأسها تعدّد المرجعيّات اللغويّة أمازيغيّة وعاميّة وعربيّة وفرنسيّة.

وكما قلنا سابقا فإنّ التّداخل اللغوي أنواع منها: صوتي، تركيبي، دلالي وصرفي فمثلا نجد في التّداخل التّركيبي عبارة "ممنوع التّدخين" هي جملة عربيّة، لكنّها كتبت بنسق لغويّ فرنسي كترجمة حرفيّة لما في الفرنسيّة، والأصل أن يقال بالعربيّة "التّدخين ممنوع"، كونها مبتدأ وخبر، ولا يتقدّم المبتدأ عن الخبر إلاّ في حالات ليس من بينها هذه، وهذا يثبت كون التّداخل اللغوي نتيجة من نتائج التّعدّد اللغوي.

وفي هذا الصّدد نورد أيضا مجموعة من النّماذج التي تشخّص لنا هذه الظّاهرة اللغويّة من بينها:

-**اقتران الأسماء:** على نحو غير معروف في العربيّة الفصحى نحو: "مشكلة الجزائر المغرب"، "أزمة البترول –العالم"، "قطار القاهرة –الإسكندريّة–" "صاروخ أرض أرض" وهذا الأسلوب الذي يشيع في الكلمات المقترنة بعضها البعض وكأنّها كلمة مركّبة واحدة، أسلوب وافد ومقترض من اللغات الأجنبيّة قياسا على earth to earth، وهو شبيه بالتّركيب المزجي عند العرب "كحيص بيص" و "شذر مذر".

– **الفصل بين المتضامين:** يشيع في العربيّة المعاصرة "الأمّ" الفصل بين المتضامين بلا النّافيّة فيقال مثلا (كان عملا لا أخلاقيا) قياسا على "Non"، فلا هنا مقحمة بين الصّفة والموصوف، وهي غير عاملة، ومن ثم فما بعدها يعرب بحسب ما قبلها، وهو استعمال مستحدث من التّركيب الأجنبي الفرنسي.

كما يشيع أيضا أسلوب لا تخفى أصوله الأجنبيّة فيقال "تفرضه ليس مصالح الدّولة فقط، بل مصالح العالم أيضا "وهو تركيب يماثل الأسلوب الإنجليزي الذي يوظف فيه not …only …but…also

– **الحذف:** وممّا يفسر الحذف قولهم "سوف يجد وسيلة أو أخرى "،والمقصود وسيلة من الوسائل؛ أيّ أنّ المنعوت محذوف "وسيلة أخرى" قياسا على الأسلوب الأجنبي He will fund one means or other.

ومن بين الأساليب والتّراكيب المستحدثة في العربيّة الفصحى المعاصرة الجمع بين "لن" و "لا" كقولنا "لا ولن أكتب إليه" قياسا على التّركيب الأجنبي الإنجليزي I don't and will not write to him.

خاتمة البحث والتّوصيات: وفي ختام الدّراسة نقول إنّ التّداخل اللغوي ظاهرة طبيعيّة فهو سنة التّأثير والتّأثّر وسلوك لغويّ يمارس على مستوى احتكاك اللغات تعبيرا عن التّفاعل الاجتماعي.

*ينقسم التّداخل اللغوي من حيث الفاعليّة إلى تداخل إيجابي وتداخل سلبي، ومن حيث التّأثير إلى تداخل تراجعي وتقدّمي.

*إنّ السّبيل للنهوض باللغة العربيّة ينحصر في تجاوز مشكلة التّعدّد اللغوي واستثمار هذا التّداخل الموجود في المشهد اللغوي ـ كونه يمثّل الاستعمال الفعلي الحقيقي للغة العربيّةـ لتعليم اللغة العربيّة للناشئة؛ وذلك باستغلال ما يوجد في تلك اللوحات واللافتات بأنواعها من خصائص وأساليب وتوظيفها لتعليم اللغة وتعلّمها.

*من الانعكاسات السّلبيّة للتداخل اللغوي على اللغة العربيّة خلق تشويش وبلبلة في أنظمتها، ممّا يعرقل المتعلّم الجزائري الذي أضحى يعيش في وضع لغوي انتقالي غير قار، وبالتّالي ينتج تراكيب لغويّة هجينة يتواصل بها، قد يراها البعض ضعفا لغويّاً ويراها آخر إيجابيّة في هذه التّركيب الجديدة، حيث تكسب العربيّة المعاصرة مرونة وسيولة في التّعبير وملاءمة لما يقابلها في اللغات الأجنبيّة.

ولمحاولة إعادة الاعتبار للغة العربيّة نقترح مجموعة من التّوصيات:

- كتابة جميع اللافتات في الشّوارع والطّرقات بالعربيّة الفصحى، ويمنع استعمال اللغة الأجنبيّة والحروف اللاتينيّة إلاّ في الأمكنة التي يتواجد فيها الأجانب؛ كالمطارات

والفنادق والسّفارات، وفي هذه الحالات تكتب اللغة الأجنبيّة بحــروف أصــغر تحــت الكتابة العربيّة.

- الزّام جميع المعلّمين والمدرسين في جميع الموضوعات بإلقاء دروسهم بالعربيّة الفصحى، وتنظيم دورات تدريبيّة لترقيّة لغتهم.
- تشجيع مؤسّسات المجتمع المدني على استخدام العربيّة الفصــحى فــي جميــع اجتماعاتها وأنشطتها.
- السّعي الحثيث إلى محو الأمّيّة، فالأميّة أصل ما نعانيه والعائق الأكبر في سبيل ما نصبوا إليه.
- تعويد المتعلّمين على حفظ النّصوص واستغلالها في التّحرير والتّعبيــر، فهــي خير ما يقوم لسانه وما يجعل لغته تجمع بين الأصالة والحداثة.
- تنميّة روح المطالعة وتعميمها بتوفير المكتبات الخاصّة باللغة الأمّ فــي المــدن والقرى وأقسام الدّراسة.

المراجع والإحالات

[1]- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله عبد الكبير وآخرون، ط1، دار المعـــارف، كـــورنيش النّيـــل القاهرة، ج3، ص19-ص34.

[2]- الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علــــي هلالــــي، مطبعـــة حكومـــة الكويـــت ج13 ص580.

[3]- قاموس الكلمات الإنجليزيّة (إنجليزي ــعربي)، ط1، دار الملايين، 1980، ص113.

[4]- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمه محمد يحياتن، دار القصـــبة للنشـــر الجزائـــر 2006 ص27.

[5]- قدور نبيلة، التّداخل اللغوي بين العربيّة والفرنسيّة وأثره في تعليميّة اللغة الفرنسيّة في قسم اللغة العربيّة وآدابها، رسالة ماجيستير مرقونة في اللغويات، جامعة قسنطينة، 2006/2005 ص36.

[6]- المجلس الأعلى للغة العربيّة، بين التّهجين والتّهذيب، الأسباب والعلاج، دار الخلدونيّة للطباعة والنّشـــر والتّوزيع، 2010، ص17.

[7]- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التّطبيقيّة، ط3، دار هومة، الجزائر، 2000 ص24.

[8]– Einar hugen, Norwegian in America philadelphia, 1953 astudu in bilingual university of pennsylvnia vol 2, p375.

[9]- ينظر: الممارسات اللغويّة، مجلة جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مخبر الممارســـات اللغويّـــة فـــي الجزائر، ص80.

[10]- ينظر: أحمد حساني، المرتكزات اللسانيّة لتعليميّة اللغات لغير النّاطقين بها -مقاربة لســـانيّة تطبيقيّـــة تقابليّة نصيّة، أعمال المؤتمر الدّولي الأول لتعليم العربيّة "الأنساق اللغويّة والسّياقات الثّقافيّة في تعليم اللغـــة العربيّة"، 22-2014/04/24، مركز اللغات-الجامعة الأردنيّـــة، دار كنـــوز المعرفـــة، عمـــان، الأردن ص17.

[11]- ينظر: كريمة أوشيش، التّداخل اللغوي في اللغة العربيّة: تدخل العاميّة في الفصحى لدى تلاميذ الطّور الثّالثّ من التّعليم الأساسي، رسالة ماجيستير، الجزائر 2002 فيفري، ص ص84-85.

[12]- ينظر: الممارسات اللغويّة، مجلة جامعة مولود معمري تيزي وزو، ص78.

[13]- ينظر: فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدّوالي ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو مصريّة دت، ص34.

[14]- ينظر: عبد الصّبور شاهين، دراسات لغويّة، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1986 ص226.

[15]- صالح بلعيد، منافحات في اللغة العربيّة، دط، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص137.

[16]- محمود فهمي حجازي، أسس علم العربيّة، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التّراث واللغة السّاميّة دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2003، ص.30

[17]- عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، دط، موفم للنشر والتّوزيع، ج2 ص98.

[18]- محمد محمد داوود، علاقة اللغة العربيّة بالسّادة الوطنيّة والهويّة، كتاب المؤتمر السّنوي للغة العربيّة مارس، 2012، بيروت، ص160.

[19]- المرجع نفسه، ص163.

[20]- عثمان سعدي، اللغة العربيّة واللهجات المتفرعة عنها: مقارنة بين عاميّة الجزائر قبل الاستقلال وبعده، ضمن الفصحى وعامياتها، لغة التّخاطب بين التّقريب والتّهذيب، أعمال النّدوة الدّوليّة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثّقافة العربيّة 2007، يومي 4و5 يونيو 2007 منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة 2008.

[21]- محمد داوود، علاقة اللغة العربيّة بالسّادة الوطنيّة والهويّة، ص164.

[22]- المرجع نفسه، ص169-170.

[23]- عبد الله محمد الأمين أحمد، علاقة اللغة العربيّة بالسّادة الوطنيّة والهويّة، كتاب المؤتمر العالمي للغة العربيّة، 2012، ص179.

[24]- صالح ناصر الشّويرخ، قضايا معاصرة في اللسانيات التّطبيقيّة، ط1، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة، دار وجوه للنشر والتّوزيع الرّياض،1438ه/2017م، ص145.

[25]- المرجع نفسه، ص148.

[26]- المرجع نفسه، ص155.

[27]- المرجع نفسه، ص155.

[28]- المرجع نفسه، ص166.

[29]- تعني ظاهرة التّهجين اللغوي حالة من حالات التّداخل المعيب والتّمازج المشين، والخلط السّيء بين اللغة العربيّة ولغات أخرى غير العربيّة، مما ينتج لغة مشوهة مزيجة بين العربيّة وغيرها. ينظر: عصام عيد أبو غربية، التّهجين اللغوي لدى طلاب الجامعات العلميّة، مقال منشور بمجلة اللسانيات واللغة العربيّة، العدد الثّامن، جانفي 2012، مطبعة المعارف، عنابة الجزائر، ص218.

[30]- المرجع نفسه، ص218.

التداخل اللغوي في الجزائر بين العوامل التاريخيّة والتطلعات الحضاريّة، اللغة التركيّة أنموذجاً

د. نبيل اهقيلي

جامعة 8ماي 1945 قالمة

الملخّص: تزخر الجزائر بتنوّع لهجي ولغوي ثري لا يوجد في الكثير من البلدان والدّول لاسيما إذا أدركنا أنّه مقترن بتنوّع المكوّنات العرقيّة لهذا الشّعب، والتي استطاع بحكم تجاربه التّاريخيّة أن يجعل منها عامل وحدة وجمع لا عامل فرقة وشتات، ولعلّ سبب ذلك يرجع إلى الالتّفاف الصّادق منه حول الدّين، الذي كانت أحكامه هي التي تحرّك وجدان هذا الشّعب حبّاً وكرهاً خاصّة عند تعامله مع الآخرين وإذ تعدّ اللغة أحد مظاهر التّعامل التي يظهر فيها التّأثير والتّأثّر أو ما يطلق عليه لسانيا مصطلح التّداخل اللغوي، فإنّنا سنحاول في هذا البحث أن نقف على مظاهر التّداخل اللغوي بين اللغة التّركيّة واللغة العربيّة، والذي تعدّ ظروف التّاريخيّة (الخلافة العثمانيّة) معلومة للجميع لكنّ وبالرّغم المدّة الزّمنيّة الطّويلة التي غادر بعده الأتراك الجزائر ومجيء الفرنسيين بعدهم وما قاموا به من جهد للقضاء على اللغة العربيّة وفرض اللغة الفرنسيّة، ما تزال العاميّة الجزائريّة تحتفظ بكلمات كثيرة من اللغة التّركيّة، وهو ما يمثّل أبرز مظاهر التّداخل اللغوي بين اللغتين، إضافة إلى مظاهر لسانيّة أخرى خصوصا في الحواضر التي عرفت تواجدا كبيرا للأتراك قديما كالجزائر العاصمة قسنطينة المديّة ...دون أن ننسى أنّ اللغة التّركيّة في حدّ ذاتها قد تداخلت مع اللغة العربيّة، ما شكل رحلة للكلمات ذهابا وعودة، إنّ ما تشهده الدّولة التّركيّة اليوم من تطوّر في المجال الاقتصادي والسّياحي والطّبّي والإعلامي، قد أعاد الاهتمام بهذه اللغة عند الشّباب إمّا لحاجتهم إليها أو بهدف الفضول والتّقليد.

وسنحاول في هذا البحث تتبّع مظاهر التّداخل بين اللغتين مع التّركيز على جانب المفردات، وما شملها من تغيرات صوتيّة أو صرفيّة...من خلال تقديم الأمثلة والنّماذج مع القيام بتحليلها.

المداخلة: تزخر الجزائر بتنوّع ثقافي هائل، تعدّ اللغة أهمّ مظاهره البارزة رغم الملاحظة الظّاهرة لعوامل الوحدة القوميّة (الشّعبيّة) للمواطنين، وهو ما لا يوجد عند الكثير من الشّعوب في العالم، ويعود سبب التّنوّع الثّقافي في الجزائر إلى يعدّد الإثنيات التي تشكّل المجتمع الجزائريّ، وامتزاجها الظّاهر حدَّ الانصهار بفضل تلك المحطّات التّاريخيّة التي وحّدت الشّعب، ولعلَّ أخرها وأبرزها الثّورة التّحريريّة المظفرة التي شارك فيها جميع أطياف المجتمع، إنّ التّنوّع السّكاني في الجزائر يصحبه تنوّع الجغرافيا والتّضاريس بحكم المساحة الشّاسعة للجزائر، فهي دولة بحجم قارة، وإن كنّا نلاحظ يعدّدا ثقافيّاً في مجتمعات أخرى، إلاّ أنّه يتمّ على بساط جغرافي واحد عكس الموجود في الجزائر، إذ لها وجه بحريّ تقدّر سواحله بأكثر من(1600 كلم)، كما توجد في المناطق الدّاخليّة سلاسل جبليّة مختلفة شرقًا وغربًا، مع وجود مناطق سهليّة (بسائط وهضاب)، دون أن ننسى الصّحراء الجزائريّة، التي وإن كانت تبدو واحدة إلاَّ أنّها تضمّ صحاري متنوّعة على خلاف مختلف صحاري العالم الأخرى، حيث نجد من التّضاريس الصّحراويّة الشّاسعة العرق الشّرقي بالجهة الشّرقيّة، والعرق الغربي بالجهة الغربيّة والحمادة، كما نجد الجبال ومنها الأطلس الصّحراوي وجبال الهقار وجبال الطّاسيلي ناجر. إنَّ هذا التّنوّع الجغرافي قد توزعت فوقه جماعات بشريّة قد تأثرت حتماً بظروف البيئة وخصوصياتها، وحوادث التّاريخ وتقلباتها ومن مظاهر التّأثّر الجانب اللساني، الذي يوصف بأنَّه أصدق مظاهر التّميّز وأبرزها عند علماء الأنثربيولوجيا، لأنَّه يتمّ بطريقة جماعيّة وعفويّة محسوسة.

إنّ التّنوّع البشري يعني بالضّرورة تنوّع الألسن، باعتبار أنّه لكلّ إنسان لسان ما يجعل التّفاعل بين الجماعات وهي تمارس أنشطة الحياة المختلفة، ينسحب بالضّرورة على التّفاعل بين الالسّن ويتوزع على مستويات اللغة المختلفة، بدايّة من المستوى

الصّوتي وصولاً إلى المستوى الدّلالي. وهو ما ترصدّه اللسانيات الاجتماعيّة خاصّـــة. ولعلَّ من أوضح أشكاله الازدواجيّة اللغويّة والاقتراض اللغوي والتّداخل اللغويّ...هــذا الأخير الذي نجده حاضرا في لسان الجزائريين بقوّة للأسباب المذكورة سابقا وهو مـــا سنحاول البحث فيه قدر المستطاع.

تعريف التّداخل اللغوي:

تعريف التّداخل لغة: ذكر ابن منظور في لسان العرب أنّ «التّداخل هــو الالتّبــاس والتّشابه، وهو دخول الأشياء في بعضها البعض»[1] وجاء المعجم الوســيط « داخلــت الأشياء مداخلة وإدخالا دخل بعضها في بعض، وتداخلت الأشــياء داخلــت والأمــور التّبست وتشابهت»[2] وعرفه الجرجاني في التّعريفات بقوله:« التّداخل عبارة عن دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم ومقدار»[3]

تعريف التّداخل اللغوي اصطلاحا: إنّ اللغة تعدّ وسيلة التّواصل بين أفراد المجتمــع لذلك يكون تركيز المتكلّمين بها على تحقيقه ولو على حساب القواعد المعياريّة للغـــة أو قاموسها المعجمي وهنا قد يظهر التّداخل اللغوي، حيث «يعرف اللســانيون الغربيــون التّداخل اللغوي، عادة بأنّه تأثير اللغة الأمّ على اللغة التي يتعلّمهــا المــرء، أو إبــدال عنصر من عناصر اللغة الأمّ بعنصر من عناصر اللغة الثّانيّة، ويعني العنصــر هنــا صوتا أو كلمة أو تركيبا. ولكنّنا ننظر إلى التّداخل اللغوي بوصفه انتقال عناصــر مــن لغة (أولهجة) إلى أخرى، في مستوى أو أكثر. من مستويات اللغة الصّوتيّة والصّــرفيّة والنّحويّة والمفراداتيّة والدّلاليّة والكتابيّة، سواء أكان الانتقال من اللغة الأمّ إلــى اللغــة الثّانيّة أم بالعكس، وسواء كان هذا الانتقال شعوريا أم لا شعوريا»[4] والتّــداخل اللغــوي ليس ظاهرة خاصّة بلغة محدّدة فقط لأنّ «كلّ اللغات تعرف بالتّداخل فــي أيّ مجتمــع كان لابدَّ أين يقوم على عدّة تحوّلات لغويّة مهما كان هذا الانتماء الاجتماعي، بمعنــى أنّ كلّ المجتمعات لها خصوصيّتها اللغويّة، لهذا أقول عن المعطيــات السّوسيولســانيّة هي التي تقحم والتي تؤسّس المعطيات على أرض الواقع. يتّضح لنا أنّ التّــداخل هــو ظاهرة اجتماعيّة ويكون نتيجة احتكاك اللغات وازدواجيتها ويعدّديتها»[5]، واللغة العربيّة

بحكم تاريخها العريق واحتكاكها الحضاري مع لغات أخرى عرفت التّداخل اللغوي مبكّرا ومن مصطلحاته التي ذكرها علماء فقه اللغة نجد: الدّخيل والمعرّب والمولد والاقتراض.

والتّداخل اللغوي لا يوجد مصادفة بل هناك أسباب تحقّقه نذكر منها:

1-أسباب تاريخيّة:

2-الأسباب الثّقافيّة.

3-الأسباب الاجتماعيّة.

4-الأسباب النّفسيّة.

5-الأسباب اللغويّة.

أشكال التّداخل اللغوي: متعدّدة منها الازدواجيّة اللغويّة والثّنائيّة اللغويّة والاقتراض

الاقتراض: وهو أكثر أشكال التّداخل اللغوي بروزا «ونعني به استعمال كلمة من اللغة الأخرى وتكييفها للغة التي يتحدّث بها الفرد. وغالبا ما تكون هذه الكلمة مفقودة في اللغة الأولى أو يجهل المتكلّم وجودها»[6] لذلك نلاحظ في اللغات التي حدث بينها احتكاك وجود عدد معتبر من ألفاظ اللغة الأولى في الثّانيّة، وتعليل ذلك يعود إلى أسباب التّداخل اللغوي المتنوّعة ومن أهمّها الأسباب التّاريخيّة ممثّلة خاصّة في الاحتلال العسكري واستعمار شعب ما لشعب أخر، وكثيرا ما حدث هذا الأمر في التّاريخ البشري.

التّداخل اللغوي في الجزائر: إنّ وجود الجزائر على سواحل البحر الأبيض المتوسّط، جعلها تحتلّ موقعا جغرافيا هامّاً يربط بين الشّمال (أوربا) والجنوب (إفريقيا) وبين المشرق وبين المغرب أضف إلى ذلك ما حباها الله به من خيرات جعلتها تكون مجالاً للالتقاء والتّبادل التّجاري والثّقافي في حالة السّلم أو ميدان للحروب فكثيرا ما كانت الجزائر مطمعا لعدّة شعوب عبر التّاريخ كالرّومان والوندال والرّوم ...فتصبح اللغة بالضّرورة ميدان صراع مفتوح يقول أحمد مختار عمر:« وينشأ هذا الصّراع عن عوامل كثيرة أهمّها عاملان: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبيّة تنطق بلغة

غير لغة أهله، والأخر أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة فيتبادلا المنافع ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادّي والثّقافي»[7]، وإذا كانت اللغة البربريّة هي اللغة السّائدة في المغرب العربي عامّة وفي الجزائر خاصّة فقد حدث لها حتما احتكاك مع عدّة لغات أخرى، منها اللغة العربيّة التي دخلت إلى الجزائر مع الفتوحات الإسلاميّة الأولى لشمال أفريقيا بقيادة االقائد المظفر عقبة بن نافع الفهري وبما أنّ عدد الفاتحين من العرب في هذه المرحلة قليل[8] ظلّت الأغلبيّة من البربر تتكلّم لغتها المنتشرة في بلدها مع إقبال على تعلّم العربيّة للأسباب الدّينيّة المعلومة، غير أنّ الأمر تغيّر كثيرا مع هجرة القبائل العربيّة من هلال وسليم واستقرارها ببلاد المغرب وافريقيا في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) حيث أسهمت هذه الهجرة في تعريب شمال افريقيا بشكل ظاهر نظرا للأعداد الكبيرة للوافدين من العرب واستقرارهم وتوطّنهم في البلاد، ويقول أحمد توفيق المدني: «وعلى كلّ فهجمة الاعراب هي التي طبعت البلاد الجزائريّة بالطّابع العربي أبدياً، وركّزت فيها اللغة العربيّة والعقليّة العربيّة على أساس متين»[9] وقد حدث التّعايش بين اللغتين العربيّة والبربريّة واستمرّ إلى اليوم «واللغات القبطيّة والبربريّة المغلوبة لم تكد تترك أيّ أثر في اللغة العربيّة الغالبة، وذلك لأنّ الصّراع بين هذين المثالين على طول أمده لم يكن عنيفا ولم تلق في أثنائه اللغتان الغالبتان (اللاتينيّة في المثال الأوّل والعربيّة في المثال الثّاني) مقاومة شديدة من جانب اللغات المقهورة»[10] والجدير بالذّكر هنا الإشارة إلى دور الدّين في التّمكين للعربيّة دون سواها وهو ما جعل البربر (الأمازيغ) يقبلون على تعلّمها حتى برع الكثير منهم فيها[11].

التّواجد الاسباني في الغرب الجزائري: لقد كانت الجزائر هدفا للاستعمار الاسباني حيث أنّ «بدايّة الاحتلال الاسباني للجزائر لم تكن من مرسى الكبير ووهران وإنّما مباشرة بعد سقوط غرناطة، حيث كلّف فرديناند أحد الجواسيس ويدعى بادلا (padilla.) للتوجّه إلى مملكة تلمسان أين قضى سنة وهو يتجوّل مستترا في هيئة تاجر، واقترح في تقريره إمكانيّة احتلال المنطقة الممتدّة من مليلة حتى الجزائر»[12] وبدأ الاحتلال الاسباني للجزائر بمحاولة احتلال المرسى الكبير سنة 1505 ليتحقّق

بعده الاحتلال الفعلي لمدينة وهران سنة 1509 ثمّ احتلال بجايّة وعنّابــة ســنة 1510 وغيرها من المدن. إنّ هذا الاحتكاك العسكري صحبه احتكاك لســاني معتبــر كــذلك لازالتّ رواسبه إلى اليوم متمثّلة في الكثير من الكلمات ذات الأصل الاسباني المستعمل في الغرب الجزائري بصفة خاصّة.

التّواجد العثماني في الجزائر: كان سقوط الأندلس نكبة أصابت الإسلام والمسلمين إذ لم يكن من السّهل استيعاب ذلك خاصّة بعد المدّة الطّويلة التي حكموا فيها الأنــدلس (711م–1492م) وفي هذه اللحظة التّاريخيّة «كان الاسبان قد ثمّلوا بخمــرة النّصــر على المسلمين فأخذوا يتبعون البؤساء والأشقياء في البحر يسلبونهم ما أبقته في أيــديهم يد الطّغيان والظّلم ورأوا أن يعيدوا الكرّة على المسلمين فــي عقــر دارهــم، فاخــذوا يعتدون على السّواحل الإفريقيّة وما عتموا أن احتلوا المرسى الكبير، ثمّ مرسى وهران سنة 1509.»[13] وأمام اختلال موازين القوّة بين الطّرفين «كاد المغرب العربي كافــة يسقط تحت تلك الضّربات الفتاكة لولا أن تدخّل القدر وحدثت المعجزة فــدخّلا بطــلان من أبطال الإسلام الخالدّين: بابا عروج التّركي وشقيقه خير الدّين في ميــدان الكفــاح الجزائري»[14] وكان دخولهم إلى الجزائر بطلب من أهلها في بدايّة القرن 16م ليســتمر إلى سقوط مدينة الجزائر على يد قوات الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

ومهما قيل عن التّواجد العثماني في شرعيّة التّواجد العثماني فــي الجزائــر إلاّ أنّ تواجدهم لمدّة ثلاثة قرون كانت له أثاره الاجتماعيّة والثّقافيّة[15] الواضــحة بــل تعــدّى الأمر إلى تغيير التّنوّع البشري في الجزائر فظهر ما يسمّى (بالكراغلة) أيّ المولــدون من أب تركي وأمّ جزائريّة وقد شكّلوا نسبة كبيرة من السّكان لاسيما فــي الحواضــر التي كان التّواجد العثماني فيها قويّاً، دون أن ننسى الأتــراك أصــلاً (النّخبــة) إلاّ أنّ عددهم أقل[16].

إنّ الجيش العثماني في الجزائر لم يكن يتكوّن من الأتراك(الأناضول) فقط بل يضمّ في تشكيلاته العدد الكبير من الجنود ذوي الأصول الأوربيّة خاصّة من أوربا الشّــرقيّة كالصّقالبة والألبان وغيرهم فهم يشكّلون أكثر الانكشاريّة. ومــن الطّبيعــي أن يحــدث

احتكاك وتداخل لغوي واسع بين اللغة العربيّة والتّركيّة مع اعتبار الأخيــرة (التّركيّــة) لغة القويّ والمتفوّق إلاّ أنّها لم تؤثّر في الجزائر على اللغة العربيّة كثيــرا بــل كانتــا تستعملان معاً رغم استعمال السّكان للكثير من كلماتها.

إنّ ما يجب الانتباه إليه هو أنّ اللغة التي كان يتكلّم بها العثمانيون تســمّى (باللغــة العثمانيّة القديمة والكلاسيكيّة) وهي اللغة الرّسميّة والأدبيّة للدولة العثمانيّة وهي تمثّــل مرحلة من مراحل تطوّر اللغة التّركيّة التي نعرفها اليوم، وأهم مــا يميّزهــا كتابتهــا بالحرف العربي واقتراضها لعدد كبير من الكلمات العربيّة والفارسة (حــوالي88%). وسنحاول توضيح ذلك لاحقاً.

الاحتلال الفرنسي للجزائر: بعد تحطّم الأسطول الجزائري فــي معركــة نافــارين الشّهيرة 20أكتوبر1827م قامت القوّات الفرنسيّة بــاحتلال الجزائــر ســنة 1830م احتلالا كاملاً تميّز بالوحشيّة والاستيطان حيث حاربت اللغة العربيّة والدّين الإســلامي بهدف القضاء على ملامح الهويّة للشعب الجزائري، من خلال العمــل علــى تجهيلــه وتفقيره غير أنّ الشّعب الجزائري بقى محافظا على دينه ولغته متمسّــكا بهمــا وقــد شهدت هذه المرحلة احتكاكا كبيرا بين اللغتين العربيّة والفرنسيّة غير أنّ «الفرنسيّة لــم تتغلّب على عربيّة الجزائر أثناء الفترة الاستعماريّة التي دامت اثنين وثلاثين سنة بعــد القرن، ورغم ما بذلته السّياسة الاستعماريّة من محاولة لدحض العربيّة وهذا لاخــتلاف الفصيلة، ولكن عدم التّغلّب لا يحول دون تأثّر أحدهما بالأخرى»[17] . وبعد الاســتقلال عادت اللغة العربيّة لغة رسميّة للبلاد. وبالرّغم من مرور قرنين مــن الــزّمن علــى خروج العثمانيّين من الجزائر لانزال نجد الكثير من الكلمات التّركيّة متداولة في كــلام الجزائريين اليوم بكثرة.

حول اللغة التّركيّة: اللغة التّركيّة من أقدم اللغات البشريّة التي لا تزال مستعملة إلى اليوم وهي تنتمي إلى العائلة الألطيّة[18] (Altaic) «تغطي هذه العائلــة التــي اســتمدّت اسمها من جبال الألطّاي رقعة واسعة تمتدّ من شبه جزيرة البلقان إلى شــمال شــرق آسيا، وتشمل أربعين لغة موزّعة في ثلاث مجموعات. المجموعة التّوركيّــة: وعلــى

رأسها اللغة التّركيّة المستخدمة من قبل خمسين مليون نسمة في تركيا وبعض المناطق المجاورة لها...»[19]. لقد مرّت اللغة التّركيّة بعدّة مراحل قبل أن تصل إلى ماهي عليه اليوم.

-**اللغة العثمانيّة القديمة:** واستمرت من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر وتتكوّن من اللغة العربيّة واللغة الفارسيّة وكانت هي اللغة الرّسميّة للدولة العثمانيّة، كما كانت تكتب في الأوّل بالأبجديّة الإيغوريّة ثمّ تحوّلت إلى الحرف العربي نتيجة التّأثّر بالحضارة العربيّة الإسلاميّة بعد دخول الاتراك الإسلام مع القرخانيّين حوالي (932م-1212م).

اللغة العثمانيّة الكلاسيكيّة: واستمرّت من القرن السّادس عشر إلى النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر وتكوّنت من اللغة العربيّة واللغة الفارسيّة مع استعمال اللغة التّركيّة الكلاسيكيّة، وكانت هي لغة النّخبة من المجتمع وقد كانت تكتب بالحروف العربيّة.

اللغة العثمانيّة: استمرّت من منتصف القرن التّاسع عشر إلى القرن العشرين وكانت تمثّل لغة النّخبة كما كتبت بالحرف العربي وتميّزت كذلك بإدخال عدد معتبر من الكلمات الغربيّة واستمرّ ذلك الإدخال إلى غايّة سنة 1911م، وهي مزيج بين العربيّة والفارسيّة والتّراكيب الغربيّة.

اللغة التّركيّة الحديثة: حيث ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانيّة وتأسيس الجمهوريّة التّركيّة الحديثة على يد كمال أتاترك سنة 1924م وهي اللغة الرّسميّة لدولة تركيا الحديثة، وعرفت استعمال الحروف اللاتنيّة بدل الحروف العربيّة ما وظّف في اللغة التّركيّة الحديثة عدد كبير من الكلمات الغربيّة خاصّة من اللغة الفرنسيّة. كما انحصر استعمال التّركيّة جغرافيا فبعدما كانت لغة متداولة في كامل أرجاء الدّولة العثمانيّة أصبحت محصورة في جمهوريّة تركيا فقط (70مليون متكلّم)، كما أصبحت تكتب بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي منذ سنة 1928م[20].

وهنا نفرّق بين اللغة التّركيّة(الحديثة) واللغات التّركيّة وهي المستعملة خارج الحدود التّركيّة اليوم، أو كلهجات داخلها وهي كثيرة. جدول وضّح عدد الكلمات الأجنبيّة في قاموس اللغة التّركيّة[21]

اللغة	عدد الكلمات	اللغة	عدد الكلمات
اللغة العربيّة	6459	اليونانيّة القبرصيّة (الرّوميّة)	31
اللغة الفرنسيّة	5180	اللغة البلغاريّة	19
اللغة الفارسيّة	1971	لغة مجريّة	19
اللغة الإنجليزيّة	456	لغة منغوليّة	13
اللغة اليونانيّة	425	اللغة اليابانيّة	9
اللغة الالمانيّة	95	اللغة العبريّة	7
لغة لاتينيّة	77	اللغة البرتغاليّة	3
اللغة الرّوسيّة	44	لغة فنلنديّة	2
لغة أرمنيّة	40	لغة ألبانيّة	1
اللغة الإسبانيّة	34	لغة كوريّة	1
اللغة السّوقديانيّة	1	/	/
المجموع		14887	

حيث نلاحظ من خلال الجدول أنّ تأثّر اللغة التّركيّة باللغة العربيّة بلغ (6459) كلمة وتأتي بعدها اللغة الفرنسيّة ب(5180) كلمة ثمّ تأتي اللغة الفارسيّة ب(1971) كلمة في حين يصل مجموع الكلمات الدّخيلة على اللغة التّركيّة (14887) كلمة مع العلم أنّ عدد الكلمات في المعجم التّركي حسب جمعيّة اللغة التّركيّة سنة 2006 يصل إلى(111270) كلمة يستعمل منها بشكل واسع حوالي 5000 كلمة فقط « ويمكن القول بأنّ تأثير هذه اللغات في اللغة التّركيّة جاء من مراحل الفتوحات الإسلاميّة التي قام بها المسلمون الأتراك في المناطق والامصار المختلفة، وكذلك الاستعمار الأجنبي للدولة التّركيّة، وأيضا ألفاظ تكنولوجيّة معاصرة دخلت إلى كثير من لغات العالم، ويظهر من

الجدول ضعف اللغة التّركيّة وعدم متانتها أمام اللغات الأخرى، على الرّغم من اتّساع رقعة الامبراطوريّة العثمانيّة وقدرتها على النّفوذ وبسّط السّيطرة على بقاع شتّى من العالم»[22]

تأثير اللغة التّركيّة في لسان الجزائريّين: إنّ تأثير اللغة العربيّة في اللغة التّركيّة قد ظهر لنا أثره كما سبق، حيث ذكرنا أنّها أكثر اللغات التي اقترضت منها اللغة التّركيّة منذ أمد بعيد حوالي (6459) كلمة وهذا التّأثير واضح وجليّ، وبالتّالي فمن الطّبيعي أن تكون الكثير من الكلمات التي تحسب على اللغة التّركيّة واستعملت في لسان الجزائريّين ذات أصل عربي، ويظهر ذلك في مختلف الجوانب الثّقافيّة والاجتماعيّة للمجتمع الجزائريّ[23]، لاسيما في الحواضر التي سيطر عليها الأتراك (تلمسان قسنطينة، المديّة، الجزائر)، فما يلاحظ من خصوصيّات المطبخ من أطباق وحلويّات وكذلك اللباس التّقليدي ونظام الهندسة والمعمار...وما يستعمل من كلمات تركيّة في قاموسها شاهد على مدى هذا التّأثّر.

التّأثّر في الأسماء والألقاب والحرف: إنّنا نجد الكثير من أسماء الأماكن ذات الأصول التّركيّة في مختلف مناطق الوطن، ممثّلة في أسماء مساجد مثل جامع (كتشاوة) (ساحة/savaş العنز/ keçi) جنان البايلك (Baylek) وتعني مقاطعة وهي ترادف الدّولة، وكثيرا ما نسمع (تاع البايلك) أيّ ملك عام، ووادي التّرك، عين التّرك وأسماء مدن مثل صالح باي وأسماء شوارع وقصور خاصّة في العاصمة الجزائر ...وهي كثيرة جدا، كما نجد في منظومة التّسميّة الجزائريّة الكثير من الأسماء تحيل إلى الأصل التّركي لأصحابها[24] والتي تحتفظ بها منظومة الحالة المدنيّة وسجلات الأرشيف من عقود المحاكم والإدارة وغيرها كلّها تعكس لنا بوضوح وجوداً لامتزاج فعلي–لكنّه بطئ – بين العثمانيّين (الاتراك) والجزائريّين (الأمازيغ والعرب) ومن هذه الألقاب التّركيّة وهي في الأغلب نسبة للبلاد الأصلي نذكر:

لقب: الزّميرلي، الزّمرلي، الإزمرلي لزميلي، الزّميرلي نسبة إلى مدينة أزمير التّركيّة والتي كان يوجد بها ميناء عن طريقه جاء أغلب الأتراك (الانكشاريّة خاصّة).

لقب: القريتلي، الإقريتلي، الغريتلي، لكريتلي نسبة إلى جزيرة كريت.

لقب:السّطنبولي، السّلانبولي، الصّطنبولي، نسبة إلى مدينة إسطنبول.

لقب الرّوميلي، الرّومالي، نسبة إلى مدينة الرّوملي بالأناضول.

لقب: رودسلي، نسبة إلى جزيرة رودس (توجد باليونان حاليا).

لقب: غرناوط، أرنؤوط، غرنوط، نسبة إلى ألبانيا.

لقب: القرابصي، القبرسطي، نسبة إلى قبرص.

لقب: بوشناق، نسبة إلى البوسنة.[25]

إنّ هذه النّماذج لا تمثّل سوى عيّنة صغيرة من الأسماء والألقاب ذات الأصل التّركي الموجودة في الجزائر، وهي متداولة بين السّكان وستبقى كذلك، بحكم استمرار سريان اللقب على عقب من يحمله.

كما نجد من الكثير من أسماء الحرف والتي تنتهي باللاصقة جي (ci) مازال الكثير منها مستعملا في لسان الجزائريّين مثل:

-قهواجي: بائع القهوة -حلواجي: صانع الحلوة

-باش تارزي: أصحاب الطّرز والخياطة -حمّامجي: صاحب الحمّام

-البوجاقجي أو البلغجي: أيّ صانع البلغة(pabuç)(بابوش/ج) -خزناجي:صاحب الخزينة

-القنداقجي: صانع أعقاب البنادق. - صابونجي: بائع أو صانع الصّابون

-فخّارجي: صانع الفخّار -قطرانجي: بائع القطران

- قمّارجي: كثيرة القمار -سكارجي: مدمن الخمر

مقفولجي: مصلح الأحذيّة

إنّ الكثير من هذه الحروف لم تعد موجودة نتيجة للتطوّر الحضاري اليوم غير أنّه ما يزال بعضها مستعمل حتى الآن بسبب بقائه ووجوده مثل: القهواجي، كما نلاحظ أنّ الجزائريّين أصبحوا إذا أردوا النّسبة إلى الحرفة يظفون اللاصقة (جي) مثل ساعنجي: مصلح السّاعات، سفانجي: بائع الفطائر(السّفنج)...وهذا قياسا على اللغة التّركيّة.

كما نجد الكثير الكلمات المتداولة في الحياة اليوميّة وبكلّ عفويّة، تعود إلى اللغة التّركيّة وهي كثير نعدّد منها:

الكلمة التّركيّة	الكلمة العربيّة	الكلمة التّركيّة	الكلمة العربيّة	الكلمة التّركيّة	الكلمة العربيّة
belki	بالاك /ربّما لكن	Tepsi	طبسي/ صحن	daqem	داقم/ من سني
zavalli	زوالي/ جائع	bekküs	بكّوش / أبكم	derbüka	دربوكة/ طبلة
tencere	طنجرة/ قدر	bellar	بلار/ زجاجة	düş	دوش/ حمام
Şune	شني؟/ ماهذه	burak	بوراك/ أكلة معروفة	Zbentöt	زبنطوط/ أعزب
kasaba	قصبة/ قريّة	büqal	بوقال/ جرّة	setla	سطل/إناء الوضوء
düzen	دوزان/ أدوات	harda	هردا/ خردة	tabona	طابونة / موقد
Dövdü	دفدف/ يضرب	hisa	خيشة / كيس	türşi	طرشي/ فلفل حار

هذه بعض الأمثلة والنّماذج ويوجد الكثير منها مستعمل في اللغة اليوميّة للجزائريّين[26] وهي تحتاج إلى جمع ودراسة.

إنّنا نلاحظ اليوم أنّ توظيف اللغة التّركيّة في لسان الجزائريّين، لا يعدّو استعمالا لكلمات ومفردات فقط تتخلل الكلام العادي، مع الإشارة إلى أن الكثير من هذه الكلمات تسير في طريق الانقراض بحكم تجاوز الزّمن لها ولأسباب أخرى.

اللغة التّركيّة الأفاق والتّطلّعات: إنّ ما تعرفه تركيا اليوم من نهضة وتقدّم في مختلف المجالات ومنها المجال الاقتصادي، وما تقوم به من جهد في سبيل إثبات

مكانتها خاصّة الجانب الإعلام، قد جعل الكثير من الشّباب يقبلون على تعلّم اللغة التّركيّة ودراستها لعدّة أسباب نذكر منها:

السّياحة: إذ تعدّ تركيا اليوم من أهمّ الوجهات السّياحيّة المفضّلة لمختلف السّيّاح في العالم ومنهم السّيّاح الجزائريّون، الذين يقصدونها إمّا للتّنزّه أو للتسوّق أو للعلاج.

الدّراسة والتّكوين: حيث توجد بتركيا اليوم عدّة جامعات مرموقة ومحترمة تستقبل الطّلاّب من مخلف أنحاء العالم وتقدّم تكوينا محترما، لذلك يوجد اليوم إقبال واسع على تعلّم اللغة التّركيّة عند الشّباب قصد مواصلة الدّراسة والتّعلّم.

التّجارة والاقتصاد: إذ تعدّ تركيا اليوم قوّة اقتصاديّة معتبرة لما تعرفه من استقرار سياسي وتركيز على الاقتصاد، جعلها قبلة لأصحاب الأموال والتّجار للاستثمار والتّجارة، حفزهم على ذلك ما يجدونه فيها من تسهيلات إداريّة وجمركيّة.

كما أسهمت القوّة الإعلاميّة التّركيّة في تقديم نموذج جاهز في مخيّلة الكثير من الشّباب، يرونها فيه بلاد العيش الكريم والحياة السّعيدة. وهذا ما يعكسه لنا الاقبال العالي على تعلّم اللغة التّركيّة عند الشّباب في المدارس الخاصّة أو مراكز التّعليم المكثّف للغات.

إن كون تركيا قد كانت يوما ما مركزا للخلافة الإسلاميّة يجعلها دوماً تحظى بمكانة خاصّة، نظراً لأنّ جلّ الأرشيف التّاريخي والحضاري لأغلب دول العالم الإسلامي موجود بها وأغلبه مكتوب باللغة التّركيّة لكنّ بالحرف العربي وهو يحتاج للقراءة والتّمحيص وهذا عامل يجعل الجمع بين اللغتين أو التّقريب بينهما أمراً ضروريّاً لاسيما للباحثين لذلك نلاحظ إقبالا كبيرا عند الأتراك لتعلّم اللغة العربيّة اليوم كذلك وحتى وإن اختلفت اللغة وبعدت الجغرافيا تبقى رابطة الدّين والتّاريخ أكبر جامع ويجب استثمار أيّ شيء لتقويتها.

الهوامش:

[1]- لسان العرب، ج، ص:

[2]– القاموس المحيط

[3]–علي بن محمّد الجرجاني، التّعريفات، مكتبة، لبنان، ناشرون، 2000، ص:56.

[4]– القاسمي علي، التّداخل اللغوي والتّحول اللغوي، مجلّة الممارسات اللغويّة، مخبر الممارسات اللغويّة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد1، 2010، ص: 77.

[5]– فوزيّة طيب عمارة، التّداخل اللغوي دراسة في المصطلحات والمفاهيم، مجلّة أقلام الهند (مجلّة الكترونيّة)، العدد:1، 2018، aqlamalhind.com

[6]– المرجع نفسه، ص:86.

[7]– أحمد مختار عمر، اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة ط4 1983، ص:81.

[8]– انظر أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النّهضة المصريّة، مصر، دط، دت ص:92

[9]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربيّة، الجزائر، ط1، 1931، ص:26.

[10]– المرجع نفسه، ص:85.

[11]– من الذين برعوا في العربيّة من البربر نذكر: ابن معطي الزّناتي الزّواوي صاحب الألفيّة ونذكر: ابن آجروم صاحب الأجروميّة.

[12]– نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائريّة وردود الفعل الجزائريّة خلال العاشر هجري السّادس عشر ميلادي، أشراف، ناصر الدّين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2001–2002 ص:24.

[13]–كتاب الجزائر، ص:32.

[14]– هذه هي الجزائر، ص:68–69.

[15] –نظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1 1998 ج2، ص:9.

[16]– «حسب السّفارة التّركيّة في الجزائر هناك ما بين 600.000–700.000 شخص من أصل تركي يعيش في الجزائر، إلاّ أنّه، حسب السّفارة الفرنسيّة فعدد الأتراك في الجزائر حوالي 2 مليون شخص. عام 1953، اقترح صبري حمزتلي بأنّ الأشخاص من أصول تركيّة يمثّلون 25% من إجمالي السّكان بالجزائر. ومع ذلك، ففي تقرير أكثر دقة صدر عن جماعة اكسفورد للأعمال

عام 2008، أنّ الأشخاص ذوي الأصول التّركيّة يشكلون أكثر من 5%من إجمالي سكّان الجزائر تبعاً لهذا التّقرير، في عام 2006، كان عدد سكّان الجزائر 34.8 مليون نسمة ممّا يجعل الأغلبيّة التّركيّة تشكّل حوالي 1.740.000 نسمة. في مقال بصحيفة **زمان** نشر في 2007 أنّ الأتراك يشكّلون 10% من إجمالي سكان الجزائر والبالغ عددهم 33.3 مليون نسمة، أيّ 3.300.000 شخص من أصل تركي في 2012، قدر المكتب الوطني الجزائري للإحصاء أنّ العدد الإجمالي لسكّان البلاد 37.1 مليون نسمة.» الموسوعة الحرّة ar.wikipedia.org

[17]– قدور نبيلة، التّداخل اللغوي بين العربيّة والفرنسيّة وأثره في تعليميّة اللغة الفرنسيّة في قسم اللغة العربيّة وآدابها، رسالة ماجستير، إشراف، د: صالح خديش، جامعة قسنطينة، الجزائر 2006، ص:20–21.

[18]–العائلة الالطّائيّة تنتمي إلى المجموعة الأناضوليّة(Anatolian) والتي تتمثّل في«مجموعة من اللغات البائدة التي استخدمت حوالى 200ق.م. في المناطق المعروفة اليوم بتركيا وسوريا وتعدّ الحثيّة (Hittite) أكبر لغة في هذه المجموعة .وفي سنة 1905 م كشفت الحفريات قرب القريّة التّركيّة بوغازكوي عن أرشيف الأمبرطوريّة الحثيّة الذي هو عبارة عن ألواح بخطوط مسماريّة. وحسب المؤرّخين فإنّ هذه الحضارة ازدهرت من 1700ق.م حتى 1200 ق.م. وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأنّ الحثيّة لغة شقيقة للهندو أوربيّة وليست بنتها كما بدا ذلك لبعضهم من قبل» انظر: أحمد مومن، اللسانيات النّشأة والتّطور، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر، ط4، 2008 ص:107.

[19]– المرجع نفسه، ص:111.

[20]– مع هجر الأتراك للحرف العربي في الكتابة ظهر جيل جديد أصبح يعيش قطيعة حضاريّة بينه وبين تاريخه لأنّ التّراث التّركي الحضاري الأدبي والعلمي والتّاريخي (الأرشيف العثماني خاصّة) كلّه كان مكتوبا بالحرف العربي، واليوم نشهد العودة إلى كتابة اللغة التّركيّة بالأحرف العربيّة مرّة أخرى، من خلال دعوة الرّئيس التّركي (رجب طيب أردغان) إلى ذلك سنة 2014م وبدايّة تمدرسها في المدارس، والنّموذج التّركي في التّعامل الرّسمي مع اللغة مثال واضح على العلاقة بين الإديولوجيا واللغة.

[21]– موقع جمعيّة اللغة التّركيّة (Türk Dil Kurumu) وهي الجمعيّة أنشئت سنة 1932 بهدف تجديد وتطوريّة اللغة التّركيّة وكان ذلك بتوجيه من الرّئيس التّركي كمال أتاتورك. كما نلاحظ من خلال الجدول عدم ووجود أيّ كلمة بربريّة (أمازيغيّة) رغم تواجد الأتراك (العثمانيّين) في شمال

افريقيا (ليبيا، تونس، الجزائر، مصر موطن الأمازيغ) لمدّة طويلة وبالتّالي نطرح السّؤال التّــالي: هل صحيح أنّ اللغة التّركيّة لم تأخذ أيّ كلمة من كلمات هذه اللغة أمّ أنّ الأمر يعود إلــى عــدم التّدقيق في رصد الكلمات البربريّة (الأمازيغيّة) لسبب أو لآخر. وما جعلنا نطرح هذا السّؤال هو ملاحظة وجود كلمة(جيجيقا) والتي تعني (الزّهرة) في اللغة الأمازيغيّة (اللهجة القبائليّــة) والتــي نجدها بنفس النّطق ونفس المعنى في اللغة التّركيّة كذلك (çiçek) ؟

[22]– تيسير محمّد الزّيادات، سميرة ياير، التّأثير والتّأثر اللغوي بين اللغة العربيّة والتّركيّة مجلّــة الدّراسات اللغويّة والأدبيّة، الجامعة الإسلاميّة بماليزيا، العدد1، 2014، ص:10.

[23]– حيث هناك الكثير من الأمثال والحكايات النّكت مرتبطة بالتّأثير التّركي، ومنها ما نسيَ أصله وأصبح يُفهم على غيره ومثال ذلك:(طز) التي يعتقد الكثير اليوم أنّها ذات معنى سيّئ (من ألفــاظ اللامساس) في الحقيقة هي كلمة تركيّة (tüz) تعني الملح وأنّه قديما لما كــان السّــكّان العــرب يبادلون القمح بالملح وعند مرورهم على بوابات المراقبة العسكريّة العثمانيّة يسألونهم عن الأشياء التي معهم فيقولون: طز طز يقصدون ملح ملح فيسمح لهم بالمرور وكثيرا ما يبقي يردّد الجنــدي العثماني هذه الكلمة بعفويّة منه ولا مبالاة، لتتحوّل الكلمة اليوم إلى معنى أخر قبيح وسيّئ، وهــي منتشرة في كامل الرّقعة التي انتشرت فيها الدّولة العثمانيّة (بلاد الشّام الجزيرة العربيّة مصر) قد أشتهر بهذه الكلمة الزّعيم الليبي معمّر القذافي رحمه الله.

[24]– حيث أنّ الكثير من أفراد الجيش الانكشاري قد اندمجوا في المجتمع الجزائــري وصــاروا جزءا منه، انظر: جميلة معاشي، الانكشاريّة والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهايّة العهــد العثمــاني رسالة دكتوراه تاريخ، إشراف د/ كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، 2007/2008 ص:192.

[25]– انظر: المرجع نفسه، ص، ن.

[26]– جمع الدّكتور أحمد ابن شنب الكثير منها في كتابه: Mots Turks et Persans conserrves dans Le parler Algerin ,ancinne Maison Bastide joudan ,jues carbonel,1922.

مصطلحات التعايش اللغوي
بين المرجعيات النظريّة والتأسيس التطبيقيّ.

أ. هشام فرّوم.

أ. محمّد رضا بركاني.

جامعة باجي الشّاذلي بن جديد -الطّارف.

المداخلة: يمثّل التّعايش اللغوي في الجزائر رهانا وتحديا يواجـه المجتمـع بكـلّ طوائفه وبكلّ مستوياته العلميّة والثّقافيّة دون استثناء، وحتّى لا يُساء فهم هذا المشـروع الفتي فينقلب التّكامل والتّعايش بين اللغات (عربيّة وأمازيغيّة وأجنبيّة وحتـى اللهجـات المختلفة) إلى صراع وتنافر، لابدّ من ضبط هذا المصطلح ومتعلّقاته ضبطا دقيقا علـى المستويين النّظري والتّطبيقي، وهذه خطوة منهجيّة مهمّة جـدا خصوصـا فـي ظـلّ الفروقات المهمّة بين هذه اللغات، وفي ظلّ عدم الارتياح من هذا المشروع عند بعـض الفئات المتعصّبة لهذا أو لذاك.

على هذا الأساس سنحاول من خلال هذه الورقة البحثيّة تقديم المقـولات النّظريّـة والأطر التّطبيقيّة لمصطلحات التّعايش اللغوي آخذين بعين الاعتبار خصوصيّة الواقـع اللغوي في الجزائر حتّى يكون الكلام منسجما ومتناسقا مع هذا الواقع.

<u>أوّلا: مصطلح التّخطيط اللغوي</u>: تطلق تسميّة التّخطيط اللغوي على "التّطبيق الفعلي لسياسة لغويّة بعينها، كما يمكن تعريفه على أنّه البحث في الاسـتراتيجيّة البيداغوجيّـة اللغويّة عامّة، وفي تعليم اللغة والوضع والاصطلاح اللغوي وتعليم اللغـات لأغـراض وظيفيّة محدّدة على أن يتم ذلك في إطار السّياسة اللغويّة العامّة للدولة"[1]، أي إنّها تـتمّ ضمن مشروع لغوي في إطار المعرفة اللسانيّة بكل مستوياتها. هذا فضلا عمّا يقتضيه من ضرورة الوعي بالمجتمع الموجه إليه، كلّ ذلك وفق الإطار الفلسفي العـام الـذي

ترسمه الدّولة "لأنّ الدّولة وحدها هي التي تمتلك السّلطة والوسائل التي تمكّنها من الانتقال إلى مرحلة التّخطيط وانجاز اختياراتها السّياسيّة"[2]، ويتّخذ التّخطيط اللغوي عدّة مظاهر منها: وضع استراتيجيات لغويّة وفق فرضيات مستقبليّة "ففي المخابر يحلّل اللسانيون الأوضاع واللغات ويتولون وصفها ويضعون الفرضيات والمقترحات ويجرون الاختبارات ويطبقونها"[3].

1- اهتمامات التّخطيط اللغوي ومظاهره: إنّ الملاحظ لاهتمامات التّخطيط اللّغوي ومظاهره يجدها كلّها ذات طابع عملي وظيفي؛ لكونه نشاط يتم خلاله وضع الأهداف واختيار الوسائل، والتّكهن بالنّتائج بصورة واضحة ومنظمة، ويتركّز التّخطيط اللغوي على المشكلات اللغويّة من خلال اتخاذ القرارات بالنّسبة إلى الأهداف البديلة[4] وذلك فيما يتعلّق- مثلا- بإنشاء الدّورات التّعليميّة للغات كتعليم رصيد لغوي معيّن أو مجموعة من التّراكيب لغرض وظيفي محدّد سلفا، كأن يكون غرضا سياحيا أو تجاريا أو تواصليا...الخ من الأغراض الوظيفيّة، وفي هذه الحالات: هل يتم دراسة العيّنة كبارا هم أم صغارا؟، وهل اللغة التي سيتعلّمونها لغة ثانيّة أو ثالثّة؟، ومعرفة ثقافتهم وتحديد الهدف التّعليمي الذي نعمل في ضوئه على اختيار الرّصيد اللغوي والتّراكيب اللغويّة التي يحتاجها المتعلّم.

2- **التّخطيط اللغويّ والمشكلات اللّغويّة:** فالتّخطيط اللغوي يستلزم الاختيار الصّحيح من بين خيارات متعدّدة، ويهدف إلى حل المشكلات وبالتّالي يساعد المسؤولين على اتخاذ القرار المناسب للمشكلات اللغويّة التي تعترّض المجتمع، وبذلك فإنّه في بالغ الأهميّة لما يحقق من نتائج ميدانيّة مضبوطة ومحدّدة الأطر النّظريّة والمنهجيّة في المجالات التي لها علاقة باللغة، كالمجالات الحضاريّة والثّقافيّة والإيديولوجيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة...وقد اشترط الباحثون على من يقوم على تخطيط السّياسات التّربويّة والتّعليميّة عليه أن يكون عارفا بآخر ما توصّلت إليه اللسانيات النّفسيّة واللسانيات التّربويّة، واللسانيات التّطبيقيّة وطرائق تعليم اللغات.

3- التّخطيط اللّغويّ والمواقف التّعليميّة: ولكن هذه اللغات المشتركة تتداخل ألفاظها ومفرداتها لأسباب وعوامل مختلفة تسعى اللسانيات الاجتماعيّة إلى رصدها ودراستها في جميع مستويات اللغة واستعمالاتها في مختلف المجالات والمواقف والسّياقات، لا سيما المواقف التّعليميّة؛ والتي تتوحّد فيها اللغة الرّسميّة ألا وهي اللغة العربيّة الفصيحة ولهذا وجب أوّلا تتبع وتحديد مراحل اكتساب هذه اللغة قبل وبعد التّمدرس وتحديد ما هي الظّروف التي تتحكّم فيها.

1.3-التّخطيط اللغوي وتأثيره على اكتساب اللغة قبل التّمدرس: يكون الطّفل في هذه المرحلة مرتبطا ارتباطا وثيقا بأمّه؛ حيث تعمل هذه الأخيرة جاهدة على إكسابه رصيدا مهما من اللغة في ابسط كلماتها، وقد أثبتت الدّراسات أنّ الطّفل يتأثّر بهذه الكلمات الأوّليّة في سن مبكرة، فهو عندما يبكي فإنّه يريد أن يعبّر عن استيائه من شيء ما، أو حتى عندما ينادي "ماما" فهو يريد تكوين جملة، أي "إنّني جوعان أو عطشان يا ماما" ....الخ

يكتسب الطّفل اللغة شيئا فشيئا من خلال احتكاكه بمن يحيطون به، ومن خلال تقليده لكلّ الأصوات اللغويّة التي يسمعها؛ لأنّ اللغة "لا تكتسب بصورة تلقائيّة وليست هبة يضيفها الإنسان لما يملكه بدون مشقة"[(5)]، وإنّما يبذل فيها الإنسان جهدا معتبرا. فالطّفل في بدايات نموه الأولى يكرّر الكلمة عدّة مرّات حتى يتمكّن من نطقها نطقا صحيحا. وفي هذه المرحلة يشترك الأطفال في "خصائص انفعاليّة كالحب والخوف والغضب، وتتعزّز حالات الصّراع من خلال تجربة النّظام أو الانفصال عن الأمّ، ثم استقبال اللغة والحياة، وكذا امتصاص التّقاليد، ومجموع هذه العناصر تصقل شخصيته وتؤكّد على بعض الثّوابت، كالفطرة والبراءة والعفويّة والقدرة على التّجاوب والاستجابة"[(6)]. ولا يقف دور الأمّ في مجرّد الرّعايّة وتزويد الطّفل بالحنان، بل تتعدّاه إلى أكثر من ذلك؛ فكثيرا ما تكون الأمّ هي المدرسة الأولى التي يتلقّى فيها الطّفل تكوينه اللغوي، وإعداده العلمي، فعن طريقها يتسنى له تحصيل مختلف المعارف والعلوم التي يحقّق بها نجاحه وتفوّقه. ولذلك كان على الأمّ أن تعي دورها الحساس في

تنميّة القدرة اللغويّة لدى الطّفل الذي تشرف على تربيته، فهي التي تقدّم لـــه الإجابـــات عن كل الأسئلة التي تخطر بباله، وتشبع فضوله واستفهاماته وتساعد علـــى فهـــم مـــا يستطيع فهمه؛ لأنّ الطّفل يتأثّر بمن حوله فيكتسب الصّفات الحسنة والسّيئة، والعـــادات والتّقاليد ومختلف السّلوكات من المقرّبين له بصفة مباشرة. كذلك المعرفة العلميّة مـــن قراءة وثقافة تنقل بالطّريقة نفسها، جزء منها ينقلها له المجتمع، والجزء الآخـــر ممّـــن يتعامل معهم في مدرسته أو في حيِّه، أو ما يتابعه على التّلفزيون من بـــرامج ترفيهيّـــة وتثقيفيّة وتعليميّة وما يتلقّاه عن طريق أبويه كونهما الوعاء الأوّل والأســـاس لصـــورة الطّفل في المستقبل؛ لأنّ ما يصدر منهما يبقى في ذاكرته على شكل استنتاج وصل إليه بعد أوّل عمليّة بحث يقوم بها في ذهنه، ولهذا كـــان إعـــداد الأمّ مـــن أهـــم الأســـباب المساعدة في تكوين شخصيّة الطّفل الثّقافيّة واللغويّة.

2.3- التّخطيط اللّغويّ وتأثيره على اكتساب اللّغة في المدرسة: عانى عالم الطّفل من تهميش في جميع الميادين الاجتماعيّة والنّفسيّة والأدبيّة، ولم يدخل مجـــال البحـــث العلمي إلاّ مؤخّرا، وذلك من خلال أبحاث ودراسات علماء النّفس والاجتماع حول لغة الطّفل وثقافته، وما يمكن تقديمه من عناصر ثقافيّة ولغويّة. وعـــن الوســـائل المناســـبة لتقديم هذه العناصر بمراعاة الفروقات الفرديّة من قدرات نفسيّة وذهنيّة واجتماعيّـــة... فبمجرّد دخول الطّفل إلى المدرسة يقع في تداخل لغوي بين لغته العاميّة وبين الفصحى التي هو بصدد تعلّمها؛ أي أنّ الطّفل يبدأ في اكتساب لغة مختلفة في بعض مســـتوياتها عن لغته الأولى التي تلقّاها في البيت والشّارع، ولذلك كان لزاما على المختصّين التّنبه إلى هذه الإشكاليّة، ومن ذلك الاهتمام بقاموس المتعلّم اللغوي الـــذي ينبغـــي أن يكـــون مبسّطا ويراعي احتياجات المتعلّمين، عن طريق اختيار الألفاظ القريبة مـــن عـــاميتهم والقريبة من محيطهم وواقعهم، بطريقة ميسرة ومبسطة، وفي هذا الصّدد يقـــول **ابـــن خلدون**: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدا إذا كان علـــى التّـــدريج شـــيئا فشيئا وقليلا قليلا، يتلقّى عليه أوّلا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك البـــاب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوّة عقله واستعدّاده لقبـــول

ما يردّ عليه حتى ينتهي إلى آخر الفنّ وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلاّ أنّهـــا جزئيّة وضعيفة وغايتها أنّها هيأتها لفهم الفنّ...إلى آخر الفنّ فتجرّد ملكته"(7).

إنّ الطّفل يكتسب اللّغة من خلال احتكاكه بأسرته، ثمّ بأفراد مجتمعه إلى أن يصـــل إلى المدرسة، فيعتاد على سماع اللّغة الصّحيحة الفصيحة، وكلّما كان استماعه صحيحا كان استعماله لها كذلك، و"تظهر هذه الخصائص العامّة للّغة، عندما يتعــرّض الطّفــل عن طريق السّماع للاستعمال اللّغويّ في البيئة بحيث يقدّم له هذا السّماع المادّة اللّغويّـــة التي يعمل فيها ملكته الفطريّة، ومن ثمّ يستطيع استعمال تراكيب معقّدة، وقواعد مجرّدة للتّعبير عن أفكاره في سهولة تامّة"(8).

إنّ اكتساب اللّغة عند الطّفل يرتبط ارتباطا وثيقا بنموّه العقليّ، فهو لا يسيطر علـــى كلّ القضايا المتعلّقة بلغته بمجرّد دخوله المدرسة، إذ تكون عمليّة الـــتّعلّم فـــي تطـــوّر مستمرّ ومتواصل كلّما نمت وتطوّرت قدراته العقليّة، واتّسع رصيده اللّغويّ.

وقد أورد المختصّون مجموعة من النّتائج التي من شأنها تعزيز لغة الطّفل في هـــذه المرحلة وهيّ كالآتي:

- ❖ توفير الوقت أمام الطّفل لينمو، وإتاحته الفرصة ليكتشـــف، والحريّـــة ليجـــرّب ويتعرّف؛
- ❖ إتاحة المثيرات الملائمة للنموّ العقليّ وتنميّة الدّوافع لدى الطّفل؛
- ❖ الاهتمام بالإجابة عن كلّ تساؤلاته بما يتناسب وعمره العقليّ؛
- ❖ استغلال بعض هواياته لتقويّة الـــذّاكرة عنـــده، كســـماع الأناشـــيد والأغـــاني والقصص؛
- ❖ مساعدته على عبور الهوّة بين عالمه الخياليّ والعالم الواقعيّ الخارجيّ بسلام
- ❖ الاهتمام بالقصص التّربويّة، وعدم المبالغة في القصص الخياليّة؛
- ❖ تنميّة الابتكار عند الطّفل من خلال اللّعب؛
- ❖ التّشجيع الإيجابي يؤثر في نفسيّته أكثر، ويحثه لبذل جهد أكبر.(9)

وجدير بالذّكر أنّه توجد عدّة تقسيمات أخرى من حيث ضبطها للقدرات حسب الخلفيات المتنوّعة، وهذه التّقسيمات بالغة الأهميّة كونها المرجع في تحديد حاجيّات المتعلّم بمراعاة مستواه ورغباته خلال مراحل التّعليم المختلفة.

بالإضافة إلى مجموعة من العوامل المختلفة التي يمكنها التّأثير على اللّغة والتي تتمثّل فيما يلي:(10)

أ- العامل المكاني: تكاد العوامل الجغرافيّة أن تكون أكثر القوى على وجه العموم تأثيرا في اللغة...حيث إنّ الإنسان يتأثّر بالبلد الذي يعيش فيه، أضف إلى ذلك المناخ وعوامل الطّبيعة تتحكّم في تغير اللغة.

ب-العامل العقدي: إذا كانت البيئة الماديّة تشكّل عالم المتعلّم الحسي؛ فإنّ الإطار النّفسي للطّفل، لا يمكن الحديث عنه، بمعزل عن الدّين؛ لأنّ الدّين شعور، ينشأ بالتّدريج، مع نموّ الطّفل ويزوّده بالمصطلحات اللغويّة الخاصّة بمعتقداته وديانته.

ج-العامل التّاريخي: تؤكّد الدّراسات المعاصرة أنّ شخصيّة الأمّة إنّما تمتد بجذورها إلى الماضي السّحيق حفاظا على هويّة المتعلّم وحفاظا على الاستمراريّة اللغويّة.

د-العامل الاقتصادي: حيث إنّ البناء الاقتصادي وازدهاره ونموّ منشآته يتطلّب مصطلحات لغويّة توافق هذه الانجازات الجديدة.

ه-العامل **السّياسي:** هي التّعبير الظّاهر عن كلّ العوامل والقوى الثّقافيّة؛ لأنّ السّياسة هي التي تترجم كل شيء في داخل المجتمع وفقا للتطورات المتسارعة على السّاحة العربيّة والدّوليّة وما ينجر عنها من تحوّلات لغويّة اصطلاحيّة.

و-العامل اللساني: يحتلّ العامل اللغوي منزلة خاصّة في التّعليم، لا سيما في المراحل الأولى منه، بسبب طبيعة النّموّ في هذه المرحلة، خاصّة في بدايتها -سن السّادسة- لتمضي به النّظم التّربويّة الصّحيحة، لترعى سرعة قراءته، ومدى فهمه، ثم يتطوّر به الأمر أخيرا إلى الاستماع الفنّي، والتّذوق الأدبي.

ثانيا: مصطلح الازدواجيّة اللغويّة: تعدّ الازدواجيّة اللغويّة ذلك الاستخدام المـــزدوج الذي يضمّ مستويين لغويين واحد فصيح والآخر عاميّ، ففي كـــلّ مجتمـــع ولهجاتـــه الخاصّة به، والعاميّة بدورها ليست واحدة فهناك عاميّات متعدّدة في البلد الواحد حتـــى لا يكاد الشّرقي يفهم الغربي، ولا الجنوبي يفهم الشّمالي، فالازدواجيّة اللغويّة إذا مشكلة خطيرة تهدّد العربيّة الفصحى، حتى أنّنا لا نجد أي مجتمع عربي الآن يتحدّث العربيّـــة الفصحى وإنّما اللهجة العاميّة هي المتداولة فيما بينهم.

1-تعريف الازدواجيّة:

أ-لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور "الزّوج: خـــلاف الفـــرد، يقـــال زوج أو الفرد وكان الحسن". يقول في قوله تعالى: "ومن كل شيء خلقنا زوجين"، قال: السّـــماء زوج والنّهار زوج ويجمع الزّوج أزواجا وأزاويج[11].... أمّا فـــي المعجـــم الوســـيط" (زواج) الأشياء تزويجا، وزواجا: قرن بعضها ببعض، وفـــلان امـــرأة وبهـــا جعلـــه يتزوّجها. وقال تعالى في محكم تنزيله: "وأنبتا فبها من كلّ زوج بهيج".

من هذه التّعريفات اللغويّة يتّضح أنّ الازدواجيّة تعني اخـــتلاط الشّـــيء بالشّـــيء الآخر، كاختلاط الجنسين، والازدواجيّة اللغويّة فيها اختلاط بين الفصحى والعاميّة، كما أنّ من المعاني اللغويّة للازدواج التّشابه، والعاميّة تشبه الفصحى على عدة مســـتويات ومن معانيه أيضا الشّيء صار اثنين، والعاميّة مصدر ها ومنبعهـــا الفصـــحى؛ أي أنّ اللغة صارت اثنين فصحى وعاميّة، وبهذا نجد نوعا مـــن التّطـــابق بـــين مـــا يـــراد بالازدواج عند اللغويين وما يراد به عند اللسانيين.

ب-اصطلاحا: يعرفها اللساني الأمريكي شارل فرغيســـون بقولـــه: "الازدواجيّـــة اللغويّة وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللّهجات الرّئيسة للّغة (التي قد تشمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليميّة متعدّدة). إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا مـــن قواعد اللهجات وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبيـــر عـــن أدب محتـــرم سواء كان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضاريّة أخرى

ويتّم تعلّم هذه اللغة الرّاقيّة عن طريق التّربيّة الرّسميّة، ولكن يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتياديّة"[12].

والازدواج اللغوي في نظر (عبد الرّحمن بن محمّد القعود) هو: وجود مستويين في اللغة العربيّة: مستوى الفصيحة، ومستوى الدّارجة، أو مقابلاتها مثل العاميّة واللهجة (في مفهوم بعضهم مع أنّ الأفضل تخصيص مصطلح اللهجة لما يتعلّق بالنّطق)، وما يتضمّنه هذا المفهوم من تباعد بل صراع في بعض المجالات والأذهان.[13] وهو خلاف الثّنائيّة اللغويّة التي تعني استعمال لغتين مختلفتين كالعربيّة والإنجليزيّة مثلا.

ويمكن تعريف الازدواجيّة إجرائيًا بأنّها الاستخدام المزدوج للعاميّة والفصحى حيث يتمّ استخدام العاميّة في الحياة اليوميّة، والفصحى في الحياة الرّسميّة[14] فالازدواجيّة تختلف باختلاف العلوم، ففي علم اللغة النّفسي هي "أن يجيد المرء لغتين معًا إجادة تامّة، لغة الأهل ولغة أخرى، وقد يكتسبهما معًا، وقد يكتسب لغة الأهل أوّلاً:[15].

فالازدواجيّة اللغويّة هي ذلك التعدّد والاختلاف للسان الواحد، معنى ذلك أنّه يكون مستويين لغويين للسان الواحد، الأوّل فصيح يستعمل في التّعليم والإدارات والملتقيات والسّياسة، وآخر عاميّ يستخدم في الشّوارع والمحادثات اليوميّة.[16]

وعليه تبدو أنّ الازدواجيّة اللغويّة تنوعا لغويا أو لسانيا ضمن اللغة الواحدة حيث تبرز الفصحى والعاميّة، أو العاميّات المتعدّدة، فتخصّص الفصحى للاستخدام الرّسمي فيما تخصّص العاميّة للاستخدام العادي واليومي، وهي حالة مستقرّة نسبيا ولكنّها قد تخلق صراعا بين مستويين مختلفين، قد يتحوّل تدريجيا إلى مشكل كبير يهدّد اللغة الرّسميّة، خصوصا في ظلّ أصوات تنادي بضرورة الاهتمام أكثر بالعاميّات على اعتبار أنّها الأداة الأكثر تواصليّة في المجتمع ونخص بالذّكر هنا المجتمعات العربيّة.

2-الازدواجيّة اللّغويّة وأثرها في التّحصيل اللّغوي في المدرسة الجزائريّة: ترتبط طبيعة التّدريس بطبيعة المتعلّم والمادّة المقدّمة للتدريس، ووضعيّة هذه الأخيرة في الاستعمال ومن أجل التّخطيط المحكم للطرائق التّعليميّة كان لابدّ على واضعيها تحليل

واقع اللغة العربيّة ليحددوا الصّعوبات التي لا يجب أن تغفلها الطّرائــق كالاختلافــات القائمة بين لغة الاستعمال ولغة المدرسة، والوقوف عند أبعاد هذه الفوارق بكلّ جديّة.

إنّ وصفا من هذا القبيل يوجب تضافر الجهود للنهوض بمستوى تعليم اللغة العربيّة في بلادنا وتقويمه نظريا ومنهجيا. هذا ما نحاوله من خلال هذه الدّراسة.

على الرّغم من إدراكنا التّام لأهميّة تعليم العربيّة وخطورته؛ إلاّ أنّنــا نتغافــل عن قصد أو عن غير قصد عن حقيقة موضوعيّة ماثلة؛ هي أنّ تعليم اللّغــة العربيّــة الفصحى في المدرسة الجزائريّة ليس في وضع ملائم، بل هو في حالة حرجة؛ بحيــث أصبح يمثّل مشكلة موضوعيّة لا مجال لإنكارها، بل يجب بحثها ومواجهتها.

ففي أيّامنا هذه شهد تعليم اللغة العربيّة انحدارا شــديدا، وأصــبح مألوفــا جــدا أنّ المتخرّج في الجامعة لا يحسن التّخاطب باللغة العربيّة، ولا يحسن الكتابة بهــا بشــكل صحيح يتمشى وقواعدها. بل تعدّى الأمر أن بلغ المنتمين لأقسام اللغة العربيّــة؛ إذ لا نجد بين صفوف الطّلبة إلاّ عدداً قليلاً جدا من الطّلبة القادرين على التّحــدّث أو حتّــى الكتابة بلغة فصحى سليمة راقيّة ومعبّرة عن القضايا المطروحة.

ثمّ تغلغل هذا الإلف في نفوسنا حتّى صار أمرا طبيعيا لا ندرك أخطاره وانســحب هذا على النّظرة الاجتماعيّة حين لا تكون صحة اللغة مقياســا لعلــم أو لفكــر وإنّمــا صارت دليلا على تخصّص ضيق يعيش في غير عصره. وحين ينتهي الطّلاب مــن الدّراسة الثّانويّة يتنفسون الصّعداء لأنّهم تخلّصوا من مقرّرات اللغة العربيّة إلى الأبــد. فــ "الظّاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغويّة هي أنّ التّلميذ كلّما سار خطوة في تعلّــم اللغــة العربيّة ازداد جهلا بها، ونفورا منها، وصدودا عنها، وقد يمضي في الطّريق التّعليمــي إلى آخر الشّوط فيتخرّج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطابا بسيطا بلغة قومه بل قد يتخصّص في دراسة اللغة العربيّة حتى ينال أعلى درجاتها، ويعييه مع ذلــك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان قوميته ومادّة تخصّصه"[17]. فضلا عن عزوف الطّلاب عن الالتّحاق بأقسام اللغة العربيّة في الجامعات فلا يــدخلها إلاّ أصــحاب المعــدّلات الضّعيفة (المضطرون) ليتخرّجوا أساتذة للغة العربيّة، وتكون النّتيجة مســتوى متــدنيا

لأساتذة يوجّهون للتّعليم مباشرة وهكذا تكتمل الدّائرة المغلقة؛ إذ يصبح السّبب نتيجة والنّتيجة سببا، والضّعف لا يلد إلاّ ضعفا.[18] وهكذا لم يسلم من هذا الضّعف حتى طلاّب الدّراسات العليا من المتخصّصين في اللغة العربيّة فضلاً عن غير المتخصّصين. يقول الدّكتور **فخر الدّين قباوة**: "... ولا أغالي إذا قلت، بعد ما شهدته في مختلف البلاد العربيّة من جامعات ومعاهد ومؤسّسات تعليميّة: إنّ الرّسائل العلميّة التي تنتجها أيدي المتخصّصين في علوم العربيّة، وعلم النّحو خاصّة، تنتشر فيها صور اللحن والإحالة في التّعبير، وقل أن تجد ما صفا وخلا وكان معافى من البلاء"[19]. وفي هذا الشّأن كذلك يقول الدّكتور **هادي نهر** (1978): "إنّ لغتنا أصبحت اليوم كمئذنة يلفها الغبار، فالنّاطقون يضيقون بها، ويهربون من قواعدها وتراكيبها، بل إنّ بعض المتعلّمين العرب لا يعرفون تركيب جملة عربيّة سليمة السّكنات والحركات والأذكى من ذلك أنّنا نرى بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربيّة وآدابها لا يدركون فصاحة القول؛ لسانهم يلحن، ومعارفهم اللغويّة على المستويات كلّها لا تتناسب وشهادتهم الجامعيّة"[20]. وفي حقيقة الأمر، فإنّ الشّكوى من تدني مستوى الأداء اللغوي لدى كثير من المتحدّثين باللغة العربيّة قديمة وليست بالحديثة. فقد لحظ **ابن الجوزي** (ت 510) شيوع اللحن في عصره، ممّا دفعه إلى تأليف كتابه "تقويم اللسان"، حيث قال في مقدمته: "إنّي رأيت كثيراً من المنتسبين إلى العلم يتكلّمون بكلام العوام المرذول جرياً منهم على العادة، وبعداً عن علم العربيّة ورأيت بيان الصّواب في كلامهم مبدّدا في كتب أهل اللّغة، وجمعه يثقل عنه المتكاسل عن طلب العلم، فقد أفرد قوم ما يلحن فيه العوام، فمنهم من قصَّر، ومنهم من ردَّ ما يصلح ردّه، فرأيت أن أنتخب من صالح ذلك ما تعمّ به البلوى، دون ما يشذ استعماله ويندر، وأرفض من الغلط ما لا يكاد يخفى"[21]. كما أنّ ما لحظه **ابن منظور** (ت 711) من ذيوع اللحن في العربيّة كان سبباً في تأليف كتابه العظيم: "لسان العرب" إذ يقول في مقدّمته: " فإنّي لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النّبويّة وضبط فضْلها

إذ عليها مدارُ أحكامِ الكتابِ العزيز والسّنة النّبويّة، ولأنّ العالِم بغوامضـــها يعلـــمُ مـــا توافقُ فيه النّيّة اللسانَ، ويُخالفُ فيه اللّسانُ النّيّة، وذلك لما رأيتُه قد غلـــب فـــي هـــذا الأوان من اختلاف الالسّنة والألوان، حتى أصبح اللحنُ في الكلام يعدّ لحنـــاً مـــردوداً وصار النّطق بالعربيّة من المعايب معدوداً، وتنافس النّاس في تصانيف التّرجمانات في اللغة الأعجميّة، وتفاصحوا في غير اللغة العربيّة فجمعتُ هذا الكتابَ في زمـــنٍ أهلُـــه بغيرِ لغتِه يَفخرون، وصنعتُه كما صنع نوحٌ الفلكَ وقومُه منه يسخرون"[22].

ولسنا هنا لعرض حيثيات المشكلة بكل تفاصيلها فلا الوقت ولا المقام يتّسع لذلك؛ إذ ينبغي عقد مؤتمرات وندوات كثيرة تناقش الأمر وترصد أســـبابه المختلفـــة (العامّـــة والمحدّدة) التي تعدّدت منها ما هو نتيجة انتشار العاميّة في الوطن العربي، ومنها مـــا يرجع إلى ثنائيّة اللغة بين المدرسة والبيت والشّارع. ومن الباحثين من يرى أنّ ضعف الطّلبة في اللغة العربيّة إنّما هو بسبب سوء تصميم المناهج المدرسيّة، كمـــا أنّ الكتـــب المدرسيّة ينقصها عنصر التّشويق والارتباط بواقع الطّلبة وحياتهم ومتطلّباتهم، وتـــأخّر أساليب تقويم الطّلبة، وهناك من يقول إنّها تعود إلى المعلّم وتأهيله وطريقـــة تدريســـه ومنهم من يرجعها إلى الطّالب نفسه وعدم جديته ورغبته في إدراك المهارات الأساسيّة في اللغة العربيّة، وهناك من يحمل الإعلام ووسائله المختلفة مسؤوليّة هـــذه الظّـــاهرة الخطيرة. كما أنّ هناك من يعزو الضّعف في اللغة إلى المشهد الثّقافي فـــي الجزائـــر حيث "الهبوط الثّقافي العام، وعدم وجود ارتباط وثيق بمصـــادر التّثقيـــف الرّئيســـة أو الغنيّة وخاصّة المواد المقروءة، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى مختلفة المحاور تتعلّـــق بالحياة الماديّة القائمة، وبالصّراع الفكري والتّذبذب الثّقافي الذي يعيشه المجتمع العربـــيّ والنّقلات والتّغيرات الحضاريّة التي يشهدها"[23].

لقد أظهرت كثير من الدّراسات اللسانيّة المتخصّصة أنّ من أهـــم الأســـباب التـــي يعزى إليها ضعف مستوى المتعلّم في اللغة العربيّة هيمنة اللهجات العاميّـــة الدّارجـــة على الاستعمال اللغوي بشكل تام، فضلا عن استخدام كثير من المعلّمين للهجة العاميّـــة

في التّدريس. و قبل الخوض في تحليل هذه الإشكاليّة ينبغي التّعرف على طبيعة ومميّزات اللهجة -بصفة عامّة- حتى يتسنى لنا بشكل أفضل مواجهة هذه الظّاهرة:

مظاهر العاميّة:

1- تتميّز العاميّة بلهجاتها الكثيرة بطابع المُغايرة النّبريّة والقياس المشترك في البلد الواحد كأن تقول هذه لهجة عنابيّة، تلمسانيّة، صحراويّة...الخ

2- افتقار العاميّة إلى ما لا يُحصى من المصطلحات العلميّة والفنيّة والمفردات المُستحدثة ولاسيِّما العصريّة التي تمليها مستلزمات التّطوّر الحضاري والتّقدم التّكنولوجي لتُستَدرَجَ في قاموس الفصحى تيسيراً لاستعمالها وضرورة انسجامها مع متطلّبات مناهج البحث العلمي والعلوم المُستحدثة.

3- اختلاف اللهجات العاميّة في البلد الواحد باختلاف طبقات النّاس وفئاتهم أي ما يسمّى باللهجات الاجتماعيّة حيث تتشعب لغة المحادثة كلهجة الأرستقراطيين والتّجار والمهن الأخرى والنّساء اللائي ينعزلن عن مجتمع الرّجال، بينما تفتقد هذه الظّاهرة في عرف الفصحى.

4- ندرة المترادفات في العاميّة واقتصار المعنى في لفظ واحد يفي بالغرض المطلوب أو الضّروريّة منها للحديث، بينما تزخر الفصحى بالمترادفات التي لا حصر لها في لغة العرب.

5- قلّة التّدوينات والمنشورات بالعاميّة سواءً المخطوطة أو المطبوعة، واكتظاظ المكتبات بما يقتصر على اللغة الفصحى.

6- عدم تواجد المعاجم والقواميس التي تفي بالغرض المطلوب في العامي -إلاَّ ما ندر ولحاجات خاصّة تقتضيها الضّرورة- بينما معاجم وقواميس الفصحى تغطّي مساحة واسعة في عالم الكتب، وخاصّة ما يتعلّق بالعربيّة الفصحى واللغات الأجنبيّة بسبب ظروف الهجرة والدّراسات الأكاديميّة أو التّعليميّة كما هو الحال في السّويد والدّانمارك والدّول الأوروبيّة الأخرى.

وعليه نقول: إنّ تعلّما ما يتأثّر تأثّرا بالغا بالمحيط اللّساني الذي يتمّ فيه هذا الــتّعلّم لأنّه مهما طال زمن التّدريس لدى المتعلّم للغة؛ فإنّه بعد مضي مرحلة معيّنـــة، تكـــون أغلب إنتاجاته انعكاسا للمحيط اللغوي والطّبيعي[24] الذي عاش فيه الشّـــخص. وهـــذا يصدّق بنسبة كبيرة على المتعلّم الذي غالبا ما تكون إنتاجاته التّعبيريّة ممتزجة بلغتـــين أو أكثر حسب المحيط اللساني الذي يعيش فيه كما هو الشّأن لتأثير اللهجات الجزائريّـــة على تعلّم اللغة العربيّة الفصحى.

ولكي يصل المربّون إلى صياغة طرائق محكّمة وخلق استراتيجيات تعليميّة مناسبة لتعليم الفصحى بالمدرسة الجزائريّة، يقتضي منهم العنايّة الواضحة بمكانة هذه اللّغة في الاستعمال العام لها في المجتمع، ومراعاة الفوارق الأساســيّة بينهـــا وبـــين اللّهجـــات المتداولة في المحيط؛ حيث إنّ الطّفل في الواقع لم ينشأ على ممارسة الفصحى، بل نشأ على ممارسة تلك اللهجات وعلى غرار هذه الفوارق والخصائص المميّــزة للفصـــحى تنظر المناهج التّعليميّة التي تراعي على الدّوام النّواحي التي يتلقّى فيها الطّفل المبتـــدئ صعوبات سواء في المعاني أو المباني مع اللّغة الفصحى.

وهذا يطابق الوضع اللّغوي في الجزائر الذي يتميّز بتنوع ثقافات المجتمـــع ولغاتـــه ويعيش وضعيّة لغويّة معقّدة –شأن باقي الدّول العربيّة– بسبب وجود عـــدّة فضـــاءات لغويّة. فنجد أفراد الأسرة الجزائريّة يستخدمون اللهجات العاميّة فـــي الحيـــاة اليوميّـــة دون تشجيع للأبناء على استخدام الفصحى، لذلك فالعاميّة أو اللهجة هي لغـــة السّـــواد الأعظم في الجزائر، بينما الفصحى تقتصر على الخاصّة؛ أي لغـــة الطّبقـــة المتعلّمـــة وتعتبر اللغة الرّسميّة المعترف بها في إطار مؤسّسات السّلطة وفي المحافـــل الدّوليّـــة والإعلاميّة والتّربويّة والعلميّة والأدبيّة فقط.

وما زاد من سوء الحال تحدُّث المدرّسين في التّعليم العام وحتى الجـــامعي باللّهجـــة العامّيّة، وقد علمتُ من عدّة أشخاص أثق بصدقهم أنّ بعض الأســـاتذة فـــي الجامعـــة يدرّسون لطلبتهم علوم اللّغة العربيّة ومن بينها الأدب باللّهجة العامّيّة، فضلاً عن شيوع التّدريس باللّهجة العامّيّة فيما دون الجامعة.

وربّما ما أعطى العاميّة هذه المكانة هو تحررها من التّقييدات والأحكام اللغويّــة؛ إذ تنطلق على سجيتها الكلاميّة باعتبارها اللغة الشّفهيّة المحكيّة، بينمــا تُحــدّد الفصــحى بأحكام الصّرف والنّحو والألفاظ الدّلاليّة المنتقاة.

لذا يحسن أن نضع في الاعتبار –ونحن نضع آليات ومناهج تعليم اللغة العربيّة– ما حصل التّلميذ عليه من معرفة باللغة من قبل، فيبني برنامج التّعليم خطّته علــى أســاس المفردات التي سبق للتلميذ أن تعلّمها في البيت وفي البيئة، فيبدأ البرنامج مــن منطلــق هذه المفردات ليبني عليها غيرها؛ حيث يقدّم للمتعلّم ما هو مألوف لديه قريب من اللغــة المستعملة، وهو كثير جدا لا يعجز من يتوفّر عليه للاختيار منه، ثمّ نتدرّج بعــد ذلــك خطوة خطوة حتّى يصل الطّفل إلى مستوى ما يمكّنه من حسن الرّبط بين لغته الأصليّة (الدّارجة) وبين ما يتعلّمه في المدرسة. ولا يتسنّى لنا هذا إلاّ من خلال معرفتنا بنظــام الدّارجة حتّى يمكن أن نتنبّأ بأخطاء التّلميذ في الفصحى، وبالتّالي العمل على محاولــة رأب الصّدع بين عادات التّلميذ الآتيّة من الدّارجة وبين قواعد الفصحى.

كما ينبغي العمل على التّقريب بين الفصحى والعاميّة من خلال تهذيب وتثقيف هــذه الأخيرة وردّها إلى أمّها (العربيّة الفصحى) –ما دام من المستحيل تبديلها بالكامل؛ لأنّــه من غير المقبول القول–كما يوهم بعض الباحثين العرب المعاصرين– أنّ هذه العاميّــة ستؤول في زمن ما إلى فصحى ثانيّة للعرب، ويبدو للبعض منّا أنّ مصــير اللهجــات العاميّة منفردة في أقطارها مجتمعة في الأقطار العربيّة كلّها كخصم للفصحى مصــير مغلق محتوم النّهضة العلميّة والأدبيّة وانتشار الجامعات والصّحافة، وأنّ نظام التّعلــيم للأطفال والنّاشئة سيقود العرب ثانيّة إلى لغة موحّدة قريبة من الفصحى التــي تبناهــا القرآن الكريم، وستكون للشعوب العربيّة لغة فصحى حديثة، تؤدّي عنهم مــا يريــدون وتنقل لهم ما يحبّون سماعه.(25) وإلاّ كيف أمكن للعربي فــي العصــر الجــاهلي أن يصطلح على لغة فصيحة مشتركة واحدة رغم الظّروف القاسيّة المتعدّدة وعدم وجــود نصوص مكتوبة شعريّة كانت أم نثريّة، ولا يستطيع هذا العربي اليوم أن يتمسّك بلغــة فصيحة واحدة ليضطر إلى خلق لغة فصحى ثانيّة؟

وليس الهدف من هذا الإجراء هو خلق لغة ثانيّة تكون خصما للغة العربيّة الفصيحة وإنّما هو إجراء تعليمي محض حتى يكون هناك رابط منطقي بين الملكة اللسانيّة الأولى للطفل وبين ما يتعلّمه في قاعة الدّرس (اللغة العربيّة الفصحى) وبالتّالي يكون التّعليم تدريجياً ومتكاملاً كي لا يشعر الطّفل بالغرابة إزاء ما يتعلّمه، وبالانفصال بين اللغة المستعملة في البيت والشّارع وبين اللغة التي يدرسها ومنه يجد لهذه اللغة مكانة في حياته وبيئته.

ولا ننكر أبدا ما في هذا الإجراء من صعوبة بالغة؛ إذ أنّ تفصيح العاميّة يطرح إشكاليّة شبه مستحيلة تتمثّل في تلك المحاولة التّعسفيّة لوضع ملكة لسانيّة فرعيّة مكان ملكة لسانيّة أصليّة، مع أنّ العاميّة لا تخلو ضمنيا من هذه الملكة اللسّانيّة الأصليّة بل يستحيل أن تقوم لها قائمة تواصليّة دونها، بينما عمليّة الاكتساب تكون مواتيّة لأنّ المكتسب له مخزون من الاستعمالات الأساسيّة ذات الصّلة الوثقى بكلّ مستويات الملكة اللسانيّة الأصليّة.

ونتيجة لهذا؛ فإنّ المكتسب المعاصر منذ ظهور العاميّات يقتضي استعمالاته من ملكتين لسانيتين متداخلتين ومتضامتين والغرابة بالنّسبة لهذا المكتسب تكمن فقط في كيفيّة التّلقي لكلّ منهما باعتبار الواحدة محكيّة والأخرى مكتوبة، لكن هذه الغرابة التي ليست للفرد عليها سلطان تقابلها ألفة نموذجيّة ضمنيّة كامنة في الاستعمال والعقل اللغوي.

وبعد؛ فلم يكن هذا العرض كي نوحي باليأس في أحوال تعليم اللغة العربيّة في الجزائر، ولكن كي نبرز القضيّة باعتبارها قضيّة جوهريّة للجزائر وللعالم العربي ونحن نؤكّد أنّ الحلّ لا يستطيع أن ينهض به فرد، ولا جماعة، وإنّما لابدّ له من مؤسّسة على مستوى عال، تزوّد بإمكانيات ماليّة وبشريّة تمكّنها من النّهوض بالإشراف على تعليم العربيّة، وليس ذلك بكثير على لغة اختارها الله لسانا لدينه الخاتم.

المقترحات:

1- وضع منهج علمي بما يفرض تخطيطاً حقيقياً، وتكاملا في مصادر تعليم اللغة وتكاملا بين البحث والمادّة وبين المادّة والممارسة.

2- ضرورة الزّام المدّرسين -(ولا يستثنى من هذا الإجراء ذوي التخصّصات العلميّة والتّقنيّة)- وخاصّة مدرّسي اللّغة العربيّة شرحَ الدّروس والتّحدُّثَ إلى الطّلبة باللّغة العربيّة الفصحى السّليمة من اللّحن وأخطاء النّطق، والابتعاد عن الشّرح والتّحدُّث باللّهجة العاميّة؛ لأنّ الطّالب يتعلّم اللّغة ويتشرَّبُها من إلقاء مُدرّسه، وطريقة أدائه للكلام وسلامة لغته، وحسن نطقه للحروف من مخارجها، أكثر ممّا يتعلّمه ويتشرَّبُه من القواعد والمعلومات المسطَّرة.

إنّ من أسباب ضعف طّلابنا في اللّغة العربيّة تحدُّث مدرّسيهم لهم باللّهجة العاميّة وقد علمتُ من عدّة أشخاص أثق بصدقهم أنّ بعض الأساتذة في الجامعة يدرّسون لطلبتهم علوم اللّغة العربيّة ومن بينها الأدب باللّهجة العاميّة، فضلاً عن شيوع التّدريس باللّهجة العاميّة فيما دون الجامعة.

واللّغة الفصحى التي نعنيها وندعو أن تكونَ لغةَ التّدريس في كلّ مراحل تعليمنا هي اللّغة المبسَّطة الميسَّرة التي تُستَعمل فيها المفردات الواضحة، والجملُ القصيرة والتّركيباتُ السّهلة غير المعقّدة. وقد يكون من المفيد أن يستعمل المدرّسَ الكلمات العربيّة الصّحيحةَ المبثوثة في اللّهجات العاميّة -وهي كثيرة-بعد أن يصحّح تحريفَها إن كان فيها تحريف، ويُعيدَ إليها صياغتها الفصيحة، ففي هذا الاستعمال ما يساعد الطّلبة على فهم الكلام واستيعابه، حيث يَسْتَأْنِسون بكلمات كثيرة مألوفة لديهم وفيه ردُّ الاعتبار لكلمات عربيّة صحيحة جَنَت عليها العاميّة بشيء من التّحريف.

3- تقديم طريقة علميّة واضحة ومنهجيّة تعليميّة دقيقة تضمن حسن الرّبط بين المفردات التّي وفرتها و توفّرها اللهجة للطفل في بيئته وبين ما يتعلّمه الطّفل من مفردات تخصّ اللغة الفصيحة، خاصّة وأنّ الدّارجة تحوي كماً هائلاً من المفردات والتّراكيب القريبة جدا من اللغة الفصيحة.

4- تغيير النّظرة إلى التّعليم الابتدائي -باعتباره الرّكيزة- إن أردنا الجديّة في إصلاح تعليم اللغة العربيّة في الجزائر، فنوليه كلّ اهتمامنا، ونختار له أكفأ المعلمين علمًا وأتقنهم لغة، وأكثرهم خبرة بأصول التّربيّة والتّعليم، ونخصّهم بأفضل الرّواتب و نشجّعهم بمختلف الحوافز الماديّة والمعنويّة. وهكذا تفعل الأمم الحيّة والدّول المتحضّرة: تعرف للمرحلة الابتدائيّة أهميّتها، وتقدّرها حقّ قدرها، وتدرك أنّها المرحلة التي تبني الطّفل بناءً علميا ولغويا سليما وتعدّه إعدادا تربويا جيّدا للمستقبل.

يقول الدّكتور (**<u>رمضان عبد التّواب</u>**): "ولقد رأيت في ألمانيا معظم مدرسيّ هذه المرحلة (أي الابتدائيّة) ممّن حصلوا على درجة الدّكتوراه في التّربيّة وعلم النّفس والدّولة تكرّمهم، وتمنحهم أعلى الرّواتب ليعيشوا في حالة استقرار ورضىً، وهي حالة لابدّ منها لكلّ من يراعي الأمانة ويؤدّي واجبه في تشكيل هذه العجينة الليّنة: طفل اليوم ورجل المستقبل... نعم، فهذه المرحلة هي أهمّ المراحل، وهي التي يحبو فيها الطّفل على مدارج القراءة، ويعشق فيها الكتاب أو يكرهه، ويقبل على اللغة أو يمقتها للأبد" . وتركيزنا على هذه المرحلة لأنّها -كما قلنا- لحساسيتها واعتماد المراحل التّعليميّة الأخرى عليها.

وللأسف الشّديد وضع كهذا يكاد ينطبق على واقع تعليمنا؛ إذ لا نعير لهذه المرحلة من التّعليم أي اهتمام، ونضعها في آخر ترتيب المراحل التّعليميّة من حيث العنايّة والرّعايّة، ونعامل معلّمها بأدنى الرّواتب، ونختاره من أصغر المتعلّمين سنا وأقلهم تجربة، وأضعفهم تحصيلا ؟!

5-الإعداد التّربوي والأكاديمي السّليم والكافي لمعلّمي اللغة العربيّة، والتّنويع في طرق التّدريس لمقابلة الفروق الفرديّة، والاهتمام باستخدام مصادر التّعلّم المنوّعة ودمج الطّلاب في أنشطة لغويّة غير صفيّة.

6-تفعيل الدّور المهمّ للأسرة في رعايّة وتنميّة ميول واستعدّادات أبنائها، وإكسابهم مهارات اللغة، وتشجيعهم بقوّة في هذا المجال.

ثالثّا: مصطلح الثّنائيّة اللغويّة: الثّنائيّة ظاهرة لغويّة تعدّ جزءا من علم اللّغة النّفسي[26]، حيث عادة ما يراعى عند دارسة هذه الظّاهرة حالة الفرد أكثر من حالة الجماعة. وقد كان أوّل ظهور لهذا المصطلح عند اليونانيين حيث استخدمه الكاتب اليوناني **أمانويل غوداي** للتعبير عن الوضعيّة اللغويّة المتضاربة التي عاشها المجتمع اليوناني في فترة تاريخيّة معيّنة، وهذا بوجود مستويين لغويين للتواصل هما: كثار فوسا ودموتيكي.[27] والثّنائي من الأشياء ما كان ذا شقين، والحكم الثّنائي ما اشترك فيه فريقان، والمعاهدة الثّنائيّة ما كانت بين أمتين.[28] قال أبو عبيدة: إذا ولدت أوّل ولد فهي بكر، فإنّ ذلك الولد الثّاني فهي ثني.[29]

أمّا تعريف الثّنائيّة على المستوى الاصطلاحي فهي المقابل العربي للمصطلح الفرنسيBilinguisme ونقصد به الشّيئين المتقابلين، حيث تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشّر، والنّور والظّلام، والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتّقابل البعيد بين اللغات المتباينة.[30]أو هي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشريّة معيّنة تتقن لغتين دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلاميّة مميزة في لغة أكثر ممّا هي في اللغة الأخرى.[31]

والتّعريف الأكثر دقّة وشموليّة لهذا المصطلح ما جاء به محمّد الخولي حين قال: "الثّنائيّة اللغويّة هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأي درجة من الإتقان، ولأي مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف من الأهداف"[32].

وعليه فإنّ ظاهرة الثّنائيّة اللغويّة تتعلّق بالفرد كما تتعلّق بالمجتمع، كونها تشمل كلّ الوضعيات التي يتعايش فيها مستويان أو لغتان في بيئة لغويّة واحدة، كما هو الشّأن بالنّسبة لجزء كبير من المجتمع الجزائري الذي يعتمد العربيّة والفرنسيّة كأداة تواصليّة في الآن ذاته.

الهوامش:

---

[1]– علم الاجتماع اللغوي، لويس جان كالفي، ترجمة محمّد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006، ص110.

[2]– المرجع نفسه، ص111.

[3]– المرجع نفسه.

[4]– قضايا السّنيّة تطبيقيّة، دراسات لغويّة اجتماعيّة نفسيّة مع مقاربة تراثيّة، ميشال زكريا المرجع السّابق، ص10، 11.

[5]– محاضرات في علم النّفس اللّغوي، حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط5 الجزائر 2003، ص142.

[6]– الطّفل في الإبداع الرّوائي– دراسة موضوعاتيّة مقارنة، محمّد ديب وغسان كنفاني، نقلا عن: نظيرة الكنز، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة عنابة، الجزائر، 2000، ص39.

[7]– المقدمة، عبد الرّحمان بن محمّد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط5، 1983 ص533.

[8]– اللغة والطّفل، حلمي خليل، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 1986، ص88 ،89.

[9]– تطور اللغة عند الأطفال، نبيل عبد الهادي وآخرون، مرجع سابق، ص77.

[10]– انظر: فلسفة التّعليم الابتدائي وتطبيقاته، عبد الغني عبود وآخرون، مرجع سابق، ص79 وما بعدها.

[11]– ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، مج2، مادة (زوج) ص241–242 . نقلا عن: فوزيّة طيب عمارة، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثّة، العدد الثّالثّ، يوليو، سبتمبر 2018.

[12]– علي القاسمي، العربيّة الفصحى وعاميتها في السّياسة اللغويّة، أعمال النّدوة الدّوليّة للفصحى وعاميتها، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، 2008م، ص37. نقلا عن: فوزيّة طيب عمارة الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثّة، العدد الثّالثّ، يوليو سبتمبر 2018.

[13]– عبد الرّحمن بن محمّد القعود، الازدواج اللغوي في اللغة العربيّة، ومقالتّان مترجمتان إحداهما: أثر اللغة العربيّة على نفسيّة العرب لشوبي والأخرى "الازدواج اللغوي لفرغيسون

مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، ط1، (1417ه-1997م)، ص19. نقلا عن: فوزيّة طيب عمارة، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثّة، العدد الثّالثّ يوليو، سبتمبر 2018.

[14]- علي أسعد وطفة، إشكاليات العربيّة وقضايا التّعريب في جامعة الكويت، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربيّة، كليّة التّربيّة، جامعة الكويت، أغسطس 2014م، ص46. نقلا عن: فوزيّة طيب عمارة، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثّة، العدد الثّالثّ، يوليو سبتمبر 2018.

[15]- جلال شمس الدّين، علم اللغة النّفسي، مناهجه نظرياته وقضاياه، المؤسّسة الثّقافيّة الجامعيّة المؤسّسة الثّقافيّة الجامعيّة للطبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة، 2003، ج1، ص 109. نقلا عن: فوزيّة طيب عمارة، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثّة العدد الثّالثّ، يوليو، سبتمبر 2018.

[16]- الزّغلول، ازدواجيّة اللغة، محمّد راجي، ازدواجيّة اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربيّة وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدّراسات اللغويّة، "مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني" السّنة الثّالثّة، العدد المزدوج 8 ،01 آب كانون أول، 1980م،ص 121-120. نقلا عن: فوزيّة طيب عمارة، الازدواجيّة اللغويّة في اللغة العربيّة، مجلة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثّة، العدد الثّالثّ يوليو، سبتمبر 2018.

[17]- بنت الشّاطئ، لغتنا والحياة، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص191.

[18]- 'بينما تُوجِّهُ الممتازين إلى الشّعب العلميّة، والرّياضيّة، ليتخرّجوا تقنيّين، وفنيّين، لا تتجاوز رسالتّهم الورشات الصّغيرة ! قد تكون جهات أجنبيّة، يهمّها أنْ تنتج مفكّرين محدودين، يسهل استخدامهم، وراء الأمر. فراحت تعمّق الشّك في دور اللغة العربيّة في المجتمع -على عكس ما هو عليه الأمر في الغرب-وأصبح السّؤال عن جدوى دراسة اللغة العربيّة يلاحقنا أينما ذهبنا حتّى من قبل المثقّفين فضلاً عن العوام. ولطالما واجهتُ هذا التّشكيك شخصيًا، بشكلٍ قد يكون أكثر عمقًا، كان ذلك منذ نجاحي في شهادة الباكالوريا، شعبة العلوم، وبعد توجهّي لدراسة اللغة العربيّة كنت أقرأ في عيون زملائي الذين كانوا معي في الثّانويّة، تساؤلاً ساخرًا مفاده: ما الذي حملك على أن تلحق بنفسك كل هذا الأذى؟! أو: من الذي غرّر بك؟! وكأنّ الذين واصلوا الدّراسات الجامعيّة، في شعبة العلوم، قد صنعوا الطّائرات، أو البواخر، أو القنبلة الذّريّة، أو حتّى إبرةً للخيّاطة!'

[19]– فخر الدّين قباوة، المهارات اللغويّة وعروبة اللسان، دار الفكر، بيروت، 1999، ص7.

[20]– هادي نهر، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربيّة، الجامعة التّونسيّة، سلسلة اللســانيات (4). تونس، 1978، ص122.

[21]– جمال الدّين أبي الفرج ابن الجوزي، تقويم اللسان، تحقيق: محمّد العزازي، دار الكتب العلميّة بيروت، ص69.

[22]– ابن منظور، لسان العرب، مقدمة المعجم، ص13.

[23]– أحمد المعتوق، لغتنا ومناهج التّعليم، مجلة الفيصل، العدد (218)، شعبان 1415.

[24]– يرى تشومسكي أنّ اللغة لا تكون طبيعيّة إلاّ إذا جسّدها "المتكلم المستمع المثالي في مجتمــع متجانس"؛ أي أنها تصدر عن (القدرة الفطريّة) عند صاحب اللغة. انظر: ندوة التّعريــب و دوره في تدعيم الوجود العربي و الوحدة العربيّة، منشورات مركز الوحدة العربيّــة، بيــروت، 1982 ص359.

[25]– داود سلوم، دراسة اللهجات العربيّة القديمة، المكتبة العلميّة ومطبعتهــا، لاهــور، باكســتان ومكتبة المنار الإسلاميّة، الكويت، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط1، 1979، ص16.

[26]– إبراهيم صلاح الفلاوي، ازدواجيّة اللغة، النّظريّة والتّطبيق، ص85.

[27] –harems et lanc ; bilingualité et bilinguisme, pierre mordage éditeur, Belgique, 1983, p238.

[28]– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدّعوة، ج1، ص101.

[29]– ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرّســالة، ط2، 1986 ج1، ص163.

[30]– إبراهيم كايد محمود، العربيّة الفصحى بين ازدواجيّة لغويّــة وثنائيّــة لغويّــة، دار النّهضــة المصريّة ط4، 2000، ص40.

[31]– ميشال زكرياء، قضايا السّنيّة تطبيقيّة، ص35.

[32]– محمّد الخولي، الحياة مع لغتين، ط1، جامعة الملك سعود، الرّياض، 1988، ص14.

ازدواجيّة التسامح اللغوي
بين اللغة العربيّة والمْزابيّة المازيغيّة

الاسم واللقب: يوسف باعمارة
جامعة غردايّة

ملخَّص المداخلة: يُعدُّ التعدّد اللهجي والتّفرُّع اللغوي والاختلاف العرقي والتّنوع الثّقافي ممَّا تزخر به الجزائر عمُومًا في مختلف ربوعها الشّاسعة، ويحتفي الجنوب الجزائري خُصوصًا بتعدّد لساني وافر يتجلَّى في حضور اللغة العربيّة والمازيغيّة بمختلف لهجاتها (المزابيّة التّارقيّة، الشّلحيّة)؛ ويُعتبر هذا التّنوُّع سببًا للاستقرار والتّعاضد والتّكامل، ووسيلة من وسائل تحقيق السّلام؛ ذلك أنَّ تقبُّل التعدّديّة اللسانيّة والتّواصل عن طريقها يُفضي إلى بناء الشّخصيّة الوطنيّة، وتجذير الهويّة الجزائريّة وتحقيق الانتماء الحضاري وتجسيد التّسامح اللغوي بواسطة المعرفة والاعتراف والتّعارف والتّواصل الفعَّال فتُكمِّل اللغة العربيّة المازيغيّة وتكمِّل المازيغيّة العربيّة فينتج عن ذلك حمايّة التّنوع الثّقافي بإثرائه واحترام خصوصياته.

وسَنبيِّن في هذه الورقة كيف يقوم التّسامح اللغوي بعمليّة ازدواجيّة لربط أواصر اللغة العربيّة مع رديفها المازيغيّة في لهجتها المْزابيّة، نظرًا للعلاقة الوطيدة بينهما في التّواصل والانسجام، متعرضين للنقاط التّاليّة:

- التّسامح اللغوي والأمن الثّقافي.
- قيم التّسامح اللغوي بين العربيّة والمازيغيّة المْزابيّة.
- خاتمة.
- توصيّات واقتراحات.

نصُّ المداخلة:

1- التّسامح اللغوي والأمن الثّقافي:

أ- **التّسامح اللُّغوي**: تدلُّ لفظة التّسامح (La Tolérance) على الحوار وتقبُّل الآخر والصّفح والعفو وقبول التّنوُّع الإنساني والحضاري والدّيني والاقتصادي والسّياسي والاجتماعي والابتعاد عن العُنف والتّطرُّف وخطاب الكراهيّة، ولقد تعدّدت نظرة الدّارسين إلى موضوع التّسامح وتباينت مواقفهم في تعريفه؛

فعند اللغويين يُختزل على مدلولين:

- السّماحُ والسّماحة بمعنى الجُود؛ وسَمَح وأسمح إذَا جاد وأعطى عن كَرمٍ وسخاءٍ.

- المُسامحةُ بمعنى المُساهَلة، وتَسامحُوا: تَساهلُوا، وسَمَح وتسمَّح فعل شيئًا فسهل فيه[1]؛وعند علماء الشّريعة والعقيدة يتفرَّع تعريف التّسامح إلى قسمين:

- التّسامح مع غير المُسلم: هو التّعامُل مع غير المُسلم وِفق الحكمة واللِّين والمعروف، سواء في ذلك التّعامُل في الخِطاب، أو في مُطلق التّصرُّف[2]؛

- التّسامح مع المُسلم: وهو التّساكن والتّعايُش في إطار رُؤيّة إسلاميّة تحترم حقَّ الآخر في الرّأي والعقيدة والفِكر[3].

وقد وردت تعريفات التّسامح عند عُلماء الاجتماع وخُبراء السّياسَة والفلاسفة بعدَّة مفاهيم منها:

-اتخاذ موقف إيجابي يتفهَّم العقائد والأفكار، ويسمح بتعايُش الرّؤى والاتجاهات المختلفة بعيدًا عن الإقصاء والتّهميش وتقبُّل الاختلاف مع الآخر سياسيًّا ودينيًّا والتّعبير بحريّة رأيه وعقيدته؛ والمتسامح يتنازل عن حقِّه تكرُّمًا ومنَّة على الآخرين يُقابله احترام مُتبادل من النّاس وشُعور بالإيجابيّة[4]؛

- احتمال المرء وعدم الاعتداء على حقوقه الدّقيقة بالرّغم من قدرته على دفعه أو تغاضي السّلطة بموجب العرف والعادة عن مخالفة القوانين التي عهد إليها

بتطبيقها، وتـرك النّـاس يعـبِّرون عـن آرائهـم بحريّة والامتنـاع عـن نشـر المعتقدات والآراء بالقوة والقسر والزّامها على الآخرين[5]؛

- سُهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التّضييق والتّساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعَدل والتّوسُّط؛ أو هي عبارة عن السّهولة المحمودة فيما يظن النّـاس التّشديد فيه، ومع كونها محمودةً فهي لا تُفضي إلى ضرر وإفساد[6].

نلاحظ من خلال التّعريفات السّابِقة وُجود عـدَّة أنـواع مـن التّسـامح: الـدّيني والاجتماعي والفلسفي والإنساني، وجُلُّها ترمي إلى تحقيق القِيم التّاليّة:

- الجُود وكَرم والسّخَّاء وهي صِفات نبيلة تُجسِّـد الحُـب والتّضـامن والتّعـاون وتُكرِّس فضيلة التّسامح؛ لأنَّها مبنيّة على التّواصل والإكرام والهديّة؛
- المُساهَلة والقصدُ بها اللِّين والحِكمة واللُّيونة في المعاملة والابتعاد عن الغضـب وفُحش القول وكل ما يُسبِّب الصّراع الطّائش الذي يُفضي إلى النّـزاع والبُعـد عـن التّسامُح؛
- الإنسانيّة في التّعامل مع غير المُسلم بحوار الحضارات وتجسيد الحكمـة فـي المعاملة والمعروف في القول والخِطاب؛
- التّسامح مع المُسلم بالتّعايُش في ظلال الإسلام، واحترام الرّأي والرّأي الآخـر المخالِف، والابتعاد عن التّكفير والتّفسيق والجدال العميق
- الابتعادُ عن الإقصاء والتّهميش، وتقبُّل الاختلاف وحريّة الرّأي، والتّنازُل أحياناً مع الآخرين عفوًا وصفحًا؛
- عدم الاعتداء على حقوق الآخرين، والامتنـاع عـن التّسلُّط والتّجبُّر في الرّأي والفِكر والمعتقد؛
- الوسطيّة والاعتدال والتّساهل في المعاملة مع النّاس.

فهذه القِيم والضّـوابط تُمهِّـد لظهـور مفهـوم التّسـامح اللغـوي (**Tolérance linguistique**) الذي يُصنفه النّقاد واللّغويـون إلـى عـدَّة رُؤى وتصـوُّرات كـون المصطلح جديدًا في السّاحة الأدبيّة والنّقديّة والابستيمولوجيّة؛ فمثلما وقع الاختلاف فـي

وجهات النّظر نحو مفهوم التّسامح، وتبلور اتجاهاته كذلك لم يُحدَّد بالضّبط تعريف شامل كامل يُوفّي بالغرض المعرفي للتَّسامح اللغوي، ومع كلّ هذا نلمس اقتراب الباحثين إلى مربط الفرس والنّهل من الحقيقة، وممّا ورد من تعريف في هذا الشّأن نجد:

- هو عدم التّشدُّد في اللُّغة، بالتّسرع في إصدار الأحكام على الكلام بالخطأ الطّفيف الذي لا يُذهب برونق المعنى؛ بل يجب التّساهل في النّظر إلى المعنى مع الأخذ بعين الاعتبار آراء النّحاة وتصويبات اللغويين، ويُقصد بالتّساهل هُنا هو الليونة في تركيب الكلمات وتقديمها وتأخيرها ما لم يتم تشويه المعنى ويصل إلى التّناقض لأنَّ الهدف هو الوصول إلى تأصيل مهمَّة اللغة المنوطة بها وهي الإفهام والتّفاهم والتّواصل[7]؛

- هو مفهوم يدلُّ على عدم رفض التّحدث مع الآخرين باللغة التي يفهمونها بمعنى الابتعاد عن التّعصب اللغوي (**Préjudice linguistique**) وتقبُّل ثقافة الآخر والتّواصل معه باللغة الأم، أو بلغته إن أمكن ذلك، فبهذه الطّريقة يَسلمُ فكر الإنسان من التّطرف والإرهاب وينأى عن ثقافة اللاتسامح ويتواصل مع الآخرين بكلِّ سهولة وأريحيّة[8]؛

- هو تجنُّب التّطرُّف اللغوي والعرقي والاستسلام التّلقائي للعاطفة الزّائدة والتّشنج العصبي، والمزايدة في حب الأنا وكُره الآخر وإقصائه بشكل عام، أمَّا من الجانب اللغوي فإحداثُ الصّلة والقرابة بين اللغات على المستويات التّاريخيّة والأدبيّة والفِكريّة والحضاريّة ، والبحثُ عن مواضع الاتفاق والاختلاف بينها، وإعطاءُ القيمة اللسانيّة لها وإدراكُ وظائفها التّداوليّة والتّواصليّة، والإيمانُ بالتّنوُّع البشري والحضاري والثّقافي الذي يُنتج التّنوُّع اللِّساني، والتّخلِّي عن التّفاضُل اللغوي الذي يُنتج الإقصاء والصّراع والانفتاح بُغيّة المثاقفة والاطلاع[9].

ب- **الأمن الثّقافي**:تُعبِّرُ لفظة الأمن (**La sécurité**) على الاستقرار والطّمأنينة والارتياح من الخوف والهلع والشّعور باستقرار نفسي خالٍ من كلِّ همٍّ ونكَد، ويتفرَّع مصطلح الأمن إلى عدَّة مفاهيم تتعلَّق بعدَّة قطاعات مختلفة كالأمن الغذائي والعسكري والسّياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي:

- فالأمن الغذائي هو توفّر الغذاء بمقدار كافٍ في كلِّ دولة يسدُّ عنها جوعها وحاجاتها العضويّة، حيث تكتفي بمخرجاتها وبمقدَّراتها بدون أن تستعين بالاستيراد من الدّول الأُخرى.

- والأَمْن العَسكري: هو حمايّة الدّولة لمواطنيها من المخاطر والأضرار التي قد تلحق بهم في أموالهم أو أبدانهم أو أعراضهم.

- والأَمْن السّياسي: هو الاستقرار السّياسي في النّظام الإداري للدَّولة وحمايّة شعبها من أشكال التّدهور السّياسي كالقمع، والاستبداد والتّضييق على الحريّات؛ فضلا عن الابتعاد من مُسبِّبات الفِتن والحروب والصّراعات التي قد تُؤدِّي بمواطنيها إلى الهجرة وطلب اللُّجوء السّياسي خارج بُلدانها.

- والأَمْن الاقتصاديّ: هو توفير الدّولة للموارد الأساسيّة لمواطنيها، حيث تُمكِّنهم من العيش في كفافٍ اقتصادي ويُسرٍ مادِّي.

- الأَمْن الاجتماعيّ: هو حمايّة المجتمع من الآفات والجرائم التي تُهدِّد كيان المجتمع وتودِي بأبنائه إلى الانسلاخ والضّياع.

- الأَمْن البيئي: هو استغلال الموارد البيئيّة بطريقة عقلانيّة، وحمايتها من التّلوُّث ومختلف المظاهر التي تُفسد البيئة كرمي الأوساخ والقاذورات في كل مكان.

- الأمن اللُّغوي: هو الاستقرار اللِّساني للغة، وحمايتها من كلِّ ما يُهدِّد وجودها وكيانها، والحذرُ من ضياع قيمتها ومستواها الأدائي، وضمان بقائها واستمرارها.

ووردت لفظة الأمن في القرآن الكريم -وما اشتُقَّ من جذرها اللُّغوي- بعدَّة مدلولات:

– نقيض الخَوف: قال اللَّه تعالى:﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[10]؛

– النّصر: قال اللَّه تعالى:﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[11]؛

– الرّاحةُ النّفسيّة والسّعادة الرّوحيّة: قال اللَّه تعالى:﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[12]؛

أمّا مُصطلح الأمن الثّقافي؛ فقد وردت عنه تعريفات عديدة عند الدّارسين في المجال السّوسيولوجي والأنثروبولوجي والتّاريخي والسّياسي بعدَّة مفاهيم منها:

– هو الشّعور الذّاتي بالانتماء الثّقافي القومي والذي يخلق اطمئناناً للوجود لدى الأفراد المنتمين إلى أمَّة ويخلق لديهم فاعليّة سياسيّة، أي تتحوّل الثّقافة هنا إلى أداة فعل وتغير للعالم فتُأسِّس الوجود الذّاتي للإنسان وللمجتمع وللأمّة عبر زعزعة الوعي بالهويّة الثّقافيّة والانتماء والتّمايز الثّقافي الذي يقوم على أساس التّعايُش وقبول الآخر[13]؛

– هو أحدُ أهمِّ جوانب الأمن القومي ويُمثِّل الحِفاظ على الذّاتيّة والهويّة في مواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الشّخصيّة القوميّة، ويسعى إلى الحفاظ على المكوِّنات الثّقافيّة الأصيلة والأصليّة للإنسان مقاومًا التيارات الثّقافيّة الأجنبيّة المشبوهة الوافدة فهو إذًا تحصينٌ للثّقافة من الاحتواء والاختراق[14]؛

– هو مصطلح ينشَطِرُ إلى كلمتين ذات معنيين مختلفين: هما الأمن والثّقافة فالأمن هو توفير الجو الآمن لتداول الحريات التي نمارسها، ودلالتّه تشير إلى الدّفاع وتوفير الحمايّة المطلوبة. وأمّا الثّقافة فتتضمَّن النّشاطات المتعدّدة التي ينتجها الفِكر عَبر التّاريخ، وتحمل في طيَّاتها اللُّغة والأَفكار والمضامين، وتُعبِّر بعمقٍ عن التّاريخ

البشري والتّجذُّر الحضاري؛ ويهدف الأمــن الثّقــافي إلــى كســر طــوق الحصــار التّكنولوجي والهيمنة الثّقافيّة، ويهدفُ إلى الاعتــزاز بالانتمــاء الحضــاري والهويّــة الثّقافيّة[15].

2- **قيم التّسامح اللغوي بين العربيّة والمازيغيّة المزْابيّة:** يــؤدّي التّســامح إلــى التّرابط والتّلاحم داخل المجتمع في إطار نَسق موحَّد ومُوحِّد بين جميع أطيافه وأعراقه واختلاف مظاهر اعتقاده واديولوجيَّته وتجنب مظاهر العُنف والكراهيّة والتّطرُّف التــي تنتهي بالقتل والذّبح والمجازر الجماعيّة والحروب الأهليّة ويصحبها الصّراع السّياســي والانهيار الاقتصادي والتّشتت الاجتماعي.

وقد ظلَّت اللُّغتان العربيّة والمازيغيّة لصيقتين منــذ زمــنٍ غــابر تحمــلان فــي مضامينهما قِيمًا رفيعة تدعو إلى تحقيق التّعايش والتّسامح بين مختلف أطياف الشّــعب الجزائري وأعراقه واتجاهاته الفِكريّة والأيديولوجيّة المتنوِّعة، وقد وجدنا في دواويــن الشّعراء الجزائريين بالجنوب الجزائري منظومة القيم المتنوِّعة الرّاميّة إلى تحقيق هــذا المسعى؛ إذ تقوم تلك القيم على أُسسٍ متينة مبنيّة علــى المواطنــة والعفــو والسّــلام والإحسان والتّعايُش ونبذ التّفوُّق العنصري أو الاجتمــاعي أو الــدّيني أو المــذهبي أو الثّقافي والابتعاد عن الإقصاء والتّكفير[16].

وفي بحثنا هذا لمسنا ازدواجيّة اللغة العربيّة والمازيغيّة وتحقيقهما للتَّسامح اللغــوي الذي يُجسِّد بالطّبع الأمن الثّقافي؛ لأنَّه يسعى للحفاظ على الأصــالة اللغويّــة والتّنــوُّع اللِّساني في زمن العولمة والانسلاخ والذّوبان؛ وقد اخترتُ اللغة المزْابيّة كفــرع مــن فُروع المازيغيّة لاقتراب الباحث من بيئته من جهة، ولإسهامها في التّواصل الحضاري مع اللغة العربيّة من جهة أُخرى، وتجسَّدت الازدواجيّة اللغويّة والثّنائيّة اللِّســانيّة فــي المواضع الثّلاثَة التّاليّة:

- الأدعيّة والأذكار.
- الأناشيد والأشعار.
- المناسبات.

فالأدعيّة والأذكار تُردَّد بالعربيّة والمْزابيّة المازيغيّة لتحقيق القِيم السّالفة الذّكر ولممارسة نوعٍ من الانغماس اللغوي داخل النّسق الثّقافي الاجتماعي.

وتُغنَّى الأناشيد وتُنشد الأشعار بازدواجيّة العربيّة والمازيغيّة لتبيين التّنوُّع اللغوي وتجسيد الأمن الثّقافي ولربط أواصر ذلك باللحمة الشّعبيّة الجزائريّة وبالوَحدة الوطنيّة.

وتُستعمل اللغتان في مختلف المناسبات الثّقافيّة والاجتماعيّة والدّينيّة لتوصيل الرّسالة وأداء مضامينها المتنوِّعة وزرع الوعي الوطني وتنمية الذّوق الفنِّي باللغة العربيّة والمْزابيّة لدى الجمهور المتلقِّي الذي يحضُر خصِّيصًا لتحقيق هذا المسعى النّبيل.

فمن القِيم التي لمسناها داخل التعدّد اللغوي نجد:

أ* وَحدة الدّين:

يقول الشّاعر عمر بن سليمان بوسعدة:

لسْلاَمْ يُوسَدْ أَدْيزْدِي   ويجِي أدْيَنْكَضْ
أَدِيْجْرُو وِلاَّنْ سْ   فُوسِي دْوِلاَّنْ سْ زَلْمَضْ[17]

يتحدَّث الشّاعر عُمر بوسعدَة عن الدّور الفعَّال للدِّين الإسلامي الذي يُوحِّد الأمَّة ويجعلها متلاحمة كالبنيان المرصوص الذي يشدُّ بعضه بعضا، ويؤكِّد دور الإسلام في جمع الصّفوف المتفرِّقة يمينًا أو شمالا مُستلهمًا فكرته من قول الله عزَّ وجلَّ :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[18] وقوله كذلك:﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾[19] كما يُفنِّد الدّعايات المغرضة التي تبرِّر آراءها المغلَّطة بأنَّ الدّين يُفرِّق الأمَّة أشتاتًا ولا يجمعها بتَاتًا.

وفي السّياق ذاته يقول الشّاعر عبد الوهَّاب فخَّار:

وَغَا يَّخْسَنْ أَمُّو   أَسَزْلَغْ إِغَالنّيكْ

سُ غَجَّارِيكْ اَدْيَشْ   رْنِيغَاسْ آمَنْسِ!

"جَابَرْ" اَدْ "مَالَكْ"   "اَمَازِيغْ" اَدْ "وَعْرَابْ"

تَامَمْتْ آيْ تَزْعَمْ   سَغَ تَّافْ تْلُوسِّ!

آتْ دَانِ دَاتْ دِنَّاتْ   خْسَغْتَنْ ڨَاعْ نْسَنْ

سَ دْجَرْوَنْ دِ"لِسْلاَمْ"   "لِسْلاَمْ" دَ طَّبْسِ[20]

يُصورِّرُ الشّاعر عبد الوهّاب فخَّار في هذه الأبيات ثقافة الحُبِّ والأُخوَّة بين أبناء الشّعب الجزائري الواحد الذي وحَّدَ الإسلامُ صفوفهم وألَّف بين قلوبهم، ويدعو الشّاعر إلى زرع الوئام والسّلام بين النّاس، والوعي بالمرجعيّة الدّينيّة الوطنيّة المتفرِّعة إلى المذهبين الإباضي والمالكي، وقد ذَكر الشّاعر في نصِّه الإمام جابر بن زيد الأَزدي ومالك بن أنَس؛ فالأوّل هو الذي تنتسب إليه الإباضيّة، والثّاني هو الذي تنتسب إليه المالكيّة، ويدعو الشّاعر كذلك إلى الإيمان بالتّنوُّع اللغوي العربي والمازيغي الذي يطبع الجزائر ويميِّزها؛ حيث جمعهم الإسلام تحت لوائه وكان بذلك أشبه بصحن عريض جُمع فيه العَسل والسّمن فأضحى طيب المأكل، حلو المذاق؛ ثمَّ يُصرِّح الشّاعر بأنّه يحب النّاس جميعًا وهي رسالة للملتقي لتعميق الودِّ في أفكاره وتجذير التّعايُش والتّسامح في وجدانه مع بني جنسه ابتداءً ومع البشريّة انتهاءً.

ويقول الشّاعر مفدي زكريّاء:

شربت العقيدة حتى الثّمالة   فأسلمت وجهي لرب الجلاله

ولولا الوفاء لإسلامنا   لما قرّر الشّعب يوما مآله

ولولا استقامة أخلاقنا   لما أخلص الشّعب يوما نضاله

ولولا تحالف شعب وربٍّ   لما حقّق الرّب يوما سؤاله

هو الدّين يغمر أرواحنا   بنور اليقين ويرسي العداله

إذا الشّـــعب أخلـــف عهـــد الإلــــه وخــــان العقيـــدة فارقُـــب زوالــــه[21]

في الأبيات السّابقة اعتراف من شاعر الثّورة التّحريريّة بوحدة الدّين الإسلامي لدى الشّعب الجزائري الذي نصَره الله على أعدائه الغاصــبين المســتدمرين فــي الثّــورة الكبرى؛ فنلمس اعتزاز مفدي بتشبُّع العقيدة الإسلاميّة والوفاء للإسلام والإيمان الرّاسخ القوي بالله عزَّ وجلَّ الذي آواهم وأيّدهم بنصره، وفي ذات السّياق يرى الشّاعر مفــدي أنَّ ترك الدّين وخيانة العقيدة والإعراض عن الله عزَّ وجلَّ سبب لفناء الشّعب وزوالــه وضُعف شوكته.

<u>ب* التّمازُج اللغوي:</u>

يقول مُفدي زكرياء:

وهــــل كــــان بربـــر إلاّ شــــقيقًا لجــــرهم! هــــلاَّ نســــينا الدّروسَـــا؟

إذَا عــــــرَّب الـــــدّينُ أَصْــــلاَبَنَا فَمــــا زَالَ أَحمـــدُ صِـــهرًا لِعيسَــــى[22]

يُقرُّ الشّاعر مفدي زكرياء بالتّمازج اللُّغوي العربي البربري المازيغي الــذي وحّــد شمل الجزائريين تحت ظلال الدّين الإسلامي وجعلهم إخوة أشقّاء تربط بينهم أواصــر الدّم والوطن والتّاريخ المُشترك، وكأنَّه بهذا التّوصيف يُوحي بضرورة التّسامح اللغــوي والتّعايش الاثني في كَنف الوحدة الوطنيّة واللُّحمة الجزائريّة.

ويقول الشّاعر أحمد الامين في الموضوع نفسه:

مـــــــازيغ نحـــــــن أو عـــــرب جزائـــــــــــري هـــــــــي الأرب

فكلّنـــــــــا لهـــــــا انتســـــــب بلحمـــــــــــــة قويَّـــــــــــــه[23]

يصف الشّاعر أحمد الأمين في بيتيه الازدواجيّة اللغويّة والتّمازج اللِّساني والتّنــوُّع الثّقافي العِرقي المازيغي والعَربي الذي يُشكِّل لُحمة وطنيّة قويّــة دعامتهــا الجزائــر الكبيرة التي جمعت أبناءها جميعًا في حضنها دون تفريق أو اختلاف.

وعن التّمازُج اللغوي وازدواجيَّته يقول الشّاعر عبد الوهَّاب فخّار في إحدى حِكمه البليغة:

"السّ نْ تُومزَابْتْ (تْمَازِيغْتْ) دْ السّ نْ تَعْرَابْتْ آنْ تَرْشَاسْتْ نْ فُوسِي أَتَّنِّ نْ زَلْمَضْ مِ تَتْسَدْ إِقّتْ تَازْمَارْتَتش أَتَّصْمَدْ"[24]

معنى هذه المقولة أنَّ اللِّسان المزابي تخصيصًا أو المازيغي عُمومًا يشترك مع اللِّسان العربي في صُنع التّمازج اللِّساني والتّسامح اللغوي من خلال الأداء والاستعمال والتّواصل الحضاري، وقد شبَّههما بالنّعلين اليُمنى واليُسرى اللّتين لا يتخلّى عنهما الإنسان أثناء مشيه، لأنَّ قدميه محتاجتان لنعلين معًا، وإن نقصت إحداهُما فسيحسُّ بالبرد وتأخذ القشعريرة جسده إحساسًا بنقص إحدى النّعلين؛ فكذلك اللُّغتان العربيّة والمازيغيّة لا يقوم المجتمع الجزائري إلا بهما، ولا تتحقَّق المواطنة اللغويّة إلا بالتّواصل بهما، ولا ينتشر التّسامح اللغوي إلا بواسطتهما، فتلاحمهما ضروري لا محالة!

<u>ج* وَحدَة الأَرض:</u>

يقول الشّاعر مفدي زكريَّاء:

وَيَا وَحدةً صهرتهَا الخُطُوبُ ... فَقَامَتْ عَلَى دَمِهَا الفَائِرِ
وَيَا هِمَّةً سَادَ فِيهَا الحِجَى ... فَلَمْ تَكُ تَقْنَعُ بِالظّاهِرِ
وَيَا مَثَلاً لِصَفَاءِ الضّمِيرِ ... يَجِلُّ عَنِ المَثَلِ السّائِرِ[25]

يُخاطب الشّاعِر وطنه الجزائر التي بُنيت على وَحدة أرضها وأصالة عِرضها وقامت هذه الوَحدة على تلاحُم الشّعب الجزائري وتعاونه في المدلهمَّات والخُطوب فكان من نتاجها تفجير الثّورة التّحريريّة والظّفر بفضل تلك الوَحدة بالنّصر والاستقلال ويري مفدي أنَّ الوَحدة تقوم على الهمَّة العاليّة وصَفاء الضّمير؛ إذ تُترك الحزازات والاختلافات جانبًا من أجل أنْ تُأسَّس الوَحدة الوطنيّة على التّسامح والتّعايُش والتّواصل والانسجام الفردي والمجتمعي.

وعن وَحدة الجزائر يقول الشّاعر عبد الوهَّاب فخَّار:

وُونِـــــي أَدْوِنَّـــــاتْ دَانِـــــي أَدِّنَّـــــاتْ أَنْبَـــدْ أَرْجَـــازْ إِقْـــنْ أَوَالْ إِقْـــنْ نَنَّـــاتْ

نَشْـــنِينْ دَلْحَبَّـــاتْ أَمَّـــاسْ وَّرْمُـــونْ تِلْمِيـــتْ تَطْفَـــاتَغْ تِلْمِيـــتْ دَدْزَايَـــرْ[26]

يُصورِّ الشّاعر عبد الوهّاب فخّار وحدة الأرض وتلاحُم الجزائر بحبَّة الرّمان التي تمتلأ حبَّاتٍ مصفَّفة ومرتَّبة في غلاف سائر بها؛ فالحبَّات عبارة عن اختلاف الشّعب الجزائري وتعدّد أطيافه ومناطقه ومدنه وقشرة الرّمَّان هي أرض الجزائر الموحَّدة التي صهرتهم في بوتقتها وجمعتهم في رحابها؛ وبمفهوم المخالفة فإن حبَّة الرّمان ستظلُّ متماسكة ما دامت متَّحدة غير منقسمة، فإن تشقَّقت أو تقسَّمت تشتت حبَّاتها وهذا التّمثيل للشَّعب الجزائري الذي يجب أن يُحافظ على أرضه ووحدة كيانه ويحذّر من التّشتُّت والانقسام لأنَّه يؤدِّي إلى الضّياع والفَناء.

د* التّلاحُم التّاريخي:

يقول الشّاعر عُمر بوسعدة:

مِـــي نَـــدْجُو إِدَشْـــرَا أَمَـــزْرُويْ أَدْيَـــارِي غَفْنَـــغْ

أَيْنِـــي لاَنْ إِضَـــرَّا أَسْـــنَتْ يَـــلاّ أَسَّـــجْنَغْ

نْ شَـــا الله أَنَقَـــيمْ آنْ وَصْـــرَا دَيْـــدْوُ دَهَـــاتِنّغْ

أَنْشَـــمَّرْ فَـــاغْ أَتْـــوَتْرَا أَغْنْيَهْـــدَا يُوشَـــنَّغْ[27]

يدعو الشّاعر إلى التّلاحُم التّاريخي والانسجام الاجتماعي؛ لأنَّ التّاريخ يُسجِّل علينا كلَّ صغيرة وكبيرة؛ ويرى بأنّ كثيرا من الإشكالات الواقعيّة يتسبَّب فيها النّاس بسوء تصرُّفهم وعدم استشرافهم لعواقب الأمور؛ لكنَّ التّاريخ لا يرحم فهو يُدوِّن كلَّ شيء وبالتّالي وجب على الشّعب الجزائري الاتحاد والوحدة فيما بينه وأن يكون مترابطًا كالعقد لا يترابط فيما بينه إلا بتواصل الدّرر وانسجامها مع مثيلاتها، ويختم الشّاعر أبياته بالدّعوة إلى الالتّجاء والدّعاء لله عزَّ وجلَّ أن يحفظ الجزائر ويُديم تواصلها التّاريخي وترابطها الزّمني.

وفي السّياق ذاته يقول الشّاعر الأمين أحمد بن يحي:

فـــــــي المزايــــــــا يتعــــــــدّد
دورة التّــــــــــاريخ تشــــــــــهد
أنَّنــــــــا شــــــــعب الجزائــــــــر
للجزائـــــــــــــــــــــــــــــر
كلُّنـــا فـــي وحـــدة الشّـــعب عَناصـــر
كلُّنـــــا أوتـــــادٍ شـــــعب متـــــآزر
وحـــــدة فـــــي كـــــلٍّ سَـــــلم ومَخـــــاطِر
وحـــــدَةٌ فـــــوق ظنـــــون المتـــــآمِر[28]

فالتّاريخ يشهد للشَّعب الجزائري أنَّه متلاحم ومتوحِّد وهـي إحـدى المزايـا التـي تُحسَب له، وقد أفرز التّلاحم التّاريخي بين عناصر الشّعب التّسامح والتّعايش والوَحـدة والتّآزر والتّعاون في أوقات السّلم والحرب؛ فلم يستطع أعداء الجزائر النّيل من شـعبه أو تفريق لحمته وبقيت وحدته راسخة متجذِّرة رغم المتآمرين والحاقدين الحاسدين.

<u>**هــ*جمعُ الشّمل:**</u>

يقول الشّاعر مسعود بن بلحاج خرَّازي:

نَشــــــأْنَا نُحِــــــبُّ الْجَزَائِــــــرَ دينًــــــا
نَــــــرُدُّ بِــــــهِ بِــــــالْمُنَى كُــــــلَّ غَــــــادِرْ
إِذَا فَرَّقَتْنَــــــا السّيَاسَــــــةُ يَوْمًــــــا
فَــــــلاَ يَنبَغِــــــي أَنْ نَخُــــــونَ الْجَزَائِــــــرْ
ولَــــــيْسَ يُعِيــــــدُ اخْضِــــــرَارَ بِــــــلاَدِي
سِــــــوَى أَنْ نوَحِّــــــدَ فِيهَــــــا الْمَشَــــــاعِرْ
وَنُخْلِــــــصَ لِلَّــــــهِ صُــــــنعًا ونَصْــــــفُو
فَمَــــــنْ غَيْــــــرُ رَبِّــــــي يُــــــزِيحُ الــــــدّيَاجِر[29]

يدعو الشّاعر إلى جمع شمل الجزائريين ونشر التّسامح فيما بينهم والوحدة ضدَّ أعداء الوطن، والحذر من خيانته؛ وألاّ يكون الاختلاف الحزبي والرّأي السّياسي سببًا للفُرقة والصّراع؛ فلا بدَّ من الوحدَة والتّآلف ولن تتحقَّق الوحدة إلاّ بنشر ثقافة الحبِّ وتصفيّة القلوب من الأحقاد والضّغائن وصفاء المشاعر وصدق النِّيَّات واعتبار الجزائر فوق كلِّ اعتبار.

ويدعو الشّاعر عمر بوسعدة إلى الوَحدة قائلا:

يُغْلَبْ نِ دَشْرَا سْ ربِّي نَّتْنِينْ أَغَنْجَرْوَنْ

تيدَتَّغْ تِيدِيوتَّغْ ويجِي سِ سْمَاوَنْ

نَبْهَى نَشْنِينْ آنْ تْقُرَّانْتْ سَ دمَّلَنْ أُولاوَنْ

أُوجَارْ مِي نلاَّت فَرَّانْتْ ويجِي دَداوَنْ[30]

فالوَحدة في نظر الشّاعر تكمن في العودة إلى القَواسم التي تجمعنا ولا تُفرّقنا كوحدة الأرض والوطن، والوَحدة ليست شعارات برَّاقة وأسماء خدَّاعة بل هي تعاون وتضامن على تحقيقها من خلال التّواصل الفَعَّال والتّعايش الحضاري والإيمان بالتّنوُّع الثّقافي الذي يُشبه الورود المتعدّدة الألوان، المختلفة المشارب، المنتقاة من مختلف الحقول والبساتين الغنَّاء.

خاتمة: أسهم حضور اللغة العربيّة (المْزَابيّة) المازيغيّة في المدوَّنات الجزائريّة المختلفة والأقوال والحِكم والمناسبات الثّقافيّة والاجتماعيّة في تكريس التّسامح اللغوي وتجذير التّنوُّع الثّقافي والوعي بأنَّ الاختلاف سببٌ للتَّكامُل والائتلاف وليس للصِّراع والشّقاق والأصل في التّسامح اللغوي أنّه يُؤدِّي إلى الحوار وتقبُّل الآخر والابتعاد عن أشكال عن العُنف والتّطرُّف وخطاب الكراهيّة؛ فيشعر الإنسان بالرّاحةُ النّفسيّة مع غيره وبروح الانتماء إلى وطنه دون تعصُّب أو حميّة جاهليّة، وقد رأينا في بحثنا أن التّسامح اللغوي يُجذِّر الأمن الثّقافي من خلال الحفاظ على الهويّة الجزائريّة والوعي بالمرجعيّة الدّينيّة الوطنيّة الإباضيّة والمالكيّة، ويسعى إلى جمعِ شمل الجزائريين عربًا

ومازيغًا عبر التّواصل الحضاري والتّمازج اللغوي والتّلاحم التّاريخي، وكلّ ما من شأنه أن يلمَّ شعثهم ويلملم صفوفهم ويشدِّ أزرهم كالبنيان المرصوص الذي يشدُّ بعضه بعضا.

توصيات واقتراحات: بدايّة نشكر المنظِّمين لهذا الملتقى الحضاري البارز، ونُثني على المبادرات الجبَّارة التي يقوم بها المجلس الأعلى للغة العربيّة في تنظيم النّدوات والأيام الدّراسيّة والملتقيات الوطنيّة المختلفة، ونقترح ما يلي:

- تنظيم طبعات متتاليّة لهذا الملتقى وتوسيع دائرته الأكاديميّة وتنويع محاوره في مختلف الملتقيات.
- إحياء اليوم العالمي للعيش معًا في سلام كلَّ سنة بإنجاز البحوث والدّراسات التي تنوِّه بطبيعة هذا الموضوع وتسعى إلى التّحسيس والتّوعيّة؛
- توجيه الطّلبة والأساتذة والباحثين والمهتمِّين إلى تناول التّسامح اللغوي في دراساتهم وإجراء علاقات التّواصل والحوار بين العربيّة والمازيغيّة ابتداءً ومع اللغات الأخرى انتهاءً؛
- تشجيع المخابر اللغويّة والبحثيّة المهتمَّة باللغة العربيّة والمازيغيّة ودعمها لإنجاز البحوث وتوثيقها وإخراجها إلى النّشر والطّبع؛
- توضيح أهميّة التّعايش اللغوي في الدّين الإسلامي، ومدى إسهامه في الحفاظ على الهويّة الوطنيّة وتقبُّل التعدّديّة اللسانيّة؛
- حمايّة التّنوع الثّقافي بإثراء الاختلاف اللغوي والتعدّد العِرقي والمذهبي واحترام الخصوصيّة الثّقافيّة الرّاميّة إلى المحافظة على الأعراف والتّقاليد الجزائريّة؛
- الحذر من تحديَّات العولمة التي تواجه الهويّة والأمن الثّقافي الجزائري؛
- الابتعاد عن الحميّة الجاهليّة وخطاب الكراهيّة، لتحقيق التّسامح اللغوي وتجسيد الأمن الثّقافي؛
- تعاون المؤسّسات المعنيّة التي تُحقِّق التّسامح اللغوي داخل الأوساط الشّعبيّة (مؤسّسات التّعليم، المساجد، المنتديات الثّقافيّة، المؤسسات السّياحيّة...).

المصادر والمراجع:

01–ابن منظور، لسانُ العرب، دار صادر، بيروت– لبنان، ط01، ج: 02.

02–عبد الله بن ابراهيم الطّريقي، الثّقافة والعالَم الآخر، دار الوطن، الرّيــاض–المملكــة العربيّة السّعوديّة، ط 01، 1415ه، 1995م.

03–محمّد فاروق النّبهان، مفهوم التّسامح في إطار الرّؤيّة الإسلاميّة، مجلَّــة المنهــل ع: 518، 1415ه/ 1994م.

04–ماجد الغرباوي، التّسامح ومنابع اللاتسامُح (فُرص التّعايش بين الأديــان والثّقافــات) الحضاريّة للطِّباعة والنّشر، بغداد–العراق، ط 01، 1429ه، 2008م.

05–جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنــاني، بيــروت–لبنــان، ج:01، د. ط 1982م.

06–محمّد الطّاهر بن عاشُور، مقاصِد الشّريعة الإسلاميّة، الشّركة التّونســيّة للتوزيــع د. ت. ط.

07–عزّام محمّد الشّريدة، دعوة إلى التّســامح اللغــوي، موقــع ملتقــى أهــل الحــديث www.ahlalhdeeth.com، 2014/01/11.

08–سعد بن طفلة العجمي، التّسامح اللغوي، موقِــع الاتِّحــاد، www.alittihad.ae أبــو ظبي–الإمارات، 2005/04/02.

09–جميل حمداوي، اللغة العربيّة واللغة الأمازيغيّة: مظاهر الانفصال والاتصــال موقــع ديوان العرب للثَّقافــة والفِكــر والأدب، وموقــع الأكاديميّــة المغربيّــة للثقافــة الأمازيغيّــة www.jamilrifi.net، 2008/05/07.

10–أحمد برقاوي، الأساس القومي للأمن الثّقافي العربي، اتحاد الكتَّــاب العــرب، د. ط 01، 2000م.

11–محمّد محمود النّيجيري، الأمن الثّقافي العربي (التّحدِّيات وآفاق المســتقبل) المركــز العربي للدِّراسات الأمنيّة والتّدريب، الرّياض–المملكة العربيّة السّعوديّة، د. ط 1990م.

12–صالح بلعيد، الأمن الثّقافي اللغوي والانسجام الجَمعِي، المجلس الأعلى للغة العربيّــة الجزائر، د. ط، 2018م.

13-عمر بن سليمان بوسعدة، قصيدة "تِيدَتْ نْ لِسْلاَمْ نَّغْ" (حقيقة إسلامنا)، نسخة مرقونـــة بتاريخ: 2006/06/20.

14-عبد الوهاب بن حمو فخار، اِمَطَّاوَنْ اِزْوُقَّاغَنْ (الدّموع الحمراء)، ط01، 1990.

15-مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د.ط، 1987م.

16-الأمين أحمد، ديوان مُدُّوا الأيدي نتصالح، تح: خـــرازي مســـعود، وابـــن ادريســـو مصطفى، نشر عشيرة آل خالدّ، بني يزقن-غردايّة، ط01، 1433ه/2012م.

17-عمر بن سليمان بوسعدة، أَحُوَّفْ نْ وَغْلاَنْ، المطبعة الجابريّة، بنورة-غردايّـــة ط01 1425ه/2005م.

18-مسعود خرازي، ديوان متى الصّبح يا وطني؟، المطبعـــة العربيّـــة، غردايّـــة، ط01 2002.

هوامشُ البحث:

[1] ابن منظور، لسانُ العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، ط01، ج: 02، ص: 489.

[2] عبد الله بن ابراهيم الطّريقي، الثّقافة والعالَم الآخر، دار الوطن، الرّياض–المملكة العربيّة السّعوديّة، ط 01، 1415ه، 1995م، ص: 58.

[3] محمّد فاروق النّبهان، مفهوم التّسامح في إطار الرّؤيّة الإسلاميّة، مجلّة المنهل، ع: 518 1415ه/ 1994م ص: 22.

[4] يُنظر ماجد الغرباوي، التّسامح ومنابع اللاتسامُح (فُرص التّعايش بين الأديان والثّقافات) الحضاريّة للطّباعة والنّشر، بغداد–العراق، ط 01، 1429ه، 2008م، ص: 20.

[5] يُنظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، ج: 01، د. ط 1982م، ص: 271.

[6] محمّد الطّاهر بن عاشُور، مقاصِد الشّريعة الإسلاميّة، الشّركة التّونسيّة للتوزيع، د. ت. ط، ص: 30.

[7] يُنظر عزّام محمّد الشّريدة، دعوة إلى التّسامح اللغوي، موقع ملتقى أهل الحديث www.ahlalhdeeth.com، 2014/01/11.

[8] يُنظر سعد بن طفلة العجمي، التّسامح اللغوي، موقع الاتّحاد، www.alittihad.ae، أبو ظبي-الإمارات، 2005/04/02.

[9] يُنظر جميل حمداوي، اللغة العربيّة واللغة الأمازيغيّة: مظاهر الانفصال والاتصال، موقع ديوان العرب للثّقافة والفِكر والأدب، وموقع الأكاديميّة المغربيّة للثقافة الأمازيغيّة www.jamilrifi.net 2008/05/07.

[10] سورة قريش، الآيتان: 03، 04.

[11] سورة النّساء، الآيّة: 83.

[12] سورة الأنعام، الآيتان: 81، 82.

[13] يُنظر أحمد برقاوي، الأساس القومي للأمن الثّقافي العربي، اتحاد الكتّاب العرب، د. ط 2000م، ص: 84، 85.

[14] يُنظر محمّد محمود النّيجيري، الأمن الثّقافي العربي (التّحدّيات وآفاق المستقبل)، المركز العربي للدّراسات الأمنيّة والتّدريب، الرّياض–المملكة العربيّة السّعوديّة، د. ط، 1990م ص15.

[15] يُنظر صالح بلعيد، الأمن الثّقافي اللغوي والانسجام الجَمعِي، المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر، د. ط، 2018م، ص: 09، 10.

[16] يُنظر ماجد الغرباوي، التّسامح ومنابع اللاتسامُح (فُرص التّعايش بين الأديان والثّقافات) مرجع سابق، ص: 75، 76.

[17] عمر بن سليمان بوسعدة، قصيدة "تِيدَتْ نْ لِسْلاَمْ نَّغْ" (حقيقة إسلامنا)، نسخة مرقونة بتـــاريخ: 2006/06/20، تحصّلت عليها من الشّاعر مباشرة بتاريخ: 2018/01/24.

[18] سورة الأنبياء، الآيّة: 92.

[19] سورة المؤمنون، الآيّة: 52.

[20] عبد الوهاب بن حمو فخار، اِمَطَّاوَنْ اِزُوقَّاغَنْ (الدّموع الحمراء)، ط01، 1990، ص:36 37.

[21] مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د.ط، 1987م، ص: 89.

[22] نفسه: 42.

[23] الأمين أحمد، ديوان مُدُّوا الأيدي نتصالح، تح: خرازي مسعود، وابن ادريسو مصطفى، نشـــر عشيرة آل خالدّ، بني يزقن-غردايّة، ط01، 1433ه/2012م، ص: 47.

[24] حكمة بالغة ومقولة بليغة ذَكرها الأستاذ عبد الوهَّاب بن حمُّو فخَّار أثناء تسجيل مرئي مع القناة الرّابعة النّاطقة بالأمازيغيّة (TV 04) التّابعة للتلفزيون العُمومي الجزائري، 2009م.

[25] مفدي زكرياء، مصدر سابق، ص: 20.

[26] عمر بن سليمان بوسعدة، أَحُوَّفْ نْ وَغْـلاَنْ، المطبعـــة الجابريّـــة، بنـــورة-غردايّـــة، ط01 1425ه/2005م، ص: 95.

[27] عمر بن سليمان بوسعدة، مصدر سابق.

[28] الأمين أحمد، مصدر سابق، ص: 47.

[29] مسعود خرازي، ديوان متى الصّبح يا وطني؟، المطبعة العربيّة، غردايّة، ط01، 2002 ص: 21، 22.

[30] عمر بن سليمان بوسعدة، مصدر سابق.

مكمن الوئام الجمعي
في ظلّ التسامح اللغويّ في الجزائر

أ.د/ يوسف بن نافلـة
(جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف)

الملخّص: تتناول هذه الورقة البحثيّة الحديث عن المفهوم والمصطلح لكلمة التّسامح اللغويّ لدى اللغويّين وأهل الاختصاص، بعدها أتناول موضوع التعدّد اللغويّ والمواطنة اللغويّة، والأمن اللغويّ، كما سأركّز على إشكاليّة التّسامح اللغويّ في الجزائر المصطلح والمفهوم، وكذا أثر التعدّد اللغويّ على التّسامح اللساني.

ولا يخفى على كلّ ذي عقل حصيف أنّ الجزائر قد بذلت جهودا مضنيّة في ترسيخ التّسامح اللغويّ بين اللغة العربيّة، واللهجات المازيغيّة، واللغات الأجنبيّة، ذلك أنّ الأمازيغيّة والعربيّة في البيئة الجزائريّة هما لغتا تعايش وتكامل، وتوافق، ووئام وانسجام لا تدابر، وتناطح، وتباغض.

وعليه فإنّ مداخلتي تروم إلى الإجابة عن إشكال هام حار فيه كبار المفكّرين وأساطين التّدبير السّديد، ويتمثّل في سُبل وأسباب تحقيق الانسجام الجمعي في ظلّ التّسامح اللغويّ في بلادنا الحبيبة الجزائر، إذ كما هو معروف لا سعادة بين أفراد المجتمع الواحد ما لم يسدّ التّلاحم والتّماسك في ظلّ الأمن اللغويّ، والتّسامح اللساني وعليه فإنّ ورقتي ستركّز على مواطن التّوافق، والوئام في تحقيق التّسامح اللغويّ بعيدا عن الحقد اللغويّ، والتّناطح، والتّدابر بين اللغات في بيئة واحدة. إذ كما هو متعارف عليه لدى اللسانيين أنّ اللغة هي أداة تواصل تنطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعيّة، والتّصرّفات، والأقوال التي نعبّر بها عن مشاعرنا، ومكنوّنات ما في صدورنا، حيث نعطي، ونأخذ، نبعث ،ونستقبل، وبذلك يحدث التّفاعل المجتمعي وتلك من أبرز تجليات اللغة، وهذا لا يتحقّق إلاّ في اللغة الوطنيّة، اللغة الأمّ، مع عدم تناسي

اللغات الأمازيغيّة، وكذا اللغات الأجنبيّة كالفرنسيّة، والإنجليزيّة، وغيرها من اللغات التي هي في نهايّة المطاف ناقلة لجملة من المعارف، والفوائد العلميّة الجمّة تسهم في النّهوض بمستقبل بلادنا.

المقدّمة: لا جرم أنّ التّسامح اللغويّ في الجزائر له دور فعّال في ترسيخ، وتحقيق السّبيل الأقوم إلى العيش معا في ظلّ الأمن، والآمان، والسّلم، والسّلام، والعفو والعافيّة، والابتعاد عن الضّغائن، والأحقاد، والتّفرقة، والتّشرذم. ذلك أنّ بالتّسامح اللغويّ يتحقّق الأمن اللغويّ وبالتّالي فاللُّغة كما هو معروف لدى أهل الاختصاص من اللّسانيين هي عُمدة الفكر، وركيزته، وأساسه المتين، إذْ لا تفكير بدون لغة.

واللغة في حدّ ذاتها لها حمولة فكريّة مرجعيّة، فنجدها من ناحيّة آمرة موجّهة مُكمّلة راضيّة، هادئة، ومن ناحيّة ثانيّة نجدها ناقمة، ساخطة، ثائرة، غاضبة، كما نلف هذه اللغة بعيدة عن البراءة من التّأثير، والتّأثّر، بل تقود عمليات التّفكير، وهي ثقافة ساطعة لها امتداد، وتعيش نموا لغويا تستهلك أساليب، وتولّد أساليب، إضافة إلى أنّها نسق من الرّموز، والإشارات التي يوظّفها الإنسان بغيّة التّواصل مع البشر والتّعبير عن مشاعره، وما يختلج في صدره، واكتساب المعارف، والعلوم. وهي كذلك إحدى وسائل التّفاهم بين أفراد المجتمع داخل الوسط الذي يعيشون فيه.

أمّا الإشكال الذي أرغب في طرحه فيتمثّل في الإجابة عن جملة من التّساؤلات تتمثّل في الآتي:

1-ما دلالة التّسامح اللغويّ لدى اللسانيين، وفي عُرف أهل الاختصاص؟

2-ما السّبيل لإرساء مبدأ التّسامح اللغويّ في ظلّ التعدّد اللساني في الجزائر؟

3-وما مكمن الانسجام، والوئام الجمعي في ظلّ التّسامح اللغويّ في الجزائر؟

4-كيف لأهل القرار التّوسع في طرق التّواصل اللغويّ لدى أفراد المجتمع الجزائريّ؟

5-وما دور التعدّديّة اللغويّة، واللّسانيّة في توسيع سُبل التّواصل، وبالتّالي الوصول إلى ما يُعرف بالأمن الثّقافي، واللغويّ في الجزائر؟

تعريف مصطلح التّسامح اللغويّ:

أ-التّسامح في اللّغـــة:

جاء في لسان العــرب لابن منظور: "السّماح، والسّماحة: الجُود. يقال سَمَحَ وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخـــاء، قيل: إنّما يقال في السّخاء: سَمَحَ وأمّا أَسْمَحَ فإنّمـــا يقال في المتابعـــــة، والانقياد، ويقال: أسمحتْ نفسه إذا انقادت وسمح لـــي فـــلان أي أعطاني. وأسمح، وسامح: وافقني على المطلوب، وأنشد ثعلب:

لو كنتَ تُعطي حين تُسأل سامحتْ*** لك النّفسُ واحْلولاك كلٌّ خليل.

والمسامحة: المساهمة، وتسامحـــوا: تساهلوا.

وفي الحديث المشهور: السّماح رباح، أي المساهلة في الأشياء تُربح صاحبها.

وسمح، وتسمّح: فعل شيئا فسهّل فيه، وسمح له بحاجته، وأسمح أي سهّل له.[1]

والمعنى نفسه نجده لدى الرّازي في (مختـــار الصّحاح) حيـــث قـــال: " السّـــماح والسّماحة: الجود، وقوم سُمحاء، بوزن فُقهاء، والمُســـامحة: المُســـاهلة، وتســـامحُوا: تساهلوا."[2]

وفي (المصباح المنير): "سمح: يسمح بفتحتين سموحا، وســـماحا، وســـماحة جـــاد وأعطى، أو وافق، على ما أريد منه، وأسمح بالألف لغة، وقال الأصمعي: سمح ثلاثيـــا بماله، وأسمح بقياده، وسمح فهو سمْح وزان خشن، فهو خشن، وامرأة ســـمحة وقـــوم سُمحاء، ونساء سِماح، وسامحه بكذا، أعطاه، وتسامح، وتسمح، وأصله الاتساع، ومنـــه يقال في الحقّ مَسْمح، أي متّسع، ومندوحة عن الباطل، وعود سمْح مثل ســـهْل وزنـــا ومعنى." [3]

وفي (المعجم الوسيط) سمُح، سمحًا، وسماحًا، وسماحة: لان، وسهُل، ويقال ســـمَح العود: استوى وتجرَّد من العُقد، وسمح: انقاد بعد استصعاب، وفلان سمح: بـــذل فـــي العُسر، واليُسر عن كرم، وسخاء، ويقال سمح له بحاجة: يسّرها له، وســـمُح ســـماحة

وسُمُحة: صار من أهل السّماحة: فهو سمْح، وسميح، وسامحه بكذا، وفيه: وافقه على مطلوبه، وسامحه بذنبه: عفا عنه، ويقال في الدّعاء: سامحك الله."[4]

يتّضح ممّا سبق أن مصطلح "التّسامح" في المعاجم اللغويّة يعني الحِلم والعفو والتّساهل، والمساهلة، والسّلاسة، والرّفق، واللّطف، والأدب قصد العيش في محبّة ووئام، وأُلفة، وتفاهم تام، وبالتّالي تحقيق الرّخاء، والطّمأنينة، ومنه قولهم فلان سمح: إيّ متساهل، بعيد عن الخشونة والغلظة، والقسوة، ويعطي، ويجود من فضل الله تعالى، حتى أنّهم يقولون في الدّعاء بالخير على أحدهم: سامحه الله، أيّ: اللهم اغفر له، وتجاوز عن أخطائه.

ب-التّسامح اللغويّ في الاصطلاح: يقصد بالتّسامح اللغويّ (Tolérance Linguistique) في عُرف أهل الاختصاص الرّضا وقَبول التّحدّث مع الآخرين باللّغة التي يفقهونها، ولا يجدون صعوبة في فهمها حتى ولو لم تكن اللغة لغة الأمّ، وهنا يحدث الانفتاح على الآخر وإعطائه فسحة أمل للعيش بسلام، رغم اختلاف لغة التّواصل بين الطّرفين.

ويذكر د/ سعد بن طفلة المعجمي أنّ مفهوم التّسامح اللغويّ "يعني ببساطة عدو رفض التّحدّث مع الآخرين باللغة التي يفهمونها، حتى لو لم تكن لغتك، والألمان -على سبيل المثال -غير معروف عنهم التّسامح اللغويّ، فالألماني يرفض التّحدّث معك بأيّة لغة كانت إلاّ الألمانيّة، وقد كان د/ سعد بن طفلة يعاني كلّما زار ألمانيا -التي عشقها وأُجب بأهلها-من التّخاطب بألمانيته التي تعاني من الكسور والرّضوض في كلّ أجزائها من الأفعال، والأسماء، والحروف، وحتى الظّروف.

ومن الشّعوب المعروفة أيضا بالتّعصّب اللغويّ (Linguistic Prejudice) نصف شعب بلجيكا الذي يتكلّم الفلاميش، وهي أقرب ما تكون إلى الهولنديّة. والفلاميش قوم يرفضون الكلام بالفرنسيّة التي هي اللغة الثّانيّة بالبلاد، لكنّهم لا يرفضون الكلام بالإنجليزيّة مثلا. وفي مقاطعة "كيبيك " québec الكنديّة يرفض المتعصّبون لغوياً الكلام بالإنجليزيّة رغم معرفتهم بها جميعا، وإجادتهم لها. وخطر بباله تساؤل حاول

الإجابة عنه: لماذا نمارس التّعصّب، والفوقيّة، والتّعالي في ثقافتنا المعاصرة ما عدا في الجانب اللغويّ؟ فنحن لا نجد حرجا في التّحدث مع الآخر بلغتــه، وخاصّــة بــاللّغتين الإنجليزيّة، والفرنسيّة التي يجيدها معظم متعلّمينا وطرح التّساؤل سببه أنّه قــد ظهــر بيننا مَن أشاع العداء مع الآخر، ومَن حرّم أكل ذبائح الآخر، وعدم مصــافحة الآخــر تحريم تبادل التّهاني، وإلقاء السّلام على الآخر بل وفتاوى بالجهاد لقتــل الآخــر، أيــا كان هذا الآخر"[5]

ثمّ يضيف قائلا: (سالتّ صديقي البريطاني المقيم في الكويت عــن مــدى تحسّــن عربيته منذ أن انتقل إلى العيش بيننا، فقال إنّها كانت أفضل في بريطانيا ممّا هي عليــه في بلاد العُرب أوطاني، فلا أحد يكلّمني بالعربيّة، فــالجميع يبــادر بالحــديث معــي بالإنجليزيّة، الأمر الذي أدّى إلى كسل، وخمول خلايا مُخّي اللغويّة حتى أكــاد أنســى عربيّــتِي تماماً.

ربّما لم يتغزّل قوم بلغتهم مثلما تغزّل العرب، بل إنّ الزّمخشري رفــض الــزّواج وتزوّج العربيّة القضيّة، –وليس القضيّة العربيّة–والفرق بين المقصود بالعربيّة هنــا أنّ الأولى تعود إلى اللّغة، والكلام، بينما يقصد بالثّانيّة القضيّة الفلسطينيّة، وقــد لا يكــون الفرق كبيرا بين قضيّة الزّمخشري، وقضيّة فلسطين. فالأولى تبنــي القضــيّة اللغويّــة والفريق الثّاني يبني قضيته لغويّا. ومن الأسماء الكثيرة التــي أطلقهــا العــرب علــى العربيّة أنّها بنت عدنان دلالا لها، ولا أدري لماذا أسموها بنت عــدنان، ولــيس بنــت قحطان على اعتبار عرب عاربة، والعدنانيين عرب مستعربة، ومــع هــذا فــالمتعلّم العربي على استعدّاد للتخلّي عن بنت عدنان أوّل لقاء مع الآخر الذي يجيد لغته."[6]

ثمّ يتساءل قائلا: (تُرى لماذا نسارع إلى الحديث مع الآخر بلغته؟ ونوفّر عليه عنــاء محاولة الكلام بلغتنا؟ قد تكون " الفشخــرة " أي التّباهي، سببا لذلك فيســارع الواحــد منّا إلى الحديث بلغة الآخر ليوصل له رسالــة مفادها "أنّني متعلّم ومُثقّف"، ولســتُ كما يقولون عنّا بني يعرُب "أنّنا متخلّفُــــون، وغير متعلّمين"، إنّه الشّــعور بــالنّقص ومحاولة دفع هذه المشاعر الدّونيّة لدينا بالحديث بلغة الآخر وبالــذّات الخواجــا

الأكثر تطوّرا منّا، وكأنّ لسان حالنّا يقول: "شايف يا خواجا نحن أحسن منك وأكثر تطوّرا، ونجيد لغتك، ولا تجيد لغتنا، وقد يكون سبب لجوئنا إلى الحديث بلغة الآخر الشّعور بأنّ لغتنا لا يمكن أن يفهمها إلاّ نحن بني يعرب وبالذّات المسلمون منّا. فالعربيّة مرتبطة بلغة القرآن الكريم، ومن ثَمَّ فمن ليس بمسلم لن يفهم لغتنا مهما أجادها، وتمكّن منها، على الرّغم من أنّ المسيحيّين العرب أقحاح في عربيّتهم وعروبتهم، ولكن هذا يتمّ تجاوزه، وتناسيه في زمن اختطاف الثّقافة العربيّة من قبل فكر التّطرّف، والإرهاب.

أو ربّما يعود سبب لجوئنا إلى لغة الآخر –وبالذّات الغربيّ– للتعبير عن شعورنا بالعجز، والقهر، وانعكاسنا لشعور في عقلنا الباطن بأنّ مشكلتنا مع الآخر أنّه لا يفهم مفادنا، ونوايانا، ولغتنا، فعلينا إذن اللجوء إلى اللّغة التي يفهمها –أيّ لغته هو– لعلّ وعسى تسامحنا اللغويّ الباهر يتعارض مع ثقافة اللاتسامح التي يمارسها بعضنا مع الآخر، وهي مسألة جديرة بالتّمعّن، والدّرس."[7]

وفي "اصطلاح اللّغة والعلوم فيجمع الفلاسفة، وأهل اللغة، والاجتماع على وصف التّسامح كقيمة بأنّه العطاء، والبذل، والمُتفضّل الذي لا إجبار فيه، ولا واجب وهو السّهولة في المعاملات، وإنفاذ الأمور، وتيسيرها، وفي اللّين، والتّلطُّف."[8]

أمّا ما يتعلّق بمصطلح (التّسامح اللغويّ) فإنّه في اعتقادي يندرج ضمن التّعايش اللغويّ، والوئام، والأُلفة بين لغتين أو أكثر في بيئة واحدة، من ذلك ما يعرف لدى معشر اللّسانيّين ب "ثنائيّة اللّسان Bilinguisme (اللسانيات الاجتماعيّة) ويستعمل لفظ ثنائيّة اللّسان غالبا لوصف وضعيّة كتكلّم، يمارس بصفة عاديّة نظامين لسانيين مختلفين، أو ثلاثة أنظمة لسانيّة متنوّعة من دون أن يفضّل أحدهما على الآخر، ومن هذا المنظور تكون ثنائيّة اللسان وضعيّة تعود إلى تحديدات فرديّة (غالبا في المستوى العائلي)، وعليه يجب أن تميّز عن ثنائيّة اللّهجة (Diglossie الكلمة الفرنسيّة ذات أصل يوناني تتكون من (Di) مرّتان، و(Glossa) " لسان" التي تصف وضعيّة ثنائيّة اللّسان تشمل جماعة لسانيّة في مجملها، ويلاحظ فيها استعمال لسانين في

ظروف محدّدة من الحياة الاجتماعيّة وهكذا يتعايش ويتاسمح في ثنائيّة أو ثلاثيّة اللّهجة، (عربيّة–مازيغيّة –فرنسيّة) السّنة مختلفة مرتّبة اجتماعيا لهم في الغالب حظوة ثقافيّة جدّ مختلفة، لسن مخصّص للاستعمال العام، والرّسمي، أيّ من نمط ناقل والآخر مخصّص لاستعمال الخاص أيّ نمط محلّي إلاّ أنّ (أندريه مارتينيه) Andret Martinet قد سجّل من الصّعب ضبط التّمييز بين مفهومي ثنائيّة اللسان وثنائيّة اللّهجة..)[9]

ويندرج موضوع التّسامح اللغويّ ضمن ما يُسمّى باللّسانيات الاجتماعيّة Sociolinguistique"، وهي (مجال من علوم اللّغة يمكن تعريفه بصفة عامّة مع (فرانسواز غاديه) "الإبدال الاجتماعي في الفرنسيّة،2003 م كاختصاص موضوعه دراسة اللّسان من وجهة نظر استعماله من قِبل المتكلّمين في سياق اجتماعي ما وغالبا ما يقع التّمييز بين:

1–لسانيات اجتماعيّة من نمط إبدالي، تبلورت انطلاقا من أعمال (وليام لابوف) التي تطوّرت من خلال التّمييز المكاني، والتّمييز الطّبقي، والتّمييز المظهري.

2–ولسانيات اجتماعيّة من نمط تفاعلي تبلورت انطلاقا من أعمال (جون غمبرز) "التي تهدف إلى إدماج البُعد التّحاوري، والتّداولي في المجال، وذلك مواصلة للدراسات اللّسانيّة الأجناسيّة التي وقع إنجازها في السّنوات 1960م.) [10]

أمّا الأستاذ عبد الجليل مرتاض فيستعمل في موضع مصطلح (علم الاجتماع اللغويّ) مصطلح (عَلْجَغَة) ويشير به مبدئيّا إلى تدبّر العلاقات الكاملة بين اللّغة من جهة، والمجتمع الذي يتبنّاها من جهة أخرى، وينبّه بعض اللّسانيين إلى أنّه من غير المؤكّد أن تكون (العلجغة) مادّة قائمة بذاتها، لها مبادئها، مناهجها النّوعيّة، ومن ثمّ لا يتردّد اللّسانيّون لحظة في اعتبار "العلجغة" جزءًا من اللّسانيات التي ميدانها يتقاطع مع ميادين اللّسْلة (اللسانيات السّلاليّة)(Ethnolinguistique) وعلم اجتماع اللّغة، والسّجغة (اللّسانيات الجغرافيّة) (Géogrphie Linguistique) و"العلهجة" (علم اللّهجات) (Dialectologie) . و"العلجغة " تدرس اللّغة بوصفها ظاهرة اجتماعيّة لا بوصفها

ظاهرة طبيعيّة، بمعنى أنّها تنفي عنها صفة التّوقيف وتضفي عليها صفة الاصطلاح.)[11]

و"اختلاط اللغات " يفضي إلى وجود علاقات مطرّدة بين مجموعتين تتكلّمان لغتين مختلفتين إلى خلق لغة مختلطة، تسمح بتواصل مباشر، من غير لجوء إلى التّرجمة وعندما لا تصبح اللّغة النّاتجة هي نفسها اللّغة الأمّ للأمّة، لأنّها تبقى محدودة في إطار التّواصل مع الأجانب، فإنّنا نسميها غالبا" لغة مزيجة"، ويستعمل هذا المصطلح خصوصا لأنّ اللّغة:

1-تستخدم من أجل علاقات عرضيّة فقط، ولغايات محدودة (ومثال ذلك لغة الفرانكا التي ظلّ البحارة، والتّجّار، يستعملونها في محيط حوض المتوسّط حتى القرن التّاسع عشر).

2-وعندما لا يكون للغة بنيّة قاعديّة محدّدة تسمح خصوصا بتجاوز الكلمات."[12]

حتى أنّ " القدرة التّواصليّة لدى اللّسانييّن تتكوّن من ثلاث قدرات هي:

أ-قدرة نحويّة

ب-وقدرة لغويّة اجتماعيّة تتضمّن قواعد الاستعمال ذات الطّابع الاجتماعي والثّقافي وكذا قواعد الخطاب التي تضمن ماسكه، وتناسقه.

ج-وقدرة استراتيجيّة تتضمن استراتيجيات التّواصل اللّفظيّة، وغير اللّفظيّة ".[13]

صفوة القول أنّ التّسامح اللغويّ في أسمى معانيه هو السّبيل الأوحد، والأفيد قصد تحقيق التّواصل، والأمن الثّقافي لأيّ أمّة، هذا إضافة إلى أنّه المنهج الوحيد والطّريق السّليم للوصول إلى ما يُعرف بالانسجام الجمعي، والتّعايش اللغويّ. وعليه لابدّ من الرّضا، وقَبول التّحدّث مع الآخر باللغة التي يفقهها، ويفهمها، ويستعملها حتى لو لم تكن لغتنا الأمّ.

مكمن الوئام الجمعي في ظلّ التّسامح اللغويّ في الجزائر: ممّا لا شكّ فيه أنّ التعدّد اللغويّ فريضة حتميّة يتطلّبها بناء المجتمعات والأمم ذلك أنّ بالتعدّد اللّساني داخل البيئات المتنوّعة، ومختلف الأعراق، والأجناس يتحقّق المخرج الوحيد، والمنفذ

السّديد، للمعضلة الاجتماعيّة، والسّبيل الأمثل للخروج من المشكلة، والمتمثّل في وجوب التّسامح اللغويّ، والعيش معاً بسلام، ووئام، وما يعرف بالتّعايش اللغويّ واللّساني، وبالتّالي يُحقّق هذا التّسامح، والتّعايش البقاء والعيش لكلّ واحد منّا على اختلاف هُويّته، ودينه، ولغته ما دام أنّ الوطن أرضه شاسعة، وواسعة تكفي الجميع للعيش معاً في مودّة، ومحبّة، وتفاهم تام، بعيدا عن كلّ النّعرات، الطّائفيّة الضّيّقة والخلافات الجاهليّة الفاسدة، والحالقة المدمّرة التي تحلق مقوّمات الأمّة، ودعائمها والمعارك اللغويّة السّفسطائيّة.

وتحت عنوان (وضعيّة تعايش وتكامل) يفصل القول البروفيسور صالح بلعيد في هذا الموضوع قائلا:

(إنّ أسلافنا عملوا في إطار موحّد، رغم المنعطفات التّاريخيّة الصّعبة التي عانوها في بعض المحن، ولكنّهم ما مسُّوا الفتن، فهي مُنْتِنَة، فلقد كانت نظرتهم إلى أنّ وحدة اللغة من وحدة الفكر، ويعني وحدة المصير، وعاملوا اللغة العربيّة بميزة خاصّة لارتباطها بالوحي، فالعربيّة توصلنا بماضينا، وبتراثنا الدّيني، وتعلّم / تعليم العربيّة يعني التّقرّب إلى الله تعالى. وإنّ عمر تزاوج اللغة العربيّة، واللهجات الأمازيغيّة يزيد عن أربعة عشر قرناً، وذلك منذ أن حلّت اللغة العربيّة محلّ اللاّتنيّة، فلقد عمل الرّستميون في تيهرت، والحمّاديون في بجايّة، والزّيانيون في تلمسان على تجسيد العربيّة لغة رسميّة، والاحتفاظ بالأمازيغيات لغات وظيفيّة في شؤونها الخاصّة. كما أنّ اللهجات ليست ملكاً للناطقين بها، بل هي ثروة لتراثنا المتعدّد المصادر، وهكذا يكون التّراث اللهجي رصيدا مشتركا للمجتمع الجزائريّ، وإثراء الثّقافة الوطنيّة، والبعد عن رواسب الدّونيّة التي تلصق على هذا التّراث. ويتجسّد هذا التّعايش، والتّكامل في كثير من المحطّات، ويبقى الاحتكام إلى محتويات الأدب الشّعبي مثلا، فنجد ثقافة واحدة تؤدّى بلغات مختلفة، فهذه بقرة اليتامى، هي ذاتها في فكر الشّعب الجزائريّ والحديث عن شجاعة علي بن أبي طالب (ض)، وتغريبة بني هلال، نجدها في مناطق القبائل كما هي في مناطق الجزائر عامّة، كذلك قداسة الأولياء، والصّالحين هي واحدة

واحترام شيوخ المساجد، والزّوايا، أهازيج، وأحاجي الجدات واحدة، وبـذا نعـرف أنّ المثاقفة اللغويّة لها بعد عميق في التّاريخ، وتفاعل إيجابي منـذ الفتوحـات الإسـلاميّة ويُعدُّ ابن تومرت نموذجا لذلك، وانظر ذلك في كتاب(أعزُّ ما يطلب) ومن هنا يجـب الإقرار بمجتمع واحد ذي التّوجّهات المتعدّدة، وهو التّعايش في ظـلّ التعـدّد، وقَبـول الآخر كما هو، فأنت تقبل بي كما أنا، وأقبل بك كما أنـت En tant que tel. وأعـود لتأكيد مسألة الحوار الذي كان يجب أن يسود في مسألة السّياسة اللغويّة، أو في قضايا التّهيئة اللغويّة، وهذا الحوار تكون مرجعيّته الثّوابـت الوطنيّـة ومواثيـق الحركـات الوطنيّة، والأبعاد الكبرى لتراثنا، وحضارتنا المعاصرة ."[14]

ويؤكّد د/ جيلالي بن يشو أنّ "المعاجم اللّسانيّة أجمعت على أنّ التعدّد عبـارة عـن استعمال لغات عديدة داخل مؤسّسة اجتماعيّة محدّدة، وفي القاموس نصف متكلّما مـا بأنّه شخص متعدّد اللّغات إذا كان يستعمل داخل جماعة معيّنة ولأغـراض تواصـليّة مجموعة من اللّغات، وهو ظاهرة طبيعيّة في دول العالم قاطبة وأنّه مـن العسـير أن نجد دولة، أو مجتمعا يتكلّم لغة واحدة، ذلك أنّ التعدّد اللغويّ أمر واقـع حتمـي، ولا ضير أن يتّخذ التعدّد اللغويّ مسلك التّطعيم، وانفتاح الثّقافة الوطنيّـة علـى الثّقافـات الأجنبيّة لتوسيع دائرة التّفكيـر اللغويّ بما يخدم اللّغة الوطنيّة حتى أنّ الله تعالى جعل اختلاف الالسّنة، والألوان آيات من آياته السّاطعات فقال جلّ جلاله: (ومن آياتِه خلـقُ السّموات والأرض، واختلاف ألسنتكم، وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين).

(سورة الرّوم: الآيّة 22)، وعليه فالتعدّديّة اللغويّة إن ظهرت بصورة طبيعيّة نابعـة من متطلّبات المجتمع المتطلّع إلى المعرفة الإنسانيّة فهي ظاهرة صحّيّة، وسليمة. وأمّا إنّ سلك التعدّد اللغويّ مسلكا إيديولوجيا سياسيا، تحت أقنعة متنوّعة، فذلك في حدّ ذاتـه هو المسخ الثّقافي، والحضاري، والاحتلال في ثوبه الجديد."[15]

وقد صرّح "لويس جان كالفي "Louis Jean Calvet" بأنّه إن كان ثمّة حرب بـين اللّغات فلأن العالم متعدّد، ولأنّ التعدّد اللغويّ هو الأصل، ولو كان يمكـن للعـالم أن يكون أحادي اللّغة لما حدث فيه صراع، ومن هنا وهْمُ الحلّ المسالم فـي ابتـداء لغـة

اصطناعيّة عالميّة كلغة الإسبيرنتو، أو كاللّغات المصطنعة الأخرى إنّه وهمٌ لأنّه يخالف حقيقة جوهريّة في اللّغة هي: حقيقة التعدّد. "[16]

وعليه في اعتقادي إنّ أدقّ، وأضبط تعريف للتعدّد اللغويّ هو الآتي: «مجموعة لغات موجودة في مجتمع مختلف النّظام، والبِنيّة، عاشت جنباً إلى جنب واستعملتها مجموعة معيّنة، وكان أن حدث ذلك التّعيش إمّا طبيعيا، وإمّا بفضل احتكاك، أو استعمار، أو جميع ما يؤدّي إلى بروز أكثر في الاستخدام داخل المجتمع."[17]

وقد ميّز أحد اللّسانيين الجزائريّين بين مصطلحين هامّين هما: التعدّديّة اللغويّة والتعدّد اللغويّ، وأنّ الأمر يُفسّر على النّحو الآتي:

"إذ تقع "التعدّديّة اللغويّة " على مستوى الفرد، ويهمّ فيها الشّخص الذي يُعتبر ملتقى عدّة لغات، وموطن احتكاكها، ويعالج كونه متعدّد اللغات، نظرا لما يستقطب من اهتمام حول الانعكاسات الممكنة على نفسيّته، وكذا الاستراتيجيات التي يعتمدها المتعلّم في نقل المعرفة من وضع لغوي ما إلى آخر. وبالتّالي تُدرس التعدّديّة على المستوى اللّساني، والنّفسي، والذّهني هذا، بينما يعني مصطلح " التعدّد اللغويّ" ما يقع على المستوى القطري يشمل مجموعة لغويّة ما ويُتناول كموضوع من قِبل اللّسانيات الاجتماعيّة، وقد استوحى هذا التّحليل من التّمييز الذي تقدّم به كلّ من: (Michel Blanc)، و(Josiane Hamers) والذي طُبِّق على مفهومي الازداجيّة اللغويّة (Bilinguilité)، والازدواج اللغويّ (Bilinguisme)أيّ ما يعادل:(Pluralité linguistique)،و(Plurilinguisme). بل ثمّة مَن اقترح مصطلح (Colinguisme) ويتعلّق الأمر بتفاعل اللّغات مع بعضها البعض في بعدها الكتابي، ولاسيما اللغات التي سمحت بتدوين الكتب السّماويّة، والصّحف المقدّسة، انطلاقا من العِبريّة، والعربيّة، واللاّتنيّة."[18]

ويرى د/ يوسف مقران أنّ المشهد اللغويّ في الجزائر باعتباره نتاجا لوضع تاريخي متميّز، ووليد جغرافيّة محدّدة خاصّة، فإنه يتميّز بمظهرين متناقضين في الظّاهر، ومنسجمين في الواقع، وهما التّعايش، والصّراع، وعليه فليس من السّهل

وصفه بدون معرفة التّاريخ، والسّياسة، والثّقافة، وأنّ ذلك المشهد اللغويّ الجزائريّ في اعتقاده ينتظم حول ثلاثة فضاءات هي على النّحو الآتي:

1–اللّغــة العربيّة الفصحى (المشتركة) بمختلف لهجاتها الرّاســخة فــي المجتمــع الجزائريّ، والمُكرّسة للتواصل، وتعدّ اللغة العربيّة اللغة الرّسميّة منذ استقلال الجزائــر في سنة 1962م.

2–اللّهجات الأمازيغيّة التي تأخّر الإقرار بمقامهــا الــوطني إلــى غايّــة 2002م وبالتّالي بوضعها التّعليمي، على الرّغم من تواجدها العريق، استعمالها الرّاهن، والحــيّ ومخزونها الثّقافي الثّريّ.

3–اللّغة الفرنسيّة كلغة ثانيّة تُحظى بمرتبة أولى ضمن اللغات الأجنبيّة المُعوّل على تعليمها في الجزائر، وذلك نظرا لمكانتها التّاريخيّة أيضا، ولكنّها لا تشكّل حالــة مــن الازدواج اللغويّ إلى جانب اللغة العربيّة الفصحى."[19]

وصفوة القول في الأطروحة السّابقة الذّكر أنّ موضوع التعــدّد اللغــويّ ضــرورة حتميّة داخل مجموعة من الالسّن تعيش في محيط مختلف النّظام، والبنيّــة، وعاشــت جنباً إلى جنب في عزّ، وسلام، وطمأنينة، وراحة بال، ثمّ وظّفتهــا مجموعــة محــدّدة فكان أن وقع التّسامح اللغويّ، والتّعايش السّلمي بين اللغات، إمّا طبيعيا، وإمّــا بفضــل احتكاك، أو احتلال، أو جميع ما يؤدّي إلى ظهور أكثر في الاستعمال داخل المجتمع.

وعن ظاهرة التعدّد اللّساني والعيش معاً بسلام في المجتمع الجزائريّ تذكر الأستاذة صفيّة بزينة أنّ "التعدّد اللغويّ ظاهر طبيعيّة لدى كلّ الشّعوب، والأمــم إذ لا يوجــد مجتمع يتكلّم لغة واحدة، فالتّزاوج الذي يحصل بين اللّغة الأصليّة واللّغة الدّخيلــة هــو الذي يولّد ما يسمّى باللغة العاميّة، التي يتمّ التّعامل بها أكثر من غيرهــا ســواء فــي الجزائر أو غيرها من الدّول، وهذه الدّارجة في الغالب هي التي تعمل علــى تكســير قواعد اللغة الأمّ، وذلك من خلال انفتاح اللغة الأصليّة على غيرها من خلال تجــاوز القواعد النّحويّة تحت لواء ما يسمّى بـــ" الانزياح"، والميل إلــى الجمــل القصــيرة وشيوع اللّحن، وهو في نظر البعض الآخر من النّقاد ليست أخطاء، وإنّما هي ظــواهر

لغويّة أخرى، ليس من السّهل تجاهلها لسعة الفئات، بل والمؤسّسات التي تتواصل بها."[20]

أمّا عن الخريطة اللغويّة في الجزائر فيذكر د/ محمّد داود أنّ "السّوق اللّساني في بلادنا يتوزّع بين اللّغة الوطنيّة، والرّسميّة الأولى في الجزائر، وهي لغة الكتابة والمعرفة في المدرسة، وفي الإعلام، وفي الإدارة، واللغة الفرنسيّة التي تؤدّي الوظائف نفسها، وبخاصّة في أهمّ المؤسّسات الاقتصاديّة، والبنوك وتدرس في التّخصّصات العلميّة بالجامعات، والمدارس العليا، هذا إلى جانب اللغة الأمازيغيّة اللغة الوطنيّة الثّانيّة، والتي لا تزال تبحث عن طريق لها، وهي لغة التّواصل اليومي في العديد من مناطق الوطن، وبخاصّة في منطقة القبائل، هذا دون أن ننسى ما تؤدّيه اللّهجات المحليّة من وظائف في مجال التّعاملات الاجتماعيّة، ولعلّ هذا التّواجد المكثّف لجميع هذه اللّغات في الجزائر قد يؤثر العديد التي تتجلّى في صراع لغويّ بين المعرّبين، والمتفرنسين، ومعهم مجموعة كبيرة من النّاطقين بالأمازيغيّة ...وهذا الأمر الذي جعلنا نلاحظ أنّ الجزائريّين يملكون عدّة لغات يتعاملون بها في حياتهم اليوميّة، والعمليّة، وهي اللغة العربيّة الدّارجة، والأمازيغيّة، واللّغة العربيّة الفصيحة واللغة الفرنسيّة، وتعرف هذه اللّغات فيما بينها تعايشاً صعباً مطبوعا بالتّنافس."[21]

وحسب رأي د/ سعاد بسناسي أنّ هناك لغة جامعة في ظلّ تزاحم لغويّ واضح (ذلك أنّ الحقل اللغويّ في الجزائر يتميّز بوجود لغة فصحى، ولهجات، ولغات أجنبيّة وعلى رأسها اللغة الفرنسيّة، ونحن هنا أمام ثلاثيّة لغويّة (Trilinguisme) فالمجتمع الجزائريّ واحد من المجتمعات العربيّة الكثيرة التي تتعايش فيها لهجات كثيرة، وتتعدّد فيه طرائق التّواصل الاجتماعي، والعلمي، والعمليّ. وهذا التّزاحم اللغويّ تمثّله الفصحى في المؤسّسات التّعليميّة، وأحيانا تكون مشوّهة، وهجين بينها، وبين الدّارجة أو اللغة الفرنسيّة، وقلّما نجد مجتمعا يتواصل بلغة واحدة.)[22]

أمّا ما يتعلّق بمكمن الانسجام الجمعي في ظلّ التّسامح اللغويّ في الجزائر فيتمثّل "في أنّ خلق التّسامح يعدّ بحقّ من أهم القيم الإنسانيّة الحياتيّة العالميّة، إذ يُنظر إلى

التّسامح مجتمعيّا على أنّه تشريع ذاتي، مستحقّ، يضمن تحصيل الحقوق وأداء الواجبات ليخلق مجتمعا، متراحما، مُلتحما، وتُشكّل هذه النّظرة تجاه التّسامح مسؤوليّة سياسيّة، وكيانا قيّما، يُحتّم على الجميع احترامه، والالتّزام بمضامينه وأخلاقياته.

وأهميّة التّسامح وقيمته لا تتوقّف على جميع أنظمة المجتمعات، وتقدّمها وتطوّرها وعلى فرض انتفاء هذه القيمة المجتمعيّة، ستنتشر مفاهيم العنف والتّعصّب والكراهيّة فتتعطّل المصالح، وتنهدم الحضارات، وتنتزع عوامل أمنها واستقرارها وتظهر سيادة الآراء المفروضة " وهذا الخلق الخاص بالتّسامح، والانسجام الجمعي يخصّ أيضا التّسامح اللغويّ الذي يشمل توافق عدّة لغات في بيئة معيّنة فيحدث الوئام، والتّفاهم والعيش بسلام.

واللغة العربيّة في حدّ ذاتها لغة تسامح، إذ (اللّغة الخالدّة الرّاقيّة العاليّة لغة الأصالة والجزالة، والوحي، والهدي، والمنابر، والمحابر، والعلم، والرّسم، واليقين والتّبصّر والعزّة، والرّفعة، والمنطق، والمروءة، والثّراء، والإعجاز، والخلود، والحضارة والبلاغة، والدّلالة، والفخر، والإبهار، والماضي، والحاضر، والمستقبل، والبيان والتّبيين، والنّوادر والحكم، والأمثال، والأقوال، والأدب والشّعر، لن تعجز أن تضيف إلى ما يقبل الإضافة مضافا إليه، فتكون لغة التّسامح.

وقد قال ابن حزم الأندلسي في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام: " توهّم قوم في لغتهم إنّها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له، لأنّ وجوه الفضل معروفة بعمل أو اختصاص، وكلّ يرى لغته الأفضل، والعاقل يذهب إلى بطلان المفاضلة بين اللغات لأنّ اللغة وسحرها في والوظيفة سواء أكانت إبداعيّة أم تواصليّة."[23]

وممّا لا يختلف فيه اثنان، أو يتجادل حوله عاقلان أنّ "التعدّد اللغويّ plurilinguisme من أبرز الظّواهر اللغويّة التي تلحق اللغات خصوصا في المجتمعات التي خضعت في فترة من تاريخها للاستعمار بمختلف أشكاله وإن كانت في حقيقة الأمر تشكّل ظاهرة طبيعيّة تنجم عن التّطوّر باعتباره سنة كونيّة والتّجاوز الذي تمليه الطّبيعة الإنسانيّة بين كيانات ثقافيّة، واجتماعيّة، غير أنّها أصبحت اليوم نقمة

على المجتمعات العربيّة التي لم تحسن استغلالها على غرار الجزائر، ووسيلة ثمينة في يد الاستعمار المقنع الذي يعمل على تشتيت الذّات واستلاب الهُويّة الجزائريّة من خلال تعميق الهُوّة بين كيانات الأمّة، وترسيخ التّبعيّة المتجدّدة، والمستدامة."[24]

وصفوة القول أنّ التعدّد اللّساني ثروة نفيسة لا بديل عنها في هذا المقام يقول البروفيسور صالح بلعيد "إنّ التعدّد اللغويّ إثراء للهُويّة، ذلك أنّ تعلّم اللّسان مهما كان يعمل على تحقيق المعالم في تجديد الذّهن، وهو تجديد الحياة، والتّسامح وقَبول الآخر، وفيه تغيير شبكة رؤيّة العالم بمنظرين متكاملين، فاللغة الثّانيّة تحملك على خلق تشابكات جديدة بين المعلومات، وتخلق درجة عاليّة من المرونة والنّجاعة في شبكة التّرابطات، والتّفاعلات، وانكسار الطّوق اللغويّ الذي يحاصر المرء نفسه من خلال لغة واحدة، وينفتح إدراكه أمام أمور جديدة إضافة إلى انكسار شوكة التّعصب للغة واحدة."[25]

وأنّ "التّداخل اللغويّ ظاهرة طبيعيّة في كلّ اللغات، وهي سنّة التّأثير والتّأثّر أو سلوك لغويّ عادي يُمارس على مستوى احتكاك اللغات تعبيرا عن التّفاعل الاجتماعي Interaction، ولقد عالج العرب هذه الظّاهرة بعد الفتوحات الإسلاميّة وفي مرحلة التّدوين ، حيث أخضعوا العربيّة بمقاييس صارمة حفاظا على نقائها وفي تلك الفترة بدأ الحديث عن السّليقة اللغويّة، وعن البيئة الزّمانيّة والمكانيّة للصّفاء اللغويّ ومع ذلك ظهر الحديث عن اللّفظ الدّخيل، أو اللّفظ غير العربي، والمُولّد والمُعرّب، والاقتراض Emprunt، والاقتباس Citation وهذا لعدّة عوامل ومن أهمّها:

العامل الدّيني: وهو أقوى العوامل كونه مرتبطا بظاهرة دينيّة، يجعل التّأثير يقع في اتّجاه واحد، وتطغى الوحدات اللغويّة الحاملة لمضامين الدّين بشكل ملفت للانتباه.

عامل الهجرة: يحدث هذا في التّجمعات السّكانيّة المختلطة، ممّا يجعل كلّ مهاجر حاملا للغة، وللثقافة الأصليّة، فيحصل الاندماج بينها لتشكّل ميتروبولا لغوياً وهجيناً ثقافيّاً.

التّداخل اللغويّ: مصطلح حديث ظهر مع الدّراسات اللسانيّة الحديثة Interférence ويعنون به مختلف أشكال الاحتكاكات اللغويّة، أي كلّ أشكال المزج بين اللغات سواء على مستوى الألفاظ المفردة، أم على مستوى التّراكيب، والأساليب وأخذ المصطلحات التّاليّة: (التّداخل / الدّخّل /الموطنة اللغويّة Citoyenneté Linguistique) [26].

نستنتج ممّا سبق ذكره أنّ التّسامح اللغويّ مبدأ عظيم، بعد أن يعي الجميع حقوقهم وواجباتهم، وهو أكبر مراتب القوّة، وحبّ الانتقام هو في حقيقته أوّل مظاهر الضّعف. كما أنّ التّسامح في حدّ ذاته أفضل أشكال الحبّ، فكما يتطلّب الأمر شخصاً قويّا لتقديم الاعتذار، يتطلّب شخصا أقوى كي يسامح. زد على ذلك أنّ لغتنا العربيّة الجميلة، لغة تسامح، ورقي، وخلود، وأصالة، وصفاء، وتقبل العيش في سلام مع كافة اللغات.

<u>**الخاتمة**</u>: في خاتمة هذه المداخلة يمكن أن أخلص إلى نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

1-وجوب الاهتمام بموضوع التّسامح اللغويّ في ظلّ التعدّد اللساني بغيّة العيش معاً في سلام، ووئام، ومحبّة، واحترام لغة الآخر، كما يحترموني، وإلاّ وقعت الكارثة وحلّ التّصادم، والتّباغض. وعليه فلا مناص من الاهتمام بموضوع التّعايش اللغويّ بين اللغات الوطنية، واللغات الأجنبيّة، إنجليزيّة، وفرنسيّة، وألمانيّة، وغيرها.

2-لقد بذلت بلادنا، ولا زالتّ تبذل جهودا مضنيّة بغيّة تحقيق السّلم، والتّسامح في ظلّ تعدّد اللّغات في أرض الوطن، وعليه فلا بدّ من إيجاد السّبل الكفيلة لتحقيق هذا التّعايش الدّائم بين اللغات المختلفة: العربيّة، والأمازيغية، واللغات الأجنبيّة، وبالتّالي يتحقّق السّلام، والتّسامح، والتّفاهم التّام، بعيدا عن الأحقاد، والضّغائن، التي هي نَتِنة لا خير فيها.

3-التّداخل اللغويّ ظاهرة طّبيعيّة نجدها في كلّ اللغات وهي سنة التّأثير والتّأثّر أو سلوك لغويّ عادي لا غرابة فيه، يُمارس على مستوى احتكاك اللغات تعبيرا عن التّفاعل الاجتماعي، ,قد اهتمّ أجدادنا من العلماء العرب بهذه الظّاهرة بعد الفتوحات الإسلاميّة، وفي مرحلة جمع اللغة وتدوينها، حيث أخضعوا العربيّة لمقاييس صارمة وضوابط دقيقة، قصد الحفاظ على صفائها، ونقائها، وفي تلك الحقبة الزّمانيّة بدأ

الاهتمام بما يُعرف بالسّليقة اللغويّة، والبيئة الزّمانيّة، والمكانيّـة، للنقـــاء اللغـويّ والصّفاء اللّساني.

4-إنّ مكمن الانسجام، والوئام الجمعي، يتمثّل أساسا – في اعتقادي الخاص- فـي وجوب العنايّة، والحرص على التّسامح اللغويّ، والتّعايش اللساني بين مختلف اللغـات داخل الوطن الحبيب، وبالتّالي يسود السّلام بين مختلف الالسّنة في البيئة الواحـدة مـع ضرورة تطبيق مبدأ: "أنت تقبل بي كما أنا، وأقبل بك كما أنت" علـى منـوال قـول الصّحافة: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصّواب.

5-من أهمّ الاقتراحات والتّوصيات التي يمكن أن تفيدنا مستقبلا في مجال التّسـامح اللغويّ، حرص الهيئات العلميّة، ومخابر البحث، على العمل بكلّ ما نملك مـن جهـد على ازدهار مشروع "التّسامح، والأمن اللغويّين" بغيّة العيش معاً في سـلام، وسـعادة وهناء، بعيدا عن التّطاحن، والتّباغض. مع وضع تخطيط لغويّ سـديد منسـجم مـع التّطوّر التّكنولوجيّ، والتّقنيّ.

الهوامش والإحالات:

[1]–لسان العرب للعلامة ابن منظور، دار الحديث للطبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة 1423ه–2003م ،673/4.

[2]–مختار الصّحاح، للإمام محمّد بن أبي الرّازي، دار الهدى للطباعة والنّشر، عين مليلة الجزائر، الطّبعة الرّابعة 1990،ص205.

[3]–المصباح المنير، معجم عربي–عربي، للعلامة أحمد بن محمّد بن علي الفيومي، دار الحديث القاهرة، سنة الطّبع 1424ه–2003م، ص173

[4]–المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، ص97

[5] –ينظر المقال الإلكتروني (التّسامح اللغويّ) على الشّابكة،2 أفريل 2005م .

[6]– ينظر المقال الإلكتروني نفسه على الشّابكة (بتاريخ 2005/11/2م).

[7] – ينظر المقال نفسه : التّسامح اللغويّ alittihad.ae/wejhatarticle/10849/

[8] كتابة بانا ضمراوي في: 10سبتنبر 2018م .mawdoo3.comينظر المقال الإلكتروني:

[9]–ينظر: قاموس علوم اللغة، لفرانك نوفو، مراجعة: الطّيب بكوش، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، الطّبعة الأولى، مارس 2012، ص209 وما بعدها.

[10]–المرجع نفسه، ص383.

[11]–القاموس الوجيز في المصطلح اللّساني (فرنسي–عربي) ،أ.د/ عبد الجليل مرتاض ، دار هومه للطباعة والنّشر والتّوزيع، بوزريعة، الجزائر، الطّبعة 2017م، ص 363–364.

[12]–ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أزوالدّ ديكرو، وماري سشايفر، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، الطّبعة الثّالثّة 2013م ص131.

[13]–ينظر: التّواص اللغويّ مقاربة لسانيّة وظيفيّة، عز الدّين البوشيخي، مكتبة لبنان ناشرون الطّبعة الأولى 2012م، ص32.

[14]–في المواطنة الغويّة وأشياء أخرى، صالح بلعيد، دار هومه، بوزريعة، ص52–53.

[15]–ينظر التعدّد اللغويّ في الجزائر مظاهره، وانعكاساته، د/ جيلالي بن يشو أعمال النّدوة الدّوليّة، الموسومة ب (التعدّد اللّساني واللّغة الجامعة) المجلس الأعلى للغة العربيّة أيام 10–11–12 أفريل 2012م، الجزء الثّاني ص 49–50.

[16]–حرب اللّغات والسّياسات اللغويّة، لويس كالفي، ترجمة: حسن حمزة، مراجعــة: ســلامبزي بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، ص19 .

[17]–العدالة اللغويّة في المجتمع المغاربي، أ.د/ أحمد عزوز، ود/محمّد خاين، المركــز العربــي للأبحاث ودراسة السّياسات، الدّوحـــــة، قطــر، الطّبعة الأولى ،2014م، ص43.

[18]–ينظر: واقع حال التعدّد اللغويّ في المدرسة الجزائريّة نحو بديل أفضل: اللّغة الجامعة أ.د/ يوسف مقران، أعمال النّدوة الدّوليّة، التعدّد اللساني، واللغة الجامعة، من تنظيم المجلس الأعلــى للغة العربيّة، في 10–11–12 أفريل، الجزء الثّاني من كتاب أعمال الملتقى ص46 وما بعدها.

[19]–ينظــر: المداخلة السّابقة، د/ يوسف مقران، الجزء الثّاني من كتاب الملتقــى الــدّولي ص15 وما بعدها

[20]–ينظر: التعدّد اللغويّ حلبة صراع أم فضاء للتعايش؟ د/صفيّة بزينة، كتاب أعمـــال اليـــوم الدّراسي: الأمن الثّقافيّ واللغويّ والانسجـــام الجمعي، منشورات المجلس الأعلى للغـــة العربيّـــة 2018، ص 175.

[21]-ينظر: الهُويّة والتعدّد اللغويّ، والثّقافي في الجزائر: واقع ورهانات، أ/ محمّــد داود، أعمـــال اليوم الدّراسي: الأمن الثّقافي والانسجام الجمعي / المجلس الأعلى للغة العربيّة 2018 ص31.

[22]–مؤثّرات التعدّد اللّساني على وحدة التّفكير الإنســـاني، د/ سعاد بسناســـي، جامعـــة وهـــران النّدوة الدّوليّة (التعدّد اللساني واللغة الجامعة)، المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2014 الجزء الأول . 79

[23]**-**ينظر المقال على الشّابكة (اللغة العربيّة لغة التّسامح).

[24]**-**ينظر: أي دور للتعدّد اللغويّ في تحقيق الأمن الثّقافي؟ ،أ/ كلثوم درقاوي ، كتاب أعمال اليوم الدّراسي: الأمن الثّقافي واللغويّ والانسجام الجمعي ،المجلــس الأعلـــى للغـــة العربيّـــة 2018 ص281.

[25]**-**الانسجام الجمعي في ظلّ التّنوّع اللغويّ، البروفيسور صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة، كتاب: (التّعايش اللغويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التعدّيل الدّســتوري الجديد) أعمال ملتقى وطني، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة 2018 ،ص18.

[26]–في المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، صالح بلعيد، دار هومه، بوزريعة، الجزائر، ص53 وما بعدها.

مصادر البحث ومراجعه:

1-لسان العرب، لابن منظور، دار الحديث للطباعة والنّشر، والتّوزيع، القـاهرة 1423هـ-2003م.

2-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، أخرجه: إبراهيم مصطفى وآخـرون، القـاهرة 1972.

3-المصباح المنير، لأحمد بن محمّـد بـن علـي الفيـومي، دار القـاهرة للطباعـة والنّشـر والتّوزيع،1424 هـ-2003م.

4-نختار الصّحاح للإمام الرّازي، دار الهدى للطباعة والنّشر، عين مليلـة، الجزائـر، الطّبعـة الرّابعة 1990م.

5-القاموس الوجيز في المصطلح اللّساني ،أ.د/ عبد الجليل مرتاض ، دار هومه للطبع والنّشـر والتّوزيع،بوزريعة ،2017م.

6-قاموس علوم اللغة ،فرانك نوفو ، ترجمة : صالح الماجوري، مراجعـة: الطّيـب البكـوش ،مركز دراسات الوحدة العربيّة ،بيروت ،لبنان ،الطّبعة الأولى ،مارس 2012.

7-القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أزوالدّ ديكرو ،وجان ماري سشايفر، ترجمة : د/ منذر عياشي ،المركز الثّقافي العربي ،المغرب، الطّبعة الثّالثّة 2013م.

8-لسان حضارة القرآن، محمّد الأوراغي ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ، لبنان ، ومنشورات الاختلاف الجزائر ، ودار الأمان الرّباط ،الطّبعة الأولى 1431ه-2010م.

9-الجزائريّون والمسألة اللغويّة، د/ خولة طالب الإبراهيمي ،ترجمـة: محمّـد يحيـاتين ، دار القصبة حيدرة ،الجزائر ،2006م.

10-العرب والانتحار اللغويّ، د/ عبد السّلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنـان الطّبعة الأولى 2011م.

11-علم الاجتماع اللغويّ، لويس جان كالفي، ترجمة: محمّد يحياتين، دار القصبة حيدرة الجزائر ،2006م.

12-حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، لويس جان كالفي ، ترجمة: حسـن حمـزة ، المنظمـة العربيّة للترجمة، بيروت، لبنان.

13-العدالة اللغويّة في المجتمع المغربي بين شرعيّة المطلب، ومخاوف التّوظيف السّياسوي أحمد عزوز، ومحمّد خاين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، الدّوحة، قطـر يناير 2014م.

14-في الأمن اللغويّ، د/ صالح بلعيد، دار هومه للطباعة والنّشر والتّوزيع، بوزريعة الجزائر الطّبعة الثّانيّة 2012م.

15-في المواطنة اللغويّة وأشياء أخرى، د/ صالح بلعيد دار هومه للطباعة والنّشر والتّوزيع بوزريعة، الجزائر، الطّبعة 2008م.

16 التعدّد اللغويّ وانعكاساته على النّسيج الاجتماعي، محمّد الأوراغي، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء، المغرب، منشورات كليّة الآداب، الرّباط، الطّبعة الأولى 2002م.

17-كتاب: (أهميّة التّخطيط اللغويّ -اللغات ووظائفها-) أعمال النّدوة الوطنيّة 12-13 أفريل 2011م، المجلس الأعلى للغة العربيّة ،2012م.

18-كتاب :(التعدّد اللساني واللغة الجامعة)، النّدوة الدّوليّة، المجلس الأعلى للغة العربيّة أيام 10-11-12 أفريل 2012م .

19-كتاب (أعمال اليوم الدّراسي: الأمن الثّقافي واللغويّ والانسجام الجمعي)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2012.

20-التّواصل اللغويّ مقاربة لسانيّة وظيفيّة، مكتبة لبنان ناشرون، الطّبعة الأولى 2012م

21-العربيّة بين البعد اللغويّ والبعد الاجتماعي، د/ مصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر العاصمة.

22-منافحات في اللغة العربيّة، صالح بلعيد، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع تيزي-وزو

23-مقالات لغويّة، د/ صالح بلعيد، دار هومه للطباعة والنّشر والتّوزيع، بوزريعة، 2004م

24-يزع بالحاكم مالا يزع بالعالم، صالح بلعيد، دار هومه للطباعة والنّشر والتّوزيع بوزريعة 2010م

25-اللغة والتّواصل اقترابات لسانيّة لإشكالات التّواصّل للتواصليين الشّفوي والكتابي، د/ عبد الجليل مرتاض، دار هومه للطبع والنّشر والتّوزيع، بوزريعة، الجزائر.

26-كتاب: (التّعايش اللغويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التعديّل الدّستوري الجديد) أعمال الملتقى الوطني، (في جزئين)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة 2018م.

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة



رئاسة الجُمهُوريّة

المجَلِس الأَعْلَى للّغة العربيّة



إعلان عن جائزة المجلس للغة العربيّة 2022

يعلن المجلس الأعلى للغة العربيّة عن تنظيم (**جائزة المجلس للغة العربيّة لسنة 2022**) التيّ تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلميّة والمعرفيّة والإبداعيّة، ذات المردود النوعيّ الهادف إلى إثراء اللغة العربيّة، والإسهام في نشرها وترقيّتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلّفة باللغة العربيّة، أم مترجمة إليّها.

1. **شروط الترشح للجائزة:**

- أن يقدّم العمل باللغة العربيّة؛
- أن يتوفّر العمل على قواعد المنهجيّة العلميّة؛
- أن يكون العمل موثقّاً وأصيلاً، وفي مجال التّرجمة ترفق نسخة للنّص بلغته الأصليّة؛
- أن يكون العمل المقدّم لا يتجاوز خمسمائة (500) صفحة (مكتوبة بخطّ simplified arabic حجم 14)؛
- ألاّ يكون العمل قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علميّة؛
- ألاّ يكون العمل قد نُشر، ويُصحب بتصريح شرفيّ، يحمّل من موقع المجلس؛
- أن يندرج العمل في أحد المجالات المذكورة أدناه؛

- قرارات لجنة التّحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا ترّد الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز؛
- لا يحقّ للحائز على جائزة المجلس للغة العربيّة، أن يتقدّم بعمل آخر إلاّ بعد مرور دورتين من حصوله عليها.
- تعرض الأعمال المرشّحة على لجنة تحكيم؛ مكوّنة من ذويّ الاختصاص والذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

2 ــ **مبلــغ الجــائزة:** حــدّد مبلــغ الجــائزة بــ **2.000.000** دج، يــوزّع بمقدار**500.000** دج لكلّ مجال من المجالات الأربعة التالية:

2 /1 - جائزة المجلس في علوم اللّسان.

2 /2 – جائزة المجلس في برمجيات الدّعم باللغة العربيّة.

2 /3 - جائزة المجلس في التّرجمة إلى العربيّة.

2 /4 – جائزة المجلس في وسائل الإعلام والاّتصال والتّواصل الاجتماعيّ باللّغة العربيّة.

في حالة وجود جائزتين: استحقاقيّة- تشجيعيّة؛ يوزّع المبلغ الماليّ في كلّ مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربيّة على النّحو التّالي:

- **70**% لجائزة الاستحقاق؛
- **30**% للجائزة التّشجيعيّة.

وفي حالة حجب جائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التّحكيم أن تقترح جائزة تشجيعيّة، تقتطعها من المجال المحجوب إلى مجال آخر، على ألاّ تتجاوز قيمتها **50**% من مبلغ الجائزة الثّانية.

- تنشر الأعمال الفائزة، ضمن منشورات المجلس باستثناء الجائزة التّشجيعيّة التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربيّة، ومجلة معالم للتّرجمة؛ للتّداول بشأن إمكانيّة نشرها في عدد من أعدادهما.
- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس مِلْكا للمجلس، إلا أنّه يمكن لمؤلفّها استعادة حقوقه بعد انقضاء ثلاث (**03**) سنوات من نشر العمل.

3. **طلب التّرشّح**: يتكوّن طلب التّرشّح للجائزة من الوثائق الآتيّة:

- طلب خطيّ؛
- تصريح شرفيّ بعدم نشر هذا العمل، يحمّل من موقع المجلس؛
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التّعريف أو رخصة السّياقة)؛
- السيرة العلميّة للمشارك؛
- نسختين/**02** من البحث المقدّم لنيل الجائزة:
  - ❖ النّسخة الأوّلى/ مسجّلة على قرص؛
  - ❖ والنّسخة الثّانية /توجّه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4. **للتّذكير**؛ إنّ باب التّرشّح مفتوح **إلى غاية 31 مارس 2022.**

للاستفسار: الاتّصال بالرّوابط: الهاتف: 09 07 23 021 / 99 88 23 021.

البريد الإلكتروني: jaizamajeless2022@gmail.com

5 ـــ يوجّه ملّف التّرشّح إلى العنوان الآتي:

السّيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.

أوص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

(جائزة المجلس للغة العربيّة 2022).

تم إخراج وطبع بـ :



للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر

ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com

Asentel : *Tamlilt d twuri n usmeskel amutlay deg usewseɛ n yiberdan n umyaweḍ d usnerni n tɣellist tadelsant degLezzayer*.

Nadir BOUREMANI
l'Université Abderrahmane MIRA de Béjaia
ZEGGAGH
Mohand Cherif
l'Université Abderrahmane MIRA de Béjaia

Tazwart : Asssaɣ i tesɛa tutlayt akked tmetti d assaɣ d ameqqran, d nettat i d lemri i d-yesskanayen ayen yeɛnan abeddel d umhaz deg tmetti ama d ayen yelhan ama d ayen n dir. Tutlayt d allal n taywalt ilaq ad yili gar medden akk n yiwet n tmetti, ayen ara yeğğen taneggarut-a ad tidir di talwit daɣen ad d-ldin aṭas n yiberdan n usdukkel d usnerni n yidles.

Timetti tazzayrit assa-a deg-s aṭas n usmeskel amutlay, anect-a d tidet i nettidir yerni yegla-d s umennuɣ amutlay gar yizzayriyen acku nwala d akken ulac tasertit tamutlayt i izemren ad tekkes tamukrist-nni tamutlayt ara d-yawin talwit gar yimdanen n tmetti n Lezzayer.

Tamaziɣt d tutlayt n tefriqt n ugafa , Lezzayer d tamurt i yettfen amur d ameqqran seg wid i yettmeslayen tamaziɣt, taneggarut-a tella-d ama s wudem-nni n tmaziɣt i yellan deg uɣerbaz neɣ d asdukkel n tantaliwin akk ittmeslayen deg yal tama : taqbaylit, tacawit, tamzabt, tacenwit, tatergit.

Seg zik tutlayt teqqim kan d allal n taywalt d umyaweḍ, d ttawil n usenfali ɣef tiktiwin d yiḥulfan anda amdan ur yezmir ara ad yeğğ ttawil-a.

Assaɣ-a i yellan gar umdan d tmetti-ines ur yebni ara kan ɣef ubeddel n tiktiwin maca d azamul n tumast n tmetti akk.

Asmeskel amutlay ur yelli ara kan deg yiwet n tmetti maca yella deg yigduden n umaḍal akk. Ad naf deg unnar amutlay n Lezzayer tutlayt n tmaziɣt d tin n taɛrabt rnu ɣur-nsent taberranit d tin n tefransist, tutlayin-a akk ssufɣent-d tutlayt-nniḍen itent-yessdukklen qqaren-as : ddarğa.

Tamukrist-a tebna ɣef wassaɣ i yellan gar tutlayt n taɛrabt d tin n tmaziɣt i d-yesskanayen tawuri n usmeskel amutlay deg tmetti tazzayrit. S wakka nemlal-d sdat-nneɣ ugur n tmetti d wugur n tutlayt d yidles. Iwakken ad d-nerr ɣef tmukrist-a ilaq ad d-nerr ɣef kra n yisteqsiyen:

- D acu-tt twuri n tutlayt deg tmetti?
- D acu i d tamlilt n usmeskel amutlay deg usewseɛ n yiberdan n taywalt d umyaweḍ deg Lezzayer?
- Amek i yezmer usmeskel amutlay ad yessnerni taɣellist tadelsant?
- Amek i tesɛa tutlayt tazrirt ɣef tumast d yidles n Lezzayer?

1. Agdud azzayri d usmeskel amutlay:

Agdud azzayri am yigduden-nniḍen n Tefriqt n ugafa i yttutlayen s snat n tutlayin taɛrabt d tmaziɣt deg yiwet n tmetti aya neqqar-as asmeskel amutlay, anect-a daɣen yella deg waṭas n tmura deg umaḍal.

Ihi Lezzayer tezga gar tmura i yesɛan aṭas n tutlayin ad d-nebder:

- Taɛrabt tin n uɣerbaz neɣ tin n tantaliwin-nniḍen deg yal tama
- Tamaziɣt tin n uɣerbaz neɣ tin n tantaliwin-nniḍen deg yal tama
- Tafransist d tutlayt taberranit
- Ddarğa itent-yessdukklen akk

Assaɣ i yellan gar tutlayin-a yella anda yesɛa assaɣ n ukemmel d udukkel, seg tama-nniḍen yella umennuɣ gar-asent.

A- Tutlayt n tmaziɣt:

Tutlayt n tmaziɣt d tutlayt tayemmat tanaslit n yimezdaɣ n Tefriqt n ugafa, seg Maser almi d tigzirin tikanariyin, seg yilel iger akal almi d sseḥra talemmast. Nezmer ad neḥseb Lezzayer d Merruk d snat n tmura i yettmeslayen tamaziɣt s waṭas , deg Lezzayer d tutlayt tunsibt seg useggas n 2016, s wakka tamaziɣt tebḍa ɣer waṭas n tantaliwin :

- **Taqbaylit:**

D tantala i ittmeslayen deg tmurt n Leqbayel, teṭṭef amur d ameqqran seg wid i yettmeslayen tamaziɣt deg Lezzayer. Tamurt n Leqbayel tezga ɣer tama n ugafa d tlemmast n Lezzayer teṭṭef azal n 8 n lwilayat: Bgayet, Tizi wezzu, Tubiret, Sṭif, Lburj, Jijel, Bumerdas, Lezzayer tamanaɣt.

- **Tacawit:**

D tantala i ittmeslayen deg tmurt n luras , teqreb aṭas ɣer teqbaylit. Tamurt n luras tezga ɣer tama n usamar n tlemmast n Lezzayer, teṭṭef aṭas n lwilayat: Batna, xencla, Um lebwaqi, sṭif,Tbessa, …

- **Tatergit:**

D tantala i ittmeslayen itergiyen di tmurt n twareg di sseḥra tameqqrant, tella deg waṭas n tmura: Lezzayer, Libiya, Nnijer, Mali.

- **Tacenwit:**

D tantala i ittmeslayen deg tmurt n yicenwiyen i d-yezgan ɣef tama n usamar n lezzayer tamanaɣt, teṭṭef aṭas n temnaḍin : Cercal, Tibaza, Bni Slimane, Criɛa,…

- **Tamzabit:**

D tantala i ittmeslayen deg tmurt n yimzabiyen i yellan deg Tɣerdayt d werğlen, d waṭas n temnaḍin n yibaḍiyen, zgan deg tlemmast n sseḥra n Lezzayer.

B- Tutlayt n Taɛrabt:

Tutlayt n taɛrabt d tin ittmeslayen s waṭas deg Lezzayer , d tutlayt tunsibt deg lezzayer seg tuffɣa n yirumiyen d timunent . d acu kan taɛrabt i neyɣar deg uqɣerbaz d tin ittmesslayen medden yal ass ur kifkif-itent ara acku taɛrabt-nni n ddarğa tebḍa ɣer waṭas n tantaliwin:

- Tantala n usamar : teɛna Qsentina d wayen ias-yezzin.
- Tantala n tlemmast : teɛna talemmast n Lezzayer n ugafa.
- Tantala n umalu : teɛna Wehran d wayen ias-yezzin.
- Tantala n sseḥra : teɛna tamurt n sseḥra s umata.

Beṭṭu-a yella-d ilmend n waṭas n tmental:

- Luseɛ n wakal n tmurt n Lezzayer.
- Tasertit tamutlayt i tesɛedda Lezzayer send neɣ seld anekcum n yirumiyen.
- Ṭṭradat d unekcum n waṭas n leğnas ɣer tmurt n Lezzayer d Tefriqt n ugafa s umata i d-yeglan s tlisa gar waṭas n temnaḍin deg Lezzayer.

C- Tutlayt n Tefransist (tutlayt taberranit):

Neẓra d akken tutlayt n taɛrabt d tutlayt n tefransist d tutlayin tunsibin deg lezzayer, maca tafransist d tutlayt taberranit tamezwarut deg Lezzayer, seld anekcum n yirumiyen ɣer Lezzayer tuɣal tefransist teṭṭef amur d ameqqran deg uɣerbaz azzayri akked yimdanen i yettmeslayen yes-s.

Γer taggara ad naf asmeskel amutlay i yellan deg lezzayer yegla-d s waṭs n tyugiwin timutlayin:

- Taɛrabt n uɣerbaz + tamaziɣt n uɣerbaz
- Taɛrabt n uɣerbaz + tamaziɣt n yal ass
- Taɛrabt n uɣerbaz + tafransist
- Taɛrabt n yal ass + tamaziɣt n yal ass
- Tamaziɣt n yal ass+ tafransist
- Tamaziɣt n uɣerbaz+ tafransist

2. Tamlilt d twuri n usmeskel amutlay deg Lezzayer:

Γas akkan asmeskel amutlay yemmal- d aṭas n ubeddel n tutlayt sdaxel n tmetti tazayrit maca d allal n tsemlilt gar tutlayin ittmeslayen izzayriyen, d win isnernayen taɣellest n yidles n Lezzayer.

2.1. Amyaweḍ amutlay d unmetti:

Nenna-d yakkan uqbel, imdanen n tmetti tazzayrit uḥwağen aṭas tutlayt iwakken ad yili umsiwel d umyaweḍ gar medden, ayen ara ten-yeğğen ad msefhamen akken iwata, acku timetti ur teswɛi ara anamek ma yella ulac allal n taywalt ara yezdin gar yimdanen.

Tutlayt ihi d ttawil i ileddin aṭas n yiberdan n umyaweḍ d ubeddel n tiktiwin d umsefham gar medden.

Akken yebɣa yili umsiwel d umyaweḍ amutlay gar yimdanen ama s timawit neɣ s tira, ɣas akken mgaradent tewsatin n umyaweḍ amutlay ad yeqqim kan umdan d netta i d aferdis agejdan sdaxel n tmetti, iswi-ines dima d amyaweḍ yid yimdanen-nniḍen deg tmetti.

2.2. Aḥraz n yidles icerken akk timetti:

Assaɣen i yettilin gar yimdanen n yiwet n tmetti yessufuɣ-d idles yesɛan azal d ameqqran , yes-s teddukkul yak tmetti, aya ilaq ad t-neḥrez iwakken ad yeqqim seg lğil ɣer wayeḍ iwakken timetti ad tkemmel tikli-ines ɣer sdat, s wakka nezmer ad d-nini belli ilaq ad neḥrez tutlayt deg tmetti-nneɣ iwakken ad neḥrez lwert adelsan inmetti s umata, turda nettaf-itt deg yidlisen ma nebɣa ad nuɣal ad nɣer amezruy d yidles n tmetti-nneɣ.

Ihi ma neḥrez snat n tutlayin i nesɛa deg Lezzayer taɛrabt d tmaziɣt, nezmer ad neḥrez idles n tmurt-nneɣ, daɣen ad d-yili umsefham d umyaweḍ d umsiwal gar yimdanen n tmetti tazzayrit, ayen ara d-yawin lehna d talwit i tmurt-nneɣ ass-a d uzekka.

2.3. Asdukkel n tegmat gar yimdanen n tmetti:

Ma neḥseb tutlayt d allal n taywalt i yes-s ttemyawaḍen yimdanen deg tmetti , tezmer ad tili daɣen d ttawil n usdukkel n yimdanen, d ttawil i izerɛen tagmat deg tmetti.

Deg Lezzayer yezmer ad yili wanect-a ma nefka-as azal I snat n tutlayin inesɛa ama d taɛrabt neɣ d tamaziɣt, ilaq imdanen n tmetti tazzayrit ad ssnen akk snat n tutlayin-a iwakken ad d-yili umsefhem gar yimdanen, daɣen ad nesselḥu tamurt ɣer sdat iwakken ad taxeḍ ɣer uswir n tmurt irebḥen tin yemhazen s waṭas.

Assaɣ-a yezdin gar taɛrabt d tmaziɣt yettak-as azal d ameqqran i tumast d yidles n ugdud azzayri.

Ass-a mi as-nefka azal i tmaziɣt tuɣal d tutlayt tunsibt deg lezzayer, nezmer ad d-nini nebna-d tura timetti iseḥḥan s waṭas, d tin ara yessdukklen akk tagmat n yizzayriyen iwakken adidiren di lehna d talwit.

3. Igemmaḍ:

- Izzayriyen ass-a ilaq ad yili gar-asen umsameḥ d umsaleḥ amutlay ma nefka-as azal i usmeskel amutlay i yellan deg tmetti tazzayrit.
- Ilaq ad as-nefk azal i tutlayin tunsibin deg tmurt-nneɣ iwakken ad tekkes cciḥna d umennuɣ i yettilin ɣef tutlayt,idles d tumast s umata.
- Ilaq ad yili useggem n uɣerbaz azzayri acku ma nesɣer taɛrabt d tmaziɣt s tarrayt iwulmen, s wakka ad ssnen yimdanen snat n tutlayin-a yes-s zemren ad mmeslayen daɣen ad myawaḍen yizzayriyen gar-asen.
- Ilaq ad nebnu tasertit tamutlayt ara yessdukklen yutlayt d tmetti.
- Tutlayt n taɛrabt d tmaziɣt yal yiwet tettkemmil tayeḍ ilaq ad tent-nissin i snat , ma nebɣa ad temhaz tmetti daɣen ad tili talwit di tmurt n Lezzayer.
- Ulac timetti neɣ agdud deg umaḍal ileḥqen amhaz d rrbeḥ d talwit ma yebda s usemres n tutlayin tiberraniyin yeǧǧa agla-s tinasliyin .
- Tafransist d tenglizit yelha ad tent-nissin akken ilaq acku d tutlayin n tussna d tmussni i yettwassnen deg umaḍal akk.
- Tutlayt d nettat i d azamul n tumast deg yal timetti.

Taggrayt:

Ummuɣ n yidlisen

- Basset A, 1936: *Atlas linguistique des parlers berbère,* Territoire du nord, Fasl, Université d'Alger.
- Basset A, 1956: *La langue berbère*, Oxford Université Presse, London.
- Chaker S, 1991 : *Manuel de la linguistique berbère,* Bouchène, Alger.
- Idress A, et Madi R, 2003 : Dictionnaire universel bilingue Français-Tamazight, Edition Jazz, Alger.